
وليم غاي كار
أحجار
على رقعة
الشطرنج
Pawns in the game
دراسة وتقديم
د. الحسيني الحسيني معدّي
دار الحرم للتراث

أحجار

على رقعة الشطرنج

اسم الكتاب : أحجار على رقعة الشطرنج

اسم المؤلف : د/ الحسينى الحسينى معدى

الناشر : دار الحرم للتراث

العنوان : ٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة. ت: 25916021

رقم الإيداع : 2011/ 3183

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977- 6038 - 86 - 7

الطبعة الأولى: **2011**



أحجـــــار

على رقعة الشطرنج

وليم غاى كار

دراسة وتقديم

د. الحسينى الحسينى معدِّى

دار الحرم للتراث

٤٥ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة

٢٥٩١٦٠٢١

حول هذا الكتاب

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى، كان (وليم كار) قد انضم الى البحرية الأميركية.. وفى الوقت الذى كان فيه يتدرج على سلم المراتب، كان يواصل دراسته لخطوات المؤامرة اليهودية الكبرى.

قبل وفاته الغامضة أصدر كتابه «الشيطان أمير العالم» و«ضباب أحمر فوق أميركا»، بالإضافة لكتابه هذا، الذى اعتبره المفكرون صوت النذير لعقلاء العالم لكى يتحدوا فى مسيرة الخير لدحر قوى الشر اللئيم.

يقول النبى موسى عليه السلام: «أنا أعرف تمردكم وقلوبكم الصلبة.. إنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم، ويصيبكم الشر فى آخر الأيام»..

■ ■ ■

إن القارئ الذى فرغ من قراءة الكتاب، يعود إلى مراجعة نفسه الآن مشدوها، ويتساءل: هل لليهود كل هذا النفوذ فى العالم؟..

هل يعقل أن جميع زعماء العالم العظام، كانوا أدوات، أو «أحجار شطرنج» ـ على رأى المؤلف ـ بيد القوى الخفية؟

فمما لاشك فيه أن اليهود طراز خاص من البشر، ذوو صفات معينة، وإمكانيات خاصة.. وكان لهم دور مُخزٍ فى جميع الأحداث التاريخية المهمة، فهم مشوشو العالم ومسببو آلامه وويلاته.. ولكن نتائج أعمالهم تصيبهم هم دائما أكثر من غيرهم.

وجورج واشنطن زعيم الولايات المتحدة يقول فيهم:

«ومن المؤسف أن الدولة لم تطهر أراضيها من هؤلاء الحشرات، رغم

علمها ومعرفتها بحقيقتهم.. إن اليهود أعداء سعادة أميركا ومفسدو هنائها».

أما الماسونية التى تدعى الصهيونية السيطرة عليها، هل حقيقة أن جميع أعضائها أدوات بأيدى اليهود؟.. إنّ فى بلادنا العربية ماسونيين كثيرين لا يعرفون من الماسونية غير الاسم بالمناسبة أيضا: إذا كانت المحافل الماسونية قد ألغيت، فقد حل محلها فى بلادنا نوادى الروتارى والليونز، التى استقطبت كبار الشخصيات وعلى أعلى المستويات!!!.. هناك تجار انتسبوا فى سبيل المال، وهناك مخدوعون انتسبوا حبا فى السلام.. إن جميع هؤلاء عندما يكتشفون الحقائق سيكونون أشد عداء للصهيونية من غيرهم، لأنهم خُدعوا أكثر من غيرهم.

إننا ونحن ننشر هذا الكتاب تنويرا للقارئ العربى نريده أن يعلم تمام العلم أن اليهود شعب مخطط، لا يتورع عن سلوك أنذل السبل لتنفيذ مخططاته وتنفيذ مآربه.. ولكننا نريده أن يعلم أيضا أن الصهيونية ليست قدرا لا بد منه، كما يدعى «شعب الله المختار».. ولكن التنظيم لا يقابل بالفوضى، والعلم لا يقابل بالجهل، والإيمان لا يقابل بالتواكل، والتعاون لا يقابل بالفرقة.

إن احتلال اليهود للقدس نذير بتدمير جديد، وقضاء نهائى على مهزلة «شعب الله المختار»، وذلك يجب أن يشكل حافزا للعمل الجدّى لإعادة الأمور الشاذة فى فلسطين إلى وضعها الطبيعى، لأن النصر لا ينزل من السماء، ولا يخرج من باطن الأرض، إنما بأيدى العاملين المخلصين، تلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنه الله تبديلا.

د. الحسينى الحسينى معدِّى

تاريخ وجغرافيا بنى إسرائيل فى القرآن

بعد مراجعتى لمعظم الآيات القرآنية، التى تحكى سيرة بنى إسرائيل، تبيّن لى الكثير من الوقائع المبهمة فى تاريخهم، والمفاهيم المغلوطة، التى كنت أجهلها ويجهلها عامة المسلمين، والتى سيرد تفصيلها فى هذا الفصل إن شاء الله. كنت سأقتصر بحثى فى تاريخ بنى إسرائيل، لإثبات تحقق وعد الله المرة الأولى من علو وإفساد وعقاب، ولكن تبين لى من خلال الأحاديث العامة، وعند طرحى لموضوع هذا البحث، أن كثيرا من الناس، يجهلون تاريخ بنى إسرائيل، وخاصة ماهيّة الأحداث التى حصلت معهم، وموقعها من حيث الزمان والمكان، والتى ذُكرت متفرقة فى القرآن، وبلا ترتيب فى أغلب الأحيان، ويجهلون أيضا حتى ترتيب أنبياء بنى إسرائيل وتعاقبهم، لذلك اضطررت لتعقب تاريخهم منذ البداية، لما فيه من فائدة.

إبراهيم عليه السلام:

حسبما ورد عن أهل الكتاب، أن إبراهيم عليه السلام، كان مقيما فى بلدة أور فى جنوب العراق، **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (العنكبوت: ٢٤)، **﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (العنكبوت: ٢٦)، **﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾** (الأنبياء: ٧١) ومن ثم انتقل إبراهيم ولوط عليهما السلام، وهو الوحيد الذى آمن له من قومه، إلى فلسطين.

وسكن لوط عليه السلام قرية (سدوم وعمورة) حسب تسمية التوراة، فى

موضع البحر الميت حاليا، واستمر إبراهيم عليه السلام على الأرجح، إلى المدينة المسمّاة باسمه لغاية الآن - وهى الخليل جنوبى القدس - وسكن فيها، وظاهر النص القرآنى، يفيد بأنهما لم يكونا متزوجين، ولو كانا متزوجين، لذُكِرَ أهلهما عند النجاة، كما اقترن ذِكر الأهل مع الأنبياء، فى كل من حالات النجاة والهجرة، التى وردت فى القران، كما فى الآية ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنبياء: ٧٦)، والآية ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٢)، والآية ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (القصص: ٢٩) ليفيد ذلك أنهما هاجرا منفردين وفى مقتبل العمر، وأن الزواج حصل بعد الإقامة، وعلى الأرجح، من نفس الأقوام التى دخلوا عليها وعايشوها كأفراد، والله أعلم.

قال تعالى على لسان إبراهيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٣٩)، ومرت سنون طويلة، وبعد أن تقدم إبراهيم عليه السلام فى العمر، وهبه الله جلّ وعلا إسماعيل أولا من هاجر، فأسكنه وأمه فى مكة، ومن ثم رُزِقَ بإسحاق فى شيخوخته، من سارة التى أصبحت عجوزا، ومن ثم وُلِدَ يعقوب لإسحاق عليهما السلام، قال تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (هود: ٧١ - ٧٢).

مسألة بناء البيت الحرام والمسجد الأقصى:

قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦).

وعَنْ أَبى ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ

بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ، ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ فَصَلِّ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ) رواه البخارى، وأخرجه مسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد. جاء فى شرح السندى، لنفس المتن عند ابن ماجه، ما نصه: «قوله (وُضِعَ أول) بالبناء على الضمة، (قال أربعون عاما) قالوا: ليس المراد بناء إبراهيم للمسجد الحرام، وبناء سليمان للمسجد الأقصى، فإن بينهما مدة طويلة بلا ريب، بل المراد بناؤهما قبل هذين البناءين، والله أعلم».

ومن معانى (الوضع)، فى لسان العرب «والمواضع معروفة، وواحدها موضع، والموضع هو اسم المكان، وفى الحديث: «ينزل عيسى ابن مريم فيَضَعُ الجزية»، فتوضع الجزية وتسقط، ووَضَعَ الشىء وَضْعاً أى اختلقه وأوجده، ووضع الشىء فى المكان، أثبته فيه».

ولم تأتِ (وُضِعَ) بأى حال من الأحوال بمعنى (بُنِيَ)، وذلك يفيد بأن الوضع كان للقواعد فقط. وقد رُوى أن آدم عليه السلام، هو أول من بنى الكعبة، واتخذت مكاناً لعبادة الله، ومن ثم تحول الموضع لعبادة الأصنام، وأزيلت معالم ذلك البناء، بفعل الطوفان زمن نوح عليه السلام، واختفت هذه القواعد نتيجة تراكم الأتربة، على مرّ السنين. وإعراب (وُضِعَ) فى كلا الموضعين، هو فعل ماضٍ مبنى للمجهول، أى أن فاعل الوضع غير معلوم فى النص، وجاءت بمعنى تعيين وتحديد مكان البيت، وهناك روايات بأن الملائكة كشفت لآدم عن موضعه، عندما بناه لأول مرة. وبلغة مسّاحى الأراضى، نستطيع القول أن (وُضع)، جاءت بمعنى تحديد وإسقاط إحداثيات الموقع على الأرض، وتثبيت حدوده.

ولا يختلف اثنان، على أن من أعاد بناء البيت الحرام، هما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، بدلالة قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (الحج: ٢٦)، بوّأنا أى كشفنا وأظهرنا له موضعه ومكّناه منه وأذنا له فى بنائه، ومن ثم

كان البناء برفعه فوق القواعد، فى قوله ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة: ١٢٧)، والغاية من بنائه هو جعله مكانا للعبادة، بما تشمله من طواف وقيام وركوع وسجود، لمن يستجيبوا لرسالة الإسلام، كما ورد فى الآية أعلاه، التى كان يحملها إسماعيل عليه السلام، المقيم فى ذلك المكان ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٥٤).

يعقوب ويوسف عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨)، ويعقوب عليه السلام هو إسرائيل، والمقصود ببنى إسرائيل، هم نسل يعقوب عليه السلام، وحسب ما ترويه التوراة، أنه ترك مقام أبيه إسحاق فى فلسطين، وهاجر إلى خاله فى العراق، ورعى عنده الغنم عدة سنين، وتزوج اثنتين من بناته، وعاد إلى فلسطين مرة أخرى، وقد رُزق عليه السلام باثنى عشر ابنا، وأبرزهم يوسف عليه السلام، فى قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤)، وقوله ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (يوسف: ١٠٠). أى أجلس أبوه وأمه إلى جواره، احتراما وتقديرا وتوقيرا، ومن ثم سجد له إخوته الأحد عشر، دون أبويه، ففى الآية (٤) كانت الرؤيا الأولى، للأحد عشر كوكبا والشمس والقمر، ومن ثم كانت الرؤيا الثانية، لسجود الأحد عشر كوكبا، دون الشمس والقمر، وهذا ما تؤكده الآية (١٠٠)، حيث رُفع الأبوين إلى العرش، ومن ثم وقع السجود من الإخوة.

أما مكان سكنى يعقوب عليه السلام، ومن قوله تعالى على لسان يوسف ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ (يوسف: ١٠٠)، يتبين لنا أنهم كانوا قد سكنوا الصحراء، وعاشوا حياة البداوة، ومن المعروف أن مهنة البدو، هى تربية المواشى، وتبادل منتجاتها مع أهل الحضر، ومن قوله على لسان إخوة يوسف أيضا

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (يوسف: ٨٢) والقرية، هى مكان تواجد يوسف عليه السلام فى مصر، حيث تركوا الأخ الشقيق ليوسف، وقولهم هذا وتردّدهم لأكثر من مرة على مصر، يدل على قربهم منها، وقولهم (وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) يدل أنهم ذهبوا إلى مصر ورجعوا فى قافلة، وأفرادها يقطنون معهم أو بالقرب منهم. والأرجح أن تكون هذه الصحراء، التى كانوا يقيمون فيها قريبة إلى مصر، وربما تكون صحراء النقب، جنوب فلسطين، وفى منطقة بئر السبع بالذات، حيث سكنى بدو فلسطين، وهو الأرجح والله أعلم.

الانتقال إلى مصر:

وبعد أن تبوّأ يوسف عليه السلام فى مصر منصبا، يوازى منصب وزير الخزينة، أو المالية فى عصرنا الحالى، لدى فرعون مصر، انتقل يعقوب وبنوه، للحاق به فى مصر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف: ٩٩ ـ ١٠١)، ودخلوها معزّزين مكرّمين آمنين، وقوله (آمنين) يوحى بأن ليس كل من دخل مصر آنذاك، ليقيم فيه من الغرباء والدخلاء، سيكون آمنا على نفسه، من الاضطهاد والاستعباد.

بعض مظاهر الحكم المصرى:

قصة يوسف عليه السلام أشهر من أن تعرّف، لذلك سنوردها باختصار، ونركّز على بعض ما خفى منها. حيث كانت مصر آنذاك إحدى كُبريات الممالك القديمة، بدلالة قوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف: ٥٤)،

وعلى لسان مؤمن آل فرعون ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ﴾ (غافر: ٢٩)، ونظام الحكم فيها ملكى وراثى، وكلمة فرعون ربما تكون اسما أو لقبا للملك، ويقال إن الفراعنة لم يكونوا ملوك مصر، فى زمن يوسف عليه السلام، فسواء كان هذا أو ذاك، فنحن نصف الأوضاع فى مصر بشكل عام.

حيث يبدو أن المجتمع المصرى، كان يتألّف من أربع طبقات: ـ

الطبقة الأولى: العائلة الملكية، التى هى فى مصاف الآلهة من حيث الحقوق والامتيازات.

الطبقة الثانية: الأشراف من المصريين، الموكل إليهم الأعمال التنفيذية، ويتمتعون بامتيازات استثنائية، من وزراء وما شابه، وهم علية القوم وسماهم سبحانه ملأ فرعون، فى قوله ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (يونس: ٨٨). ومنهم العزيز صاحب يوسف عليه السلام، وهامان الذى كان يشغل ما يشبه، منصب رئيس الوزراء فى عصرنا هذا، قال تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ (غافر: ٣٦).

وانضوى يوسف عليه السلام ضمن هذه الطبقة، مع أنه كان من الغرباء، كونهم كانوا بأمسّ الحاجة لعلمه وحكمته، لإدارة شؤون البلاد الاقتصادية، فى سنين الجفاف، لا لشىء آخر. بعد أن أصبح عليه السلام من المقربين للملك، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: ٥٤) حيث كان عبدا مملوكا لذلك العزيز، الذى قال عنه يوسف عليه السلام، عندما رُوودَ عن نفسه للوقوع فى الزنا، بزوجة من أكرمه وأحسن مقامه: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣) أى لن أظلم نفسى بمعصية الله، ولن أظلم زوجك بنكران معروفه معى، إذ قال لها زوجها عند شرائه ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف: ٢١)، ولفظ ربّ فى الآية السابقة جاء بمعنى

صاحب أو مالك، ولفظ العزيز هو لقب يُطلق على الأشراف، ذوى المناصب الرفيعة، وقد خُوطب به يوسف عليه السلام، من قِبَل أخوته فى الآية (٨٨). ويبدو أن المجتمع المصرى كان منغلقا على نفسه، ولا يخالط الغرباء من منظور الفوقية والاستعلاء، ويخاف الغرباء ويخشاهم وبالتالى كان ينبذهم.

والطبقة الثالثة: عامة المصريين وهم يعملون بالوظائف العامة والخاصة، وامتيازاتهم عادية، وشملت هذه الطبقة نسبيا بنى إسرائيل، فى زمن يوسف عليه السلام.

والطبقة الرابعة: العبيد عن طريق الشراء وما شابه، وأغلبهم من غير المصريين، بلا حقوق وبلا امتيازات، بل على العكس ليس لهم إلا المهانة والازدراء، ويعملون بقوتهم اليومى فى الزراعة والبناء والخدمة، ومن ضمنها صاحبىّ السجن، وشملت بنى إسرائيل، بعد يوسف عليه السلام، حتى زمن موسى عليه السلام. والمخطئ من هؤلاء العبيد فى حق المصريين، كان مصيره السجن أو العذاب الشديد أو القتل، وبدون محاكمة على الأرجح، وخاصة إذا كان خصمه مصريا، حتى ولو اُتهم زورا وبهتانا.

وأما الموقع الجغرافى لعاصمة الملك، وبدلالة هذه الآيات ﴿**وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ (الزخرف: ٥١)، ﴿**وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ** (٢٤) **كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** (٢٥) **وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ** (٢٦) **وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**﴾ (الدخان: ٢٤ ـ ٢٧)، فهو يقع على مجرى نهر النيل، فى أخصب الأراضى المصرية، أما سكنى فرعون وآله (أى عائلته) كانت خارج المدينة، بمعزل عن الشعب، وقصره مقام على ضفاف النيل.

هل كان يوسف داعية إلى الله فى مصر؟ نقول نعم، وقد بدأ الدعوة فى السجن، عندما قال لصاحبىّ السجن ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** (٣٩) **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم**

مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٣٩ ـ ٤٠)، واستمرت دعوته حتى مماته، قال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**﴾ (غافر: ٣٤) وهو يعنى أهل مصر، وكان يوسف عليه السلام، يدعو إلى الله تعالى بالقسط، فما أطاعوه تلك الطاعة، إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوى، ولهذا قال مؤمن آل فرعون: (فما زلتم فى شك مما جاءكم به، حتى إذا هلك، قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا)، وطال الأمد بقوم فرعون وببنى إسرائيل، فضلّوا إلا قليلا، وكان منهم مؤمن آل فرعون الذى كان يكتم إيمانه، وعلى لسانه جاءت هذه الآية، ومنهم أيضا أهل موسى عليه السلام.

أحوال بنى إسرائيل فى مصر بعد وفاة يوسف عليه السلام وحتى خروجهم منها:

بعد زوال سندهم لدى فرعون، أصبح حالهم حال العبيد. وربما يكون ذلك فى زمن فرعون نفسه، أو من مَلَك بعده، بعد وفاة يوسف عليه السلام، لزوال المصلحة والنفع الذى تأتّى من علم يوسف، وحكمته فى الإدارة والاقتصاد. واستمر حالهم كذلك حتى خروجهم مع موسى عليه السلام، وحسب ما يُروى أن المدة، ما بين دخولهم إلى مصر، وخروجهم منها هى أربعمائة سنة، والله أعلم، وحالهم فى تلك الفترة الزمنية، يصفه القرآن بما يلى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (القصص: ٤)، ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ (البقرة: ٤٩)، ﴿**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾ (الدخان: ٣٠)، وازداد العذاب والاضطهاد لهم، ببعث موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه.

موسى عليه السلام:

والحكمة الإلهية التى أرادها الله من بعث موسى عليه السلام، هى ما ابتدر به رب العزة سورة القصص، بقوله ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص: ٥ - ٦) والقصة بتمامها، مفصلة فى سورة القصص وسورة طه، وقصة موسى معروفة ومألوفة لدينا، حيث وُلد عليه السلام، وألقته أمه فى النيل، خوفا من ذبحه، فالتقطه آل فرعون، واعتنوا به. حتى إذا بلغ أشدّه، قتل مصريا، فأتمر به ملأ فرعون، فغادر مصر متجها إلى مدين، ولم يكن قد لقى بلاء قبل ذلك، فقد كان ربيبا منعَّما فى آل فرعون، ولم يكن عليه السلام، قد أُوحىَ إليه بعد، وإنما كان مسلما، على دين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

الموقع الجغرافى لمَدْيَن:

قيل فيها فى المعاجم: أنها تقع «قرب بحر القلزم (البحر الأحمر) محاذية لتبوك، وتقع بين وادى القرى والشام، وقيل اتجاه تبوك بين المدينة والشام، وقيل هى كفر سندة من أعمال طبرية، وقيل بلد بالشام معلوم تلقاء غزة»، وفى (البداية والنهاية): «كان أهل مدين قوما عربا، ومدين هى قرية من أرض معان، من أطراف الشام، مما يلى ناحية الحجاز، قريبا من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعد قوم لوط بمدة قريبة».

والقول الأخير هو أفضل ما قيل فيها، وهو الأرجح فهى تقع شرقىّ نهر الأردن، فى السفح المطل على فلسطين، قبالة أريحا، حيث المكان المسمى بوادى شعيب حاليا، والذى يقع فيه مقام النبى شعيب عليه السلام، فى جبال محافظة البلقاء الأردنية، وهى أرض خصبة تصلح لزراعة القثائيّات، وفيها الأشجار المثمرة، وعيون الماء، ويؤيد ما ذهبنا إليه قوله تعالى، على لسان

شعيب مخاطبا قومه ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ (هود: ٨٩)، والمقصود هنا البعد المكانى، حيث المسافة بين قرية شعيب والبحر الميت (بحيرة لوط)، لا تتجاوز (٢٠) كم، أما البعد الزمانى بين لوط وشعيب، فيُقدّر بمئات السنين، حيث أن لوطا عاصر إبراهيم، وشعيب عاصر موسى عليهم السلام.

وكما ورد فى الروايات، كان أهل مدين، يقطعون السبيل ويخيفون المارة، وهم أصحاب الأيكة أى الأشجار الملتفة والمتشابكة - وهى صفة موجودة أيضا فى تلك المنطقة - وكانوا من أسوأ الناس معاملة، يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص، فآمن بشعيب بعضهم وكفر أكثرهم، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٨٩) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (الأعراف: ٩١)، ولم تدمر ديارهم بل بقيت على حالها، ويقال إن ذلك كان فى يوم شديد الحر، فبعث الله ظللا من الغمام، فى بقعة قريبة من مكان سكناهم، فذهبوا ليستظلوا بها، فنزل بهم العذاب، وبقى فى القرية من آمن لشعيب عليه السلام من قومه وهم قلة.

مقام موسى فى مدين:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾، خرج موسى من مصر وحيدا، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (القصص: ٢٢)، ولم يكن يملك من أمره، إلا حسن ظنّه بربه عز وجل، حتى صار إلى مدين. فلبث موسى عليه السلام (٨ - ١٠) سنين فى أهلها، لقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ (القصص: ٢٧) وتزوج فيها ورعى الغنم، وتعرف إلى أهلها وعرفوه، وعرف سهولها وجبالها ووديانها، ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ (طه: ٤٠).

العودة إلى مصر:

وبعد أن قضى المدة المطلوبة منه، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (القصص: ٢٩) غادرها مع أهله وما تحصّل عليه من أغنام، تسيّره أقدار ربه. وكان خط مسيره، والله أعلم، باتجاه الجنوب، شرقى البحر الميت باتجاه مصر، حيث انحدر بأهله إلى وادى عربة، جنوب البحر الميت، فضلّ الطريق، وهناك أتاه هاتف السماء، لذلك قال تعالى ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ (طه: ٤٠)، إلى موضع الوحى، فى الوقت المقدّر. فأوكله الله بحمل الرسالة إلى فرعون، وأمره بالتوجه إلى مصر، ومن هناك سار ـ بخط شبه مستقيم ـ مجتازا صحراء النقب جنوب فلسطين، وصحراء سيناء باتجاه بوابة مصر البرية من الشرق، ومن ثم سار جنوبا باتجاه القاهرة، حيث إقامة فرعون وقومه.

تحديد الموقع الجغرافى، للمكان الذى أوحِىَ فيه، إلى موسىعليه السلام:

نزل الوحى إلى موسى مرتين: الوحى الأول: هو الذى كُلف به موسى بحمل الرسالة، وما بعث به إلى فرعون وبنى إسرائيل، أثناء عودته إلى مصر، بعد خروجه من مدين، والوحى الثانى: هو الشريعة الجديدة التى كُتبت فى الألواح لبنى إسرائيل، بعد خروجهم من مصر، فى الطريق إلى الأرض المقدسة، ويعتقد الكثيرون أن الوحى نزل على موسى، على جبل سيناء الواقع فى صحراء سيناء المصرية، وهذا غير صحيح، حيث لم يوجد أى نص فى القرآن يفيد ذلك. والواقع أن هذه تسمية الصحراء المصرية بصحراء سيناء، استندت إلى ما جاء فى التوراة، مع أن التوراة لم تُحدّد موقع الصحراء أو الجبل.

وتذكر التوراة فى سفر الخروج، أن بنى إسرائيل مروا على التوالى، بثلاثة صحارى، هى الواردة فى النص التالى بالترتيب: «١٥ : ٢٢ : ثم ارتحل موسى بإسرائيل من البحر الأحمر، وتوجّهوا نحو صحراء شور، ٢٧ : ثم

بلغوا إيليم... ١٦: ١: ثمّ انتقلوا من إيليم حتى أقبلوا على صحراء سين، الواقعة بين إيليم وسيناء».

وجاء فى نص آخر: «١٧: ١: وتنقل بنو إسرائيل على مراحل، من صحراء سين... إلى أن خيّموا فى رفيديم... ١٩: ٢: فقد ارتحل الإسرائيليون من رفيديم إلى أن جاءوا إلى برية سيناء، فنزلوا مقابل الجبل فصعد موسى للمثول أمام الله، فناداه الرب من الجبل... ٢٠: ونزل الرب على قمة جبل سيناء...».

وهذه النصوص تُشير إلى أن جبل سيناء، هو اسم الجبل الذى أُوحى بجانبه إلى موسى، وأن برية سيناء هى تسمية، للمكان الواقع مقابل جبل سيناء. وأن برية سيناء هى الأبعد عن مصر، كونها كانت آخر الصحارى التى مرّوا بها، أثناء مسيرهم، باتجاه بوابة الأرض المقدّسة شرقى نهر الأردن، والترجمات العربية للتوراة، لا تُميّز بين القفر، أى الخلاء غير المأهول بالسكّان، وبين الصحارى الرملية القاحلة.

وجاء فى التوراة «١٦: ٣٥: واقتات الإسرائيليون بالمنّ طوال أربعين سنة، حتى جاءوا إلى تخوم أرض كنعان العامرة بالسكان». وهذا النص الكاذب والمضلّل، يقول أن المنّ والسلوى كانت تنزّل عليهم طيلة أربعين سنة، قبل وصولهم إلى مشارف فلسطين، أى قبل أن يُطلب منهم الدخول إلى الأرض المقدسة، وقبل أن يحكم عليهم بسنوات التحريم والتيه الأربعين. والصحيح أن المنّ والسلوى كانت تنزّل عليهم خلال مسيرهم فى الصحراء، وهى مدة قصيرة، أما سنوات التحريم والتيه الأربعين ـ سنوات الغضب الإلهى ـ فلم يكن يتنزّل عليهم شىء.

وتسمية الصحراء المصرية بسيناء، وذكر التوراة أن بنى إسرائيل عاشوا فيها أربعين سنة يأكلون المن والسلوى. ضلّلت حتى اليهود أنفسهم، الذين بحثوا ونقبوا فيها طويلا، عن أى أثر لمقامهم فيها، ولكن دون جدوى، مما

اضطر بعض الباحثين اليهود مؤخرا، إلى تكذيب معظم روايات التوراة، ونشر الكثير من آرائهم ونتائج أبحاثهم فى الصحف.

أما كلمة الطور فقد وردت فى القرآن (١٠) مرات، (٨) منها بلفظ (الطور) معرّفة بأل التعريف، بمعنى الجبل، وواحدة بلفظ (طور سيناء) **﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾** (المؤمنون: ٢٠)، وواحدة بلفظ (طور سينين) بنفس المعنى السابق، **﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ﴾** (التين: ١ ـ ٢). وسيناء وسنين لغة، إذا لم تمنع من الصرف، أى لحقها التنوين جرّاً ونصباً ورفعا، فإنها تعنى كثرة الشجر، وإذا مُنعت من الصرف، كما هو الحال هنا فهى اسم، والكلمات (طور وسيناء وسينين) ألفاظ أعجمية، ومما تقدم نستطيع القول بأن (طور سيناء) اسم لجبل معروف لبنى إسرائيل، بمعنى (جبل الغابة)، وهو فى الحقيقة، اسم الجبل الذى أوحىَ بجانبه إلى موسى، حسب تسمية التوراة له، وقد عُرّف هذا الجبل من خلال القرآن، بأنه يُنبت التين والزيتون. والمقصود بكلمة (الطور) المعرّفة بألف ولام، أينما جاءت فى القرآن، هو طور سيناء أو سينين، والطور هو سلسلة جبال فلسطين، التى تربض على تلالها مدينة القدس، والتى هى فى الأصل جبل واحد، يمتد من مدينة نابلس شمالا إلى مدينة الخليل جنوبا.

قال تعالى **﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾** (القصص: ٢٩) قلنا أن موسى عليه السلام، كان قد ضلّ طريقه بعد خروجه من مدين باتجاه مصر، لقوله عليه السلام **(لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ)** فوجد نفسه فى أحد الأودية. ودخوله إلى الوادى كان عن طريق انحداره، بواد فرعى جنوب البحر الميت، وكان ذلك ليلا، وفى طقس بارد جدا. وأثناء التخييم هناك، كان يلتفت يمنة ويسرة، بحثا عن الدفء والهداية، فآنس

نارا من جانب الجبل، فاتجه إليها بعد أن استأذن أهله، ليأتيهم بجذوة منها لأجل الدفء، أو يجد من يرشده إلى طريقه، ولكنه لم يجد نارا، ولم يجد فى المكان أحدا.

نور لا نار:

(فَلَمَّا أَتَاهَا)، أى النار، وقف تحتها ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (القصص: ٣٠) وفى الواقع لم تكن نارا، بل كانت نورا فى شجرة، وهى الشجرة الموصوفة فى قوله سبحانه ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ (النور: ٣٥)، وهى (شجرة)، (وزيتونة)، (ومباركة)، أى تقع فى بقعة من الأرض، ينبت فيها شجر الزيتون، وهى أرض مباركة، وقوله (لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ)، أى لا فى الجانب الشرقى من وادى عربة، ولا فى الجانب الغربى منه، فهى فى منتصف الوادى تقريبا، وقوله (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ)، أى لها وهج من نور، وليس ذلك من اشتعال نار فيها، فهى مضيئة من تلقاء نفسها، وقوله (يكاد زيتها يضىء)، أى أن الإضاءة ناتجة عن زيت الشجرة، فلا يكون ذلك إلا وهى مثمرة، فالزيت يوجد فى الثمر، وتشكل الزيت فى الثمر، لا يكون إلا فى بداية فصل الشتاء، ويؤيد ذلك طلب موسى عليه السلام للدفء، ليتأكد لنا أن دخوله إلى بطن وادى عربة، كان فى فصل الشتاء، وأن الشجرة التى نودىَ من تحتها فى الوادى المقدس، هى نفس الشجرة الموصوفة فى سورة النور، ولا أدرى لماذا يتملكنى شعور قوى، بأن هذه الشجرة قائمة فى ذلك المكان إلى اليوم، فى منطقة موحشة ومقفرة وغير مأهولة، تضىء كلما أثمرت، فى فصل الشتاء.

(فَلَمَّا أَتَاهَا) وقف حائرا أمامها، يتفكّر فى أمرها، حيث إنه لم يجد ما جاء يسعى إليه، فلا نار ولا ناس يُشعلونها، وأثناء شروده، وفى سكون الليل، ﴿نُودِيَ يَا مُوسَىٰ﴾ (طه: ١١) ﴿مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ﴾ (القصص: ٣٠)، أى من الجانب الأيمن من الوادى، ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ﴾ (مريم: ٥٢)، أى من

الجانب الأيمن للجبل، وليس الأيسر، ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ **(القصص: ٤٤)**، أى الجبل الغربىّ، وهذا تحديد جغرافى بالغ الدقة لمكان الوحى.

أتاه النداء باسمه ممن يعرفه، وذلك مما آنس موسى، ليبدّد سكون ذلك الليل الموحش، ويقطع عليه شروده وتأمله، ولا أخاله إلا قد أجفل عليه السلام، ولما التفت إلى مصدر النداء، خاطبه رب العزة قائلا **(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ)** مطمئنا إياه ومعرّفا بنفسه. ﴿**فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ **(طه: ١٢)** فأمره بخلع نعليه - إذ هو فى حضرة ملك الملوك - ليتجه حافى القدمين، سائرا فى الجانب المقدس من الوادى، صوب الجبل، قال تعالى ﴿**وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾ **(مريم: ٥٢)** أى كان الكلام مناجاة، والمناجاة عادة تستدعى القرب.

نحن نعلم أن الأرض المباركة والمقدّسة هى أرض فلسطين، وبما أن الوادى الذى نزل فيه موسى واد مقدّس، فلا بد له من يكون واقعا فى الأرض المقدّسة، وبما أن الشجرة نبتت فى بقعة مباركة، فلا بد لها من أن تكون قائمة فى الأرض المباركة، وبما أن شجرة سورة النور زيتونة مباركة ومضيئة، فلابد لها من أن تكون هى الشجرة، التى رآها موسى فظن نورها نارا، فى بطن وادى عربة، والله أعلم.

وعندما اقترب موسى، بما فيه الكفاية لبدء المناجاة، ناجاه ربه قائلا ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ **(طه: ١٣ - ١٤)** فأمره بتوحيده، وإفراده بالعبادة، وإقامة الصلاة، ومن ثم منحه آيتىّ العصا واليد وكلّفه بحمل الرسالة، والذهاب لدعوة فرعون ودعوة بنى إسرائيل إلى الله. ﴿**اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾ **(طه: ٢٤)**. وفى الصباح عاين موسى عليه السلام المكان، وحفظه عن ظهر قلب، فهو المكان الذى تغيّر فيه مجرى حياته عليه السلام، ولم كان يعلم عليه السلام، ما يدبّره رب العزة من أقدار، ستأتى به إلى هذا المكان فى قادم الأيام، عند خروجه بقومه من مصر، متجها إلى بوابة الأرض المقدسة، حيث كان فى أرض مدين.

موسى فى مصر:

كنت أعتقد وربما يشاركنى كثيرون أيضا، أن مُقام موسى فى مصر، لا يتجاوز عدة أيام أو عدة أشهر على أبعد تقدير، ولكن تبين لى أنى كنت مخطئا، فالأحداث والوقائع التى مرت مع موسى عليه السلام كثيرة، وتحتاج إلى سنوات عديدة، وأظنه مكث هناك ما لا يقل عن ٣٠ عاما، يدعو فرعون وقومه وبنى إسرائيل أيضا. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧) فلو تفكرت فى الآية الكريمة، لتبينت أن طلبه سبحانه ببناء البيوت، وجعلها باتجاه بيت المقدس، وأَمْرِه إياهم بإقامة الصلاة فيها، ما كان إلا لطول مُقام، ولو كان مُقامهم قصيرا أو عارضا، لما أمرهم بذلك. والجدل بين موسى عليه السلام وفرعون، أخذ زمنا طويلا، بدءا باللقاء الأول الذى عرض فيه موسى رسالته، وما أيّدها به من آيات ـ العصا واليد ـ ولقاء يوم الزينة حيث التقى موسى بالسحرة، وبناء الصرح ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص: ٣٨).

بناء الأهرامات:

الصرح هو البناء الضخم والمرتفع، وأعتقد أن الأهرامات الثلاثة، هى ما أُمر هامان ببنائها، من قبل فرعون، لينظر إلى إله موسى. وفيما بعد اتُّخذت تلك الصروح، مقابر ومدافن.

إذ لو فُحصت مادة بناء الأهرامات، لتبين أنها من الطين المشوى، لدلالة قوله تعالى (فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ)، إذ يخبر سبحانه ـ وما إعلامه لنا بذلك عبثا ـ بأنهم كانوا يستخدمون الطين فى البناء، وليس الحجارة كما يعتقد علماء الآثار، الذين حاولوا جاهدين لتفسير الآلية المعقدة والمستحيلة، فى رفع تلك الصخور ذات القطع الكبير، إلى قمة الهرم حيث لم يكن لديهم

رافعات عملاقة. وهذا الخبر يكشف حقيقة، ربما لم تخطر ببال علماء الآثار من قبل، ويجعل كيفية البناء غاية السهولة، حيث كان عبيد فرعون ومنهم بنى إسرائيل، ينقلون الطين - وليس الصخور والحجارة - ويضعونه فى قوالب مثبتة على الهرم نفسه، وكل لبنة فى موقعها، وينتظرون اللَّبِن حتى يتماسك، لينزعوا القوالب، وكلما أنجزوا مرحلة، قاموا بتثبيت القوالب مرة أخرى، على ما تمّ إنجازه، وبدءوا بنقل الطين ليفرغوه فيها، وهكذا دواليك، حتى يكتمل بناء الهرم. ومن الداخل ستجد أن قلب الهرم مفرغ، وستجد أن هناك سراديب طويلة غير نافذة، تتوزّع بكافة الاتجاهات، والغاية منها توزيع الحرارة، عند إشعال النار فى قلب الهرم لشىّ الطين الجاف، وهى عملية تحتاج إلى وقت طويل نظريا، ولكن مع كثرة العبيد فالأمر مختلف، والآلية بسيطة وليست معقَّدة، ولا توحى بأن الفراعنة كانوا جبابرة وأشداء، فبناة الأهرام هم العبيد وليس الفراعنة أنفسهم، وربما يكون شىّ الطين قد تم على مراحل، وليس دفعة واحدة. وهذه الفكرة مطروحة للمختصّين لنفيها أو إثباتها، وبذلك تكون الأهرامات، رمزا من رموز الكفر والعصيان والتمرد والتحدى الفرعونى لله ورسوله، ويكون أبو الهول هو إله المصريين القدماء، قبل أن يُعلن فرعون ربوبيته، تحديا لموسى عليه السلام وربه.

وبالإضافة إلى تلك الأحداث، التى وقعت أثناء تواجد موسى فى مصر، ما وقع فى قوم فرعون من البلاء الذى أنزله الله، وكلما كشف عنهم بلاء أرسل عليهم آخر، ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ**﴾ **(الأعراف: ١٣٣)**. وستجد ما مرّ بقوم فرعون من وقائع، أثناء تواجد موسى فى مصر، قد سُردت بإيجاز فى الآيات (١٠٣ - ١٣٦) من سورة الأعراف، والآيات (٨٥ - ٩٠) من سورة النمل، ومواضع أخرى متفرقة فى القرآن الكريم.

وفى نهاية المطاف ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨) أى الغرق. فاستجيبت دعوة موسى، وهذا بالضبط ما حصل مع فرعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٩٠) ولو تمعنت فى قوله، لتبينت أنه لم يؤمن، لقوله (الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ)، وأغلبية بنى إسرائيل لم تكن تؤمن بالله، ولم يقل الله أو إله موسى تكبرا وعلوا.

فمن أصرّ على المعصية وانتهاك حدود الله بكافة أشكالها، والكفر بكافة أشكاله، وعن علم بها وبعقوبتها، ومنّى النفس بقول (لا إله إلا الله) عند الموت معلنا التوبة، أنّه لن يوفق بقولها آنذاك، لأن قولها يُوجب الجنة، وهى لم تكتب لهؤلاء. ووجوب الجنة يحتاج لدفع الثمن، وتوفير الثمن اللازم لها، يحتاج إلى جدّ واجتهاد وصبر لا محدود، وأن من كانت تلك الكلمة آخر عهده بالدنيا، كُتبت له الجنة، وما أصعب تذكّرها وقولها، أما هؤلاء فإن تذكّروها، تلعثموا بها فلم تؤد معناها، فلا توبة مع إصرار، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، وقال أيضا ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٨).

ومعظم مسلمى هذا العصر، إلا ما رحم ربى وهم قلة، فى بعض البلدان المسماة بالإسلامية، سلكوا هذا المنهج الذى حذّر منه رب العزة، (جماعة كل شىء بحسابه)، والأغلبية هم غثاء كغثاء السيل، فلا فائدة فيهم أو تُرتجى منهم، فإن لم يكفر أحدهم بالله أشرك فى عبادته، ومن لم يستجب ويطع، تولى وعصى. والأوثان كثيرة هذه الأيام، واتّخذت أشكالاً عديدة. صحيح أنها ليست من الحجر أو التمر، ولكنها أدهى وأمرّ، فنحن حاشى لله أن نعبد

الحجارة، وكل ما نقدّسه فقط، كرسى ورصيد فى البنك وعمارة، وتلفزيون وستالايت وخلوى، وشقراء أو سمراء فى سيّارة. وناهيك عن المعاصى من أكل ربا، وسرقة وخيانة وتبرج وزنا، وقطع رحم، وأكل لحم، وشرب خمر ودم، وشتم وسب وذم.

خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر:

قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ**﴾ **(طه: ٧٧)**، نتبين من ذلك أن خروج موسى بقومه إلى البحر، كان بوحى من ربه، وإن لم يخب ظنى فقد اتجه صوب البحر الأحمر مباشرة، أقصى الشمال من خليج السويس، وبعد أن خرج بقومه من البحر، اتجه شرقا وشمالا بخط شبه مستقيم، متجاوزا صحراء سيناء وصحراء النقب، حيث المدخل الجنوبى لوادى عربة، وسار شمالا فى بطن الوادى، حتى الجبل المعهود جنوب البحر الميت، ليستقبل الوحى بناء على الموعد المسبق، الذى ضرب بينه وبين ربه، بعد النجاة من فرعون وقومه، قال تعالى ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ**﴾ **(طه: ٨٠)**، وهذه الآية تدل على عدم مكوثهم لفترة طويلة، فى أى من صحراء سيناء أو النقب، وأن وجهتهم كانت حيث المكان الموعود، وكان موسى يستعجل المسير وهم يبطئون، وبعد تلقيه الوحى، وما كان منهم من معاص فى بطن الوادى، صعد بقومه إلى المرتفعات الشرقية، ودخل الأردن عن طريق الوادى الذى نزل به فى المرة السابقة، ملتفا حول مملكة الآدوميين ومملكة المؤابيين شرقى البحر الميت، ليصل إلى مكان إقامته السابق، حيث كان سفيرا لبنى إسرائيل - ولم يكن يعلم بذلك آنذاك - فى مدين قرية شعيب عليه السلام، ليُمَهّد لهم طيب الإقامة فيها مستقبلا.

ترتيب الأحداث التى مرت بموسى وبنى إسرائيل خلال تلك الرحلة الطويلة

الصاعقة والبعث بعد الموت:

رحلته مع بنى إسرائيل، فى طريق العودة إلى مدين، اختلفت كثيرا عن سابقتها، فقد كانت ترافقه فى هذه الرحلة أمّة بأسرها، بما لها وما عليها، وأكثرها من غير المؤمنين، وغير المطيعين لله تعالى وله عليه السلام، فكان المسير فيها بطيئا وشاقا وطويلا، قال تعالى ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ (يونس: ٨٣)، وقال أيضا ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥ ـ ٥٦)، وكان قولهم هذا فور نجاتهم وخروجهم من البحر، بعدما رأوا كل ما أجراه الله، على يد موسى من معجزات، تلين لها قلوب الجبال وعقولها، فأماتهم الله ثم أحياهم، ولو نظرت إلى قولهم فى الآية السابقة، واستخدام أداة الجزم والتأبيد (لن)، تجد أن لديهم إصرارا عجيبا على الكفر، بما هو غيبىّ ومحجوب عن حواسّهم، رغم مشاهدتهم للآيات والآثار الدالة على وجوده، وأنهم لا يؤمنون إلا بما تدركه الحواس من أشياء مادية، وهذا ما جعلهم يقعون فى فتنة العجل الذهبى بعد هذه الحادثة، وفى فتنة الدجال مستقبلا، بما لديه من فتن مادية ظاهرة للعيان، ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٥٣)، وقد وقع هذا منهم، قبل اتخاذهم للعجل.

تفجير الماء ونزول المنّ والسلوى والتظليل بالسحاب أثناء المسير:

وبناءً على ما سبق، كان خط مسير الرحلة في معظمه في صحاري قاحلة، وكل ما كان بحوزتهم من طعام وماء أثناء الخروج، كانوا قد استنفدوه في أيامهم الأولى، قال تعالى ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٠)، ومن هذه الآية الكريمة، نجد أنهم قُسّموا إلى (١٢) جماعة، لتيسير عمليّه القيادة، ومنّ عليهم ربهم، سبحانه عما يصفون، بأن وفّر لهم كل أسباب الراحة، من ماء وغذاء، وحتى إنه وقاهم من حر الشمس، بأن جعل السحاب يظللهم، أينما حلوا وأينما ارتحلوا، أثناء مسيرهم باتجاه الأرض المُقدّسة، وفي تلك الأثناء مرّوا على عبدة الأصنام، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة كما لهؤلاء آلهة ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

ولا يغب عن بالنا، أن رحلة كهذه، كانت تستوجب ما بين فترة وأخرى، التخييم والإقامة لبعض الوقت، ومن ثم متابعة المسير، وهكذا دواليك، ولم تتعدى مدد الإقامة في أي من مراحل المسير، سوى أيام أو أسابيع معدودة، فهم لم يركنوا إلى مكان معين، إذ كان هناك مواعدة للقاء في جانب الطور الأيمن، في وادي عربة، وكانت هذه المواعدة جماعية لموسى ولبني إسرائيل، ولكنّ موسى عليه السلام، وبعد أن قطع شوطا كبيرا في وادي عربة، استعجل اللقاء، وعندما اقترب من المكان المحدد، استخلف أخاه هارون في قومه، وتركهم ومضى مسرعا رغبةً منه في إرضاء ربه، واعتذارا عن التأخير الذي تسبّب به قومه، من جرّاء مماطلتهم وتذّمرهم.

اللقاء الأول لموسى بربه بعد الخروج من مصر، واتخاذ العجل فى بطن وادى عربة:

قال تعالى ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (طه: ٨٣ - ٨٤) وهناك كان موسى عليه السلام، مشتاقا ومندفعا فطلب رؤية ربه، وكأنه نسى ما كان من قومه، فطلب من ربه ما طلبه قومه منه ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣) فصُعق موسى كما صُعق قومه من قبل، وبعدما أفاق، أُعطيت له الألواح، التى تحمل فى ثناياها الشريعة الجديدة لبنى إسرائيل، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٥).

ومن ثم، أخبره ربه بأن قومه فُتنوا من بعده، بعبادتهم للعجل الذهبى الذى ابتدعه السامرى، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه: ٨٥)، وكانت عقوبة الشرك بالله غاية فى القسوة، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٥٤)، وتوحى هذه الآية بأن الأمر كان مُلزما، وقبول التوبة كان مشروطا بقتل النفس، فمن رغب فى التوبة آنذاك ممن عبدوا العجل، قتل نفسه حقيقة وقُبلت توبته، ومن لم يقتل نفسه، قال فيهم سبحانه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٢).

وبالنظر فى قوله تعالى، على لسان موسى مخاطبا السامرىّ ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه: ٩٧)، نجد

أن العجل الذهبى، قد حُرّق ورُمى فى البحر، وأقرب بحر لمقام بنى إسرائيل فى وادى عربة، هو البحر الميت.

اللقاء الثانى والرجفة ونتق الجبل:

وبناءً على ما كان منهم، اختار موسى (٧٠) رجلا من أفضلهم، للاعتذار عما فعله السفهاء من قومه ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٥) فشهدوا الوحى بمعية موسى عليه السلام دون سماعه، وشعروا بوجود خالقهم وقدرته، ومقدار حنقه وغضبه عليهم، بأن زلزل الأرض من تحت أرجلهم.

أخذ الميثاق، وإلزام النقباء الاثنى عشر بالسهر على تطبيقه، والحكم بما جاء فيه:

وهناك عُرض عليهم الميثاق ليلتزموا به، ويلزموا أتباعهم على القيام به، ويتحملوا مسؤولية نقضه، فترددّوا وأبوْا، فرفع سبحانه فوقهم الجبل، وأجبرهم على أخذه بالقوة، ولو أصرّوا على الرفض لأطبقه عليهم، فقبلوه على مضض، وكان الله أعلم بما يعتمل فى صدورهم، ولكنه غفور رحيم، حيث قال فيهم، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٣). فاختير من السبعين رجلا (١٢) نقيبا، بعدد الأسباط (أى قبائل بنى إسرائيل) وهم الذين تُسميهم التوراة بالقضاة. وهذا نص الميثاق الذى أُلزموا بالعمل على تطبيقه، بالإضافة إلى الوصايا الواردة فى سورة الأنعام ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ

وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ١٢).

رفض المن والسلوى وطلب القثائيات، والحكم عليهم بالنزول فى موطن زراعتها:

كانت مدة المكث بادئ الأمر فى الصحراء بسيطة، وذلك لتذمّرهم وعدم صبرهم على طعام واحد، أى المنّ والسلوى، فحكم عليهم سبحانه بإكمال المسير، المقدّر مسبقا، بقوله على لسان موسى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة: ٦١)، وحيث إنه قال (مِصْراً) منونةً، ولم يقل (مِصْرَ) بدون تنوين، فهى غير مصر التى خرجوا منها، وإنما جاءت هنا بمعنى (بلداً) نكرة وغير معرّفة، وقوله (فإنّ لكم ما سألتم) تعنى أن هذا البلد يتميّز، بأن فيه ما سأله بنى إسرائيل من نبيهم، من عدس وبصل وغيره، ولو تساءلنا عن موقع هذا البلد، القريب من الأرض المقدسة، الذى يتميز بخصوبة أراضيه، ووفرة مياهه من ينابيع وآبار، ويصلح لزراعة القثّائيات، بالتأكيد ستكون الإجابة الأرض الواقعة، شرق نهر الأردن، وفى السفوح الغربية للجبال المطلة على فلسطين، وبالتحديد قرية مدين التى يعرفها موسى، ويعرف ميزاتها وخصائصها، والله أعلم، والتى كان أهلها قد هلكوا بعذاب يوم الظلّة، قبل أو بعد خروج موسى منها، ليرثها بنو إسرائيل مع القلة المؤمنة، من قوم شعيب التى نجت من العذاب.

دخول مدين والمقام فيها:

قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٥٨)، وقال فى آية أخرى ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ

وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦١ ـ ١٦٢)، ولم يكن المقصود بهذه القرية، الأرض المقدسة، كونهم دخلوها حربا، بعد موسى عليه السلام بأربعين عاما على الأقل، وهذه القرية سُكنت حقيقة، بدخولها بلا قتال بمعية موسى عليه السلام، وقد بدّل الذين ظلموا منهم ـ أى العُصاة ـ القول والهيئة عند الدخول، فأرسل عليهم سبحانه رجزا من السماء.

وقوله قبل الدخول (وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ) وقوله لهم فى النص الآخر (فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا) يوحى بأنها سكنى مؤقتة، ولم يكن لديهم علم، بأنه سيكون هناك ما بعدها، وهو الاستعداد والتهيئة لدخول الأرض المقدسة، فأفشلوا أنفسهم فى الدخول الأول لتلك القرية، فاستحقوا غضب الله عليهم، وأفشلوا أنفسهم عندما أُمروا بالدخول الثانى بلا حرب، فأفشلهم الله وأذهب ريحهم. وقد قيلت هذه العبارة، لآدم عليه السلام وزوجه ﴿وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة: ٣٥)، قبل دخوله الجنة، ولم يكن لديهما علم بأن الإقامة فيها مؤقتة، وأن هناك ما بعدها، وسيحاطون به علما عند وقوعه، وفى موعده المقدر المضمر فى علم الله، ولكن بعد فوات الأوان. وإن لم تكن مدين، هى القرية التى دخلها بنو إسرائيل وأقاموا فيها، فهى قرية تقع فى نفس المنطقة، والله أعلم.

الخسف بقارون، ورحلة موسى والفتى، وذبح البقرة:

أقام بنو إسرائيل فى مدين بمعية موسى ـ على ما يبدو ـ سنين عديدة، واطمأنوا بها وإليها، وطاب لهم المقام فيها، حيث الزراعة وتربية المواشى والتجارة، وهذا هو ديدنهم، ومن الأحداث التى وقعت فيها، قصة البقرة، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧)، وقصة سفر موسى حيث مجمع

البحرين، للالتقاء بالعالم، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (الكهف: ٦٠) وقصة قارون المعروفة. ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦).

الأمر بدخول الأرض المقدّسة وتحريمها عليهم وتيههم شرقى النهر:

وبعد مدة من مكثهم فى مدين، أمرهم موسى بدخول الأرض المقدسة (فلسطين)، ولم تكن هناك حاجة للقتال آنذاك، فرفضوا وعصوا، لقلة وانعدام إيمانهم، وأخلدوا إلى الأرض، وتذرّعوا بحجج واهية ليبرّروا اتكاليتهم وعجزهم، فدعا موسى ربه ليحكم بينه وبينهم، فاستجاب له ربه، ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٦)، فكان تحريم الدخول لمدة أربعين سنة ومن ثم التيه فى الأرض.

والتيه لغة الحيرة والضلال، ورجل تائه وتيّاه، إذا كان جسورا يركب رأسه فى الأمور، وفى الحديث: إنك امرؤ تائه، أى متكبر أو ضال متحيّر. والمراد من ذلك أنهم تُركوا على رؤوسهم، وحُرموا من قيادة الأنبياء، بأن الله تخلى عنهم وحرمهم من رعايته لهم، ورفع عنهم الوحى وتركهم بلا هداية، بعد موت موسى عليه السلام، على مدى ٤٠ سنة، ولم يُقصد بالتيه الضياع والتشرّد المكانى، فى صحراء سيناء، كما كنا نعتقد سابقا. والصحيح أنهم حافظوا على تواجدهم، كأمة مكونة من ١٢ جماعة شرقى نهر الأردن، وأُوكلت قيادة كل جماعة إلى أحد النقباء الاثنى عشر، كل حسب السبط الذى ينتمى إليه، بعد انقطاع قيادة الوحى، وهذا مما ينفى نبوة فتى موسى المسمى بيوشع بن نون. وهنا تتضح الحكمة من جراء إلقاء مسؤولية حفظ الميثاق وإقامته، على النقباء الاثنى عشر بعد وفاة موسى وانقطاع الوحى والعناية الإلهية. وهذا ما حاول مؤلفو التوراة إخفاءه بتبديل مواضع الكلم،

فجعلوا المن والسلوى، تتنزّل عليهم لمدة أربعين سنة فى الصحراء، وهى عدد سنين التحريم والتيه، التى كانوا يأكلون فيها البصل والعدس.

ويدّعى كتبة التوراة أن بنى إسرائيل، أثناء قدومهم إلى الأرض المقدسة، بمعية موسى عليه السلام، قد قاتلوا أقواما كثيرة، شرق نهر الأردن وانتصروا عليها، ويدّعون أيضا أنهم هاجموا الكنعانيين بعد موسى، وهدموا أسوار مدينة أريحا بمعية يوشع بن نون، وأنهم أقاموا زمن القضاة غرب النهر. وهذا كله محض افتراء وتلفيق، فكيف يقاتل من طلب منه مجرد الدخول ولم يدخل، ولفظ الدخول فى القرآن يوحى بانتفاء القتال. والحوار الذى دار بين موسى وقومه لدخولها، تجد نصه كاملا فى الآيات (٢٠ ـ ٢٧) المائدة.

زمن الإخبار بنص نبوءة الإفساد والعلو فى الأرض:

وبعد مدة يسيرة من الزمن من ذلك الحكم، كشف موسى عليه السلام النقاب عن النبوءة، وأخبر عنها قبل أن ينتقل إلى جوار ربه. وتركهم فى غيهم وطغيانهم يعمهون، كما حكم عليهم ربهم، وأُوكل الأمر من بعده إلى النقباء الاثنى عشر أصحاب الميثاق، ليحفظوا التوراة، وليحكموا بين الناس بما جاء فيها، ومن ذلك اليوم انتقلت مسؤولية حفظ التوراة والشريعة إلى أناس عاديين، فبدأ ظهور الأحبار، قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤).**

طلب الملك لدخول الأرض المقدّسة بعد نهاية سنوات التيه:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٦).

وبعد انقضاء سنين التيه الأربعين، التى عاشوا خلالها شرقى نهر الأردن. بُعث فيهم نبيا، يدّعون أن اسمه (صمويل). وربما لتعرضهم لضيق العيش والاضطهاد والغزو، من قبل الممالك المجاورة شرقى النهر، طلبوا من هذا النبى، أن يبعث لهم ملكا، قال تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ (البقرة: ٢٤٦) بغية دخول الأرض المقدسة التى كتب الله لهم، فبُعث لهم طالوت ملكا، وأنزل الله لهم التابوت تحمله الملائكة، آية لملكه، كونهم لا يؤمنون إلا بما هو محسوس، فأعدّهم ونظّم صفوفهم، واجتاز بهم نهر الأردن، فشربوا منه إلا قليلا.

وكانت المواجهة مع الكنعانين ـ على الأرجح فى سهول أريحا ـ (**فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ**) وقتل داود ـ الذى كان من جنود طالوت ـ جالوت قائد الكنعانيين، ودخلوا القدس. ومن ثم انتقل المُلك لداود عليه السلام، بغض النظر عن الكيفية، ﴿**وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**﴾ (البقرة: ٢٥١)، ونص هذه الأحداث كاملا، تجده فى الآيات (٢٤٦ ـ ٢٥١) البقرة، وكانت هذه أول معركة يقاتل فيها بنو إسرائيل، وكان جيشهم يتألف من القلة المؤمنة، التى لم تكن قد شربت من النهر (نهر الأردن)، وكان هذا هو الدخول الأول لبنى إسرائيل إلى الأرض المقدسة.

داود عليه السلام يؤسس أول دولة لليهود فى القدس:

قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (الجاثية: ١٦)، هذه الآية تشير إلى أن هناك خمسة أمور اجتمعت لبنى إسرائيل، وهى الكتاب أى الشريعة التى تركها لهم موسى عليه السلام، والحكم أى الملك، والنبوة أى الوحى، والسعة فى الرزق، والتفضيل باختيارهم لحمل الرسالة السماوية فى ذلك الزمان، وقد اجتمعت هذه الأمور الخمسة فى زمن مملكتهم الأولى فى الأرض المقدسة، حيث كان داود عليه السلام أول ملوكها.

مُلك داود عليه السلام:

معظم الآيات التى أخبرت عن داود وملكه، كانت تركّز على شخص داود، حيث اتّصف عليه السلام بالورع والتقوى وكثرة العبادة، والعلم والقوة مع شىء من اللين فى المعاملة، وتوحى بأن شغله الشاغل، كان توطيد أركان دولته الحديثة، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٠)، وإعداد ما استطاع من قوة للدفاع عن دولته الصغيرة، التى كانت محصورة فى بيت المقدس وما حولها، من هجمات الأقوام المجاورة لها من الكنعانيين، ولم يكن يسعى لتوسيع رقعة الدولة، كون الأمة الإسرائيلية آنذاك كانت قليلة ـ وهى لم تكثر إلا فى العصر الحديث، وبالتحديد بعد الحرب العالمية الثانية، حيث رُفع عنهم القتل ـ ولم تكن تستدعى امتلاك مساحة كبيرة من أرض فلسطين.

صفة الجبن الملازمة لليهود ومعالجتها بابتكار داود للدروع الحربية:

قال تعالى ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٨٠)، والضمير (كم) فى كلمتى (لكم) و(بأسكم)، يعود على المخاطبين بالقرآن، وهذا خبر يفيد أن داود عليه السلام، هو أول من ابتكر الدروع الحربية الحديدية، وأول من استعملها هم بنو إسرائيل، وهذا يكشف طبيعة الجبن فيهم، والحرص على الحياة، والخوف من الموت، وكرههم للقتال، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة: ٩٦) وصناعة داود لها يدل على معرفته بطبيعتهم تلك، فقد قالوا لموسى من قبل ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤)، فالجبن والتواكل على الغير، طبيعة متأصّلة فى نفوسهم، وانظر إلى قولهم (وربك) وليس (وربنا)، فهو رب موسى، وليس بربهم، فما كانوا مؤمنين، لذلك قال فيهم موسى عليه السلام ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥)، وكان أغلبهم فاسقين وعصاة ومعتدين، حتى فى زمن طالوت

وداود وسليمان وعلى مر العصور، حيث قال تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة: ٧٨)، فكما تأذّى موسى عليه السلام، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف: ٥) تأذّى منهم داود عليه السلام وهو أول ملوكهم، وتأذّى منهم عيسى عليه السلام وهو آخر أنبيائهم، ومن وقع بينهما من الأنبياء.

ولم يكن شُرب أغلبهم من النهر، عند عبورهم مع طالوت إلى فلسطين عطشا، وإنما ليستثنيهم طالوت من الخروج فى الجيش للقتال، وما زالوا يفتعلون الحجج للتهرب من القتال حتى فى دولتهم الحالية، فهم يدفعون بأبنائهم إلى المدارس الدينية، لتجنيبهم الخدمة العسكرية. فابتكر عليه السلام الدروع الحديدية ليلبسوها فى حروبهم، مع الشعوب المجاورة، التى على ما يبدو كانت تغزوهم باستمرار، لعلها تدخل شيئا من الاطمئنان إلى تلك القلوب الوجلة، وتدفعهم إلى الذود عن حمى مملكتهم. ولو نظرت إلى واقعهم المعاصر، لوجدتهم يلبسون الدروع الواقية من الرصاص، حتى فى مواجهة الحجارة، وتجدهم يتحصّنون وراء السيارات المصفحة، أو يقاتلون من وراء جدر من الإسمنت المسلح، وهذا ما يفضحهم به القرآن فى مواضع كثيرة، ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٤).

سليمان عليه السلام يوطد أركان الدولة:

نظام الحكم ملكى وراثى:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾ (ص: ٣٠)، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (النمل: ١٦)، نتبين من الآيتين السابقتين، أن نظام الحكم فى مملكة بنى إسرائيل الأولى، كان ملكيا وراثيا، فى نسل داود عليه السلام. وفى سنين حكم سليمان عليه السلام، سعى

إلى توسيع رقعة مملكته نسبيا، لتغطى مساحة أكبر من مدينة القدس، لتشمل ما حولها من المدن والقرى، من النهر شرقا إلى البحر غربا، ولكنها على كل الأحوال، لم تشمل فلسطين كاملة، فأهل فلسطين الأصليون لم يخرجوا منها، ولم يُبادوا، ولكنهم تقهقروا إلى ما بعد حدود مملكة سليمان، حيث كانت الممالك فى تلك العصور، تقتصر على مدينة - بحجم قرية فى العصر الحالى - وما حولها من سهول ومراع، ولا أظنهم استكانوا، وسلَّموا لبنى إسرائيل بالأمر الواقع، وإنما كان هناك، حروب ومناوشات، والله أعلم.

حقيقة ملك سليمان:

أما قول سليمان عليه السلام ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ (ص: ٣٥) فكان ملكا شخصيا خاصا به، ولم يكن لبنى إسرائيل فيه، ناقة ولا بعير، ولم يقصد به امتلاك مساحات شاسعة من الأراضى، ومظاهر ملكه اقتصرت على ما وهبه سبحانه إياه، من الممتلكات والقوة والحكم، والتى تميّز بها عن كافة ملوك الأرض ممن أتوا بعده، ومنها ؛ جريان الريح بأمره، وحكمه للجنّ، واستعمالهم فى البناء والغوص والقتال والصناعة، والقدرة على إذابة النحاس وتشكيله، وكثرة جنوده من الجن والإنس والطير، وكان عليه السلام قويا ورعا تقيا عالما حكيما، وفيه شىء من الشِّدة، وكان بنو إسرائيل يرهبونه ويخافونه، ولذلك نال قسطا كبيرا من اتهماتهم المشينة، بعكس أبيه داود الذى كان لينا معهم، فقال فيهم سبحانه ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾ (البقرة: ١٠٢)، وعلى ما يبدو أن الشياطين بعد وفاته عليه السلام، ادّعت أن سليمان لم يسلَّط عليهم، وإنما كان تابعا لهم، يعبدهم ويستعين بهم لقضاء مصالحه. فأشركوا بالله وعبدوا الشياطين وأباحوا السحر والشعوذة، ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ (الأنعام: ١٠٠).

أكثر ما حيّرنى فى أمر ملك سليمان، هو الغاية من تسخير الريح، فالروايات فى كتب التفسير غير منطقية، حيث تقول إنها كانت تحمل سليمان وملأه وجنوده، على بساط خشبى عظيم، وتنقلهم من بلد إلى آخر للقتال والترفيه وغيره، ولم يرد فى تواريخ الأمم التى عاصرت ملك سليمان، أنهم شاهدوا يوما بساطا خشبيا طائرا، وسورة النمل تؤكد أن سليمان وجنوده، كانوا يسيرون على الأقدام أثناء تنقلهم.

وبعد طول تفكير وتمعُّن وتدبّر فى الآيات، التى تتحدث عن الريح وعن ملكه عليه السلام، تبين لى أنه كان يركب البحر، منطلقا من الأرض المقدسة، فتجرى الريح بمركبه إلى حيث أراد برفق ولين فى الذهاب، لتسهل عليه عملية البحث والتقصى، بدلالة قوله تعالى ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ**﴾ (ص: ٣٦ ـ ٣٧)، وبعد انتهاء المهمة، يستعجل العودة إلى وطنه، فيأمر الريح لتجرى بقوة وسرعة إلى الأرض المباركة، بدلالة قوله تعالى ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**﴾ (الأنبياء: ٨١ ـ ٨٢)، وأما الغاية من القيام بالرحلات البحرية، فهى السياحة واستخراج كنوز البحر وجلبها لملكته، ويؤيد ما ذهبت إليه، ذكر الغوص، الذى كانت تقوم به الشياطين، مباشرة بعد ذكر الريح فى الآيات السابقة، والغوص عادة لا يكون إلا فى المياه العميقة، وكانت مدة كل رحلة من رحلاته شهرين، شهر فى الذهاب وشهر فى العودة، بدلالة قوله تعالى ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**﴾ (سبأ: ١٢)، والله أعلم.

سليمان هو أول من بنى المسجد الأقصى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ، لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا

يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، أَنْ لاَ يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ فِيهِ، أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) رواه النسائى وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم بأسانيدهم، وصححه الألبانى.

هذا الحديث يؤكد:

١ ـ أن مملكة داود وسليمان، أى مملكة بنى إسرائيل الأولى، كانت فى فلسطين.

٢ ـ أن سليمان عليه السلام، بنى مدينة بيت المقدس.

٣ ـ أن سليمان عليه السلام، هو أول من بنى المسجد الأقصى.

وأما التسمية بالمسجد فهى التسمية الإسلامية له، وجاءت بعد حادثة الإسراء، وأما فى عهد سليمان عليه السلام، فقد جاءت تسميته فى القرآن بالصرح، (**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ**)، وأما الترجمة العربية للتوراة فأعطته اسم الهيكل، والمعنى لكلتا التسميتين واحد، وهو البناء الضخم المرتفع. وعلى كل الأحوال فإن المسجد الأقصى القائم حاليا، يجثم فى نفس المكان الذى أقيم فيه صرح سليمان، والغريب أن الكثير من أئمة المسلمين وعامتهم، ينكرون هذه الحقيقة، ربما ظنا منهم أن اعترافهم بها، يعطى الصهاينة حقا فى هدم المسجد، وبناء هيكلهم مكانه، ويُسقط أحقيّة المسلمين فيه، ويُضعف موقفهم فى الدفاع عنه، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى مخالفة النص القرآنى، وإنكار حتى تواجدهم فى الأرض المقدسة جملة وتفصيلا.

قبلة اليهود هى الصخرة المشرّفة:

جاء فى البداية والنهاية لابن كثير، ما نصّه «قال الإمام أحمد. حدثنا أسود بن عامر، ثنا حماد بن سلمة، عن أبى سنان، عن عبيد بن آدم، وأبى مريم وأبى شعيب: أن عمر بن الخطاب، كان بالجابية فذكر فتح بيت

المقدس، قال: قال ابن سلمة، فحدثنى أبو سنان، عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب: «أين ترى أن أصلى»، قال: «إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة، وكانت القدس كلها بين يديك»، فقال عمر: «ضاهيت اليهودية. لا، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ»، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه، وكنس الكناسة فى ردائه، وكنس الناس. وهذا إسناد جيد. اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسى، فى كتابه المستخرج».

وجاء فى تاريخ الطبرى فى رواية أخرى، أن عمر أجاب كعب بقوله: «فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنّا أُمرنا بالكعبة».

ونقول إن مفاد الرواية أن كعبا، لما أشار على عمر بالصلاة خلف الصخرة، أراد منه أن يجمع القبلتين فى صلاته، فأبى عمر وصلى، جاعلا وجه تلقاء الكعبة، والصخرة من وراء ظهره.

الصلاة فى الشريعة الموسوية:

لنوضح الأمر، نحتاج إلى معرفة طبيعة العبادة فى شريعة موسى عليه السلام، فالصلاة لديهم كانت تؤدَّى بشكل فردى فى البيت أو فيما يُسمّى بالمحراب، فى المعبد المقدس (أى الهيكل)، **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (يونس: ٨٧)، والمحراب عبارة عن غرفة صغيرة منعزلة، مخصّصة للصلاة والدعاء والذكر، والأغلب أنها كانت تقام مرتفعة عن الأرض، وهى أشبه ما يكون بالعليّة أو السدّة، وقد ارتبط ذكر المحراب فى القرآن، بأنبياء بنى إسرائيل الأوائل فى فلسطين داود وسليمان، **﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾** (ص: ٢١)، وبآخر أنبيائهم زكريا ويحيى **﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾** (آل عمران: ٣٩).

الصرح أو الهيكل، كيفية بنائه وصفته وموقعه:

أما الصرح فعلى ما يبدو أنه كان أعجوبة من أعاجيب الزمان، وأن من قام ببنائه وصناعة محتوياته هم الجن والشياطين، وأن مادة البناء كانت من النحاس والزجاج ومواد أخرى ما عدا الحجارة، وأنه اشتمل على المحاريب والتماثيل والأوانى النحاسية الصغيرة، والأحواض أو البرك المائية الضخمة المصنوعة من النحاس، والجواهر والكنوز من لؤلؤ ومرجان وغيرها، مما كانت تستخرجه الشياطين من أعماق البحار. قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ (ص: ٣٥ ـ ٣٧) وقال أيضا ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٢ ـ ١٣).

وأستطيع وصف هذا الصرح بأنه بناء ضخم ومرتفع، كانت الصخرة تقع فى مركزه، تحيط بها ساحة واسعة، أرضيتها من الزجاج المصقول، يُرى من خلالها ماء يجرى أسفل منها، أو ماء راكد فى أحواض مائية، وضع فيها ما استجلبه سليمان من المناظر والمشاهد البحرية، مما استخرجته له الشياطين من أعماق البحر، وعلى أطراف تلك الساحة أقيمت المحاريب العديدة للعبادة من كل جانب. والله أعلم.

وقد سمعت من زميل لى زار المسجد وتجوّل فيه، أن هناك آبارا وأحواضا مائية، تحت ساحة المسجد الأقصى مباشرة، فإذا كان ذلك صحيحا، ومع علمنا بأن المسجد الأقصى بُنى فى نفس موقع المسجد السابق، وأن الصخرة هى القبلة الفعلية لليهود، فهذا الأمر يُؤكد، أن الصرح الذى كان قد بُنى فى عهد سليمان عليه السلام، هو المسجد الذى دخله أولئك

المبعوثين أول مرة، وخرّبوه ونهبوا محتوياته، فلم يبق له أثر يُذكر. وعدم وجود آثار له، يُؤكد أن هذا الصرح، لم يتم بناؤه بالطرق المألوفة. سواء بهندسة البناء أو بالمواد المستخدمة، فبُناته هم الجن والشياطين، وبالتأكيد طريقتهم فى البناء تختلف عن طريقة البشر، وطبيعة المواد المستخدمة تختلف عما يستخدمه البشر، وربما يكون هذا الصرح الخرافى، هو ما دفع نبوخذ نصر صاحب حدائق بابل المعلّقة، للإغارة على بنى إسرائيل فى المرة الأولى، لنهب محتوياته.

حكمة سليمان عليه السلام وخرافات ألف ليلة وليلة:

الروايات الموجودة فى كتب التفسير، عن قصة سليمان وحبه لملكة سبأ، ورغبته فى الزواج منها، وإدخالها إلى الصرح لرؤية ساقيها، فيما إذا كان عليهما شعر، أو أن قدميها كحوافر الحمار، لأن أباها أو أمها من الجن... إلى آخره. مما ليس له أصل حتى فى التوراة، جرَّدت سليمان عليه السلام من حكمته، فى الدعوة إلى الله، وجعلت منه رجلا مزواجا شهوانيا، كما أراد له أعداء الله وأعداء أنبيائه أن يكون.

حكمة الهدهد:

ولكى نفهم ما جرى من حوار وأحداث، بين سليمان وملكة سبأ، دعنا نتمعن قليلا فى قول الهدهد ﴿**وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ**﴾ (النمل: ٢٤)، يقول الهدهد إنه وجدها هى وقومها، يعبدون الشمس من دون الله، ويعلّل ذلك بقوله إن الشيطان زيّن لهم أعمالهم، بمعنى أن الشيطان فتنهم وأوهمهم، وزيّن لهم الباطل على أنه الحق، وعمّى سمعهم وأبصارهم، فعطّل عقولهم عن تمييز الحقيقة من الوهم، فحرمهم القدرة على الحكم على معتقداتهم، أهى خطا أم صواب، فعبدوا الشمس على أنها ربهم، وبذلك صدّهم عن السبيل، أى منعهم من الوصول إلى الحقيقة، وهى أن الله هو ربهم، فما

دامت أبصارهم قد عميت، ويعتقدون بصوابية عبادة الشمس، فمن أين لهم الهداية، وهم على حالهم تلك. والرسالة التى وجّهها الهدهد لسليمان، من خلال هذا القول، هى أنهم بحاجة لمن يهديهم، ويُزيل الغشاوة عن أبصارهم. فتكفّل سليمان عليه السلام بهدايتهم، وبإزالة هذه الغشاوة، لعلهم يُبصرون ومن ثم يهتدون، بما أوتى من علم وحكمة، بعد أن شرَّحَ الهدهد، وشخَّصَ حالتهم المرضية، وأعطى سليمان مفاتيح الحل، والآن دعنا نتعلم منه عليه السلام، هذا الدرس العملى فى الدعوة إلى الله.

الدعوة إلى الله:

كان أول خطاب وجهه سليمان لملكة سبأ وقومها، هو قوله **﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾** (النمل: ٣١)، خطابا حازما واثقا قويا ومزلزلا، وكانت هذه هى الضربة الأولى، فى جدار معتقداتهم الوثنية المتأصلة فى نفوسهم، فقد كانت هى وقومها يعبدون الشمس، ولم يكن لديهم علم بوجود إله آخر، أولى بالعبادة من غيره، ولكن هل أطاعت؟ بالطبع لا، فتغيير معتقدات البشر عملية صعبة جدا، وتحتاج إلى أكثر من ذلك، وتحتاج إلى علم وحكمة وصبر - وانظر فى سيرة نبى الهدى عليه الصلاة والسلام مع كفار قريش لتحويلهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله - ولكن هل تأثرت بذلك العرض القوى؟ بالطبع نعم، فردت بالهدية - وكان بإمكانها عدم الرد - وذلك لتتأكد من جدية سليمان عليه السلام، ولتَعرف مع من تتعامل، فهى ذكية وحكيمة أيضا، وتعى موقعها وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها، بعكس ملأها ذوى القوة والبأس الشديد، ودلالة ذلك **﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** (النمل: ٣٤ - ٣٧)، فاستوعبت الرسالة، وهى أن ما لدى

سليمان، خير مما لديها، وأن هذا التهديد، لا يصدر إلا عمّن يعلم حجم قوتها، ولديه من القوة أضعاف ما تملك. وأن ما يريده لأجلها شيء آخر.

الإتيان بالعرش وتنكيره:

لذلك حملت قومها وأتته على جناح من السرعة، وفى طريقها إليه، كان عليه السلام يُعدّ لها الضربة الثانية، فطلب عرشها وأمر بتنكيره، وعلّة ذلك كانت ﴿**نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ**﴾ (النمل: ٤١)، لاختبار مدى استعدادها للهداية للدين الجديد، وليس المقصود هو اهتدائها إلى العرش. كان همّه عليه السلام هدايتها وقومها، وليس الزواج منها، كما صوّرته بعض الروايات فى كتب التفسير.

وكان جلب العرش بحدّ ذاته، كفيلا بتحطيم ذلك الجدار الذى ترست خلفه. وقد تحطّم بداخلها فعلا عندما رأته وعرفته، لكنها أضمرت ذلك وتمالكت نفسها. ولما سُئلت عنه، لم تُثبِت ولم تَنفِ، وكان بمقدورها أن تعترف بأنّه عرشها، وأن تُسلم على الفور ولكنها أجّلت ذلك. والسبب هو ذلك الجدار نفسه ﴿**وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ (النمل: ٤٣)، أى الغشاوة التى أعمت بصرها وبصيرتها، وخوفها من قومها أيضا، فقالت (**كَأَنَّهُ هُوَ**)، وحتى لو أُجرِيَ على متاعك، الكثير من التعديلات، فستبقى أشياء كثيرة تدلك عليه، فكانت إجابتها حكيمة وغاية فى التعقل، فلم تثبت وتسلم أسلحتها الواهية من الوهلة الأولى، محافظة منها على كبريائها كملكة، ولم تنف، لأنها تعلم وقومها ويعلم سليمان وقومه علم اليقين، أنه هو بعينه، فتدل على كبرياء أجوف وعن بلاهة وغباء، فإجابتها الموسومة بالشكّ كانت هى الأسلم.

كانت تعلم بحكمتها أن هناك شيئا آخر ينتظرها، سيأتى أوانه بعد حين، فكشفت بهذه الإجابة لسليمان عن استعدادها للهداية، فيما لو عرض عليها برهانا دامغا وقاطعا. ولكن ما الذى فعله سليمان حقيقة فى هذا

الموقف؟ كان إحضار عرشها، لإظهار مدى عظم ملكه الموهوب له من قبل ربه، وكان تنكير العرش لإيقاظ حاسة البصر فيها ودقة الملاحظة، وتحفيزا لعقلها وقلبها، ولما اهتدت إلى إنه عرشها، أخذتها العزة بالإثم شيئا قليلا، فكابرت حتى حين.

دخول الصرح:

فكانت الضربة الثالثة والأخيرة، أى القاضية التى سوّت ذلك الجدار بالأرض، ولم تترك له أثرا، ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾، فما الذى كان فى الصرح؟ كانت أرضية الصرح من زجاج مصقول، ومن تحت الزجاج ماء، وعندما شاهدت الماء، رفعت ثوبها خوفا من البلل، وهمّت بالمشى فيه، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ فتبسم سليمان وكأنه خاطبها ضاحكا: لقد كنت واهمة، فلن يصل الماء إلى ثوبك فأنزليه وتقدمى، فهذا ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ فأنزلته ودخلت، ولما لامست قدميها الزجاج تبين لها بطلان ما اعتقدت. وهنا مربط الفرس، فما كان منها إلا أن خجلت، من وهمها وانعدام بصيرتها، وذهاب عقلها وحكمتها وضلالها فى تلك اللحظة، إذ لم تستطع تمييز الزجاج من الماء، فاستوعبت على الفور، مضمون الرسالة التى وجهها لها سليمان.

العبرة:

فقد يظنّ الإنسان بجهله أنه على حقّ، بينما يكون فى الحقيقة على باطل، وهذا هو حالها وقومها بعبادة الشمس من دون الله، وأنه دعاها إلى الحق عن علم، فتمسّكت بالباطل عن جهل، فتبينت بالتجربة والبرهان بطلان معتقدها، وأن الحقّ مع سليمان، فاستجابت على الفور لدعوة سليمان الأولى، قائلة ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ باتباع الباطل عن غير علم، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤)، فما كان من قومها إلا أن

تبعوها، وعادت إلى مملكتها لهداية قومها، وأُرجّح أن سليمان لم يتزوجها، والله أعلم، ودانت بعد ذلك مملكتها لسليمان دينيا، وليس عسكريا، وبقيت العلاقات والمصالح التجارية وغيرها قائمة بين الدولتين، مرورا بجزيرة العرب، لفترة طويلة، حسبما تثبته سورة سبأ (١٥ - ٢٠)، وفيما بعد كفر قوم سبأ إلا قليل منهم، ومع تقادم الزمن انقطعت تلك العلاقة.

بنو إسرائيل فى عصر سليمان:

أما بنو إسرائيل فى عصر سليمان، فلم يختلفوا كثيرا عما كانوا عليه، فى عصر موسى وداود، حيث كانوا على الدوام فاسدين كأفراد، إلا من رحم الله، وما اختلف عليهم فى عصر سليمان، أن سليمان ساسهم بالقوة والسلطان، وكان يأخذهم إلى القتال، وهم بطبيعتهم له كارهون، قال تعالى ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ (النمل: ١٧)، وحشر أى جُمع، ويوزعون أى يساقون بانضباط، ولا يتقدم آخرهم على أولهم.

هل تحقق العلو الأول لبنى إسرائيل فى فلسطين؟

وأما سبق دخولهم للأرض المقدسة، فقد قال فيه سبحانه، على لسان موسى عليه السلام، ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ (المائدة: ٢١) أى كُتب لبنى إسرائيل دخولها، وقال سبحانه ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ (الأعراف: ١٣٧) أى ملكوها وسكنوها، وذلك بعد انقضاء سنوات التحريم والتيه الأربعين. والأرض المبارك فيها هى فلسطين، ومشارقها ومغاربها أى كلها، من النهر إلى البحر، وهذه هى حدود الأرض المقدّسة والمباركة، وحدود مملكة اليهود القديمة. لنخلص إلى أن الأرض المقدّسة والمباركة هى فلسطين فقط، وليس بلاد الشام عامة. إذ أن موسى عليه السلام، كان يتواجد وقومه شرقى نهر الأردن، ولو كان شرق النهر أرضا مقدّسة، لما قال ادخلوا الأرض المقدسة وهو بداخلها أصلا. وشرق النهر لم يورّث لبنى إسرائيل، وإنما أقاموا فيه فترة

الغضب الإلهى عليهم، ومن ثم تركوها وارتحلوا إلى فلسطين.

وصلنا إلى مرحلة تحقق العلو، بوحى من الله وقيادة أنبيائه وملوكه، وكان هذا هو العلو الأول لبنى إسرائيل، وأما الإفساد فلم يكن قد وقع منهم بعد، كون الملك اقترن بالنبوة، وما كان للأنبياء عليهم السلام أن يفسدوا فى الأرض، ونجد أن النبى التالى لسليمان فى الذكر، من أنبياء بنى إسرائيل فى القرآن، هو زكريا ومن بعده يحيى، وكان آخرهم عيسى عليهم السلام جميعا. وقد بعث الثلاثة بالتتابع وعاصر بعضهم بعضا، وكان ذلك بعد فترة طويلة من وفاة سليمان، وبعد عيسى لم يُبعث فيهم أنبياء، ويقدّر المؤرخون بأن المدة ما بين سليمان وعيسى، بأكثر من ٩٠٠ سنة.

وما كان بعث عيسى عليه السلام بالإنجيل، إلا لتجديد الشريعة التى جاء بها موسى، بعد أن أضاع بنو إسرائيل التوراة واختلفوا فى أمرها. قال تعالى **﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾** (الزخرف: ٦٣). ويُثبت التاريخ أن بعث عيسى عليه السلام، كان فى زمن الحكم الرومانى للمنطقة، مما يعنى أن هذا العلو الذى تحصّل عليه بنو إسرائيل قد زال واندثر. مما يترتب عليه أن الإفساد قد وقع، وأن البعث قد تحقق، فى الفترة الممتدة ما بين سليمان وعيسى عليهما السلام، فى زمن أقرب إلى حكم سليمان منه إلى بعث عيسى.

المملكة اليهودية بعد سليمان:

وليس من المعقول أن نجزم بأن مملكة سليمان انهارت بموته. وبما أن نظام الحكم، كان ملكيا وراثيا كما أقرّه القرآن، فلا بد أن يكون الملك، قد انتقل إلى أحد أبناء سليمان، الذين لم يكونوا أنبياء فى واقع الحال، فالنبوة آنذاك خرجت من الملك، وأصبحت فى عامة الشعب، وهنا تحرّر العصاة والمعتدون من اليهود، من عبدة المال والسلطة تجارا ومرابين، من حكم وملك الأنبياء، حيث كان الوحى يقف سدّا منيعا، أمام طموحاتهم وأحلامهم، فى

نهب ثروات البلاد والعباد، فهم أبناء الذين قال فيهم تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص: ٧٩).

وعلى مر السنين تغيّرت الأحوال، وتغلغل المرابون والتجار فى أوساط الحكم، وتبادلوا المصالح والمنافع، وأصبحوا من علية القوم، ليفرضوا على الملوك، ما شاءوا من سياسات تخدم مصالحهم. ولو راجعت التوراة المؤرخ الوحيد لتلك الفترة، لوجدت أن عدد الملوك الذين تعاقبوا على الحكم، على مدى ٣٠٠ سنة تقريبا، هو ٢٢ ملكا، وهو عدد كبير نسبيا، بمعدل ١٤ سنة حكم لكل ملك. وذلك لكثرة الاغتيالات، التى كان يدبّرها ويوقعها فيهم علية القوم، ومن والاهم من الكهنة والأحبار، سواء من صلح أو فسد، من هؤلاء الملوك. والملاحظ أيضا أن معظم ملوكهم، كانوا صغارا فى السن، وربما كان ذلك هو الغاية من قتل آبائهم، فوجود ملك صغير السن، يسهل عليهم السيطرة على شؤون الحكم، ليكونوا هم خبراءه ومستشاريه، وهذه هى سياستهم فى العصر الحالى، فى شتى بقاع الأرض. وعلى الجانب الآخر كان هناك الأنبياء، الذين لم ينقطع بعثهم فى بنى إسرائيل، ليعيدوا أولئك العصاة إلى حظيرة الإيمان، بدعوتهم إلى العودة إلى شرع الله، وتذكيرهم وتحذيرهم بما قضاه الله عليهم إن أفسدوا فى الأرض.

تخبرنا كثير من الآيات القرآنية عن إفساد بنى إسرائيل، حيث الشرك بالله، وتكذيب فريق من الأنبياء، وقتل فريق آخر، وقتل أولياء الله من الناس، وسفك دماء فريق من قومهم وإخراجهم من ديارهم، وتحريف الكهنة والأحبار، لكتاب الله ليوافق أهواء علية القوم، والاعتداء على حدود الله، وعصيان أوامره، وأكلهم الربا وأموال الناس بالباطل... إلى آخره. ومجمل هذه الآيات تخاطب بنى إسرائيل كأمة. فأين ومتى وقع منهم هذا الإفساد الأممى...؟!

وهل تحقق الإفساد الأول؟

قال تعالى ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧)، والخطاب هنا موجه لمن يملك سلطة القتل، وهم سادة الحكم وعلية القوم، فتارة كانوا يكذّبون الأنبياء وأولياء الله، الذين بُعثوا من قبله سبحانه للإصلاح، وتارة يقتلونهم، بدفع من الكهنة والأحبار والتجار،، لتعارض ذلك مع رغباتهم وأهوائهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٢١)، فلا أشدّ وأعظم إفسادا فى الأرض عند الله، من قتل الناس وسفك دمائهم بغير حق، فما بالك إذا كان القتل فى أنبياء الله وأوليائه الصالحين، فهذا قمّة فى الإجرام والإسراف والعصيان والتمرد والعدوان، ولا أظنّ أن هناك إفسادا فى الأرض، يُقارن بهذا الإفساد، فلم يسبق لقوم من الأقوام السابقين واللاحقين، أن قتلوا أنبياءهم سوى بنى إسرائيل، وما إفسادهم الحالى فى دولتهم الحالية، إلا صورة طبق الأصل عن الإفساد الأول فى دولتهم الأولى، ولو بُعث فيهم أنبياء فى هذا العصر لقتلوهم بلا شك، فقد قتلوا رئيس وزرائهم (رابين)، بدفع وتحريض من الحاخامات، كونه لبس ثوب الصلاح فقط، بإظهاره شيء من اللين مع الفلسطينيين، لا لأنه مُصلح.

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة: ٨٤ - ٨٥). توحى هتان الآيتان، أن سادة الحكم كانوا يستضعفون طائفة من قومهم، ظلما وعلوا بغير وجه حق - وهذا نفس فعل فرعون - فأوقعوا فيهم القتل، والنهب والسلب، وأخرجوهم من ديارهم واستولوا عليها. فاضطروا إلى اللجوء إلى

أرض أعدائهم، وعلى ما يبدو أنهم كانوا يُجبرون على خوض المعارك، إلى جانب أعداء مملكة بنى إسرائيل، وعند وقوع المعركة، كان هؤلاء المستضعفون يُحجمون عن قتال بنى جلدتهم، ويقومون بتسليم أنفسهم، ظنّاً منهم بأن أبناء جلدتهم، سيتركونهم ليعودوا إلى أهليهم بعد انتهاء المعركة، فما كان من أولئك الظلمة، إلا أن عاملوهم كأسرى العدو، فحبسوهم وطالبوا ذويهم بالفدية.

وأما مظاهر الإفساد الأخرى فمنها:

١ ـ الشرك بالله:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (النساء: ٥١)

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٦٠).

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١).

٢ ـ نقض الميثاق وكتمان كلام الله وإخفاؤه وتحريفه:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧).

٣ ـ عبادة الجن والشياطين وتعلم السحر وممارسته:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ

وتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٠).

﴿واتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (البقرة: ١٠٢).

٤ ـ الربا والسرقة والاحتيال:

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٦١).

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٢).

٥ ـ ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٩).

٦ ـ نقض العهود والمواثيق:

﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ١٠٠).

وهكذا نستطيع القول، بأن العلو الأول والإفساد الأول لبنى إسرائيل، قد تحقّقا فى الأرض المقدّسة. وكانت بداية علوهم بملك داود، ووصل إلى أقصى مداه، فى عصر سليمان عليه السلام. وأما الإفساد فكانت بدايته بعد وفاة سليمان عليه السلام... والسؤال الآن هل تبخّر هذا الملك وهذه المملكة فى الهواء...؟! وهل مرّ ذلك الإفساد دون عقاب...؟!

وهل تحقق البعث الأول؟

قال تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٢ ـ ٣٣).

وقال أيضا فى نفس السورة ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤).

وانظر ما كتبه الله عليهم، فى الآية الأولى، وما عقب به فى الآية الثانية، حيث أعطى أربعة خيارات، لمجازاة من يحاربون الله ورسوله، ويسعون فى الأرض فسادا. والذين لهم دأب على محاربة الله ورسوله بأقوالهم وأفعالهم، والذين يسعون فى الأرض فسادا، هم اليهود لا غيرهم، وهذا ما تُقرّره الآية الثالثة. وهذا هو الحكم المُسبق الذى أصدره أحكم الحاكمين، وأوكل أصحاب البعث الأول، لتنفيذ خياراته الأربعة مجتمعة فيهم، بإذن الله.

وقال تعالى ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب: ٢٦)، وهذا ما حُكم به على يهود بنى قريظة بعد هزيمة الأحزاب، بقتل الرجال وسبى النساء والأطفال.

وبما أن الإفساد المقترن بالعلو قد تحصّل، ومن ثم زال، فلا بد أن يكون أولئك العباد قد بُعثوا عليهم، فجاسوا خلال ديارهم وخربوها، وأوقعوا فى حكامهم ورؤسائهم وكهنتهم وأحبارهم القتل والتنكيل، وهدموا المسجد (الهيكل) ونهبوا محتوياته من كنوز وأموال، وسبوا نساءهم وأطفالهم، وأصبحت بيت المقدس أطلالا تعوى فيها الثعالب، فحل بهم الخزى والذلّ

والعار، بعد أن رفعه الله عنهم بمنّه وكرمه، فخانوا ميثاق ربهم ونقضوا عهده، استكبارا وعلوا فى الأرض بغير الحق. حيث كان ذلك حكم الله الذى أنجزه فى أسلافهم، على أيدى أولئك العباد، فيما يُسمى بالسبى البابلى الموصوف بالتوراة بإسهاب، والذى يؤكد نفاذ هذا الحكم فيهم، كما جاء فى الآية الكريمة السابقة. لذلك عقّب سبحانه بعد ذكر الوعد الأول، بقوله ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ (الإسراء: ٥).

بعض الأحكام التى صدرت فى حقهم فيما سبق نزول القرآن:

قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٧ ـ ١٦٩).

وقال أيضا ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤).

وهذه الأحكام هى:

١ ـ استضعافهم واضطهادهم وتعذيبهم من قبل الآخرين، أينما حلوا وأينما ارتحلوا إلى يوم القيامة. وهذا حكم عامّ، وأما عقابهم عند مجىء الوعدين، فهو حكم خاص مستثنى من هذا الحكم.

٢ ـ نفيهم من فلسطين وشتاتهم فى كافة أرجاء الأرض. مما يؤكد زوال

مملكتهم الأولى، ويهيئ لقيام الدولة الثانية مستقبلا.

٣ ـ إلقاء العداوة والبغضاء فيما بينهم إلى يوم القيامة. وإطفاء الحروب التى يُشعلونها، وإفشال مخططاتهم الساعية إلى الإفساد.

وهل دخلوا الأرض المقدّسة؟

لو عدنا إلى زمن موسى عليه السلام، بعد أن وصل وقومه إلى مشارف الأرض المقدسة، حيث قال لقومه **﴿يا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾** (المائدة: ٢١)، والأرض المقدسة هى فلسطين، ولم تقدّس فى القرآن أرض غيرها. وقد وردت هذه العبارة فى القرآن مرة واحدة فقط، وكان بنو إسرائيل آنذاك أمة واحدة، فامتنعوا عن الدخول إليها، فحُرموا من دخولها أربعين سنة، ولم يكن التيه بضياعهم وتشرذمهم فى الأرض، كما قد يتوهم البعض، وإنما بحرمانهم من الهداية والقيادة برفع النبوة والوحى، وهذا يؤكد أن موسى عليه السلام، انتقل إلى جوار ربه قبل أو بداية سنوات التحريم، ولذلك تجلّت الحكمة الإلهية، باختيار النقباء الاثنى عشر وأخذ الميثاق منهم مسبقا، لعلمه المسبق بما سيكون منهم. وتُرك أمر بنى إسرائيل لأولئك النقباء، كلٌّ حسب السبط الذى ينتمى إليه، لقيادتهم والفصل بينهم فى الأحوال المدنية والشرعية.

وفى نهاية الأربعين سنة، وصل الله ما كان قد قطعه، فبعث فيهم نبيا، **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** (البقرة: ٢٤٦)، وكلمة (الْمَلأ) تعنى علية القوم، وطلب القتال كان لدخول الأرض المقدسة، التى كان قد كُتب لهم دخولها، على لسان موسى فى الآية السابقة، وعندما أذن الله لهم بدخولها، بعد قتال جالوت وجنوده والانتصار عليهم، بقتل داود عليه السلام لجالوت، دخلوها مجتمعين كأمة أيضا، فأقام لهم داود وسليمان عليهما السلام، دولتهم الأولى وعلوهم الأول.

حصر الفترة الزمنية للإفساد المذكور فى القرآن:

والآن لننتقل إلى الآية الكريمة التى تقول ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧)، قلنا إن قمة الإفساد هى قتل الأنفس بغير حق، وأعظمها قتل الرسل والأنبياء، ولاحظ قوله سبحانه (تَقْتُلُونَ) حيث تفيد صيغة المضارع، الاستمرارية والكثرة فى القتل، وقد ذُكر قتلهم للرسل والأنبياء (٧) مرات، فى مواضع متفرقة من القرآن، وقد حُصر وقوع هذا القتل منهم فى هذه الآية، بين موسى وعيسى عليهما السلام، وإذا علمنا أن بنى إسرائيل، كانوا بحاجة إلى الأنبياء (حبل الله) لدخول الأرض المقدسة، لإقامة دولتهم فيها، ولم يكن فيهم أنبياء فى سنوات التحريم، غير ذلك النبى الذى بُعث عند انقضائها، والذى توجهوا إليه لطلب المساعدة والنصرة من الله، لتبين لنا أن قتل الأنبياء، قد تحصّل منهم، قبل بعث عيسى عليه السلام، وهو آخر أنبيائهم، وبعد وفاة سليمان عليه السلام، آخر الأنبياء الملوك، حيث لم تعد بهم حاجة للأنبياء، ليذكّروهم بشرع الله والالتزام به، بعد أن أمسى لهم الملك والعلو فى الأرض، فأهواء ورغبات وأطماع، الذين (أشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم)، والذين (قست قلوبهم فهى كالحجارة أو شد قسوة)، لا تتفق وشرع الله.

نهاية المملكة وخروجهم من فلسطين:

ولو نظرنا فى قوله تعالى (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا)، أى فرّقناهم، نجد أنه سبحانه أثبت خروجهم ونفيهم من الأرض المقدسة، وشتاتهم فى الأرض على عمومها، على الأقل قبل بعث محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن، فهل يُعقل أن أمة بأسرها، تقوم بالتخلى عن مُلكها وترك أرضها من تلقاء نفسها ورغبة عنها؟!! أم أن هناك أمرا عظيما نزل بها، فتركت أرضها

قسرا وقهرا، بعد أن أُزيل ملكها وأفل نجمها؟!!! وقد ورد ذكر هذا الحدث فى القرآن بصيغة الماضى، بقوله تعالى ﴿فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ (الإسراء: ٥). وبما أن تلك العبارة أثبتت شتاتهم بعد أن كانوا أمة واحدة، والعبارة ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء: ١٠٤)، تشترط مجيئهم من الشتات والتجمّع فى فلسطين، ولم يرد نص فى القرآن، يُثبت مجيئهم وتجمّعهم من الشتات قبل الإسلام، لإقامة علوهم الثانى. نستطيع الجزم بأن وعد الأولى، بقيام المملكة الأولى وزوالها، قد تحقق، وأن المرة الثانية قد تحقّقت بمجيئهم وتجمّعهم من الشتات، لإقامة دولتهم الحالية.

إثبات تواجد اليهود فى بابل:

قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠١ ـ ١٠٢).

موضوع الحديث ما قبل هاتين الآيتين، وما بعدهما، هم اليهود إجمالا. بينما تتعرض الآيتان أعلاه، لموقف فئة من اليهود المعاصرين لرسالة الإسلام، من بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث قام هؤلاء وما زالوا يقومون بثلاثة أفعال:

١ ـ عند مجىء رسول الله عليه الصلاة والسلام، بصفة مطابقة لما كان بين يديهم من التوراة، ومجيئه بما يتفق مع ما جاء به أنبياؤهم، أزاحوا

التوراة من عقولهم وقلوبهم وأنكروا ما فيها، وكتموا ما أخبرت عنه وجاءت به عن الناس، وأظهروا عدم معرفتهم وعلمهم بأمر هذا النبى، وعوضا عن اتباعهم لهذا النبى عليه الصلاة والسلام، كما تأمرهم التوراة:

٢ ـ قاموا باتباع ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وحقيقة ما اتبعوه يُبيّنه سبحانه، بالجملة المعترضة (**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**) أى الكفريّات التى ما زالت تتلوها الشياطين على ملك سليمان، ومجىء الفعل (تتلوا) بصيغة المضارع، يُفيد بأنهم على اتّصال دائم بالشياطين، وأن الشياطين ما زالت تتحدّث إليهم، بكفريّات تنسبها إلى سليمان عليه السلام، يُبرأه سبحانه منها بقوله (**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**)، وعوضا عن تعليم الناس تعاليم التوراة:

٣ ـ كانوا وما زالوا، يُعلمون الناس السحر، ويعلّمونهم أيضا نوعا آخرا من السحر، كانوا قد تعلّموه أثناء تواجدهم فى بابل، هو ما أُنزل على الملكين هاروت وماروت، اللذيْن لم يُعلّما أحدا من الناس، إلا وقالا له، (**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**) وحقيقة ما كان يتعلّمه الناس من الملكين فى بابل، يُبيّنه سبحانه بالجملة المعترضة (**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**).

٤ ـ ويُعقّب سبحانه على ما قامت به تلك الفئة بقوله (**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**). وهذا ما يقومون به لغاية الآن، فى محافلهم الماسونية ومدارسهم الدينية، حيث يُمارسون ويُعلّمون منتسبيهم وتلاميذهم، طقوس عبادة الشياطين، وفنون السحر والشعوذة.

عقوبتهم فى الجزيرة العربية كانت جلاءً وليس عذابا:

وأما عند مجىء الإسلام، كان جزء منهم متواجد فى الجزيرة العربية، وأخرجوا منها زمن عمر رضى الله عنه. قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ (الحشر: ٢)، والحشر معناه الجمع، والجمع يختلف عن الجميع، وقوله (لأَوَّلِ الْحَشْرِ) أى بداية الجمع، والجمع يكون عادة بعد التشرّد والشتات، والمقصود هنا الجمع فى الدنيا، وليس الحشر بعد الموت والبعث، حيث كانت وجهتهم عند الخروج إلى بلاد الشام، وأما الجلاء الذى حكم الله به عليهم، فى زمن الرسول ﷺ وصحبه الكرام، لم يكن عذابا كالموصوف فى سورة الإسراء، لا فى الوعد الأول، ولا فى الوعد الثانى، فكيفية العقاب فى المرتين متطابقة، كما أوضحنا سابقا، وهذا ما يقرره سبحانه فى الآية التالية ﴿وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ (الحشر: ٣)، وقوله تعالى (لَعَذَّبَهُمْ)، يفيد بأن الجلاء لم يُعتبر عذابا بمعنى الكلمة، أما قتل وسبى يهود بنى قريظة، فهو استثناء حصل لخطورة ما قاموا به من خيانة، فى أحرج لحظة، فى تاريخ الأمة الإسلامية.

وإن لم يكن ما تقدّم مقنعا بما فيه الكفاية، فانظر إلى قوله تعالى ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء: ٧)، فأى مسجد الذى دخله المسلمون على اليهود آنذاك، وما هو المسجد المقصود أصلا فى هذه الآية؟! وما صفة العلو الذى كان لهم آنذاك؟!، وأما فسادهم وإفسادهم فى الجزيرة وغيرها من الأماكن، فهو مشمول فى الآية الكريمة ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤)، ولاحظ قوله تعالى (وَيَسْعَوْنَ)، حيث تفيد الاستمرارية والمثابرة، على الإفساد فى الأرض على عمومها، وهذا هو ديدنهم على مر العصور، لذلك كانوا عرضة للقتل والتنكيل، أو النهب

والسلب، أو الطرد والنفى، أينما حلوا وأينما ارتحلوا، فطافوا معظم أرجاء المعمورة وتواجدوا فى كل قاراتها، منذ ٣ آلاف سنة واستمر حالهم هذا على مر العصور، وهذا ما لم يقع فى أى شعب من شعوب الأرض، وكان الاستثناء الوحيد، هو حصولهم على الدولة فى القدس مرتين فقط. وبعد شتاتهم فى المرة الأولى، لم يكن لهم علو، ولم يكن لهم جمع من الشتات، الذى هو أحد شروط ومواصفات تحقق الوعد الثانى، إلا ما نُشاهده الآن على أرض الواقع، من علو ظاهر مقترن بالفساد والإفساد، فى الأرض المُقدّسة فلسطين[١].

■ ■ ■

(١) خالد عبد الواحد: نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، شبكة الإنترنت الدولية.

تاريخ اليهود فى التوراة والتلمود

ماهية التوراة:

التوراة فى (لسان العرب): نجد أن هذه الكلمة ذات أصل عربى «ومصدرها وَرىَ، والوراء هو ولد الولد، والوارى هو السمين من كل شىء، ووَرِىَ المخ يَرِى إذا اكتنز، وناقة وارية أى سمينة، وورَّيْتُ النار تورية، إذا استخرجتها، قال واستوريت فلانا رأيا، أى سألته أن يستخرج لى رأيا، ووريت الشىء وواريته أخفيته. واستوريت فلانا رأيا أى طلبت إليه أن ينظر فى أمرى، فيستخرج رأيا أمضى عليه، ووريت الخبر، أُوريه تورية، إذا سترته وأظهرت غيره، وكأنه مأخوذ من وراء الإنسان، لأنه إذا قال وَرَّيْته، فكأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر، والتورية هى السَتْر».

ولو تدبَّرنا كل المعانى السابقة، لوجدنا أن هذ التسمية (التوراة، التورية حسب الرسم القرآنى لها)، جاءت لتصف بدقة وبشمولية، حال الكتاب الموجود بين أيدى اليهود، منذ وفاة زكريا عليه السلام، ولغاية الآن، ولتصف الكيفية التى يتعامل بها اليهود مع هذا الكتاب، فكتابهم فى الواقع مكتنز وسمين، فهو يحوى بين دفتيه (٣٩) سفرا، وإحدى نسخه المترجمة، فيها ما يزيد عن ١١٢٨ صفحة، بمعدل ٣٨٠ كلمة لكل صفحة، أى ما يفوق القرآن من حيث عدد الكلمات، بـ (٦) مرات تقريبا، جُمع فيه ما أُنزل على أنبياء بنى إسرائيل المتعاقبين تباعا، من شرائع وأخبار ونبوءات غيبية، وتاريخ وأساطير وخرافات، وعلى فترات متباعدة ومتتالية، ولمدة لا تقل عن ألف وخمسمائة سنة.

التوراة لم تنزّل على موسى وكتابه جزء منها:

وحسب النص القرآنى، فى الآية ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ٦٥)، والآية ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ (المائدة: ٤٦)، نجد أن نزول التوراة، حُصر فى الفترة الزمنية الواقعة بين، وفاة إبراهيم ونبوّة عيسى عليهما السلام، ومن قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤)، نجد أنها أنزلت كمرجع لبنى إسرائيل (بنى يعقوب عليه السلام)، لاستنباط واستخراج الأحكام الشرعية منها، وفى قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (المائدة: ١٥) وقوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧) نجد وصفا لحال اليهود معها وما كان منهم، فى إخفائها وكتمانها وتحريفها، وإظهار غير ما جاء فيها، وكل ما قيل فيها من معان فى المعجم، ينسجم مع واقع التوراة الحالى، وليس على كتاب موسى فقط، والذى هو فى الأصل جزء منها، وما كان الفصل بينها وبين موسى عليه السلام فى القرآن، إلا ليؤكد هذه الحقيقة.

ولو تمعنّا فى هذه الآية ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ٩٣)، وانظر قوله تعالى (تُنَزَّلَ)، ولم يقل (تُنْزَلَ)، والتنزيل غير الإنزال، فالأول على مراحل، والثانى لمرة واحدة، ومن ثم انتقلنا إلى سورة الأنعام، وتدبرنا الآيات ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ

ذَلكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُمْ تعْقلُونَ (١٥١) ولا تقْرَبُوا مَالَ الْيَتيم إلاَّ بالَّتي هي أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْميزَانَ بالْقسْط لا نُكَلّفُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا وإذَا قُلْتُمْ فَاعْدلُوا ولَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وبعَهْد اللَّه أَوْفُوا ذَلكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صرَاطي مُسْتَقيمًا فَاتَّبعُوهُ وَلا تَتَّبعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكُمْ عَن سَبيله ذَلكُمْ وَصَّاكُم به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذي أَحْسَنَ وَتَفْصيلاً لّكُلّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بلقَاء رَبّهمْ يُؤْمنُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١ - ١٥٤)

لوجدنا أن هذه الآيات توضح، ما كان قد حُرّم عليهم فى التوراة، وأن مجىء أداة العطف (ثُمَّ)، بعد ذكر ما جاء فى التوراة مباشرة، والتى تفيد لغةً، الترتيب والتراخى فى الزمن، ومجىء العبارة (آتَيْنَا مُوسَى الْكتَابَ) بعدها، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أمرين ؛ الأول: أن التوراة شىء يختلف عن كتاب موسى عليه السلام، والثانى: أنها سبقت كتاب موسى عليه السلام فى النزول.

التوراة كتاب يضمّ بين دفتيه جميع ما أنزل على أنبياء بنى إسرائيل:

والأرجح أنها أُنزلت مفرّقة بدءاً من يعقوب أو إسحاق، وانتهاءً بزكريا عليهم السلام، وأنها مجمل ما أُنزل على أنبياء بنى إسرائيل من كتب، ومن ضمنها ما أُنزل على يعقوب ويوسف، وموسى وداود وسليمان وزكريا، وبقية أنبيائهم، ممن لم تذكر أسماؤهم، فى القرآن عليهم السلام أجمعين، قال تعالى ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦) ولاحظ أن ترتيب أسماء الأنبياء، فى هذه الآية جاء متعاقبا حسب الترتيب الزمنى، ولاحظ أيضا أنّ الإنزال، شمل كل من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وتوقف. وأفرد موسى وعيسى مع أنهم من الأسباط وخصّهما بالإيتاء، وأفرد النبيين من غير ذرية إبراهيم بالإيتاء أيضا، والظاهر أن هناك فرقا بين الإنزال والإيتاء.

ولو اطلعت على مجمل النصوص القرآنية، لوجدت أن ما نُسب إلى موسى عليه السلام بالإيتاء، هو الكتاب والفرقان والهدى وضياء وذكر والألواح والصحف، وأن التوراة لم تنسب نصّا إلى موسى عليه السلام، فى أى موضع من المواضع الـ (١٨) فى القرآن، وهى (٦ مرات فى آل عمران، و٧ مرات فى المائدة، ومرة واحدة فى كلٍّ من، الأعراف والتوبة والفتح والصف والجمعة)، وخلاصة القول، أن ذكر التوراة فى القران، يُقصد به مجموع ما أُنزل على أنبياء بنى إسرائيل، أى الكتاب الذى كان بأيدى اليهود زمن نزول القرآن، وحتى عصرنا هذا، وأن ذكر الكتاب، يقصد به ما أُنزل على موسى لوحده، والله أعلم. وأما ما يُنسب إلى موسى عليه السلام فى التوراة الحالية، فهى الأسفار الخمسة الأولى من مجموع أسفارها، وهى أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، وعلى الأرجح أن بعض هذه الأسفار، كسفر التكوين، كان موجودا قبل موسى عليه السلام، ومن المحتمل أن يكون هذا السفر، هو مجموع صحف إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

حقيقة التوراة على لسان المقدسى:

جاء فى كتاب (البدء والتاريخ) للمقدسىّ، ما نصه: «وذلك أن (بختنصر)، لما خرب بيت المقدس وأحرق التوراة، وساق بنى إسرائيل إلى أرض بابل، ذهبت التوراة من أيديهم، حتى جدّدها لهم عزير فيما يحكون، والمحفوظ عن أهل المعرفة بالتواريخ والقصص، أن عزيرا (عزرا الكاتب) أملى التوراة فى آخر عمره، ولم يلبث بعدها أن مات، ودفعها إلى تلميذ من تلامذته، وأمره بأن يقرأها على الناس بعد وفاته، فعن ذلك التلميذ أخذوها ودونوها، وزعموا أن التلميذ، هو الذى أفسدها وزاد فيها وحرفها، فمن ثم وقع التحريف والفساد فى الكتاب، وبُدّلت ألفاظ التوراة، لأنها من تأليف إنسان بعد موسى، لأنه يخبر فيها، عما كان من أمر موسى عليه السلام، وكيف كان موته ووصيته إلى يوشع بن نون، وحزن بنى إسرائيل وبكاؤهم عليه، وغير

ذلك مما لا يشكل على عاقل، أنه ليس من كلام الله عز وجل، ولا من كلام موسى، وفى أيدى السامرة توراة، مخالفة للتوراة التى فى أيدى سائر اليهود، فى التواريخ والأعياد وذكر الأنبياء، وعند النصارى توراة منسوبة إلى اليونانية، فيها زيادة فى تواريخ السنين على التوراة العبرانية، بألف وأربع مائة سنة ونيف، وهذا كله يدل على تحريفهم وتبديلهم، إذ ليس يجوز وجود التضاد فيها من عند الله».

أما ما دفعنى للبحث فى أمر التوراة فى البداية، هو رغبتى فى استخراج نص النبوءة منها، ومقارنته مع نص سورة الإسراء، واستقراء تاريخهم حسب ما يروونه هم بأنفسهم، فيما إذا كان هناك ما يفيد تحقق الوعد الأول، من خلال البحث فى التوراة الحالية، والموجودة تحت اسم العهد القديم، فى الكتاب المقدس الخاص بالنصارى، حيث توفرت لدىّ نسختين عنه، باسم (كتاب الحياة/ ترجمة تفسيرية/ ط٢ ١٩٨٨/ جى سى سنتر القاهرة)، وتقع فى (١١٢٨) صفحة، والأخرى باسم (الكتاب المقدس/ دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط) وتقع فى (١٣٥٨) صفحة، مترجمة عن التوراة اليونانية، وبما أن عدد الصفحات كبير جدا، ومن المؤكد أن هذا النص، قد اعتراه الكثير من التحريف والتزوير من إضافة ونقص، فهو يحتاج إلى قراءة مركزة ومتأنية، من الألف إلى الياء، مما يتطلب الكثير من الوقت والجهد، فضلا عما تُصاب به من دوار، كلما حاولت أن تستجمع ما ورد فيها، من أفكار مشتتة ومضلِّلة، ولما فيها من إسهاب وإطالة وتكرار، لذلك كان لا بد لى، من تحديد على من أُنزلت هذه النبوة، وما هو المقصود بقوله سبحانه (فى الكتاب) على وجه الدقة، وفى أى فترة زمنية أُنزلت، لتكون عملية البحث فيها أقل جهدا، وعند بحثى عنها فيما نُسب إلى موسى عليه السلام من أسفار، وجدتها فى سفر التثنية، وقد اعتراها الكثير من التشويه من حذف وإضافة، وفيما يلى بعض من بقايا نصوصها التى توزعت على مدى (١٨ صفحة):

سفر التثنية آخر الأسفار المنسوبة لموسى، ويضم فى ثناياه نصوص النبوءة:

ملاحظة: النص مأخوذ من نسخة (كتاب الحياة) حيث أن التركيب اللغوى فيها، أكثر قوة وتعبيرا، إلا فى مواضع نادرة، نلجأ فيها للأخذ من النسخة الأخرى (الكتاب المقدس) وهو ما يرد بين (...)، وما يرد بين (...) فهو تعقيب من المؤلف.

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ (الإسراء: ٢).

«إصحاح ٢٦: آية ١٦: لقد أمركم الرب إلهكم هذا اليوم، أن تعملوا بهذه الفرائض والأحكام، فأطيعوا واعملوا بها من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم، ١٧:... وأن عليكم طاعة جميع وصاياه، ١٩: فيجعلكم أسمى من كل الأمم (مستعليا على جميع القبائل) التى خلقها فى الثناء والشرف والمجد، (العلو)،...».

إخبار موسى عليه السلام بنص النبوءة، كان قبل دخولهم إلى الأرض المقدسة:

٢٧: ١ ـ ٩: «وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب قائلين: أطيعوا جميع الوصايا التى أنا أمركم بها اليوم. فعندما تجتازون نهر الأردن، إلى الأرض التى يهبها الرب إلهكم لكم، تنصبوا لأنفسكم حجارة كبيرة،... وتكتبون عليها جميع كلمات هذه الشريعة،... ثم قال موسى والكهنة واللاويون لجميع شعب إسرائيل»:

سفر الخروج: «٢٠: ٢: أنا هو الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ديار عبوديتك، ٣: لا يكن لك آلهة أخرى سواى، ٤: لا تنحت لك تمثالا ولا صورة،...، ٥: لا تسجد لهن ولا تعبدهن،...، ٧: لا تنطق باسم الرب باطلا،...، ١٢: أكرم أباك وأمك،...، ١٣: لا تقتل، ١٤: لا تزن، ١٥: لا تسرق، ١٦: لا تشهد على قريبك شهادة زور، ١٧: لا تشته بيت جارك،...،

ولا شيئا مما له».

وهذا ما يُسمّونه بالوصايا العشر، واخترت النص من سفر الخروج، كونه أكثر وضوحا ومطابقة للقرآن، حيث ورد نص الميثاق والوصايا فى (البقرة ٨٣ ـ ٨٤)، (والأنعام ١٥١ ـ ١٥٣)، (والإسراء ٢٢ ـ ٣٩).

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٤).

«٣١: ١٦ ـ ٢١: و قـال الرب لموسى: مـا إن تموت وتلحق بآبائك (مستقبلا)... حالما أدخلهم إلى الأرض التى تفيض لبنا وعسلا،...، فيأكلون ويشبعون ويسمنون، فإنهم يسعون وراء آلهة أخرى، ويعبدونها ويزدرون بى، وينكثون عهدى. فيحتدم غضبى عليهم فى ذلك اليوم، وأنبذهم وأحجب وجهى عنهم، فيكونوا فريسة،...، فمتى حلّت بهم شرور كثيرة، ومصائب جمّة، يشهد هذا النشيد عليهم، لأنه سيظل يتردّد على أفواه ذريّتهم، إذ أننى عالم بخواطرهم التى تدور بخلدهم الآن، قبل أن أُدخلهم إلى الأرض كما (أقسمت)».

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ (الإسراء: ٧).

«٢٨: ١ ـ ١٣: وإن أطعتم صوت الرب طاعة تامة،حرصا منكم على تنفيذ جميع وصاياه فإن الرب إلهكم يجعلكم أسمى من جميع أمم الأرض. وإذا سمعتم لصوت الرب إلهكم، فإن جميع هذه البركات تنسكب عليكم وتلازمكم،... كما تتبارك ذُرّيّتكم، وغلات أرضكم، ونتاج بهائمكم، ويهزم الرب أمامكم أعداءكم القائمين عليكم، فيقبلون عليكم فى طريق واحدة، ولكنّهم يُولّون الأدبار فى سبع طُرق، فيفتح الرب كنوز سمائه الصالحة، فيمطر على أرضكم فى مواسمها، ويُبارك كل ما تنتجه أيديكم،.. فإنّه يجعلكم رؤوسا لا أذنابا، متسامين دائما (علو)، ولا يُدرككم انحطاط أبدا (ذلّة)،...».

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧).

«٢٨ : ١٥ ولكن إن عصيتم صوت الرب إلهكم، ولم تحرصوا على العمل بجميع وصاياه وفرائضه، التى أنا آمركم اليوم بها، فإن جميع هذه اللعنات تحل بكم وتلازمكم،... وتحلّ اللعنة بأبنائكم، وغلات أرضكم، ونتاج بهائمكم، ويصبّ الربّ عليكم اللعنة والفوضى والفشل، حتى تهلكوا وتفنوا سريعا لسوء أفعالكم، إذ تركتمونى، ويتفشى بينكم الوباء حتى يُبيدكم، وتصبح السماء من فوقكم كالنحاس، والأرض من تحتكم كالحديد، ٢٥ : ويهزمكم الربُّ أمام أعدائكم، فتقبلون عليهم فى طريق واحدة، وتولون الأدبار أمامهم متفرقين فى سبع طرق، وتصبحون عبرة لجميع ممالك الأرض، ٢٦ : وتكون جثثكم طعاما، لجميع طيور السماء ووحوش الأرض، ولا يطردها أحد (وليس من يزعجها)، ٢٨ : ويبتليكم الرب بالجنون والعمى وارتباك الفكر (وحيرة القلب)، ٢٩ : فتتحسّسون طرقكم فى الظهر، كما يتحسّس الأعمى فى الظلام، وتبوء طرقكم بالإخفاق، ولا تكونون إلا مظلومين مغصوبين كل الأيام، ٣٢: يساق أولادكم وبناتكم إلى أمة أخرى... وما فى أيديكم حيلة،... ٣٦: ينفيكم الرب أنتم ومَلِككم إلى أمة أخرى، لا تعرفونها أنتم ولا آباؤكم،... ٣٧: وتصبحون مثار دهشة وسخرية وعبرة فى نظر جميع الشعوب،... ٤٣ : (الغريب الذى فى وسطك، يستعلى عليك متصاعدا، وأنت تنحط متنازلا) (عودة الذل وزوال العلو)، ٤٤ :... وهم يكونون رؤوساً وأنتم تكونون ذَنَبا».

النصوص الخاصة بالمرة الأولى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾ (الإسراء: ٥).

«٢٨ : ٤٩ ويجلب الرب عليكم أمة من بعيد، من أقصى الأرض، فتنقضّ عليكم كالنسر، ٥٠ : أمّة (جافية الوجه) يثير منظرها الرعب، لا تهاب الشيخ

ولا ترأف بالطفل، ٥١: فتستولى على نتاج بهائمكم، وتلتهم غلات أرضكم حتى تفنوا، ولا تُبقِ لك قمحا ولا خمرا ولا زيتا،... حتى تفنيك، ٥٢: وتحاصركم فى جميع مدنكم، حتى تتهدم أسواركم الشامخة الحصينة، التى وثقتم بمناعتها،... ٥٨: فإن لم تحرصوا على العمل بجميع كلمات هذا الشريعة المكتوبة فى هذا الكتاب،... ٥٩: فإن الرب يجعل الضربات النازلة بكم وبذرّيتكم، ضربات مخيفة وكوارث رهيبة دائمة،... ٦٣: وكما سُرّ الرب بكم، فأحسن إليكم وكثّركم، فإنه سيُسرّ بأن يفنيكم ويهلككم فتنقرضون (فتستأصلون) من الأرض، التى أنتم ماضون إلى امتلاكها، ٦٤: ويشتّتكم (ويبددكم) الرب بين جميع الأمم،من أقصى الأرض الى أقصاها،... ٦٥: ولا تجدون بين تلك الأمم اطمئنانا، ولا مقرّا لقدم، بل يعطيكم الرب قلبا هلعا، وعيونا أوهنها الترقب، ونفوسا يائسة (الذلة والمسكنة بين الأمم)، ٦٦: وتعيشون حياة مفعمة بالتوتر، مليئة بالرعب ليلا ونهارا.

النبوءة جاءت بقسَم ولمرتين (تكرار للنص السابق مع الإسهاب):

«٢٩: ١ وهذه هى نصوص العهد، الذى أمر الرب موسى، أن يقطعه مع بنى إسرائيل فى سهول موآب، فضلا عن العهد الذى قطعه معهم فى حوريب، ٢: ودعا موسى جميع إسرائيل،... ٢٩: ٤ ولكن الرب لم يعطكم حتى الآن، قلوبا لتعوا (لتفهموا) وعيونا لتبصروا وأذانا لتسمعوا،... ٩: فأطيعوا نصوص هذا العهد واعملوا بها، (لكى تفلحوا فى كل ما تفعلون)،... ١٠: ولست أقطع هذا العهد وهذا القسم معكم وحدكم، ١٥: بل... أُبرمه أيضا مع الأجيال القادمة (حيث سيقع منهم الإفساد مرّتين مستقبلا)،... ١٨: فاحرصوا أن لا يكون بينكم، من تأصّل فيه الشرّ، فيحمل ثمرا علقما سامّا، ١٩: فإن سمعَ كلام هذا القَسم يستمطر بركة على نفسه (أى يزكّى نفسه) قائلا: سأكون آمنا، حتى ولو أصررت على الاستمرار فى سلوك طريقى (الإصرار على المعصية)، إن هذا يُفضى إلى فناء الأخضر

واليابس، على حد سواء، ٢٠: إن الرب لا يشاء الرفق بمثل هذا الإنسان، بل يحتدم غضبه وغيرته عليه، فتنزل به كل اللعنات المدوّنة فى هذا الكتاب، ويمحو اسمه من تحت السماء، ٢٢: فيشاهد أبناؤكم من الأجيال القادمة، والغرباء الوافدون من أرض بعيدة، بلايا تلك الأرض،... ٢٣: إذ تصبح جميع الأرض كبريتا محترقة لا زرع فيها،... كانقلاب سدوم (قوم لوط)، التى قلبها الرب من جراء غضبه وسخطه،... ٢٨: واجتثّهم من أرضهم، بغضبٍ وسخطٍ وغيظٍ عظيم، وطوّح بهم إلى أرض أخرى (السبى والشتات)،...».

النصوص الخاصة بالمرة الثانية:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء: ١٠٤).

٣٠: ١ وعندما تحلّ بكم هذه البركات واللعنات (تحقق الوعد الأول من علو وإفساد وعقاب) كلها التى وضعتها نُصب أعينكم، وردّدتموها فى قلوبكم بين الأمم، حيث شتّتكم الرب إلهكم، ٢: ورجعتم إلى الرب إلهكم أنتم وبنوكم،... ٣: فإن الرب إلهكم يردّ سبيكم ويرحمكم، ويلمّ شتاتكم من بين جميع الشعوب، التى نفاكم الرب إلهكم إليها..

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (الإسراء: ٦).

٣٠: ٥: ويعيدكم إلى الأرض التى امتلكها آباؤكم فتمتلكونها، ويحسن إليكم ويكثّركم أكثر من آبائكم، ٣٠: ٧: و يُحوّل الرب إلهكم كل هذه اللعنات (العقاب الذى سيكون قد نزل بهم فى المرة الأولى) على أعدائكم، وعلى مبغضيكم الذين طردوكم (الذين أنزلوا بهم العقاب الإلهى فى المرة الأولى). ٣٠: ٨ وأما أنتم فتطيعون صوت الرب من جديد (فى المرة الثانية)، وتعملون بجميع وصاياه التى أنا أوصيكم بها اليوم، ٩: فيفيض الرب عليكم خيرا. فى كل عمل ما تنتجه أيديكم، ويكثّر ثمرة أحشائكم، ونتاج بهائمكم،

أرضكم،... (وكل ما تقدم مشروط بالإحسان).

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧) (تكرار).

٣٠: ١٠: هذا إن سمعتم لصوت الرب إلهكم، وحفظتم وصاياه وفرائضه المدوّنة فى كتاب الشريعة هذا، (أى تعاليم شريعة موسى فى التوراة، وليس تعاليم التلمود التى خطّها أحبارهم وكهنتهم)، وإن رجعتم إلى الرب إلهكم، من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم، ١١: إن ما أوصيكم به اليوم من وصايا، ليست متعذّرة عليكم ولا بعيدة المنال،... ١٥: انظروا: ها أنا قد وضعت أمامكم اليوم، الحياة والخير والموت والشر، ١٦:... أوصيتكم اليوم أن تُحبّوا الرب إلهكم، وأن تسلكوا فى طرقه، وتطيعوا وصاياه وفرائضه وأحكامه، لكى تحيوا وتنموا فيباركم الرب، فى الأرض التى أنتم ماضون إليها لامتلاكها، ١٧: ولكن إن تحوّلت قلوبكم ولم تطيعوا، بل غويتم وسجدتم لآلهة أخرى وعبدتموها، ١٨: فإنى أنذركم (أُنبّئكم) اليوم أنكم لا محالة هالكون، ولا تطول الأيام على الأرض (أى مقامكم) التى أنت عابر (نهر) الأردن لتدخلها وتمتلكها..

١٩: ها أنا أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد وضعت أمامكم الحياة والموت (أى وضحت لكم طريق النجاة وطريق الهلاك، واستبدالها بكلمتى الحياة والموت من خلال النقل أو التحريف، ترتّب عليه إنكار الحياة الآخرة، واليوم الآخر من بعث وحساب، فالجزاء عندهم دنيوى فقط، فالثواب هو إطالة الحياة، والعقاب هو قصرها)، البركة واللعنة (أى الجزاء فى الدنيا)، فاختاروا الحياة (أى الشريعة) لتحيوا (لتنجوا من عذاب الدنيا والآخرة) أنتم ونسلكم، ٢٠: إذ تحبّون الرب إلهكم و تطيعون صوته، وتتمسّكون به لأنه هو حياتكم (أى نجاتكم) والذى يُطيل أيامكم لتستوطنوا (لكى تسكنوا) الأرض التى حلف الرب لآبائك، إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لكم.

الدخول أول مرة كان بحبل من الله:

٣١ : ١ : ومضى موسى يقول لبنى إسرائيل: ٢ :... وقد قال لى الرب: لن تعبر هذا الأردن، ٣: ولكن الرب إلهكم هو عابر أمامكم، وهو يبيد تلك الأمم من قدّامكم فترثونهم،... ٦ : (تشدّدوا) وتشجّعوا، لا تخشوهم ولا تجزعوا منهم، لأن الرب إلهكم سائر معكم، لا يهملكم ولا يترككم.

حتمية إفسادهم وعقابهم فى المرة الثانية:

٣١ : ٢٨ اجمعوا إلىّ جميع شيوخ أسباطكم وعرفائكم (النقباء)، لأتلو على مسامعهم هذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض، ٢٩ : لأننى واثق أنكم بعد موتى، تفسدون وتضلون عن الطريق الذى أوصيتكم بها، فيصيبكم الشرّ فى آخر الأيام (المرة الثانية تكون آخر الزمان)، لأنكم تقترفون الشر أمام الرب، حتى تثيروا غيظه بما تجنيه أيديكم، ٣٠: فتلا موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل (بكلمات) هذا النشيد..

﴿أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾ (الإسراء: ٢).

٣٢ : ٣: باسم الرب أدعو فمجّدوا عظمة إلهنا، ٤ : هو الصخر (الوكيل) (الكامل صنيعه)، سبله جميعها عدل، هو إله أمانة لا يرتكب جورا، صديق وعادل هو، ٥ : لقد اقترفوا الفساد أمامه، ولم يعودوا له أبناء، بل لطخة عار، إنهم جيل أعوج وملتو، ٦: أبهذا تكافئون الرب، أيها الشعب الأحمق الغبىّ، أليس هو أباكم وخالقكم، الذى عملكم وخلقكم، ٧: اذكروا الأيام الغابرة، وتأملوا فى سنوات الأجيال الماضية، اسألوا آباءكم فينبئوكم، وشيوخكم فيخبروكم، ١٠: وَجَدَهم فى أرض قفر وفى خلاء موحش، فأحاط بهم ورعاهم وصانهم، ١٢:... وحده قاد شعبه، وليس معه إله غريب (أى آخر)، ١٣: أصعدهم على هضاب الأرض، فأكلوا ثمار الصحراء، وغذّاهم بعسل من حجر، وزيتا من حجر الصوّان، و... و...

الدخول الثانى كان بحبل من الناس، إذ لا حاجة بهم إلى الله:

١٥: فسمن بنو إسرائيل ورفسوا، سمنوا وغلظوا واكتسوا شحما (كناية عن الترف)، فرفضوا الإله صانعهم وتنكّروا لصخرة خلاصهم. ١٦: أثاروا غيرته بآلهتهم الغريبة، وأغاظوه بأصنامهم الرجسة. ١٧: لآلهة غريبة لم يعرفوها بل ظهرت حديثا (المال والقوة والناس)، آلهة لم يرهبها آباؤهم من قبل. ١٨: لقد نبذتم الصخر الذى أنجبكم ونسيتم الله الذى أنشأكم (وهذا حالهم وحال دولتهم الحالية).

﴿لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الإسراء: ٧).

١٩: فرأى الرب ذلك ورذلهم، إذ أثار أبناؤه وبناته غيظه. ٢٠: وقال: سأحجب وجهى عنهم فأرى ماذا سيكون مصيرهم؟ إنهم جيل متقلب وأولادُ خونة. ٢١:... لذلك سأثير غيرتهم بشعب متوحش (أولى بأس شديد)، وأغيظهم بأمة حمقاء (أمة لا تفهمون لغتها) ٢٠: فها قد أضرم غضبى نارا، تُحرق حتى الهاوية السفلى، وتأكل الأرض وغلاتها، وتحرق أسس الجبال. ٢٣: أجمع عليهم شرورا، وأُنفذ سهامى فيهم. ٢٤: أجعل أنياب الوحوش، مع حمّة زواحف الأرض تنشب فيهم. ٢٥: يثكلهم سيف العدو فى الطريق، ويستولى عليهم الرعب داخل الخدور، فيهلك الفتى مع الفتاة، والرضيع مع الشيخ. ٢٦: قلت: أشتّتهم فى زوايا الأرض، وأمحو من بين الناس ذكرهم (أى فى المرة الأولى). ٢٧: لولا خوفى من تبجح العدو، إذ يظنون قائلين: إن يدنا قد عَظُمت (أعداء بنى إسرائيل)، وليس ما جرى من فِعل الرب.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ (الإسراء: ٧).

٣٢: ٢٨ إن بنى إسرائيل أمة غبية ولا بصيرة فيهم (لا يعقلون ولا يفقهون). ٢٩: لو عقلوا لفطنوا لمآلهم وتأملوا فى مصيرهم. ٣٢: إذ أن

كرمتهم من كرمة سدوم، ومن حقول عمورة، (تشيه إفسادهم وإصرارهم، بإفساد قوم لوط وإصرارهم) وعنبهم ينضح سمّا، وعناقيدهم تفيض مرارة، ٣٣: خمرهم حمّة الأفاعى، وسمُّ الثعابين المميت ٣٢: ٣٤ أليس ذلك مدخرا عندى، مختوما عليه فى خزائنى، ٣٥: لى النقمة وأنا أُجازى، فى الوقت المعين (مجىء الوعد)، تزلّ أقدامهم، فيوم هلاكهم بات وشيكا، ومصيرهم المحتوم يُسرع إليهم، (كلما أمعنوا فى الإفساد كلما اقترب موعد هلاكهم).

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ (الإسراء: ٨).

«٣٦: لأن الرب يدين شعبه (بنى إسرائيل) ويرأف بعبيده، عندما يرى أن قوّتهم قد اضمحلت (زالت، بعد المرة الثانية)....».

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾ (الإسراء: ٥٦).

«٣٢: ٣٧ عندئذ يسأل الرب: أين آلهتهم؟ أين الصخرة التى التجأوا إليها؟ ٣٨: لتهبّ لمساعدتكم، وتبسط عليكم حمايتها، ٣٩: انظروا الآن: إنى أنا هو وليس إله معى، أنا أميت وأحيى، أسحق وأشفى، ولا منقذ من يدى،... ٤١: إذا سننت سيفى البارق، وأمسكتُ به يدى للقضاء، فإنى أنتقم من أعدائى وأجازى مبغضىّ، ٤٢: أُسكر سهامى بالدم ويلتهم سيفى لحما، بدم القتلى والسبايا، ومن رؤوس قواد العدو (قادة إسرائيل)،....».

موسى عليه السلام يُخبر بنص النبوءة قبل موته:

«٣٢: ٤٥ وعندما انتهى موسى، من تلاوة جميع كلمات هذا النشيد على الإسرائيليين، ٤٦: قال لهم: تأمّلوا بقلوبكم فى جميع الكلمات، التى أنا أشهد عليكم بها اليوم، لكى توصوا بها أولادكم، ليحرصوا على العمل بكلمات هذه التوراة كلها، ٤٧: لأنها ليست كلمات لا جدوى لكم منها، إنها حياتكم وبها تعيشون طويلا، فى الأرض التى أنتم عابرون نهر الأردن إليها لترثوها... ٣٤:

٥ : فمات موسى عبد الرب، فى أرض موآب (حسب) قول الرب».

نلاحظ هنا أن النبوءة. اعتراها بعض التشويه من حذف أو إضافة أو تبديل، ولكنها حافظت على خطوطها العريضة، ونلاحظ أيضا أنها فصلت المرتين كل منهما على حدة.

■ ■ ■

حيثيات نفاذ الوعد الأول
فى الأسفار الأخرى

التوراة كمرجع تاريخى غير موثوق به:

يرجّح كثير من الناقدين والباحثين الغربيين، من الذين وضعوا التوراة تحت المجهر، كونها العهد القديم من كتابهم المقدس، أنها كتبت بأيدى بشر، وذلك لما تحفل به من خرافات وأساطير، ولتناقضها مع العهد الجديد (الإنجيل)، وتناقضها مع المنطق والواقع، وتناقضها أيضا، مع المصادر التاريخية الأخرى فى مواضع عديدة، ويُجمع الكثير منهم أن كتابتها وجمعها، قد تم بعد السبى البابلى، وجاء القرآن ليكشف الكثير من أكاذيبها وافتراءاتها، ومن خلال اطّلاعى عليها، تبين لى أن من قام بإعادة كتابة التوراة، هم أشخاص مشبعون بمشاعر الحقد والقهر والنقمة والرغبة فى الانتقام، وكل هذه المشاعر، موجهة بالترتيب نحو:

١ ـ رب العزة جلّ وعلا، (يقولون إن يعقوب عليه السلام صرع الله فى البرية، واستطاع الله النجاة بعضّ يعقوب فى فخذه، فسبب له عرق النَّسا، ومن أجل ذلك لا يأكل اليهود عرق النسا الذى فى الفخذ، سفر التكوين ٣٢: ٢٤ ـ ٣٢، ويقولون عنه سبحانه أنه كثير البكاء وكثير الندم على ما أنزله بشعبه المقدس، ولذلك كانوا وما زالوا يعتقدون، أن الله سيصلح خطأه معهم، بإعادتهم إلى وطنهم، الذى طُردوا منه بلا ذنب أو خطيئة، فالخطأ منسوب إلى الله ورسله وملائكته والشعوب المجاورة، أما شعب الله المقدّس، فليس له خطيئة فهو حمل وديع، وهذا نوع من الإسقاط النفسى، لعظم الخطيئة، وفداحة العقاب الذى وقع منهم وبهم).

٢ ـ الرسل والأنبياء، (يقولون إن موسى وهارون خانا الرب وسط الشعب التثنية : ٣٢: ٥٠ ـ ٥١، وهارون هو الذى صنع العجل الذهبى. الخروج ٣٢: ١ ـ ٦، وداود ارتكب خطيئة الزنا مع زوجة الجندى: صموئيل الثانى، ١١: ١ ـ ٢٧، وسليمان عبد آلهة أخرى، وفعل الشرّ فى عينى الرب، كما فعل أبوه؛ ملوك أول ١١: ١ ـ ٨).

٣ ـ الكنعانيون القدماء وورثتهم الجدد (الفلسطينيون)، (سفر التكوين ٩: ٢٠ ـ ٢٧: واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خيمته، فشاهد حام أبو الكنعانيين عُرىّ أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا فى الخارج، فأخذ سام ويافث، رداءً ووضعاه على أكتافهما، ومشيا القهقرى إلى داخل الخيمة، وسترا عورة أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيُبصرا عورته. وعندما أفاق نوح من سكره، وعلم ما فعله ابنه الصغير، قال: ليكن كنعان ملعونا، وليكن عبد العبيد لإخوته، ثم قال: تبارك الله إله سام، وليكن كنعان عبدا له، ليوسع الله ليافث، وليكن كنعان عبدا له).

٤ ـ الكلدانيون فى بابل، وورثتهم الجدد (العراقيون)، (وأحقادهم على بابل وأهلها، أُفرد الحديث عنها فى موضع آخر).

٥ ـ جميع شعوب الأرض ما عدا اليهودى الصرف. (والأمثلة على ذلك موجودة فى أسفار موسى، ونصوص التلمود).

٦ ـ سبط بنيامين الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام.

وكل مشاعر الحقد والرغبة فى الانتقام ممن ذُكروا أعلاه، أفرغها الكتبة (الكهنة والحكماء) فى كتابهم المقدس (التوراة)، فأعادوا جمعها ونسخها، تحت وطأة انفعالات نفسية رهيبة، وفبركة جميع أسفارها، بما يتناسب مع تلك المشاعر، بعد السبى البابلى، أكبر فاجعة أُصيب بها

بنو إسرائيل والأكثر إيلاما على مرّ التاريخ.

وتبين لى أن هناك تطويلا وتكرارا غير مبرر، لنفس الحدث أو الموضوع، وأحيانا يكون هذا التكرار، لنفس السفر كاملا تحت مسميين، مثل أسفار أخبار الأيام وأخبار الملوك، مع اختلاف بسيط، وأحيانا لنفس الفقرة فى نفس السفر، وهذا التكرار يدل على أن نصوص التوراة جُمعت، على الأقل من مصدرين مختلفين، وأُخذت النصوص منهما، وجُمعت فى كتاب واحد، دون تفضيل نص على آخر، فالحدث الواحد أحيانا يتكرّر مرتين وثلاثة، دون وجود فارق جوهرى فى المضمون.

وبعد أن قمت بمطالعة التوراة بشكل مُتكرّر، تأكدت من هذه الحقيقة، التى لم يكن قد تنبّه لها الباحثون والناقدون من قبل، وهى أن التوراة قد جمعت فعلا، من نسختين مُختلفتين، وأن إحدى النسختين حُرّفت أكثر من الأخرى، وأن لغة كل منهما تختلف عن الأخرى، فغالبا ما يكون هناك مُسمّيين لنفس الشخص أو المكان، حتى يخال للقارئ أنها أسماء لشخوص أو أماكن مختلفة، وكمثال على ذلك إبرام وإبراهيم، وساراى وسارة، وصحراء سين وصحراء سيناء، ومملكة يهوذا ومملكة إسرائيل، والسبى البابلى والسبى الآشورى، وهذا الارتباك الذى وقع فيه مؤلفو التوراة المتأخرون، أثناء محاولة التوفيق بجمع ما جاء فى النسختين، تسبب فى هذا العرض التأريخى المشوّه للوقائع، مما أفقد التوراة مصداقيتها حتى للكثيرين من الباحثين اليهود أنفسهم، ولكل من بحث من علماء التنقيب والآثار، ولكنها بقيت المرجع التاريخى الوحيد لتاريخ بنى إسرائيل.

وفى كثير من الأحيان، تشعر بسخافة كتابها، من سخافة أفكارها وأخبارها، وسخافة تبريرها وتعليلها، كقصة عرق النسا وصراع يعقوب مع الله، وفبركة قصة نوح وأولاده السابقة، ناهيك عن ألفاظها البذيئة، التى أحيانا تترفع عن كتابتها حتى الروايات الهابطة، ورائحة اللحوم والدماء،

والخمور والمشاوى والهش والنش... إلى آخره، وما يربط التوراة بالوحى، هو ما يظهر فى ثناياها من خطوط عريضة، هى البقية الباقية التى سلمت من أيديهم، رغمـا عن أنوفهم، وهذا لا يعنى ألا نقرأ هذا الكتاب، بل على العكس تماما، توجّب على المسلمين قراءته، وقراءة التلمود أيضا منذ أمد بعيد، وقراءة ما كُتب فيهما من مؤلفات ناقدة، لمعرفة العقلية التى يفكر بها هؤلاء، ولمعرفة ما يطمحون إليه.

مملكة شمالية ومملكة جنوبية:

تقول الأسفار التاريخية فى التوراة، بأن مملكة سليمان، انقسمت بعد موته إلى مملكتين، جنوبية فى القدس واسمها يهوذا (القدس) وهى الأصل، وشمالية واسمها إسرائيل (نابلس) وهى المنشقة.

وصف فساد المملكة الشمالية:

يذكر كتبة التوراة، أن المملكة الشمالية فسدت وأفسدت، (ملوك أول: ١٢ : ٢٥ ـ ٣٣) «وحصّن يربعام (ملك الشمالية) مدينة شكيم (نابلس)، فى جبل أفرايم وأقام فيها،... وبعد المشاورة سبك الملك عجليّ ذهب، وقال للشعب: إن الذهاب إلى أورشليم للعبادة، يعرضكم لمشقة عظيمة، فها هى آلهتك يا إسرائيل، التى أخرجتك من ديار مصر».

وأما إفسادهم حسب ما يروونه هم عن أنفسهم، فقد جاء فى سفر الملوك الثانى ما نصه، «١٧ : ٩: وارتكب بنو إسرائيل فى الخفاء المعاصى، فى حقّ الرب إلههم،.. ١١: واقترفوا الموبقات لإغاظة الرب، عابدين الأصنام التى حذّرهم ونهاهم الربّ عنها،.. ١٣: قائلا: ارجعوا عن طرقكم الأثيمة، وأطيعوا وصاياى وفرائضى بمقتضى، التى أوصيت آبائكم بتطبيقها،.. على لسان عبيدى الأنبياء، ١٤: لكنهم أصمّوا آذانهم، وأغلظوا قلوبهم كآبائهم،.. ١٦: ونبذوا جميع وصايا الرب، ١٧:.. وتعاطوا العرافة والفأل (السحر والكهانة)،... ٢٢: ولم يعدل الإسرائيليون عن ارتكاب جميع خطايا يربعام،

بل أمعنوا فى اقترافها، ٢٣: فنفى الرب إسرائيل من حضرته، كما نطق على لسان جميع الأنبياء، فسبى الإسرائيليون إلى أشور، إلى هذا اليوم» (أى اليوم الذى كتبوا فيه هذا النص بعد السبى بمدة طويلة).

وصف فساد المملكة الجنوبية:

وأما ما يُنسب من إفساد إلى ملوك المملكة الجنوبية، فقد جاء فى نفس السفر ما نصه، «٢١: ٢: وارتكب الشرّ فى عينىّ الربّ، مقترفا رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل، ٣:... وأقام مذابح البعل، ونصب تماثيل عشتاروت (مدينة بابلية)، وسجد لكواكب السماء وعبدها، ٦: ولجأ إلى أصحاب الجانّ والعرّافين، وأوغل فى ارتكاب الشرّ،... ١٠: ثم قال الرب على لسان عبيده الأنبياء: لأن منسّى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات، وأضلّ يهوذا... ١٢:... ها أنا أجلب شرا على أورشليم ويهوذا، ١٣:... وأمسح أورشليم كما يمسح الطبق من بقايا الطعام، ١٤: وأنبذ شعبى وأسلمهم إلى أيدى أعدائهم، فيصبحون غنيمة وأسرى لهم، ١٥: لأنهم ارتكبوا الشرّ فى عينى،... ١٦: وزاد منسّى فسفك دم أبرياء كثيرين، حتى ملأ أورشليم من أقصاها إلى أقصاها، فضلا عن خطيئته التى استغوى بها يهوذا،...».

وتخبر التوراة أن الحروب استمرت بين المملكتين، واستعانة المغلوب بالأقوام المجاورة على الآخر، إلى أن جاء الغزو الآشورى، وسبى المملكة الشمالية ٧٢١ ق. م.

وتتابعَ الملوك الجنوبيون فى ارتكاب الشرّ فى عينىّ الرب (حسب قولهم)، وفى عهد الملك يهوياقيم، هاجم نبوخذ نصر (بختنصر) مملكة يهوذا وخضعت له ثلاث سنوات، ثم تمردّ عليه (يهوياقيم)، «٢٤: ٢: فأرسل الرب غزاة من كلدانيين وأراميين وموآبيين وعمّونيين (سكان العراق والأردن القدماء)، للإغارة على مملكة يهوذا وإبادتها، بموجب ما قضى به الرب،

على لسان عبيده الأنبياء، ٤: وانتقاما للدم البرىء الذى سفكه (منسّى)، إذ أنه ملأ أورشليم بدم الأبرياء....».

وفى عهد الملك (يهوياكين) «٢٤: ١٠:... زحف قادة نبوخذ نصر ملك بابل على أورشليم، وحاصروا المدينة، ثم جاء نبوخذ نصر بنفسه وتسلّم زمام القيادة، فاستسلم (يهوياكين)... واستولى على جميع ما فى خزائن الهيكل والقصر،...، تماما كما قضى الرب، ١٤: وسبى نبوخذ نصر أهل أورشليم،» (وكما يقولون أنه ولّى ابن عم الملك خلفا له، وسمّاه صدقيّا. وبعد سنوات ارتكب صدقيّا الشر فى عينى الرب كالعادة، وتمرّد على ملك بابل، وآنذاك)، «٢٥: ١: زحف نبوخذ نصر ملك بابل، بكامل جيشه على أورشليم وحاصرها،... ٣: تفاقمت المجاعة فى المدينة، حتى لم يجد أهلها خبزا يأكلونه، ٦: فأسروا الملك (الذى كان ينوى الهرب) واقتادوه إلى ملك بابل،... ثمّ قتلوا أبناء صدقيّا على مرأى منه، وقلعوا عينيه، وساقوه إلى بابل،... ٩: وأحرق الهيكل وقصر الملك وسائر بيوت أورشليم، وسبى نبوزرادان (قائد الحرس الملكى) بقية الشعب... ١٢١، ولكنه ترك فيها فقراء الأرض المساكين. ١٣: وحطم الكلدانيون أعمدة النحاس وبركة النحاس... إلى آخره، (كل محتويات الهيكل ونقلوها إلى بابل)، ١٨: وسبى رئيس الحرس الملكى (سرايا رئيس الكهنة وأعوانه وقادة الجيش وندماء الملك، وفى المجمل هم علية القوم وزمرة الفساد والإفساد فى الأرض) فقتلهم ملك بابل فى المعسكر فى أرض حماة (المدينة السورية)، وهكذا سُبى شعب يهوذا من أرضه».

فما أطول باله هذا النبوخذ نصر، حتى يزحف عليهم مرارا وتكرارا. والحقيقة أنه زحف عليهم مرة واحدة، وبشكل مفاجئ فأباد مملكتهم، وما هذا التطويل والتكرار، إلا من صنع أيدى الكتبة، وما (يهوياقيم) و(يهوياكين)، إلا تسميتين لنفس الملك الذى حصل فى عصره السبى البابلى.

مملكة واحدة وبعث واحد:

ما تقدم من نصوص، كان من الأسفار، التى يُسمّونها الأسفار التاريخية، التى أرخت لعصر الملوك، ابتداءً من طالوت وداود وسليمان، وانتهاءً بيهوياكين الذى وقع السبى البابلى فى عصره. والحقيقة أنه لم يكن هناك مملكتان، ولم يكن هناك سبيان، وإنما مملكة واحدة وسبى واحد. ولكن نتيجة كتابة التوراة بتلك الطريقة المزدوجة، أصبحت المملكة مملكتين، وأصبح الزحف البابلى زحفين، ولحل الإشكال قولبوه فى زمانين مختلفين.

أما ادّعاء انقسام المملكة، فالقرآن أثبت بطلانه فى موضعين، أولا؛ ذُكر العلو مرتين كأمة فى زمانين مختلفين، ثانيا ؛ الآية التى تتحدث عن سفكهم دماءهم وإخراجهم أنفسهم، تؤكد أن ذلك لم يكن انشقاقا فى الحقيقة، بل كان ذلك قتلا وإخراجا وسلبا، لطائفة مستضعفة من قومهم، وفى الحقيقة، وقع هذا الفعل، فى سبط الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام، الذى تُسميه التوراة (ببنيامين)، وما كان بإمكان هؤلاء، إقامة دولة فى أراضى الكنعانيين المجاورة، التى لجأوا إليها، وما كانت حروبهم مع المملكة الأم، إلا ضمن جيوش الكنعانيين وهو الأرجح، أو كثوّار لاسترداد أسلابهم وديارهم.

وربما أن بعضهم استنجد بالبابليين، كنوع من الانتقام، (بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتّى) فاستجابوا لهم، وربما كان ذلك طمعا فى كنوز هيكل سليمان، والله أعلم. حيث لم يأت أى ذكر فى التاريخ للسبى الآشورى، لعشرة أسباط (قبائل) من المملكة الشمالية، حسب ما يدّعى مؤلفو التوراة، حتى إن بعض الباحثون الذين صدّقوا التوراة، يتساءلون عن كيفية اختفاء تلك القبائل، التى سُبيت إلى مدينة أشور برمتها، ومن المرجّح أن اختراع قصة المملكة الثانية وسبيها، هو أحد مظاهر الإسقاط النفسى، لمن عوقبوا، على الذين لم يُعاقبوا، من الذين أُخرجوا من ديارهم رغم أنوفهم، تجنبا وتخفيفا للشعور بالألم، كلما طرأ على مخيلتهم تلك الذكرى

الأليمة. ويحصل هذا عادة على المستوى الشخصى، فور تعرض الشخص لحادثة مؤلمة. فيعزو الأخطاء التى تسببت فى الحادثة إلى الآخرين.

تحذيرات الأنبياء من الإفساد:

جاء التحذير من الاستهانة بنص النبوءة، ومغبة الإفساد عند العلو، والتخويف من العقاب، التى كانت بدايتها نصا فى كتاب موسى عليه السلام، وعلى لسان كل الأنبياء المتعاقبين، داعين إلى الالتزام بشريعة موسى، ومحذّرين من تركها ومخالفتها على مدى عمر مملكتهم، بدءا من سليمان عليه السلام، وانتهاءً بإشعياء وإرمياء عليهما السلام، إن كانا نبيين.

وهذا هو التحذير الذى جاء على لسان سليمان، بعد انتهائه من بناء الهيكل، الأيام الثانى: «٧: ١٩: ولكن إن انحرفتم ونبذتم فرائضى التى شرعتها لكم، وضللتم وراء آلهة أخرى وعبدتموها وسجدتم لها، ٢٠: فإنى أستأصلكم من أرضى التى وهبتها لكم، وأنبذ هذا الهيكل الذى قدّسته لاسمى (جعلته قائما لذكرى)، وأجعله مثلا ومثار هُزءٍ لجميع الأمم، ٢١: ويغدو هذا الهيكل الذى كان شامخا، عبرة يُثير عجب كل من يمرّ به».

وبالإضافة إلى ما تقدم، هذا عرض لجزء يسير، من النصوص الكثيرة والمطوّلة والمكرّرة، لما جاء فى أسفار بعض أنبيائهم (الكبار)، اخترناها لتكتمل معالم الصورة من الجانب الآخر.

تحذيرات إشعياء:

إشعياء هو أول الأنبياء الكبار وهم أربعة، ويُقال أنه بُعث فى فترة، بلغ فيه إفساد بنى إسرائيل الذروة، قبل وقوع السبى البابلى، حيث إن سِفْره، جاء حافلا بالتقريع والتوبيخ والتحذير والإنذار، والتذكير بنص النبوءة الذى جاء به موسى، ويروى أنه من الأنبياء الذين قُتلوا (التعريف بأصحاب الأسفار من الأنبياء، مستقاة من مقدمة المترجم لكل سفر):

«١ : ٤ : ويل للأمة الخاطئة، الشعب المثقل بالإثم، ذرية مرتكبى الشرّ، أبناء الفساد. ١٠ : اسمعوا كلمة الرب يا حكام سدوم (قرية لوط)،... ١٥ : عندما تبسطون نحوى أيديكم أحجب وجهى عنكم، وإن أكثرتم الصلاة لا أستجيب، لأن أيديكم مملوءة دما، ١٦ : اغتسلوا، تطهّروا، أزيلوا شرّ أعمالكم من أمام عينى، كفوا عن اقتراف الإثم، ١٧ : وتعلّموا الإحسان، انْشدوا الحقّ، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، ودافعوا عن الأرملة،... ١٩ : إن شئتم وأطعتم، تتمتعون بخيرات الأرض، وإن أبيتم وتمرّدتم فالسيف يلتهمكم، لأنّ فم الربّ قد تكلّم» (ويستطرد واصفا حال المدينة آنذاك)، «٢١ :... كانت تفيض حقّا، ويأوى إليها العدل، فأصبحت وكرا للمجرمين، ٢٢ : صارت فضّتك مزيّفة، وخمرك مغشوشة بماء، ٢٣ : أصبح رؤساؤك عصاة، وشركاء لصوص، يُولعون بالرشوة ويسعون وراء الهبات، لا يدافعون عن اليتيم، ولا تُرفع إليهم دعوى الأرملة».

«٣ : ٨ : قد كَبَت (وقعت) أورشليم، انهارت يهوذا (المملكة)، لأنهما أساءتا بالقول والفعل إلى الرب، وتمرّدتا على سلطانه، ٩ : ملامح وجوههم تشهد عليهم، إذ يجاهرون بخطيئتهم كسدوم ولا يسترونها، فويل للذين جلبوا على أنفسهم شرّا، ١٠ : ولكن بشّروا الصدّيقين بالخير، لأنهم سيتمتعون بثواب أعمالهم، ١١ : أمّا الشرير فويل له وبئس المصير، ١٢ :... إن قادتكم يُضلّونكم ويقتادونكم فى مسالك منحرفة...».

«٤ : ١١ : ويل لمن.. يسعون وراء المُسْكِر.. ١٢ : يتلهّون فى مآدبهم بالعود والرباب والدف والناى والخمر، غير مكترثين بأعمال الربّ.. ١٣ : لذلك يُسبى شعبى لأنهم لا يعرفون، ويموت عُظماؤهم جوعا، وتهلك العامة عطشا.. ١٥ : ويُذلّ الإنسان ويُخفض الناس ويُحطّ كل متشامخ فيها، (الذل بعد العلو).. ١٨ : ويل لمن يجرّون الإثم بحبال الباطل.. ١٩ : ويقولون ليُسرع ويُعجّل بعقابه حتى نراه (انظر الآيات ٩٢، ٩٩ الإسراء و٥٨، ٥٩ الكهف)،

ليُنفذ مقدّس إسرائيل مآربه فينا، فندرك حقيقة ما يفعله بنا، ٢١: ويل للحكماء فى أعين أنفسهم، والأذكياء فى نظر ذواتهم،... ٢٥: لذلك احتدم غضب الرب ضدّ شعبه، فمدّ يده عليهم وضربهم، فارتعشت الجبال، وأصبحت جثث موتاهم كالقاذورات فى الشوارع، ومع ذلك لم يرتدّ غضبه، ولم تبرح يده ممدودة بالعقاب، ٢٦: فيرفع راية لأمم بعيدة، ويصفر لمن فى أطراف الأرض، فيقبلون مُسرعين، ٢٧: دون أن يكلّوا أو يتعثروا أو يعتريهم نُعاس أو نوم،... ٢٨: سهامهم مسنونة، وقسيّهم مشدودة، حوافر خيلهم كأنها صوّان، عجلات مركباتهم مندفعة كالإعصار، ٢٩: زئيرهم كأنه زئير أسد، يزمجر وينقض على فريسته، ويحملها وليس من منقذ، ٣٠: يُزمجرون... كهدير البحر، وإن جاس أحدهم فى البلاد متفرسا، لا يرى سوى الظلمة والضيق، حتى الضوء قد احتجب وراء سحبه..».

«١٠: ١: ويل للذين يسنّون شرائع ظلم، وللكتبة الذين يسجّلون أحكام جور، ٢: ليصدّوا البائسين عن العدل، ويسلبوا مساكين شعبى حقّهم، لتكون الأرامل مغنما لهم، وينهبوا اليتامى، ٣: فماذا تصنعون فى يوم العقاب، عندما تقبل الكارثة من بعيد! إلى من تلجئون طلبا للعون؟ وأين تودعون ثروتكم؟ لم يبق شىء سوى أن تجثوا بين الأسرى، وتسقطوا بين القتلى،... ٢١: وترجع بقية ذرية يعقوب إلى الرب القدير، مع أن شعبك يا إسرائيل، فإن بقية فقط ترجع، لأن الله قضى بفنائهم، وقضاؤه عادل».

«٤٦: ٨: اذكروا هذا واتعظوا، انقشوه فى آذانكم أيها العصاة، تذكّروا الأمور الغابرة القديمة، لأنى أنا الله وليس إله آخر، ١٠: وقد أنبأت بالنهاية منذ البداية، وأخبرت منذ القدم، بأمور لم تكن قد حدثت بعد، قائلا: مقاصدى لا بد أن تتم، ومشيئتى لا بد أن تتحقق، ١١: أدعو من المشرق الطائر الجارح، ومن الأرض البعيدة برجل مشورتى، قد نطقت بقضائى، ولا بد أن أُجريه،... ١٢: أصغوا إلىّ يا غلاظ القلوب، أيها البعيدون عن البرّ،

١٣: لقد جعلت أوان برّى قريبا، لم يعد بعيدا، وخلاصى لا يُبطئ..».

«٣٠: ١٥ ـ ١٧: لأنه هكذا قال الرب، قدّوس إسرائيل: إنّ خلاصكم مرهون بالتوبة والركون إلىّ، وقوّتكم فى الطمأنينة والثقة بى، لكنكم أبيتم ذلك، وقلتم: لا بل نهرب على الخيل، أنتم حقّا تهربون، لهذا فإن مطارديكم يُسرعون فى تعقّبكم، يهرب منكم ألف من زجرة واحد، وتتشتّتون جميعا من زجرة خمسة، حتى تُتركوا كسارية على رأس جبل..».

نلاحظ أن إشعياء يدعو إلى التوبة والإصلاح، ويصف ما وصل ببنى إسرائيل من إفساد، ويذكّرهم ويحذّرهم، ويعيد إلى أذهانهم، مضمون تلك النبوءة، التى جاءت فى أسفار موسى، ونصوص إشعياء لم تحمل فى طياتها تصريحا عن ماهية المبعوثين، سوى أن الفقرة الأخيرة، ذكرت جهة مخرج البعث، وربما يكون ذلك إضافة من مؤلفى التوراة.

تحذيرات ارميا:

ارميا هو ثانى الأنبياء الكبار، ويُقال إن هذا النبى، عاش فى الفترة ما قبل وما بعد، التى وقع فيها السبى البابلى، وكان فحوى رسالته: دعوة قومه إلى التوبة والعودة إلى الله، والتخلى عن الأوهام، وتقدير الله حقّ قدره، فلا ملجأ منه إلا إليه، ولا يردّ غضبه قوة أو مال أو جاه. وقد وُصف هذا النبى (بالنبى البكّاء)، من كثرة بكائه على قومه، بعد وقوع الكارثة التى طالما حذّرهم منها، فلم يستجيبوا له.

«٧: ٢: اسمعوا كلام الرب... ٣: قوّموا طرقكم وأعمالكم فأُسكنكم فى هذا الموضع، ٤: لا تتكلوا على أقوال الكذب (النفاق)، ٥: لكن إن قوّمتم حقّاً طرقكم وأعمالكم، وأجريتم قضاءً عادلا فيما بينكم، ٦: إن لم تجوروا على الغريب واليتيم والأرملة، ولم تسفكوا دما بريئا... وإن لم تضلّوا وراء الأوثان، ٧: عندئذ أُسكنكم فى هذا الموضع... إلى الأبد ٨: ها أنتم قد

اتكلتم على أقوال الكذب (نافقتم)، ولكن من غير جدوى، ٩: أتسرقون وتقتلون وتزنون، وتحلفون زورا وتبخّرون للبعل (الصنم)، ١٠: ثم تمثلون فى حضرتى...هل أصبح هذا الهيكل (الذى أُقيم لذكرى) مغارة لصوص؟!... ٢٠: لذلك يُعلن الرب: ها غضبى وسخطى ينصبّان على هذا الموضع..».

«٨: ٧: إن اللقلق فى السماء يعرف ميعاد هجرته، وكذلك.... أمّا شعبى فلا يعرف قضاء الرب! ٨: كيف تدّعون أنكم حكماء، ولديكم شريعة الرب، بينما حولها قلم الكتبة المخادع إلى أُكذوبة؟! سيلحق الخزى بالحكماء، ويعتريهم الفزع والذهول، لأنهم رفضوا كلمة الرب، إذ أى حكمة فيهم؟! لذلك أُعطى نساءهم لآخرين، وحقولهم للوارثين القاهرين، لأنهم جميعهم من صغيرهم إلى كبيرهم مولعون بالربح، حتى النبى والكاهن يرتكبان الزور فى أعمالهما، ويعالجون جراح شعبى باستخفاف، قائلين: سلامٌ، سلامٌ، فى حين لا يوجد سلام، هل خجلوا عندما ارتكبوا الرجس؟! كلا ! لم يخزوا قطّ، ولم يعرفوا الخجل، لذلك سيسقطون بين الساقطين، وحين أُعاقبهم يُطوّح بهم، يقول الرب».

«١٠: ٢٢: اسمعوا، ها أخبار تتواتر عن جيش عظيم، مقبل من الشمال، ليحوّل مدن يهوذا، إلى خرائب ومأوى لبنات آوى».

«٦: ٢٢: انظروا، ها شعبٌ زاحف من الشمال، وأمّة عظيمة تهبّ من أقاصى الأرض، تسلّحتْ بالقوس والرمح، وهى قاسية لا ترحم، جلبتها كهدير البحر، وهى مقبلة على صهوات الخيل، قد اصطفّت كإنسان واحد، لمحاربتك يا أورشليم، سمعنا أخبارهم المرعبة فدبّ الوهن فى أيدينا، وتوّلانا كرب وألم، كألم امرأة تعانى المخاض، لا تخرجوا إلى الحقل، ولا تمشوا فى الطريق، فللعدوّ سيف، والهول مُحدّق من كل جهة، فيا أورشليم ارتدى المسوح، وتمرّغى فى الرماد، ونوحى كمن ينوح على وحيده، وانتحبى نحيبا مرا، لأن المُدمِّر ينقض علينا فجأة، إنى أقمتك مُمتَحنا للمعدن (إقامة

مملكتهم كان لامتحانهم)، وجعلت شعبى مادةً خام، لكى تعرف طرقهم وتفحصها، فكلّهم عصاة متمرّدون ساعون فى النميمة، هم نحاس وحديد، كلهم فاسدون».

«٢٣ : ٣: وأجمع شتات غنمى من جميع الأراضى، التى أجليتها إليها، وأردّها إلى مراعيها، فتنمو وتتكاثر، وأُقيم عليها رعاة يتعهّدونها، فلا يعتريها خوف من بعد، ولا ترتعد ولا تضل، ها أيام مقبلة أُقيم فيها لداود ذريّة برّ، ملكا يسود بحكمة، ويجرى فى الأرض عدلا وحقّا، فى عهده يتمّ خلاص شعب يهوذا، ويسكن شعب إسرائيل آمنا».

«٣٠ : ٣: ها أيام مقبلة أردّ فيها سبى شعبى... وأعيدهم إلى الأرض التى أعطيتها لآبائهم فيرثونها، (ثم يقول): سمعنا صراخ رعب، عم الفزع وانقرض السلام،... ما أرهب ذلك اليوم، إذ لا مثيل له، هو زمن ضيق على ذرية يعقوب، ولكنها ستنجو، فى ذلك اليوم، يقول الرب القدير: أُحطّم أنيار أعناقهم وأقطع رُبطَهم (أى أرفع قيود العبودية والذل عنهم) فلا يستعبدهم غريب فيما بعد، بل يعبدون الرب إلههم، وداود ملكهم الذى أُقيمه عليهم (شرك بالله)،... فيرجع نسل إسرائيل، ويطمئنُّ ويستريح، من غير أن يُضايقه أحد،... فأبيدُ جميع الأمم التى شتّتتكَ بينها، أمّ أنت فلا أُفنيك أُؤدّبك بالحق، ولا أُبرّئك تبرئة كاملة،... (الخطاب موجّه لأورشليم) إن جرحك لا شفاء له، وضربتك لا علاج لها، إذ لا يوجد من يدافع عن دعواك،... قد نسيك محبّوك، وأهملوك إهمالا، لأنى ضربتك كما يَضربُ عدوّ، وعاقبتكِ عقابَ مبغض قاس، لأن إثمك عظيمٌ وخطاياك متكاثرة،... لهذا أوقعتك بالمحن، ولكن سيأتى يومٌ يُفترس فيه جميع مُفترسيك، ويذهب جميع مضايقيك إلى السبى، ويصبح ناهبوك منهوبين، لأنى أردّ لك عافيتك وأُبرئ جراحك».

النصوص الأخيرة أعلاه، من النصوص المضلّلة، التى شكّلت قناعات

ومعتقدات، عامّة اليهود حكماءً ومغفلين، وملخصها أنهم فى المرة الثانية، سيقيمون لهم دولة فى أرض الميعاد، ويُبعث لهم ملك من نسل داود ﷺ، يحكم الأرض كلها بالحق والعدل، وليس فلسطين فقط، ففلسطين لا تتسع لأحلامهم وأوهامهم وهلاوسهم وأمانيّهم، وينعم اليهود تحت حكمه، بالسلام والأمن إلى الأبد (فلا بعثا ولا نشورا)، ويكون فيها اليهود أسيادا، وباقى خلق الله عبيدا تحت أقدامهم.

لقد أضاع كتبة التوراة الحقيقة، وظلموا أجيالهم القادمة من حيث لا يعلمون، فكذبوا الكذبة وصدّقها أبناؤهم، وأصبحت من صميم معتقداتهم، فالمعاصرون من اليهود والنصارى، يتعاملون مع كل نصوص التوراة، بغثها وسمينها، على أنها من عند الله، ولا مجال لتكذيبها.

يقولون إن النص التالى، هو رسالة من إرمياء إلى المسبيين فى بابل، يُخبرهم فيها أن مقامهم هناك سيكون طويلا، وينصحهم فيها بأن يُقيموا فيها ويبنوا بيوتا، ويتزوجوا ويتكاثروا، وهذا جزء من نصها:

«٢٩ : ١٠: ولكن بعد انقضاء سبعين سنة عليكم فى بابل، ألتفت إليكم وأفى لكم بوعودى الصالحة، بردِّكم إلى هذا الموضع، لأنى عرفت ما رسمته لكم، إنها خطط سلام لا شرّ، لأمنحكم مستقبلا ورجاء،... وحين تجدوننى، أردُّ سبيكم، وأجمعكِم من بين جميع الأمم، ومن جميع الأماكن التى شتّتكم إليها،...».

فى الحقيقة أن كتبة التوراة، كانوا يعتقدون أن عودتهم الجزئية، من بابل إلى أورشليم، بعد (٧٠) سنة من السبى، فى عهد كورش الفارسى كما يُروون، هى العودة الثانية التى سيتحقق فيها، النصف الثانى من نبوءة موسى وإشعياء وارميا، ومنذ ذلك اليوم وهم ينتظرون، أن يُبعث فيهم (الملك الإله) ليُقيم لهم دولة فى القدس، فلم يكن لهم ذلك، ويروى أن الذين رجعوا من بابل، أعادوا بناء الهيكل، مع معارضة المقيمين. وطال انتظارهم، وبين

عامىّ (٣٧ق. م - ٧٠م) أى مائة سنة تقريبا، حصلوا على حكم ذاتى محدود (المملكة الهيرودية، وكان الملك من أصل يهودى آرامى)، تحت التاج الرومانى، وفى زمانهم تواجد زكريا ويحيى، وبُعث إليهم عيسى عليه السلام، فتآمروا عليه ودفعوه إلى الرومان، لقتله وصلبه، - كما يدعون - حيث كانت سلطة القتل فى أيدى الرومان الوثنيين.

وبعد زوال مملكتهم على يد (نبوخذ نصر) البابلى عام ٥٨٦م، وحتى تشتّتهم النهائى على يد (هادريان) الرومانى عام ١٣٥م، أُخرج أغلبية اليهود منها، ولم تقم لليهود فى فلسطين قائمة، وأقصى ما استطاعوا الحصول عليه، هو ذلك الحكم الذاتى، فى بداية الحكم الرومانى لبلاد الشام، حيث قضى هذا الإمبراطور، على أى أمل لهم، فى إعادة إقامة دولتهم الثانية، فكان انتشارهم فى كافة أرجاء العالم.

(ولنكمل النصوص من سفر ارميا)، «٣١: ٨: ها آتى بهم من بلاد الشمال، وأجمعهم من أقصى أطراف الأرض، وفيهم الأعمى والأعرج، الحبلى والماخض، فيرجع حشد عظيم إلى هنا».

«٣١: ٢٧: ها أيام مقبلة، يقول الرب، أُكثّر فيها ذرية إسرائيل ويهوذا، وأُضاعف نتاج بهائمهم أضعافا، وكما تربّصت بهم لأستأصل، وأهدم وأنقُض وأُهلك وأُسىء، كذلك أسهر عليكم لأبنيكم وأغرسكم».

«٣١: ٣٣: سأجعل شريعتى فى دواخلهم،...، وأكون لهم إلها ويكونون لى شعبا، لأنى سأصفح عن إثمهم، ولن أذكر خطاياهم من بعد».

(وهذا محض افتراء وتحريف، وتتبع هذه الأكذوبة عبارات مبهمة، ومن ثم تُفاجأ بهذه العبارة التى تقول): «عندئذ أَنبذ ذرية إسرائيل من أجل كل ما ارتكبوه»، (لتفهم أن العبارات المبهمة، كانت بدلا من عبارات حذفوها، وهى عبارات مفادها اشتراط الإحسان للثواب والإفساد للعقاب).

«٣١: ٣٨: ها أيام مقبلة، يُعاد فيها بناء هذه المدينة للرب،... ولن تستأصل أو تُهدم إلى الأبد».

بالنظر فى قولهم هذا، وخاصة العبارة الأخيرة، نجد أن مؤلفى التوراة، قضوا على أى أمل لليهود، فى الصلاح الإصلاح فى دولتهم الحالية، حيث أنه شرط أساسىّ فى استمرار وجودهم، فمؤدّى هذه العبارة، أنهم سيقيمون فيها إلى الأبد، بغض النظر عن إصلاحهم أو إفسادهم فيها، لتصبح نهاية دولتهم حتمية فى الموعد المحدّد، وقد لاحظت من خلال تتبعى، لما جاء فى المرة الثانية، أنهم بعد كل عقاب مأساوى يحل بهم، يبدءون بذكر العودة والجمع من الشتات، والبركة والكثرة، ويفيضون فيها وصفا وشرحا، والنتيجة تكون على الدوام هى، انتصار ربهم على أعدائهم ومحقهم عن بكرة أبيهم، وجعل أرضهم صحراء قاحلة، أما هم فيعشون جنة ونعيما، ويكون لهم الملك فى الأرض إلى الأبد، بعد أن رضىَ عنهم ربهم ورضوا عنه.

(وانظر إلى هذه النبوءة فى المرة الثانية على لسان الرب) «٤٢: ١٠: إن أقمتم فى هذه الأرض، فإنى أبنيكم ولا أهدمكم، وأغرسكم ولا أستأصلكم، لأنى أسفت على الشرّ الذى ألحقته بكم (ربهم يأسف)، لا تخشوا ملك بابل، الذى أنتم منه خائفون، فإنى معكم لأخلصكم وأنجيكم من يده (بلا قيد أو شرط)، وأُنعم عليكم، فيرحمكم ويردّكم إلى أرضكم»، (فربهم يأسف، ويحضّهم على عدم الخشية من ملك بابل).

السبى البابلى:

هذا الحدث المشهور تاريخيا والمعروف (بالسبى البابلى)، هو أول وأقسى وأفظع حدث، وقع فى تاريخ اليهود كأمة، أثناء تواجدهم فى فلسطين، من حيث الأذى الجسدى والنفسى، وكان له أبلغ الأثر، فى وجدان وفكر الشعب اليهودى، وليس أدل على ذلك، من أن عدد الصفحات، التى تتطرّق إلى ذكر متعلّقات هذا الحدث، وتفصّله من جميع جوانبه، هو (٣٥٠ ـ ٤٠٠) صفحة،

أى ما يُعادل ثلث التوراة. وقد جاء فى كتاب (الاختراق الصهيونى للمسيحية) للقس إكرام لمعى، ونقلا عن كتاب (تاريخ اليهود) للكاتب (بول جونسون) ما نصه: «وفى بابل لم يعامل اليهود معاملة سيئة، فقد وجدت مخطوطات بجوار عشتاروت - أقدم مدن بابل - وجد فيها قائمة بأسماء المسبيين، ونشاطهم فى بابل، وكان بها اسم (يهوياكين) ملك يهوذا، وبعض الأسماء الأخرى، وموضح بها أن اليهود عملوا بالتجارة، واكتسبوا أموالا كثيرة، وكانت لهم أوضاعهم المتميزة إلى حدّ ما». وأما أشور فيشير نفس الكاتب، إلى عدم وجود أى دليل من ذكر أو أثر، يؤكد رواية سبيهم إليها.

رواية التلمود عن تدمير الهيكل:

نص منقول عن كتاب (التلمود تاريخه وتعاليمه) لظفر الإسلام خان:

«عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها، وفاقت حدود ما يُطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن يُنصتوا لكلمات وتحذيرات ارميا، ترك النبى أورشليم وسافر إلى بلاد بنيامين، وطالما كان النبى لا يزال فى المدينة المقدّسة، كان يدعو لها بالرحمة فنجت، ولكنه عندما هجرها إلى بلاد بنيامين، دمّر نبوخذ نصر بلاد إسرائيل، وحطّم الهيكل المقدّس، ونهب مجوهراته، وتركه فريسة للنيران الملتهبة، وكان نبورذدان الذى آثر البقاء فى ريبله (منطقة سورية بالقرب من حماة)، قد أرسل نبوخذ نصر لتدمير أورشليم».

«وقبل أن يبدأ نبوخذ نصر حملته العسكرية، سعى لمعرفة نتائج الحملة، بواسطة الإشارات نظرا لذهوله، فرمى من قوسه نحو المغرب، فسارت باتجاه أورشليم، ثم رمى مرة أخرى نحو الشرق، لكن السهم اتجهت نحو أورشليم، ثم رمى مرة أخرى، ليتأكد من محل وقوع المدينة المُذنبة، التى وجب تطهيرها من الأرض، وللمرة الثالثة اتجهت سهمه نحو أورشليم، وبعد أن استولى نبوخذ نصر على المدينة، توجّه مع أُمرائه وضباط جيشه، إلى داخل الهيكل، وصاح ساخرا مخاطبا إله إسرائيل: وهل أنت الإله العظيم

الذى يرتعد أمامه العالم؟ ها نحن فى مدينتك ومعبدك!».

«ووجد نبوخذ علامة لرأس سهم، على أحد جدران الهيكل. كأن أحدا قُتل أو أُصيب بها، فسأل: من قُتل هنا؟ فأجاب الشعب: (زكريا بن يهوياداه) كبير الكهنة، لقد كان يُحذّرنا فى كل ساعة من حساب اعتداءاتنا، وقد سئمنا من كلماته، فانتهينا منه. فذبح جنود نبوخذ نصر سكان أورشليم، كهنتها وشعبها، كهولها وشبابها ونساءها وأطفالها، وعندما شاهد كبير الكهنة هذا المنظر، ألقى بنفسه بالنار، التى أشعلها نبوخذ نصر فى الهيكل، وتبعه بقية الكهنة مع عودهم وآلاتهم الموسيقية الأخرى، ثم ضرب جنود نبوخذ نصر السلاسل الحديدية، فى أيدى باقى الإسرائيليين».

«ورجع ارميا النبى إلى أورشليم، وصحب إخوانه البؤساء، الذين خرجوا عرايا، وعند وصولهم إلى مدينة، تُسمى بيت كورو، هيّأ لهم ملابس جيدة، وتكلّم مع نبوخذ نصر والكلدانيين، قائلا لهم: لا تظن، أنك بقوتك وحدها، استطعت أن تتغلّب على شعب الرب المُختار، إنها ذنوبهم الفاجرة، التى ساقتهم إلى هذا العذاب».

نجد أن رواية التلمود أكثر وضوحا من رواية التوراة، حيث إنها لم تذكر مملكتين، وتؤكد أن اسم المملكة الجنوبية، المقام فيها الهيكل هو إسرائيل، وليس يهوذا كما ذُكر فى التوراة. وأن من أسقطوا عليهم اسم إسرائيل والمملكة الشمالية، هم الذين أُخرجوا من ديارهم، ولم يقع فيهم السبى الآشورى المزعوم، وبقوا على حالهم خارج حدود المملكة، حيث يذكر النص التلمودى أن ارميا النبى لجأ إليهم «ترك النبى أورشليم وسافر إلى بلاد بنيامين». وبنيامين حسب التوراة، هو الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام، وهذا يوحى أن الحقد القديم بين الإخوة الآباء، توارثه الأبناء على مرّ العصور، وبأن الأسباط الأخرى القوية، أخرجت سبط بنيامين المستضعف، عندما سيطرت على مقاليد الحكم، بعد سليمان عليه السلام. وبالتالى يُثبت هذا النص

وقوع السبى البابلى، وينفى وقوع السبى المسمى بالآشورى. وأن أشور وبابل آنذاك، تسميتان لمملكة واحدة، عند كتبة التوراة، وأن أحد مصادر التوراة ذكر على أنه بابلى، والأخر ذكره على أنه آشورى، وأما نبوخذ نصر، فتجده أحيانا ملكا، وأحيانا وزيرا أو قائدا للجيش، أو قائدا للحرس.

مقتطفات من رثاء ارميا لشعبه ولأورشيلم بعد السبى البابلى:

(من كتاب مراثى ارميا فى نهاية سفره): «١: كيف أصبحت المدينة الآهلة بالسكان مهجورة وحيدة؟! هذه التى كانت عظيمة بين الأمم، صارت كأرملة! صارت السيدة بين المدن تحت الجزية ! تبكى فى الليل بمرارة، وتنهمر دموعها على خدّيها، لا مُعزّى لها بين مُحبيها، غدر بها جميع خلانها، وأصبحوا أعداءً لها، سُبيت يهوذا إلى المنفى،...، فأقامت شقية بين الأمم،.. تهدّمت جميع أبوابها،.. ارتكبت أورشليم خطيئة نكراء فأصبحت نجسة،...، لم تذكر آخرتها لهذا كان سقوطها رهيبا،.. بدّد الربّ جميع جبابرتى فى وسطى، وألّبَ علىّ حشدا من أعدائى ليسحقوا شُبّانى، داس الربّ العذراء بنت صهيون، كما يُداس العنب فى المعصرة،.. الربّ عادل حقا، وقد تمرّدت على أمره، فاستمعوا يا جميع الشعوب، واشهدوا وجعى، قد ذهب عذاراىَ وشبّانى إلى السبى،.. فَنِىَ كهنتى وشيوخى فى المدينة،.. ها السيف يثكل فى الخارج، ويسود الموت فى البيت...».

«٢: قد هدم الربّ بلا رحمة، جميع مساكن يعقوب،.. وألحق العار بالمملكة وحكّامها، إذ سوّاها بالأرض،.. وتّر قوسه كعدوّ، نصب يمينه كمُبْغِض. ذبح بقسوة كلّ عزيز فى عيوننا،.. وهدم جميع قصورها ودمّر حصونها،.. جلس شيوخ ابنة صهيون على الأرض صامتين، عفّروا رؤوسهم بالرماد، وارتدوا المسوح. وطأطأت عذارى أورشليم رؤوسهن إلى الأرض، كلّت عيناى من البكاء،.. نفّذ الرب قضاءه، وحقق وعيده الذى حكم به منذ الحقب السالفة، هدم ولم يرأف، فأشمت بك الخصوم، وعظّم قوة عدوك،..

انظر يا ربّ وتأمّل،.. قد انطرح الصبيان والشيوخ فى غبار الطرقات، سقط عذارایَ وشُبّانى بالسيف، قد قتلتهم فى يوم غضبك، ونحرتهم من غير رحمة...».

«٣: أنا هو الرجل الذى شهد البلية، التى أنزلها قضيب سخطه،.. ولكن هذا ما أُناجى به نفسى، لذلك يغمرنى الرجاء، من إحسانات الرب، إننا لم نفنَ، لأن مراحمه لا تزول،.. فلماذا يشتكى الإنسان حين يُعاقب على خطاياه؟.. لنفحص طرقنا ونختبرها، ونرجع إلى الرب، لنرفع أيدينا وقلوبنا إلى الله فى السماوات،...».

«٤:.. لأن عقاب إثم ابنة شعبى، أعظم من عقاب خطيئة سدوم، التى انقلبت فى لحظة، من غير أن تمتدّ إليها يد إنسان، كان نُبلاؤها، أنقى من الثلج، وأنصع من اللبن، أجسادهم أكثر حمرة من المرجان، وقاماتهم كالياقوت الأزرق، فأصبحت صورتهم أكثر سوادا من الفحم، فلم يُعرفوا فى الشوارع،.. نفث الربّ كامل سخطه، وصبّ حموّ غضبه، وأضرم نارا فى صهيون، فالتهمت أُسسها،.. عقابا لها على خطايا أنبيائها، وآثام كهنتها، الذين سفكوا فى وسطها دماء الصدّيقين،.. آذنت نهايتنا، وتمّت أيامنا، وأزفت خاتمتنا، كان مُطاردونا أسرع من نسور السماء، تعقّبونا على الجبال، وتربّصوا بنا فى الصحراء،...».

«٥: اذكر يا ربّ ما أصابنا، انظر وعاين عارنا، قد تحوّل ميراثنا إلى الغرباء، وبيوتنا إلى الأجانب، أصبحنا أيتاما لا أب لنا، وأمهاتنا كالأرامل،.. داس مُضطهدونا أعناقنا، أُعيينا ولم نجد راحة، خضعنا باسطين أيدينا إلى أشور ومصر، لنشبع خبزا،.. تسلّط علينا عبيد، وليس من يُنقذنا من أيديهم،.. اغتصبوا النساء فى صهيون، والعذارى فى مُدن يهوذا، عُلّقَ النبلاء من أيديهم، ولم يوقّروا الشيوخ (كبار القوم). سخّروا الشُبّان للطحن، وهوى الصبيان تحت الحطب، هجر الشيوخ (كبار السن) بوّابات المدينة،

وكفّ الشبّان عن غنائهم، انقطع فرح قلوبنا، وتحوّل رقصنا إلى نوح، تهاوت أكاليل رؤوسنا، فويل لنا لأننا قد أخطأنا، لهذا غُشِي على قلوبنا، وأظلمت عيوننا، لأن جبل صهيون أصبح أطلالا، ترتع فيه الثعالب»[1].

■ ■ ■

(١) خالد عبد الواحد: نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، شبكة الإنترنت الدولية.

الصهيونية
وتوظيف الدين اليهودي*

يرد في الكتب والتعاليم الدينية اليهودية إشارات متعدّدة عن «أرض الميعاد وجبل صهيون، والأرض المقدّسة، والمسيح المنتظر الذي سيأتي في آخر الزّمان ويقود شعبه إلى أرضه، ويقيم مملكته ويحكم العالم. إلخ».

إنّ كلمة (صهيون) لها وقعها الخاص وإيماءاتها الدينية، فهي تشير إلى جبل صهيون والقدس والأرض المقدّسة ككل، ويشير اليهود أنفسهم باعتبارهم بنت صهيون. كما تستخدم للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية. والعودة إلى صهيون فكرة محورية في النسق الديني اليهودي، فالمسيح المخلّص (سيأتي في آخر الزمان ليقود شعبه اليهود حصراً) إلى صهيون.. ولكلمة صهيون أيضاً إيحاءات شعرية في الوجدان الديني اليهودي، وقد وردتْ إشارات كثيرة في التوراة إلى هذا الارتباط الذي يطلق عليه عادة (حبّ صهيون). وهو حبٌّ يعبّر عن نفسه خلال الصلاة والتجارب والطقوس الدينية المختلفة(1).

كما ترد أفكار عن الزرع المقدّس والاختيار والتفوق والعزلة والعدوان والتوجُّس من الأغيار وغيره مما ورد ذكره في فصل محتوى التعاليم الدينية اليهودية وكان اليهود في مناطقهم المعزولة (الغيتوات) يعيشون في جوّ مشبع بهذه التعاليم الضيّقة، وداخل الأحياء المعزولة هذه. يجدون كلّ أسباب

* على خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ ١٩٩٧.

(١) الصهيونية ـ الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري ـ الموسوعة الفلسطينية ـ القسم الثاني ـ المجلد السادس الطبعة الأولى ـ بيروت ١٩٩٠ ص٢٣١.

التعلُّق بهذه التعاليم كالمعابد والمدارس الخاصة الدينية، والمقابر والطقوس والأزياء الخاصّة والشعور المزروع فى عقولهم الباطنة بأنّهم الزّرع المقدّس والشعب المختار وبأنّهم أحفاد إبراهيم وداود ويشوع وسليمان وغيرهم. وقد كان لحاخاماتهم الدور الأكبر فى تكريس هذه المفاهيم الميتولوجية وتقوية الشعور بأنّ العزلة ركنٌ من أركان الديانة وبالتالى من أركان الايمان.

لقد رأى زعماء الصهيونية ضرورة المزاوجة بين (الصهيونية - اليهودية) لخلق حافز دينى روحى يقف خلف النشاطات التى تقوم بها الحركة، ويساهم فى دفع حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ثم شعرت بحاجتها إلى توظيف الدّين اليهودى لمواجهة تيار الاندماج الناشط فى أوساط يهود أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية الذين كانت ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية تختلف عن ظروف يهود أوروبا الشرقية الذين تعرّضوا لعمليات اضطهاد سياسى وعدم استقرار اجتماعى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولهذا كان لا بدّ من تكريس مقولة «وحدة ونقاء الشعب اليهودى وعدم قابليته للذوبان والاندماج فى الشعوب التى يعيش ضمنها، ومقولة أبدية العداء للسّاميّة» باستثمار المآسى التى تعرّض لها اليهود على يد القياصرة والحكام والعمل على إذكائها، بل وافتعالها لدفع اليهود للهجرة إلى فلسطين تنفيذاً للمخطط الاستعمارى(١).

كان واضحاً لقيادة الحركة الصهيونية أنّ استمالة رجال الدّين يسهل على الحركة استخدام العامل الدينى كوسيلة للترويج لأسطورة «الأمّة اليهودية» وإزالة الفوارق بين الصهيونية كحركة سياسية واليهودية كدين، وذلك لخلق رأى عام مؤيد لأهداف المشروع الصهيونى فى أوساط الجاليات اليهودية فى أوروبا وأمريكا تحت شعارات «العودة إلى صهيون وأرض

(١) الأحزاب الاسرائيلية والحركات السياسية فى الكيان الصهيونى - حبيب قهوجى - مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى - دمشق ١٩٨٦ - ص١٦٧ - ١٦٨.

الميعاد، والحقّ التاريخي والديني» في إنشاء «الدولة اليهودية في أرض إسرائيل التاريخية». لهذا عمدت القيادة الصهيونية إلى خلق حركة دينية صهيونية أسمتها (حركة مزراحي) سنة ١٩٠٢ يقودها عدد من الحاخامين في روسيا. برئاسة الحاخام (يعقوب رينز) لغزو الحركات الدينية المعارضة للفكرة الصهيونية، والتسلّل إلى صفوفها وصَرْفِهَا عن توجهاتها ثمّ إحداث انقلاب داخلي يطوّعها للحركة الصهيونية وأهدافها، وفي نفس الوقت تحت دعوى الخشية من سيطرة التعليم العلماني والمفاهيم القومية العلمانية على الجانب الديني والرّوحي الأمر الذي سيؤدي إلى القضاء على الديانة اليهودية فقد كانت هناك تيارات دينية معارضة للصهيوّنية ترى بأنّ العودة إلى صهيون هي عودة روحية تتمّ بإرادة إلهّية، وإنّ أي جهدٍ بشريّ يُبذلُ لهذه الغاية هو ضربٌ من الإلحاد والمخالفة للإرادة الإلهيّة.

لقد طرحت حركة (مزراحي) الدينية الصهيونية أفكاراً مثل البعث القومي لشعب إسرائيل، والالتزام بالتوراة والتعليم الديني والتراث اليهودي وكان شعار الحركة الأساسي «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل وفق شريعة إسرائيل» وكانت المادة البشرية لها من يهود شرق أوروبا[١].

كان من مهمات حركة (مزراحي) الدينية الحثّ على الالتزام بالتوراة وتنفيذ الوصايا، والعودة إلى أرض الآباء، ونشر الكتابات الدينية القومية، وتربية الناشئة بهذه الرّوح، وزرع المقولة الصهيونية التي تؤكدّ إمكانية الدمج بين اليهودية كدين تؤمن به جاليات يهودية من قوميات مختلفة. وبين الصهيونية كعقيدة سياسية. وتفريغ الإنسان من كلّ ما يربطه بوطنه الأصلي وقوميته وتهيئته للهجرة إلى فلسطين بعد تطويقه بأسس العزلة والحصار[٢].

---

(١) نفس المصدر ص٥٠ ـ ٥٤.

(٢) الأحزاب الإسرائيلية والحركات السياسية في الكيان الصهيوني ـ حبيب قهوجي ـ مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ـ الطبعة الأولى ـ دمشق ١٩٨٦ ـ ص٥٠ ـ ٥٤.

استطاعت هذه الحركة أن تنشئ لها/٢١٠/ فروع فى روسيا وحدها. وفى عام ١٩٠٥ عقد المؤتمر الدّولى لحركة (مزراحى) فى «بوزنى» بهنكارية تمّ فيه وضع البرنامج الداخلى للمنظمة وكانت أهم بنود البرنامج الذى أقرّه المؤتمر:

- إنّ مزراحى منظمّة صهيونية تقوم على برنامج بازل وتعمل لإعادة بعث شعب إسرائيل. وهى تعتبر أنّ وجود الشعب اليهودى يعتمد على اتباع تعاليم التوراة وعلى إنجاز الوصايا والعودة إلى أرض الآباء.

- ستبقى مزراحى ضمن المنظمة الصهيونية العالمية، وستعمل من خلالها لتحقيق وجهات نظرها ورؤياها الخاصّة، وهى تنشئ منظمتها من أجل إدارة نشاطاتها الثقافية والدينية.

- ستكون وسيلة مزراحى للوصول إلى أهدافها، شرح أفكارها فى حلقاتها الدينية، وخلق ونشر أدب وطنى دينى وتثقيف الشباب بروحيّته(١).

أنشأت حركة مزراحى عدّة فروع لها فى فلسطين وبنت مدرسة «تحكمونى» الدينية فى يافا والتى أصبحت أهم مؤسسة ثقافية لمزراحى فى فلسطين، كما أقامتْ العديد من المؤسسات الدّينية بواسطة فروعها المنتشرة فى أكثر دول العالم، واعترفت الصهيونية بإشراف مزراحى على هذه المدارس ومسؤوليتها عن تنظيم المدارس الدينية واختيار المدرسين الملائمين لها، وعن وضع مناهجها الخاصّة. وتمّ تأسيس دائرة مركزية للحركة فى فلسطين من أجل تكثيف البرنامج العلمى لمزراحى، وخاصّة فى مجال التعليم والثقافة وتنسيق ذلك العمل مع الجهود التى تبذلها الحركة فى الخارج(٢).

وبعد الحرب العالمية الأولى وصدور وعد بلفور، عاودتْ مزراحى نشاطها وبكثافة فى أوروبا حيث شرعتْ فى تهجير اليهود إلى فلسطين، كما قامتْ بتأسيس فروع جديدة لها مع حركات شبابية فى العديد من

(١) نفس المصدر ص ١٦٨ ـ ١٧١.

(٢) نفس المصدر ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

الأقطار، وأقامت شبكة من المدارس الدينية فى بولندا وليتوانيا ولتفيا. وفى تلك الفترة بدأت مزراحى تلعب دوراً متزايداً فى أوساط «اليشوف» اليهودى فى فلسطين وفى هياكله التشريعية والتنفيذية(١).

وتمّ سنة ١٩٢٢ تنظيم وإنشاء «عمّال مزراحى» فى فلسطين، وهو تنظيم عمّال أنشئ بعد أن حملت موجة الهجرة الثالثة مجموعة من شباب مزراحى من بولندا، والذين أنشأوا ما يسمّى بجماعة «توراة هعفورا» أى التوراة والعمل. وقد تطورتْ هذه المجموعة إلى منظّمة «هبوعيل مزراحى» أى عمّال مزراحى حيث افتتحتْ فروعاً لها فى يافا والقدس وبتاح تكفا وريشون لتسبون وكان برنامجها على النحو التالى:

ـ تسعى هبوعيل مزراحى إلى بناء البلد فى انسجام مع تعاليم التوراة ومع التقاليد الدينية من خلال العمل.

ـ تستهدف هبوعيل مزراحى أن ينشأ أعضاؤها على أُسس مادّية وروحية ثابتة من أجل تطوير العاطفة الدينية عند العمال، وتمكينهم من العيش كعمّال متديّنين(٢).

هاتان المنظمتان «مزراحى وهبوعيل مزراحى» اتحدتا أخيراً ونتج عنهما «الحزب الوطنى الدينى ـ همفدال» عام ١٩٥٦. وقد سعى هذا الحزب ومنذ السنوات الأولى لقيام الكيان الصهيونى إلى فرض سيطرته على الحياة الاجتماعية فى إسرائيل. حيث مارس كل الضغوط من أجل الهيمنة الكاملة على الشؤون الدينية، وطالب باستمرار الإشراف على قضايا «السبت والأعياد الدينية، وربط قضايا الإرث والطلاق باستمرار والزواج والحلال والحرام بالقوانين الدينية». وأيضاً ربط مختلف جوانب الحياة اليهودية بهذه القوانين، وقد أعطت سيطرة هذا الحزب على المؤسسات التربوية

(١) الأحزاب الإسرائيلية والحركات السياسية فى الكيان الصهيونى ـ حبيب قهوجى ـ ص١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) نفس المصدر ص١٧٦ ـ ١٧٩.

الدينية ونشاطاته الاستيطانية والاقتصادية المتنوعة له قوة ونفوذاً سياسيين جعلا الأحزاب الحاكمة فى إسرائيل تحرص باستمرار على استرضائه وإشراكه فى الحكم(١).

وحزب المفدال هذا، يؤكد باستمرار على ضرورة استناد التشريع الاسرائيلى إلى قانون «التوراة» وإلى «التراث اليهودى» ويرى فى الحاخام الرئيسى أعلى سلطة فى الدولة. وهذا الحزب أفرز العديد من الكتل والحركات الفاشية مثل «غوش أمونيم، وكاخ، وهتحيا» وغيرها. التى تمارس الأعمال العدائية ضدّ السكان العرب وتدافع عن سياسة القبضة الحديدية، وتدعو باستمرار إلى استخدام القوّة فى التعامل مع الدول العربية وإلى التمسّك بالأراضى المحتّلة باعتبارها أجزاء مقدّسة من أرض إسرائيل(٢).

فى المؤتمر الثالث لحزب «المفدال» الذى انعقد عام ١٩٦٨ أى بعد عام واحد على احتلال الضّفة الغربية وقطّاع غزة وسيناء والجولان كانت أبرز المقرّرات السياسية هى: «إنّ الحزب الوطنى الدينى يُقيِّم الإنجازات السياسية والأمنية التى حقّقها الجيل الحالى فى أرض إسرائيل كبداية على طريق تحقيق الإرادة الإلهية ومن أجل التحرير الكامل للشعب اليهودى فى أرض أجداده».

وفى المؤتمر الخامس الذى انعقد فى أيار ١٩٧٨ طالب هذا الحزب حكومة بيغن بتنفيذ مشروع استيطانى واسع الأبعاد فى جميع أرجاء أرض إسرائيل بما فى ذلك «الضفة الغربية، والجولان، وقطاع غزّة» كما طالب بتحويل المستوطنات المؤقتة القائمة فى الضّفة الغربية والجولان إلى مستوطنات دائمة(٣).

---

(١) نفس المصدر ص١٩٠ ـ ١٩٣.

(٢) الأحزاب الإسرائيلية والحركات السياسية فى الكيان الصهيونى ـ حبيب قهوجى ـ ص١٩٠ ـ ١٩٣.

(٣) نفس المصدر ص١٩٢ ـ ١٩٣.

إلى جانب حركة مزراحى الدينية الصهيونية كانت هناك حركة دينية أُخرى أكثر تطرفاً وتشدّداً تدعى «أغودات يسرائيل» التى تأسّست عام ١٩١٢ فى «كاتوتيز» فى سيليسيا العليا، وكان برنامجها «توحيد شعب إسرائيل حسب تعاليم التوراة بجميع مظاهر الحياة، الاقتصادية والسياسية والرّوحية..»، ثمّ بدأتْ هذه الحركة تتوسع فى نشاطها منذ مطلع العشرينيات، حيث انبثق عنها سنة ١٩٢٢ حركة عمّالية فى بولونيا دعيتْ «عمال أغودات يسرائيل» بهدف الحدّ من ميل العمال اليهود نحو الأفكار العلمية والاشتراكية. وفى عام ١٩٣٧ برز التحوّل الجذرى فى مواقف هذه الحركة باتجاه الانسجام مع أهداف ومبادئ المنظمّة الصهيونية العالمية، فتحولت كلّيّاً من حركة توراتية مناوئة للصهيونية إلى حركة دينية مؤيده للصهيونية، ومنسجمة مع أهدافها، وغدتْ حركة عنصرية متزّمتة تلعب كغيرها من الحركات الدينية دوراً خطيراً فى تربية الناشئة داخل الكيان الصهيونى على روح الكراهية والعنصرية ضد السكان العرب(١).

عند قيام الكيان الصهونى عام ١٩٤٨تحوّلت حركة «أغودات يسرائيل» والفرع العمالى، إلى حزب سياسى صار يشارك فى المجالس البلدية والمحلية ويسعى لفرض الشريعة التوراتية على الحياة العامّة فى إسرائيل، وكانت معركته الأساسية فى مجال التعليم، وقد استمرّ هذا الحزب يخوض الانتخابات ضمن الجبهة التوراتية حتى عام ١٩٦٠ حيث انفصل عنه الفرع العمالى الذى أخذ يشارك فى الحكومة الصهيونية(٢).

لقد ظهرت حركات دينية متطرفة كثيرة بعد قيام الكيان الصهيونى، انشقتْ عن الأحزاب الدينية، وهذه الحركات تلقى الدعم الكامل من الحركة الصهيونية نظراً لأنّها تتحرك ضمن إطار أهدافها ومشاريعها العدوانية والتوسعية.

(١) نفس المصدر ص٥٢ ـ ٥٤.

(٢) الأحزاب الاسرائيلية والحركات السياسية فى الكيان الصهيونى ـ حبيب قهوجى ـ ص١٩٧ ـ ٢٠٠.

فعن حزب «المفدال» انشقتْ عام ١٩٨١ حركة «تامى» أى «تقاليد اسرائيل» وقد حصلت هذه الحركة على امتيازات فى حكومة بيغن، التى تشكّلتْ بأغلبية بسيطة وبدعم الأحزاب الدينية، وقد احتلّ زعيمها أهرون أبو حصيرة منصب وزير الأديان، كما احتلّ الرّجل الثانى فيها أهرون أوزان) منصب نائب وزير الاستيعاب(١).

ثمّ ظهرت حركة جديدة عام ١٩٨٤ تدعى «شاش» وقف على رأسها حاخامون منشقّون عن حزب «أغودات يسرائيل» وقد حصلتْ هذه الحركة على أربعة مقاعد فى الكنيست أثناء انتخابات ١٩٨٤. وخلال فترة تشكيل الحكوكة الاسرائيلية حصلت على حقيبة وزارة الداخلية بشخص الحاخام يتسحاق بيرتش)(٢).

وخلال المعركة الانتخابية عام ١٩٨٤ ظهرت حركة «موراشاه» أى «حرّاس التوراة» من تجّمع حركات دينية منشقة تجمعها صفة التّطرف والتشدّد الدينى منها: «حركة متسادا» المنشقة عن حزب المفدال، وحركة «أوروت» التى يقودها (حنان بن بورت)(٣).

لقد نجحتْ الصهيونية فى توظيف الدين اليهودى لصالح أهدافها ومشاريعها التوسعية والتسلّطية، بعد أن لمستْ تأثير التربية الدينية على عقلية النشء اليهودى. فاستغلتْ التعاليم التوراتية التى تشير إلى صهيون، والأرض المقدّسة، وهيكل الرّب وغيره.. وطرحتْ نفسها كحلّ بديل لما يسمّى بالمسألة اليهودية. فرفضت فكرة الاندماج بالشعوب رغم موافقتها على الخروج من قوقعة الغيتو، ورفعتْ فكرة الغيتو الدّولى الكبير فى فلسطين العربية الذى يحقّق لها مصالحها الدائمة فى استغلال خيرات الوطن العربى ومنع أيّة محاولة وحدوية عربية من شأنها الوقوف فى وجه أطماعها التوسعية والاستعمارية..

(١) نفس المصدر ص ٢٠٠.

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٤.

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٤.

النـزعة العدوانيـة فى التعاليـم اليهوديـة*

إنّ روايات الثأر والانتقام والاعتداء والقتل تطغى على كلّ ما يرد فى النصوص التوراتية والتلمودية المتداولة حالياً، وهى لاتخلو من الغدر والخيانة والحضّ على الاستعلاء والعدوان والتسلّط والعزلة وضرورة التوجس من الأغيار والتّرفع عنهم، وهو ما اتخذته الصهيونية منهجاً رئيسيّاً وأعادت تشكيله بما يتّفق والواقع الراهن(١).

هذه الروايات التوراتية تنسب تلك الروح العدوانية إلى «يهوه» الاله المسّمى «ربّ الجنود»، فهى تؤكد على مشاركته فى كلّ عدوان، فتغدو الحرب حربه والثأر ثأره والانتقام انتقامه حتى على شعبه المقدّس إن تردّد فى تنفيذ مخّططاته العدوانية أو استنكر(٢).

---

* على خليل: اليهودية بين النظرية والتطبيق ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ ١٩٩٧.

(١) يردّد قادة إسرائيل دائماً الحجة التوراتية لترسيخ المطالب الإقليمية والحقّ الالهى فى التّملك بفلسطين وترسيخ شريعة الأعمال الارهابية ضد العرب وإسباغ الشرعية على كيانهم السياسى. فيروى عن بن غوريون قوله: «إنّى أعتبر يشوع هو بطل التوراة». وفى رسالة وجهها إلى الجيش الاسرائيلى فى ٧ تشرين الثانى ١٩٥٦ يقول:" لقد أرجعتمونا إلى المكان الذى أعطينا فيه القانون، وفيه كلّفنا الرّب بأن نكون شعباً مختاراً، لقد رأينا بأم أعيننا الآيات التى لا تموت تحيا من جديد، الآيات التى تنبئنا عن رحيل أجدادنا من مصر وعن وصولهم إلى صحراء سيناء. ونقرأ قول غولدا مائير: «وجد هذا البلد كإنجاز لوعد صدر عن الرّب بالذات». ويقول مناحيم بيغن: «وعدنا هذه الأرض ولنا عليها حقوق». ثم نقرأ ما قاله موشى دايان: «إذا كنّا نملك التوراة وإذا ما اعتبرنا أنفسنا شعب التوراة وجب علينا احتلال الأراضى التوراتية، أراضى قضاة ورؤوساء القدس والخليل وأريحا وغيرها من الأمكنة..».

(٢) «فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهرون أخوك يكون نبّيك أنت تتكّلم بكلّ ما آمرك وهارون أخوك يكّلم فرعون ليطلق بنى اسرائيل من أرضه، ولكنّى أقسّى قلب فرعون وأكثر آياتى وعجائبى فى أرض مصر ولا يسمع لكما فرعون حتى أجعل يدى على مصر =

نستشّف من هذه الروايات أن ليس هناك سبب منطقى لهذه الروح العدوانية إلاّ الروح العدوانية نفسها ورغبة يهوه أن تعرفه الشعوب والأمم على أنّه القادر القوى المتّميز الحامى لشعبه المقّدس(١).

وحسب الرواية التوراتية نجد أنّ الاله اليهودى ومنذ بدء الخليقة ميز بين الانسان وأخيه الانسان، فخلق من هذا التمييز ذلك الحقد المشبع بالعدوان والانتقام، فنقرأ أنّه تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان أخيه قابيل، فاغتاظ الأخير وحقد على أخيه وقتله وكانت النتيجة أن لعنه الاله يهوه إلى الأبد(٢).

ثم جاءت لعنة نوح الناطق باسم يهوه لحفيده كنعان بن حام وبعد ليلة سكر وتعرٍّ، بداية لطوفان جديد لايزال مستمرّاً، تمثّل فى تقسيم العائلة البشرية بين سادة وعبيد، فأرسى هذا التقسيم العداء الأبدى، وولّد لدى اليهود نزعة الاستعلاء والتسلط والعدوان تجاه الشعوب الأخرى، نظراً لأنّهم نسبوا أنفسهم إلى النّسل المبارك والزرع المقدس(٣).

= فأخرج أجنادى شعبى بنى اسرائيل من أرض مصر بأحكام عظمية فيعرف المصريون أنّى أنا الرب..» سفر الخروج ٧/ ١ ـ ٥.

(١) «ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون فإنى أغلظت قلبه وقلوب عبيده لكى أصنع آياتى هذه بينهم» سفر الخروج.

(٢) «وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً فى الأرض وحدث من بعد أيام أنّ قايين قدّم من أثمار الأرض قرباناً للرّب وقدّم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرّب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه فقال الرّب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك إن أحسنت أفلا رفعٌ وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة، إليك اشتياقها وأنت تسود عليها، وكلّم قايين هابيل أخاه وحدث إن كانا فى الحقل أنّ قايين قام على أخيه هابيل وقتله». سفر التكوين الاصحاح الرابع/ ١٨.

(٣) «وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر وسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما =

إنّ ما قام به أسلاف اليهود من أعمال عدوانية تعتبر بطولات وأمجاداً وعلى كل يهودى أن يلتزم بسلوكية هؤلاء الأسلاف، وأن يكوّن من هذه السلوكية شخصيته المتميزة والمترفّعة والمشبعة بالتوجس والعدوان. ولهذا فإنّ نظام التعليم اليهودى يرتكز على تعريف الطفل فى سن الرابعة على هويته وأسلافه ويدرب على الاحتراز من الأغيار وعدم مخالطتهم، وزرع فكرة القداسة والاختيار فى عقله الباطن.

فى نصوص التّوراة نقرأ كثيراً من أعمال العنف والعدوان، وهى كما يزعم اليهود، بطولات قام بها أسلافهم التزاماً بأوامر الرّب يهوه، كما نقرأ أوامر وأحكاماً تؤكد على التسّلط والتوّجس والاحتراز والعدوان والعزلة وعدم الاختلاط بالشعوب والأمم الأخرى نظراً لنجاستها ودونيتها، ونجد الروح العدوانية واضحة تماماً فى السلوك والأفكار.

إنّ سفر التكوين عبارة عن معمعة من أعمال العنف والغدر والقتل والرذيلة أراد منها الأحبار اليهود أن تكون منهجاً وسنة يقتضى اتباعها فى كل زمان وأوان.. حيث إرادة الإله يهوه كما يزعمون.

ففى الإصحاح الرابع والثلاثين نقرأ عن اعتداء أبناء يعقوب بن إسحق «إسرائيل» على سكان منطقة شكيم التى كانوا يسكنون فيها ويلقون كلّ الاحترام والمحبة منهم. فقد أحبَّ «شكيم» بن حمور زعيم المنطقة ابنة يعقوب، وأرادها زوجة له وقد طلبها من والدها وإخوتها، لكنّ أولاد يعقوب غدروا بشكيم ووالده وبسكان المنطقة جميعهم، بعد أن احتالوا عليهم وتمكنّوا منهم وقتلوهم، ثم هربوا من المنطقة بعد أن نهبوا البيوت جميعها وسبوا النساء والاطفال(١).

= استيقظ نوح من خمره علم بما فعل ابنه الصغير فقال: ملعونٌ كنعان عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك إله سام وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم.» سفر التكوين الاصحاح التاسع.

(١) «وتكّلم حمور معهم قائلاً شكيم ابنى قد تعلقت نفسه بابنتكم، أعطوه إيّاها زوجة وصاهرونا =

في سفر الخروج يعاني المصريون معاناة كبيرة من سياسة يهوه العدوانية دون أن يكون هناك أي سبب منطقي إلاّ رغبة يهوه في أن يعرفه المصريون ويتمجّد بهم وبفرعون ويخرج شعبه الخاص المدلل إلى كنعان. وكأنه لايستطيع أن يدفع بالمصريين إلى معرفته بأعمالٍ خيّرة وطيبة تكون أكثر فاعلية من العدوان والرعب.

كان يهوه وراء قساوة قلب فرعون وهو الذي دفع المصريين أن يتشدّدوا ويقسّوا قلوبهم، لقد كانوا مسيّرين تماماً ولم يكن بمقدورهم إلاّ أن يكونوا كذلك إنّها إرادة يهوه الراغب في دفع المصريين إلى الخطيئة ومن ثمّ معاقبتهم دون رأفة[1].

= تعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها. ثم قال شكيم لأبيها ولاخوتها دعوني أجد نعمة في أعينكم فالذي تقولون لي أعطي. كثروا عليَّ جداً مهراً وعطية فأعطي كما تقولون لي وأعطوني الفتاة زوجة. فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا لأنّه كان قد نجس دنية أختهم فقالوا لهما لانستطيع أن نفعل هذا الأمر. أن نعطي أختنا لرجل أغلف لأنّه عار لنا. غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكرٍ نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي فحسن كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم ابن حمور ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر لأنّه كان مسروراً بابنة يعقوب وكان أكرم جميع بيت أبيه فأتى حمور وشكيم إلى باب مدينتهما وكلّما أهل مدينتهما قائلين هؤلاء القوم مسالمين لنا فليسكنوا في الأرض ويتجروا فيها وهوذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم نأخذ لنا بناتهم زوجاتٍ ونعطيهم بناتنا غير أنّه بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا لنصير شعباً واحداً بختننا كل ذكر كما هم مختونون، ألا تكون مواشيهم ومقتناهم وكلّ بهائمهم لنا نواتيهم فقط فيسكنون معناً. فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة واختتن كل ذكرٍ كل الخارجين من باب المدينة. فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أنّ ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دنية أخذا كلّ واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه بحدِّ السيف وأخذا دنية من بيت شكيم وخرجا ثمّ أتى بنو يعقوبٍ على القتلى ونهبوا المدينة لأنّهم نجسوا أختهم، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكلّ أطفالهم ونساءهم وكلّ ما في البيوت».. انظر سفر التكوين الاصحاح ٣٤/ ٨ ـ ٢٩.

(١) «وها أنا أشدّد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم فأتمجّد بفرعون وكل جيشه بمركباته =

إنّ كل المصائب والأهوال التى حلت بالمصريين كان وراءها يهوه، وقد سمى محرّر السفر هذه المصائب والأهوال بـ «العجائب» و«الأحكام العظيمة». أليس من الممكن أن تتم عملية خروج بنى إسرائيل من مصر دون اللجوء إلى هذه الأعمال العدوانية، فقط لو ليَّن قلب فرعون وعبيده وأعطى آياته وعجائبه طابع الخير والمحبة فيخلف انطباعاً إيجابيّاً لديهم ليحبوه ويعرفوه؟.

كان من الممكن مثلاً أن يحوّل لهم الصحراء إلى حدائق مليئة بالأشجار المثمرة والينابيع الرّقراقة، تلك آية عظيمة. وكان من الممكن أيضاً أن يزرع الإيمان فى قلوب المصريين فيصيروا من شعبه الخاص المقدّس. أو حتى أن يعتم على عملية الخروج من مصر بطريقة لاتؤذى المصريين ولا تشكل قضية راح ضحيتها غرقاً آلاف القتلى من المصريين. لكنّه لم يفعل هذا لأنّ محرّر السفر لايريد أن يكون إلهه متسامحاً شموليّاً. ولهذ فقد حوّل المياه فى كل مناطق مصر إلى دماء، فمات السمك وأنتنت المياه وهلك السكان من العطش(١).

ثم نشر الضفادع بعد هذا فى كلّ تخوم مصر حتى دخلت كلّ بيت وكلّ فراش وامتزجت بالطعام والشراب ووصلت إلى مخدع فرعون ذاته فعانى المصريون معاناة كبيرة جدّاً وهلك الكثير منهم حتى استنجد فرعون وعبيده(٢).

= وفرسانه فيعرف المصريون أنّى الرّب حين أمجّد بفرعون ومركباته وفرسانه» سفر الخروج الاصحاح ١٤/ ١٧ـ ١٨.

«وقال الرّب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها قدّام فرعون ولكنى أشدّد قلبه حتى لايطلق شعبى». سفر الخروج الاصحاح / ٤.

(١) «ثم قال الرّب لموسى قل لهرون خذ عصاك ومدَّ يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى سواقيهم وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دماً فيكون دم فى كلِّ أرض مصر. فى الأحجار وفى الأخشاب. ففعل هكذا موسى وهرون كما أمر الرّب. رفع العصا وضرب الماء الذى فى النهر أمام عينى فرعون وأمام عيون عبيده فتحول كل الماء الذى فى النهر دماً ومات السّمك الذى فى النهر وأنتن النهر فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماءً من النهر وكان الدّم فى كلّ أرض مصر».. سفر الخروج الاصحاح ٧/ ١٩ـ ٢١.

(٢) سفر الخروج الإصحاح الثامن.

وسلّط البعوض على المصريين فى كل مكان، وهيّج بعده الذباب ثم أمات جميع المواشى، وحول رماد الأتون إلى غبار انتشر فى كل مكان بمصر وصار على الناس والبهائم دمامل طالعة ببثور(١).

كما أرسل البرد الشديد على كلّ أرض مصر فمات من السكان عدد كبير وضرب البرد جميع ما فى الحقول من الناس والبهائم والأعشاب والأشجار والنباتات والمحاصيل، وبعد ذلك سلّط الجراد حيث أرسل ريحاً شرقية فغطى الجراد كل أرض مصر فأكل الشجر والنباتات والمحاصيل وملأ البيوت وخرّب الكثير فى أرض مصر(٢).

بعد ذلك نشر الظلام مدّة ثلاثة أيام فى كل أرض مصر، ثم أمات كلّ بكرٍ فى مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية خلف الرّحى وكلّ بكر بهيمة، فلم يكن هناك بيت فى مصر إلاّ وفيه ميت باستثناء شعبه الخاصّ المقدس بنى إسرائيل(٣).

وكانت الضربة القاضية التى مزّقت المصريين هى إغراقهم فى البحر بعد أن دفع بهم إلى ملاحقة بنى إسرائيل والدخول وراءهم فى البحر عندما انشق لموسى وجماعته(٤).

---

(١) سفر الخروج الإصحاح الثامن والإصحاح التاسع.

(٢) سفر الخروج الإصحاح التاسع والإصحاح العاشر.

(٣) سفر الخروج الإصحاح العاشر والإصحاح الثانى عشر.

(٤) «فقال الرّب لموسى مالك تصرخ إلىَّ قل لبنى إسرائيل أن يرحلوا وارفع أنت عصاك ومدّ يدك على البحر وشقه فيدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة وها أنا أشدّد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم فأتمجّد بفرعون وكلّ جيشه بمركباته وفرسانه فيعرف المصريون أنى أنا الرّب حين أتمجّد بفرعون ومركباته وفرسانه». سفر الخروج الاصحاح/ ١٤.
«ومد موسى يده على البحر فأجرى الرّب البحر على اليابسة والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر». سفر الخروج الإصحاح الرابع عشر. =

لم يعد هناك جيش مصرى حسب الرواية التوراتية، فقد غرق الجيش وكل المعدات وغرق فرعون وأعوانه. وغادر بنو إسرائيل باتجاه أرض كنعان..

هذا ما حلَّ بالمصريين من كوارث ومصائب من إله بنى إسرائيل رغم أنّهم احتضنوا شعبه الخاصّ ومنحوه الأرض والأمان والحرية. حيث نقرأ فى سفر التكوين قصة يوسف وكيف بيع فى مصر، وصار بعد فترة من المتنفذين فى البلاط المصرى. وكان هذا من العوامل المساعدة التى دفعته أن يستدعى والده وإخوته من كنعان ليسكنوا فى مصر بموافقة ورغبة فرعون نفسه(١).

لقد كان موقف المصريين من بنى إسرائيل موقفاً إنسانيّاً معبراً عن كرم الضيافة والمروءة والمحبة والنظرة الشمولية للإنسان والإله.. فخيّر فرعون يوسف وأهله فى اختيار المكان الذى يرغبون السكن فيه قائلاً له:

«أبوك وإخوتك جاؤوا إليك. أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك»(٢).

لكنّ بنى إسرئيل ومنذ أن دخلوا مصر فضّلوا بدافع من عنصريتهم وتعصّبهم الانعزال عن المصريين وعدم الاختلاط معهم، فاختاروا أرض

= «فدفع الرّب المصريين فى وسط البحر فرجع الماء وغطّى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر لم يبق منهم ولا واحد وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة فى وسط البحر والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم». سفر الخروج الإصحاح الرابع عشر.

(١) «وسمع الخبر فى بيت فرعون وقيل جاء إخوة يوسف فحسن فى عينّى فرعون وفى عيون عبيده فقال فرعون ليوسف قل لإخوتك افعلوا هذا. حملوا دوابكم وانطلقوا اذهبوا إلى أرض كنعان وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا إلىّ فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض. فأنت قد أمرت افعلوا هذا خذوا لكم من أرض مصر عجلات. لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا ولا تحزن عيونكم على أثاثكم لأنّ خيرات أرض مصر جميعها لكم.». سفر التكوين الاصحاح ٤٥/ ١٦ ـ ٢٠.

(٢) «فكلّم فرعون يوسف قائلاً أبوك وإخوتك جاؤوا إليك. أرض مصر قدامك. فى أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك.». سفر التكوين الاصحاح ٤٧/ ٥ ـ ٦.

جاسان المستّقلة والبعيدة من أجل هذا الهدف. وعاشوا فيها بهناءٍ فتكاثروا واثمروا وأمضوا أكثر من أربعمئة عام باطمئنان فى ظل الاحترام المصرى.

لقد غدر بنو إسرئيل بالمصريين وتجاهلوا كل هذا التكريم الذى غمرهم به فرعون وشعبه، وجاءت هذه الأحكام العجيبة العظيمة كما يسميها محرر سفر الخروج لتدفع بالمصريين إلى التهلكة، ويهرب بنوإسرائيل بعد أن يسرقوا حلى وأمتعة النساء المصريات باحتيال مدروس ومخطط له من الإله يهوه(١).

إنّ كتّاب الأسفار التوراتية الذين يدفعون بيهوه لأن يكون وراء هذا الحقد والتشدد والرؤية الضيّقة كانوا هم من يعانى من هذه النزعات اللّاإنسانية، وحملوا يهوه كلّ التبعات فغدا العدوان عدوانه الذى يخطط له ويحضّ على تنفيذه وهذا العدوان لايجوز إلاّ أن ترافقه أعمال القتل والحرق والتدمير والسبى دون رحمة أو رأفة لا بالنساء ولا بالأطفال ولا بالشيوخ الكبار.

فى سفر الخروج نجد كثيراً من وصايا الإله يهوه إلى شعبه المختار المقدس محذراً ومتوعداً ومنذراً: «ها أنا مرسلٌ ملاكاً أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمى فيه ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كلّ ما أتكلم به أعادى أعداءك وأضايق مضايقيك. فإنَّ ملاكى يسير أمامك ويجىء بك إلى الأموريين والحثيين والغرزيين والكنعانيين والحوّيين واليبوسيين فأبيدهم»(٢).

---

(١) «وفعل بنو إسرائيل حسب قول موسى طلبوا من المصريين أمتعة فضةٍ وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرّب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين». سفر الخروج الاصحاح ١٢/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) نقرأ أيضاً: «فإنى أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك لاتقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً لا يسكنون فى أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إلىّ». سفر الخروج الاصحاح ٢٣/ ٣١ ـ ٣٣.

إنَّ موسى كما يصوره كاتب سفر الخروج كان قاسياً متشدداً إلى الدرجة التى لم يكن ليتوانى عن تنفيذ أيّة عقوبة حتى على شعبه المميّز المختار من الإله يهوه، فقد كانت نزعته العدوانية متفوقة على النزعة الإنسانية، والأصح فإنّ كاتب السفر محى تماماً كل ما يتعلق بالإنسانية. فهو انعزالى تسلطى، مقدّس متميز، مختار.

لهذا كان موسى ينظّم جماعته تنظيماً خاصّاً على أنّهم الشعب المقدس المختار صاحب الاله الخاص. الذى لايريد لهذا الشعب أن يختلط بالأمم الأخرى لأنّه الأطهر والأنقى والأخّص. كان يغذى فيهم عقيدة التفوق والعنصرية والانعزالية والحقد تجاه كل الشعوب والأمم الأخرى. وكونه كان ناطقاً باسم يهوه فقد كانت وصاياه مبرمجة ومنظّمة ولا مجال للنقاش فيها. إنّها أوامر صارمة صادرة عن الإله بالذات. فهو الذى يرغب فى إبادة الأمم والشعوب التى خلقها أو ربما خلقها إله غيره. فنقرأ مثلاً فى سفر الخروج: «أرسل هيبتى أمامك وازعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحوّيين والكنعانيين والحثيين من أمامك..»(١).

فخلال الفترة التى أمضاها موسى فى الصحراء يدرّب جماعته تدريباً يتناسب وأفكاره العدوانية العنصرية، كان دوماً يشير إلى ضرورة الانعزال وإبادة الآخرين من الأمم الأخرى والتمسك بمبادئ يهوه الناطق باسمه. وقد نجح موسى فى زرع النزعات العدوانية فى نفوس جماعته كما نستشّف من خلال ما أورد كاتب سفر العدد. الذى يروى عن غزو مديان والمجزرة التى ارتكبها أتباع موسى فى هذه المنطقة والتى يعتبرها كاتب السفر بطولات وواجبا دينيا وتنفيذاً لأوامر الاله يهوه. حيث نقرأ: «وكلّم الرّب موسى قائلاً انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك: فكلم موسى

---

(١) سفر الخروج الاصحاح ٢٣/ ٢٧ ـ ٢٨.

الشعب قائلاً جرّدوا منكم رجالاً للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرّب على مديان..»[1].

«... فتجنّدوا على مديان كما أمر الرّب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم آوى وراقم وصور وحور ورابع، خمسةً ملوك مديان وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكلّ أملاكهم واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنّار. وأخذوا كلّ الغنيمة وكلّ النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى وألعازر الكاهن وإلى جماعة بنى إسرائيل بالسبى والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التى على أردن أريحا فخرج موسى وألعازر الكاهن وكلّ رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة فسخط موسى على وكلاء الجيش ورؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حيّة. إنّ هؤلاء كنّ لبنى إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب فى أمر فغور فكان الوباء فى جماعة الرّب. فالآن اقتلوا كلّ ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكرٍ اقتلوها..»[2].

إنّها مجزرة تقشعر لها الأبدان وسببها أنّ رجلاً من بنى إسرائيل تزوج بامرأة مديانية، فاعتبر موسى أنّ هذا العمل بمثابة خرق: للشريعة والقوانين التى تحرّم الزواج بأجنبيات وتحضّ على العزلة وضرورة الحفاظ على الزرع المقدس. وعلى الرغم من أنّ الكاهن الشّاب فينحاس بن ألعاز بن هرون وثب على الرجل الإسرائيلى وعلى المرأة المديانية وقتلهما فوراً، إلاّ أنّ هذا لم يشف غليل موسى ولا يهوه فأمر أن تحرق مديان وأن تسبى النساء وتقتل وأن يقتل كل ذكرٍ وكلّ طفل كما مر معنا. مع الإشارة إلى أنّ مديان، كانت

(١) سفر العدد الإصحاح ٣٠/ ١ ـ ٣.

(٢) سفر العدد الإصحاح ٣١/ ١ ـ ١٧.

الملجأ الذى التجأ إليه موسى عندما هرب من مصر بعد أن قتل مصريّاً دفاعاً عن عبرانى من بنى جلدته حسب ما يروى كاتب سفر الخروج. وقد أمضى فى مديان مدة تتراوح بين أربعين إلى خمسين سنة، تزوّج خلالها من إبنة كاهن مديان «صفورة» وأنجب منها ولديه «جرشوم وأليعازر»[(١)].

إنّ موسى وكما نستشّف من الرواية التوراتية لم يحترم أنّه كان نزيلاً لدى المديانيين وأنّ زوجته مديانية «صفورة إبنة كاهن مديان يثرون» وأنّ المديانيين احتضنوه وعاش فى كنفهم معزّزاً مكرّماً. وكان حميه يحبّه وينتصر لآرائه وأفكاره وقد وقف إلى جانبه مؤيداً دعوته، وعندما خرج موسى بجماعته من مصر وعلم بذلك حميه يثرون خرج لملاقاته، وكان قد نزل موسى وجماعته فى التربة فى مكان يدعى «جبل اللّه» وقد رافقته زوجة موسى وولداه والتقيا هناك حيث أثنى ثيرون على موسى وقدّم له نصائح ومعلومات هامة ساهمت فى تنظيم دعوته وقد أخذ بها موسى وطبّقها[(٢)].

---

(١) «وحدث فى تلك الأيام لمّا كبر موسى أنّه خرج إلى إخوته لينظر فى أثقالهم فرأى رجلاً مصريّاً يضرب رجلاً عبرانيّاً من إخوته فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحدٌ فقتل المصرى وطمره فى الرّمل». سفر الخروج الاصحاح الثانى١١ ـ ١٢.

(٢) «فسمع ثيرون كاهن مديان حمو موسى كل ما صنع اللّه إلى موسى وإلى إسرائيل شعبه. أنّ الرّب أخرج إسرائيل من مصر. فأخذ ثيرون حمو موسى صفورة امرأة موسى بعد صرفها وابنيها اللذين اسم أحدهما جرشوم لأنّه قال كنت نزيلاً فى أرض غريبة. واسم الآخر أليعازر لأنّه قال إله أبى كان عونى وأنقذنى من سيف فرعون. وأتى ثيرون حمو موسى وابناه وامرأته إلى موسى إلى البرّية حيث كان نازلاً عند جبل اللّه».. سفر الخروج الإصحاح الثامن عشر/ ١ ـ ٥.

ونقرأ أيضاً النصائح التى قدمها الكاهن ثيرون لموسى: «الآن اسمع لصوتى فأنصحك فليكن اللّه معك كن أنت للشعب أمام اللّه وقدم أنت الدعاوى إلى اللّه وعلّمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الذى يسلكونه والعمل الذى يعملونه، وأنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة خائفين اللّه أمناء مبغضين الرّشوة وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات فيقضون للشعب كلّ حين: ويكون أنّ كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليك وكلّ الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها وخفف عن نفسك فهم يحملون معك» سفر الخروج الإصحاح الثامن عشر/ ١٩ ـ ٢٢. =

لقد نسى موسى ـ كما يدعون ـ أو تناسى كل هذا فكانت مجزرة مديان تأكيداً واضحاً على سياسة الانغلاق والعنصرية والغدر والعدوان، وطريقاً سار عليه أتباعه فيما بعد، ولايزال حتى الآن المنهاج الرئيسى للحياة اليهودية.

وكان تعقل «بلعام بن بعور» نبىّ الموآبيين تأكيداً آخر على أنّ الكاتب التوراتى كان يرغب أن تكون الروح العدوانية منهجاً دائماً حتى مع الذين يتحالفون مع بنى إسرائيل وينتصرون لهم. فالزرع المقدس ينبغى أن لا يدنس برجاسات الأمم والشعوب. ولو استدعى ذلك مزيداً من الغدر والخيانة ومقابلة الإحسان بالإساءة(١).

فعندما نزل بنو إسرائيل فى عربات موآب خشى ملك موآب منهم فأرسل وراء «بلعام بن بعور» وكان نبيّاً للموآبيين، وهم يعتقدون أنّ من يباركه بلعام يغدو مباركاً ومن يلعنه يغدو ملعوناً. فأراد ملك موآب «بالاق بن صفور» أن يلعن له بنى إسرائيل حتى يتمكّن من محاربتهم وطردهم من المنطقة. لكنّ النبّى بلعام رفض ما أمره الملك بالاق بن صفور ملك موآب، بل بارك بنى إسرائيل وأثنى عليهم(٢).

نستشف من الرواية التوراتية أنّ موسى يسعى دوماً لأن يجمع أتباعه

= «فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال». خروج الإصحاح الثامن عشر/ ٢٤.

(١) «فتجنّدوا على مديان كما أمر الرّب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم آوى وراقم وصور وحور ورابع خمسة ملوك مديان، وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف». انظر سفر العدد الاصحاح الثلاثون.

(٢) «ولمّا رأى بالاق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين فزع موآب من الشعب جدّاً لأنّه كثيرٌ وضجر موآب من قبل بنى إسرائيل فقال موآب لشيوخ مديان الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل. وكان بالاق بن صفور ملكاً لموآب فى ذلك الزّمان. فأرسل رسلاً إلى بلعام بن بعور إلى فتور التى على النهر فى أرض بنى شعبه ليدعوه قائلاً. هوذا شعب قد خرج من مصر هو ذا قد غشّى وجه الأرض وهو مقيم مقابلى فالآن تعال والعن لى هذا الشعب لأنّه أعظم منّى لعله يمكننا أن نكسره فأطرده من الأرض. لأنّى عرفت أنّ الذى تباركه مبارك والذى تلعنه ملعونٌ.». سفر العدد الإصحاح الثانى والعشرين.

فى إطار الوحدة السياسية ـ الدّينية، أى وحدة سياسية يجمع شملها الدين، ووحدة دينية هدفها تحقيق الأغراض السياسية، ولهذا كانت وصاياه دوماً متشدّدة فى قضية الرأفة والشفقة فالإنسانية لا وجود لها فى برنامجه، وأيّة شفقة أو رحمة لطفل أو شيخ تكون بمثابة مخالفة صريحة لتشريعاته المستمدة حسب الرواية التوراتية من الإله يهوه.

ففى عربات موآب أشار قائلاً لجماعته: «إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنّى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم.»[1].

ثم يتابع نصائحه قائلاً لجماعته بصيغة الأمر الحتمى: «وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين يستبقون منهم أشواكاً فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقوكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها فيكون أنّى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم»[1].

ونقرأ أيضاً «قد دفعت إلى يدك سيحون ملك حشبون الأمورى وأرضه ابتدئ تملك وأثر عليه حرباً فى هذا اليوم أبتدئ أجعل خشيتك وخوفك أمام وجوه الشعوب تحت كل السماء الذين يسمعون خبرك يرتعدون ويجزعون أمامك.»[3].

لقد نجح موسى فى أسلوب الحضّ على العدوان والقتل والإبادة وتمكن جماعته من سحق سيحون وجماعته فقتلوا ونهبوا وحرقوا وسبوا النساء والأطفال كما يرد فى سفر التثنية: «فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه

(١) سفر العدد الإصحاح الثالث والثلاثون.

(٢) سفر العدد الإصحاح الثالث والثلاثون.

(٣) سفر التثنية الإصحاح الثانى.

وأخذنا كلّ مدنه فى ذلك الوقت وحرَّمنا من كل مدينة الرّجال والنّساء والأطفال. لم نبق شارداً. لكنّ البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التى أخذنا من عروعير التى على حافة أرنون والمدينة التى فى الوادى إلى جلعاد لم تكن قرية قد امتنعت علينا الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا»(١).

ثم قاموا باعتداء آخر على منطقة باشان فقتلوا ملكها «عوج» وجميع قومه وأخذوا كل مدنه ونهبوا وسبوا النساء والأطفال، وفعلوا فى باشان كما فعلوا فى شيحون(٢).

وقبل أن يبدأ العدوان على كنعان جمع موسى أتباعه وقام فيهم خطيباً وناصحاً وآمراً أن يلتزموا بتعليماته وقراراته التى كان وراءها يهوه، وجميعها تحضّ على العدوان والعنصرية والتسلط والعزلة فنقرأ: «متى أتى بك الرّب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثّيين والجرجاشيين والأموّريين والكنعانيين والغرزيين والحوّيين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرّب إلهك أمامك وضربتهم فإنّك تحرّمهم. لاتقطع عهداً لهم ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم»(٣).

ثم يتابع موسى مؤكداً على أن الخوف لامكان له وأنَّ العدوان مآله النصر نظراً لأنّ الاله يهوه شخصيّاً يحارب معهم وينتصر لهم ويخطط لهم وهو الذى يريد إبادة الشعوب والأمم الأخرى من أجل أن يسود شعبه الخاص المقدس على كل الشعوب. ولذا لا داعى أبداً للتردد أو الخوف من هذه الشعوب مهما كانت وهو ما ينبغى أن تأخذ به كلّ الأجيال اللاحقة. فنقرأ:

---

(١) سفر التثنية الإصحاح الثانى.

(٢) فدفع الرّب إلهنا إلى أيدينا عوج أيضاً ملك باشان وجميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شاردٌ وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت لم تكن قرية لم نأخذها منهم ستّون مدينة كلّ كورة أرجوب مملكة عوج فى باشان.سفر التثنية الإصحاح الثالث.

(٣) سفر التثنية الإصحاح السّابع.

«إن قلت فى نفسك هؤلاء الشعوب أكثر منى كيف أقدر أن أطردهم فلا تخف منهم اذكر ما فعله الرّب إلهك بفرعون وبجميع المصريين. التجارب العظيمة التى أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التى بها أخرجك الرّب إلهك هكذا يفعل الرّب إلهك بجميع الشعوب التى أنت خائف من وجهها والزنابير أيضاً يرسلها الرب إلهك عليهم حتى يفنى الباقون والمختفون من أمامك لاترهب وجوههم لأنّ الرّب إلهك فى وسطك إله عظيم ومخوّفٌ. ولكنّ الرّب إلهك مطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً لاتستطيع أن تفنيهم سريعاً لئلا تكثر عليك وحوش البرّية. ويدفعهم الرّب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء.»(١).

كما يؤكّد لجماعته أنَّ يهوه نفسه سيعبر أمامهم ليبيد الشعوب ويذلهم، وعلى كلّ فرد أن يأخذ هذا بعين الاعتبار فيخاطبهم قائلاً: «اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابرٌ الأردّن لكى تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ومدناً عظيمة ومحصّنة إلى السّماء قوماً عظاماً وطوالاً بنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف فى وجه بنى عناق. فاعلم اليوم أنّ الرّبٌ إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلّمك الرّب.»(٢).

ولم يكن موسى لينسى أن يشير أنَّ الروح العدوانية ينبغى أن تستمر وأن لاتتوقف عند حدٍّ معيّن، والعدوان المقرّر على منطقة كنعان ليس هو العدوان الأخير، بل هو مقدّمة وعلى الجماعة أن تخطط لعدوان آخر وآخر كما وعد بذلك الرّب يهوه لكن هذا مرهون بحفظهم للوصايا والقرارات التى تؤكّد على العدوان والعزلة والتسلط والغدر، فنقرأ: «وإنّ وسّع الرّب

(١) سفر التثنية الإصحاح السّابع.

(٢) سفر التثنية الإصحاح التاسع.

إلهك تخومك كما حلف لآبائك وأعطاك جميع الأرض التى قال إنّه يعطى لآبائك إذا حفظت كلّ هذه الوصايا لتعملها كما أنا أوصيك اليوم لتحبّ الرّب إلهك وتسلك فى طرقه كلّ الأيام فزد لنفسك أيضاً ثلاث مدنٍ على هذه الثلاث»(١).

وأيضاً لم يكن لينسى أن يوضح لهم كيفية العدوان وأسلوبه واستمراريته وضرورة التشدّد والجرأة نظراً لأنّ يهوه معهم دوماً ولن يترك للأعداء أيّة فرصة للتفرد بهم والانتصار عليهم طالما أنهم متمسّكون بنزعتهم الضيّقة التى ترفض الاندماج والاختلاط والرحمة.. فنقرأ قوله: «إذا خرجت للحرب على عدوّك ورأيت خيلاً ومراكب قوماً أكثر منك فلا تخف منهم لأنّ معك الرّب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر، وعندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم اسمع ياإسرائيل أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم لاتضعف قلوبكم، لاتخافوا ولا ترتعدوا ولاترهبوا وجوههم لأن الرّب إلهكم سائرٌ معكم لكى يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم.»(٢).

«حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرّب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكلّ ما فى المدينة كلّ غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرّب إلهك.»(٣).

هكذا أراد الكاتب التوراتى أن يؤكد لهذه المجموعة التى تخصّه أنّ الإله

(١) سفر التثنية الإصحاح التاسع عشر.

(٢) سفر التثنية الإصحاح العشرون.

(٣) سفر التثنية الإصحاح العشرون.

يهوه الذى هو إلههم الخاصّ لايرضى أبداً بأن تتساوى الشعوب بشعبه الخاص المقدس، ولذا كلّ الشعوب والأمم عدوة لبنى إسرائيل وليس هناك من أمل فى أن تتحول هذه العداوة إلى محبة خاصة وأنّ كافة الأمم ستغدو بمثابة العبيد لبنى إسرائيل إن هادنت ورضيت بالصلح أو ستباد من الوجود إن رفضت المهادنة أى على جميع الأمم أن تكون مستعبدة ومسخرة لخدمة بنى إسرائيل أو تباد من الوجود، القريبة منها والبعيدة على السواء، وليس هذا وحسب، بل من الضرورة إبادة الشعوب القريبة دون قيد أو شرط فنقرأ: «هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدّاً التى ليست فى مدن هؤلاء الأمم هنا، وأمّا مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرّب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرّمها تحريماً، الحثيّين والأموريين والكنعانيين والغرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرّب إلهك.»[1].

لقد أراد موسى ـ كما يدعون ـ أن يغذى فى نفوس جماعته عقيدة العدوان الدائم ضد الشعوب والأمم الأخرى، «القتل، التدمير، الإبادات، القسوة، التسلط والتوجس». لذا كان دوماً يحذّرهم من التردّد والشفقة ويدفع بهم إلى الحرب والعدوان. وقد نجح فى مسعاه وورث عنه يشوع بن نون تلك النزعة بعد أن توفى موسى وقاد الجماعة إلى مزيد من المجازر الوحشية فى المدن الكنعانية الآمنة راح ضحيتها آلاف الأطفال والشيوخ والنساء والبهائم.

إنّ ما حضّ عليه يشوع بن نون وما سلكه أتباعه صوّره لنا كاتب سفر يشوع على أنّه بطولات وأمجاد ومنهاج رئيسى سار عليه اليهود فيما بعد ولا يزالون حتى الآن.

لقد افتتح يشوع بن نون أعماله العدوانية بمجزرة فى أريحا اتسمت بالوحشية فنقرأ: «وصعد الشعب إلى المدينة كلّ رجل مع وجهه وأخذوا

(١) سفر التثنية الاصحاح العشرون.

المدينة وحرّموا كلّ ما فى المدينة من رجلٍ وإمرأةٍ من طفلٍ وشيخٍ حتى الغنم والبقر والحمير بحدِّ السيف»(١).

وهكذا فعلوا بمدينة «عاى» بعد أن أكّد يهوه ليشوع أنّه سيدفع عاى بيده حتى يفعل بها كما فعل بمدينة أريحا فنقرأ:

«فقال الرّب ليشوع لاتخف ولا ترتعب خذ معك جميع رجال الحرب وقم اصعد إلى عاى. انظر قد دفعت بيدك ملك عاى وشعبه ومدينته وأرضه فتفعل بعاى وملكها كما فعلت بأريحا وملكها»(٢).

نفذ يشوع خطط يهوه لمهاجمة عاى وهاجمها بخدعةٍ رسمها له يهوه وتمكن من الانتصار فنقرأ: «وضربوهم حتى لم يبق منهم شاردٌ ولا منفلتٌ، وأمّا ملك عاى فأمسكوه حيّاً وتقدّموا به إلى يشوع وكان لمّا انتهى إسرائيل من قتل سكان عاى فى الحقل فى البرّية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحدِّ السّيف حتى فنوا أنَّ جميع إسرائيل رجع إلى عاى وضربوها بحدِّ السيف.»(٣).

لقد أحرق يشوع مدينة عاى وعلّق ملكها على الخشبة إلى وقت المساء وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة(٤).

واستمرَّ الحضّ على العدوان والقتل والتدمير من قبل يهوه ليشوع والجماعة، وماحدث فى أريحا وعاى لم يشف غليل رب الجنود فأمر يشوع أن يضرب المدن الأخرى «أورشليم، حبرون، يرموت، لخيش، عجلون» حيث نقرأ: «فقال الرّب ليشوع لاتخفهم لأنى بيدك قد أسلمتهم، لايقف رجلٌ منهم بوجهك»(٥).

(١) سفر يشوع الإصحاح السادس.

(٢) سفر يشوع الإصحاح الثامن.

(٣) سفر يشوع الإصحاح الثامن.

(٤) سفر يشوع الإصحاح الثامن.

(٥) سفر يشوع الإصحاح العاشر.

التـزم يشـوع بـأوامـر يهـوه وبدأ فى الاعـتـداء على هؤلاء ومـحـاربتـهم وضـربهم ضـربة عظيـمة كمـا يروى كـاتب السّفـر. وهرب ملوك هذه المدن «أدونى صـادق ملك أورشليم، هو هام ملك حبرون، فرآم ملك يرموت، يافيع ملك لخيش، دبير ملك عجلون». واختبأوا فى مغارةٍ فى مدينة مقيّدة، فأمر يشوع جماعته أن يغلقوا المغارة بحجر كبير حتى يموتوا وقد فعلوا ما أمر ومن ثمّ فتحوا المغارة وأخرجهم أحياء. لأنّ يشوع أراد أن يذلهم فأمر عدد من رجـاله أن يضـعـوا أرجلهم على أعناقـهم فـفعل الرجـال ذلك، ثمَّ قتلهم يشوع وعلقهم على الخشب وبقوا معلقين حتى المساء حيث أنزلوا ووضعوهم فى المغارة التى اختبأوا فيها لتكون قبراً دائماً لهم. ووضعوا حجراً كبيراً على فم المغارة[1].

وتابع يشوع عملياته العدوانية بمهاجمة مدينة مقيّدة حيث نقرأ: «وأخذ يشوع مقيّدة فى ذلك اليوم وضربها بحدِّ السّيف وحرَّم ملكها هو وكل نفس بها لم يبق شارداً وفعل بملك مقيّدة كما فعل بملك أريحا»[2].

«اجتاز يشوع من مقيّدة وكلّ إسرائيل معه إلى لبنة وحارب لبنة فدفعها الرّب هى أيضاً بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحدِّ السّيف وكلّ نفس بها لم يبق بها شارداً وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا، ثم اجتاز يشوع وكلّ إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها فدفع الرّب لخيش بيد إسرائيل فأخذها فى اليوم وضربها بحدِّ السّيف وكلّ نفسٍ بها حسب كلّ ما فعل بلبنة، حينئذٍ صعد هورام ملك جازر لإعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شارداً، ثم اجتاز يشوع وكلّ إسرائيل معه لخيش إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وأخذوها فى ذلك اليوم وضربوها بحدِّ السيف وحرَّم كلّ نفسٍ بها فى ذلك اليوم حسب كلّ ما فعل بلخيش، ثم

(١) سفر يشوع الإصحاح العاشر.

(٢) سفر يشوع الإصحاح العاشر.

صعد وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وحاربوها وأخذوها وضربوها بحدِّ السيف مع ملكها وكلّ مدنها وكلّ نفس بها لم يبق شارداً حسب كلّ ما فعل بعجلون فحرّمها وكلّ نفس بها. ثم رجع يشوع وكلّ إسرائيل معه إلى دبير وحاربها وأخذها مع ملكها وكلّ مدنها وضربوها بحدِّ السيف وحرّموا كلّ نفس بها لم يبق شارداً كما فعل بحبرون كذلك فعل بدبير وملكها وكما فعل بلبنة وملكها»(١).

واستمّر يشوع فى تنفيذ خطط يهوه العدوانية فحارب ملوك «حاصور ومادون وشمرون واكشاف وغيرهم» وتمكّن من سحقهم وإبادتهم واحتلال مناطقهم وحرق مدنهم ومركباتهم لم يبق شارداً منهم. فالإله يهوه أراد ذلك وعلى يشوع أن يحضّ جماعته كما حضّه يهوه على العدوان والقتل فنقرأ: «فقال الرّب ليشوع لاتخفهم لأنّى غداً فى مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل فتعرقب خيلهم وتحرق مركباتهم بالنار. فجاء يشوع وجميع رجال الحرب معه عليهم عند مياه ميروم بغتةً وسقطوا عليهم. فدفعهم الرّب بيد إسرائيل فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة وإلى مسرفوت مايم وإلى بقعة مصفاة شرقاً. فضربوهم حتى لم يبق لهم شارداً ففعل يشوع بهم كما قال الرّب عرقب خيلهم واحرق مركباتهم بالنّار.»(٢).

«ثم رجع يشوع فى ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف لأنّ حاصور كانت قبلاً رأس جميع تلك الممالك. وضربوا كلّ نفس بها بحدِّ السّيف حرّموهم ولم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنّار»(٣).

وهنا يحضرنى هذا السؤال: من هو بطل التوراة؟.. أهو موسى أم يشوع أم يهوه؟.. إنّ بن غوريون فى الخمسينيات من القرن العشرين كان يرى أن

(١) سفر يشوع الإصحاح العاشر.

(٢) سفر يشوع الإصحاح الحادى عشر.

(٣) سفر يشوع الإصحاح الحادى عشر.

يشوع بطل التوراة. أمّا التوراة نفسه فيروى لنا بوضوح أنّ البطل الحقيقى هو الإله يهوه، وهو ما نستشفه فى كل النصوص التوراتية. فهو الذى يخطط ويحضّ ويوجه ومن ثم ينفذ بواسطة موسى أو يشوع. فالبطولات الحقيقية كانت ليهوه والآخرون عبارة عن دمى تتحرك كما يريد يهوه(١).

إنّ يهوه هو المحارب الحقيقى وهو الذى دمّر وأباد وحرق وهو الذى حضّ على العدوان وافترض أنّ جميع الشعوب والأمم أعداء بنى إسرائيل، ولم يكن موسى إلا أداة نفّذ من خلالها يهوه أعماله العدوانية التى مرّت معنا. ولمّا مات موسى تسلم يشوع هذه المهمة وكان بارعاً فى التنفيذ، وعندما حضرته الوفاة أشار للجماعة عن رغبات ومواقف يهوه وما فعله طيلة هذه الأيام التى مرّت منذ الخروج من مصر مؤكداً على أنّ يهوه هو الذى كان يحارب عنهم وهو الذى كان يبيد الشعوب والأمم. فنقرأ: «فدعا يشوع جميع إسرائيل وشيوخه ورؤساءه وقضاته وعرفاءه وقال لهم أنا قد شخت تقدّمت فىَّ الأيام وأنتم قد رأيتم كلّ ما عمل الرّب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم. انظروا قد قسّمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التى قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس. والرّب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرّب إلهكم فتشددوا جدّاً»(٢).

بعد موت يشوع استمرت العمليات العدوانية الوحشية على يد القضاة كما يسميهم كاتب سفر القضاة، فقد تشرّب بنو إسرائيل الروح العدوانية تماماً

(١) «فدعا يشوع جميع إسرائيل وشيوخه ورؤساءه وقضاته وعرفاءه وقال لهم أنا قد شخت تقدمت فى الأيام وأنتم قد رأيتم كل عمل الرّب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم لأنّ الرّب إلهكم هو المحارب عنكم».

سفر يشوع الإصحاح الثالث والعشرون.

(٢) سفر يشوع الإصحاح الثالث والعشرون.

وغدت الأعمال العدوانية العسكرية غاية بالنسبة إليهم. لكنها فى عصر القضاة اختلفت بعض الشىء نظراً لأنّ كلّ سبط سكن فى منطقة فلم تعد هناك وحدة تربطهم وصار لكلّ سبط رئيساً أو قاضياً كما يسّميه كاتب السفر.. وكان على كلّ سبط أن يسعى للحصول على المنطقة التى حدّدت له من قبل يشوع قبل وفاته وقد وزّعت الحصص بالقرعة كما ورد فى سفر يشوع(١).

فى سفر القضاة الإصحاح الأول نقرأ: «وكان بعد موت يشوع أنّ بنى إسرائيل سألوا الرّب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم فقال الرّب يهوذا يصعد هو ذا قد دفعت الأرض ليده. فقال يهوذا لشمعون أخيه اصعد معى فى قرعتى لكى نحارب الكنعانيين فأصعد أنا أيضاً معك فى قرعتك. فذهب شمعون معه فصعد يهوذا ودفع الرّب الكنعانيين والغرزّيين بيدهم فضربوا منهم فى بازق عشرة آلاف رجل»(٢).

وعلى الرغم من أنّ بنى إسرائيل لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم على المنطقة كما أراد يهوه وتفرقوا فى عدة مناطق بين أكثرية كنعانية. لم يتخلوا عن الروح العدوانية التى تربوا عليها ونمت مع نموهم. كان لابدَّ أن يقوموا بأعمال عدوانية عسكرية ضد الآمنين من سكان المنطقة. وقد أخذت هذه الأعمال العدوانية طابع العصابات المجرمة الخارجة على القانون. وكانت تستخدم الحيلة والغدر من أجل تنفيذ العدوان وقتل الأبرياء. ودوماً كان رئيس هذه العصابات قاضياً كما يسميه كاتب سفر القضاة، ووراءه كاهن يحضّه على العدوان مشيراً إلى أنّ هذا الأمر من قبل يهوه ومن الضرورى الالتزام بأوامر وقرارات يهوه.

فقد كانت النسبة الكبرى من هؤلاء القادمين من الصحراء قد ذابت فى المجتمع الكنعانى الحضارى وتركت يهوه لصالح آلهة الكنعانيين. وهذا

(١) سفر يشوع الاصحاح الثالث عشر وحتى الاصحاح الثالث والعشرون.

(٢) سفر القضاة الاصحاح الأوّل.

مـاأغـاظ الكهنة أصـحـاب المصلحـة فى البـقـاء على يهـوه وقـرابين يهـوه وتقدماته. فكان لابدَّ من استخدام المتمرّدين واللصوص لخلق جو مشحون بالتوتر والرّعب فى نفوس الصّحـرواويين وذلك عن طريق التأكيد على أنَّ يهوه غاضبٌ من سلوكهم وتركهم إيّاه. ولا يمكن أن يكونوا فى مأمن. إلاّ إذا تخلّوا عن آلهة الكنعانيين وانعزلوا عن المجتمع الكنعانى وقدّموا القرابين والتقدمات ليهوه.

إنّ كاتب سفر القضاة يصور لنا الأحداث تصويراً مسرحياً ففى كلّ إصحـاح بشكل عـام نجد أنّ بنى إسرائيل يعملون الشّر فى عينى الرّب ويعبدون آلهة الكنعانيين فيدفعهم الرّب بأيدى ناهبين ويبعهم لأعدائهم ويسلط هؤلاء الأعداء عليهم. وبعد سنوات يصرخ بنو إسرائيل إلى الرّب ويستنجدونه فيقيم لهم مخلصاً بعد أن رأف بحالتهم ويخلصهم من أعدائهم، والطريقة التى يخلصهم فيها من أعدائهم لاتخلو من الغدر والخيانة والخدعة والقتل إلخ. وبعد فترة يعاودون الكرّة ويعملون الشّر فى عينى الرّب فيغضب ويسلط عليهم الأعداء مدة ثم يصرخون فيرسل لهم مخلصاً يخلصهم. فنقرأ: «وفعل بنو إسرائيل الشرّ فى عينى الرّب وعبدوا البعليم وتركوا الرّب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرّب. تركوا الرّب وعبدوا البعل وعشتاروت فحمى غضب الرّب على إسرائيل فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم. حيثما خرجوا كانت يد الرّب عليهم للشر كما تكلم الرّب وكما أقسم الرّب لهم فضاق بهم الأمر جدّاً. وأقام الرّب قضاةً فخلصوهم من يد ناهبيهم. ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهةٍ أخرى وسجدوا لها. حادوا سريعاً عن الطريق التى سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرّب. لم يفعلوا هكذا. وحينما أقام لهم الرّب قضاةً كان الرّب مع

القاضى وخلصهم من يد أعدائهم كلّ أيام القاضى لأنّ الرّب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها(١).

أمّا القضاة الذين أقامهم الرّب ليخلصوا بنى إسرائيل فقد كان أكثرهم من المتمردين وقاطعى الطرق واللصوص الخارجين على القانون يتبعهم ثلة من العاطلين فى المنطقة.. وكان أوّل هؤلاء القضاة «غينيئيل بن قناز» وجماعته وقتها كانت تحت سلطة الملك «كوشان رشعتايم» ملك آرام النهرين. فنقرأ: «فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثمانى سنوات وصرخ بنوإسرائيل إلى الرّب فأقام الرّب مخلصاً لبنى إسرائيل فخلصهم، غينئيل بن قناز أخا كالب الأصغر. فكان عليه روح الرّب وقضى لإسرائيل وخرج للحرب. فدفع الرّب ليده كوشان رشعتايم ملك آرام واعتزّت يده على كوشان رشعتايم. واستراحت الأرض أربعين سنة ومات غينئيل بن قناز»(٢).

وكان المخلص الثانى أو القاضى «إهود بن جيرا» البنيامينى الذى كان محترفاً الغدر والقتل، وقد أقامه يهوه ليخلص الإسرائيليين من تسلط عجلون ملك موآب. وتمكّن إهود من إنقاذ بنى إسرائيل بعد أن قتل الملك عجلون غدراً ومن ثمّ هاجم وجماعته الموآبيين وقتلوا نحو عشرة آلاف رجل، كما يروى كاتب سفر القضاة: «وصرخ بنوإسرائيل إلى الرّب فأقام لهم الرّب مخلصاً إهود بن جيرا البنيامينى رجلاً أعسر فأرسل بنوإسرائيل بيده هدية لعجلون ملك موآب. فعمل إهود لنفسه سيفاً ذا حدّين طوله ذراعٌ وتقلّده تحت ثيابه على فخذه اليمين. وقدّم الهدية لعجلون ملك موآب وكان عجلون رجلاً سميناً جداً. وكان لما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملى الهدية. وأمّا هو فرجع من عند المنحوتات التى لدى الجلجال وقال. لى كلام

(١) سفر القضاة الإصحاح الثانى.

(٢) سفر القضاة الإصحاح الثالث.

سر إليك أيّها الملك. فقال صه. وخرج من عنده جميع الواقفين لديه. فدخل إليه إهود وهو جالس فى عليّة برود كانت له وحده وقال إهود. عندى كلام الله إليك. فقام عن الكرسى. فمدَّ إهود يده اليسرى وأخذ السّيف عن فخذه اليمنى وضربه فى بطنه»[1].

لقد تابع إهود عدوانه على المؤآبيين فأمر جماعته بعد أن قتل الملك عجلون أن يتبعوه لإبادة المؤآبيين فراح ضحية هذا العدوان عشرة آلاف رجل حسب ما يروى كاتب سفر القضاة[2].

«وكان بعده شمجر بن عناة فضرب من الفلسطينيين ستمئة رجل بمنساس البقر وهو أيضاً خلص إسرائيل»[3].

ثمّ أقام بعده يهوه امرأة تدعى «دبورة» وذلك بعد أن باعهم الرّب بيد يابين ملك كنعان لأنهم عملوا الشرّ بعد وفاة شمجربن عناة. فقامت «دبورة» تحضّ على العدوان وتخطط لضرب الكنعانيين وملكهم يابين وقائده سيسرا. وقد استخدمت لأجل هذا العمل العدوانى رجلاً مغامراً متمرّداً معه ثلة من العاطلين من سبط نفتالى فى قادش وكان يدعى «باراق بن أبنيوعم»، وحسب الرواية فإنّ باراق بن أبنيوعم وجماعته أبادوا كل جيش سيسرا بحدِّ السيف ولم يبق ولا واحد. وأمّا سيسرا قائد الجيش فقد هرب والتجأ فى خيمة امرأة تدعى «ياعيل» وهى امرأة حابر القينى لأنّه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القينى. ولكن ياعيل وكأىّ يهودى لم ترع العهد ولا الميثاق ولا الصلح فاحتالت على سيسرا وقتلته غدراً حيث نقرأ: «وأمّا سيسرا فهرب على رجليه إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القينى. لأنّه كان صلح بين يابين ملك حاصور وبيت حابر القينى. فخرجت ياعيل

(١) سفر القضاة الإصحاح الثالث.

(٢) سفر القضاة الإصحاح الثالث.

(٣) سفر القضاة الإصحاح الثالث.

لاستقبال سيسرا وقالت له مل ياسيدى مل إلىَّ لاتخف. فمال إليها إلى الخيمة وغطّته باللحاف. فقال لها اسقينى قليل ماءٍ لأنّى قد عطشت. ففتحت وطب اللبن وأسقته ثمّ غطته فقال لها قفى بباب الخيمة ويكون إذا جاء أحدٌ وسألك أهنا رجلٌ أنّك تقولين لا. فأخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة وجعلت المبتدة فى يدها وثارت إليه وضربت الوتد فى صدغه فنفذ إلى الأرض وهو متثقّلٌ فى النوم ومتعبٌ فمات.»(١).

إنّ ماقامت به ياعيل صار مفخرة كبيرة،. لدى اليهود. ومثلاً سار عليه الخلف.. وقد ترنمت دبورة بهذا السلوك واعتبرته من الأعمال الصّالحة التى يباركها الرّب يهوه فنقرأ: «تبارك على النساء ياعيل امرأة حابر القينى على النساء فى الخيام تبارك. طلب ماءً فأعطته لبناً فى قصعة العظماء. قدّمت زبدةً مدّت يدها إلى الوتد ويمينها إلى مضراب العملة وضربت سيسرا وسحقت رأسه شدّخت وخرّقت صدغه»(٢).

وبعد وفاة «دبورة» عاد بنوإسرئيل يعملون الشر فى عينى الرّب فغضب الرّب، وسلط عليهم المديانيين سبع سنين، وقد عانى الإسرائيليون منهم معاناة كبيرة كما يروى كاتب سفر القضاة حتى صرخوا إلى الرّب مستنجدين فأقام لهم قاضياً جديداً يدعى «جدعون بن يوآش الأبيعزرى» الذى كان مزارعاً يعمل مع والده حسب الرواية. حيث أتاه ملاك الرّب وأمره ملاك الرّب أن يتجهز ليشن عدواناً على المديانيين مشيراً إلى أنّ الرّب سيكون معه فنقرأ: «فقال له الرّب إنى أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد»(٣).

لقد اجتمع لجدعون عدد من العاطلين الخارجين على القانون وقدرهم

---

(١) سفر القضاة الإصحاح الرابع.

(٢) سفر القضاة الإصحاح الرابع.

(٣) سفر القضاة الإصحاح السادس.

كاتب السفر بثلاثمئة رجل. وبهم بدأ جدعون أعماله العدوانية هنا وهناك ضدّ المديانيين وقتل أميرى المديانيين آنذاك «غراب وذئب» وقطع رأسيهما[1].

إنّ جدعون هذا كان خارجاً على القانون، والسلطات المحلية تطارده ومن معه، فكان يلجأ من مكان إلى مكان ويستخدم العنف والغدر للحصول على الطعام من السكان الآمنين فى المنطقة. فهو وبعد أن نجح فى قتل «غراب وذئب» بحيلة دبرها وجماعته، هربوا إلى الأردن. ووصل سكّوت فطالب سكانها أن يعطوه خبزاً ليتابع عدوانه فرفض أهل سكوت فهم يعرفون أنّه خارج على القانون والسلطات المحلية تلاحقه، لهذا هدّدهم جدعون قائلاً: «عندما يدفع الرّب زبح وصلمناع بيدّى أدرس لحمكم مع أشواك البرية بالنوارج»[2].

وكذلك فعل معه أهل فنوئيل، فوعد بهدم برج فنوئيل، وتابع سيره إلى أن وصل إلى منطقة تدعى «قرقر» حيث يعسكر هناك ملكا مديان «زبح وصلمنّاع» ومعهما جيش يقدره كاتب السفر بخمسة عشر ألفاً، وقد تمكن جدعون من القضاء على هذا الجيش وأسر الملكين المديانيين زبح وصلمناع، ثم جاء إلى سكُّوت كما وعد فنقرأ: «ودخل إلى أهل سكُّوت وقال هو ذا زبح وصلمناع اللذان عيرتمونى بهما قائلين هل أيدى زبح وصلمنّاع بيدك الآن حتى نعطى رجالك المعيين خبزاً. وأخذ شيوخ المدينة وأشواك البرية والنوارج وعلّم بها أهل سكُّوت. وهدم برج فنوئيل وقتل رجال المدينة»[3].

إنّ جدعون هذا الذى كلّفه الرّب شخصّياً ليكون قاضياً على إسرائيل ومخلصاً لبنى إسرائيل من سطوة المديانيين، تخلى عن هذا الإله بعد أن حقّق انتصاراته على الآمنين وسرق منهم أقراط الذهب والفضة بالإضافة إلى

(١) سفر القضاة الإصحاح السّابع.

(٢) سفر القضاة الإصحاح الثامن.

(٣) سفر القضاة الإصحاح الثامن.

الأهلَّة والحلق وأثواب الأرجوان والقلائد التى فى أعناق جمالهم. فصنع فى مدينته عفرة أقوداً حيث نقرأ: «فصنع جدعون منها أقوداً وجعله فى مدينته فى عفرة وزنى كلّ إسرائيل وراءه هناك فكان ذلك لجدعون وبيته فخّاً»[١].

ونقرأ أيضاً فى سفر القضاة عن «يفتاح الجلعادى» الذى أقامه يهوه ليكون قاضياً على إسرائيل وكيف قام بأعماله العدوانية ضدّ السكان الآمنين فى عبر الأردّن فى أرض الأموريين فى جلعاد. وهذا القاضى كان ابن امرأة زانية حسب الرواية التوراتية، وكان خارجاً على القانون ومعه عدد من الرّجال البطالين الذين التفّوا حوله[٢].

قام يفتاح الجلعادى بأعمال عدوانية متعددة ضدَّ عمون كما يروى كاتب سفر القضاة حيث نقرأ: «ثم عبر يفتاح إلى بنى عمّون لمحاربتهم فدفعهم الرّب ليده. فضربهم من عروعير إلى مجيئك إلى منّينت عشرين مدينة وإلى آبل الكروم ضربة عظيمة جدّاً.»[٣].

ومن القضاة أيضاً «شمشون» الذى كان جبّاراً كما يصفه كاتب السفر، وتزوّج من امرأة فلسطينية. وقد قام شمشون بأعمال عدوانية كثيرة ضدّ الفلسطينيين، فنقرأ أنّه قتل فى مدينة أشقلون ثلاثين رجلاً وأخذ سلبهم[٤].

ونقرأ أيضاً أنّه أمسك ثلاثمئة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين فى الوسط ثمّ أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزّرع وكروم الزيتون[٥].

---

(١) سفر القضاة الإصحاح الثامن.

(٢) «وكان يفتاح الجلعادى جبار بأسٍ وهو ابن امرأة زانية» سفر القضاة الإصحاح/ ١١.

«وأقام فى أرض طوب فاجتمع إلى يفتاح رجال بطالون وكانوا يخرجون معه» الإصحاح/ ١١.

(٣) سفر القضاة الإصحاح الحادى عشر.

(٤) سفر القضاة الإصحاح الرابع عشر.

(٥) سفر القضاة الإصحاح الخامس عشر.

كان شمشون مطارداً من قبل السلطات المحلية لأنّه كان من الخارجين عن القانون وشرساً إلى الدرجة التى لم يكن فيها قادراً على العيش دون أن يقتل ويسلب ويغزو السكان فى المنطقة، فالعدوان فى عروقه، وقد راح ضحية هذه الرّوح العدوانية آلاف الفلسطينيين كما يرد فى الرواية التوراتية(١).

وفى الإصحاح الثامن عشر من سفر القضاة، نقرأ عن عدوان بشع قام به أفراد عشيرة «الدّانيون» بنودان أحد أسباط بنى إسرائيل، ضدّ سكان منطقة «لايش» الذين كانوا يعيشون حياة هانئة مطمئنة حيث نقرأ: «فأرسل بنودان من عشيرتهم خمسة رجالٍ منهم بنى بأس من صرعة ومن أشتأول لتجسّس الأرض وفحصها.»(٢).

«فذهب الخمسة الرجال وجاؤوا إلى لايش ورأوا الشعب الذى فيها ساكنين بطمأنينة كعادة الصيدونيين مستريحين مطمئنين وليس فى الأرض مؤذٍ بأمرٍ وارث رياسة وهم بعيدون عن الصيدونيين وليس لهم أمرٌ مع إنسان»(٣).

«فارتحل من هناك من عشيرة الدانيين من صرعة ومن أشتأول ستمئة رجل متسلحين بعدة الحرب. وصعدوا وحلّوا فى قرية يعاريم فى يهوذا»(٤).

«وجاؤوا إلى لايش إلى شعب مستريح مطمئن وضربوهم بحدِّ السيف وأحرقوا المدينة بالنّار. ولم يكن مَن ينقذ لأنّها بعيدةٌ عن صيدون ولم يكن لهم أمرٌ مع إنسان. وهى فى الوادى الذى لبيت رحوب. فبنوا المدينة وسكنوا بها ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذى ولد لإسرائيل وأقام بنو دان لأنفسهم التمثال المنحوت»(٥).

(١) «وحلّ عليه روح الرّب فنزل إلى أشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلاً وأخذ سلبهم».
«وقال شمشون بلحى حمارٍ كومةً كومتين. بلحى حمارٍ قتلت ألف رجل» سفر القضاة ١٤ ـ ١٥.

(٢) سفر القضاة الإصحاح الثامن عشر.

(٣) سفر القضاة الإصحاح الثامن عشر.

(٤) سفر القضاة الإصحاح الثامن عشر.

(٥) سفر القضاة الإصحاح الثامن عشر.

وفى سفر صموئيل الأوّل نقرأ من الحضّ على العدوان والسلوك العدوانى الذى نفّذه شاول وجماعته بتوجيهات من صموئيل النبى أو الكاهن الذى كان يؤكد دائماً أنّ الإله يهوه يرغب فى ذلك، وهذه الرغبة هى قرار ثابت لامجال للتخلى عنه أو التردّد فى تنفيذه. «فيهوه» منتقم، مرعب، غيور، يغضب فوراً يسير أمام جنوده، يحارب عنهم ويأمر بذبح البشر وتدمير المدن وقتل الشيوخ والأطفال، هكذا كان يصوره صموئيل أو يريده، إلهاً غاضباً، قاسياً متعطشاً للعنف والقتل والدماء، وهو فى حمأة غضبه يضرب بالوباء، أو يشقّ الأرض لتبتلع الناس أو يصعق بالموت. أو يسلط النار لتلتهم النّاس وتأكلهم أو يضرب الناس بالبواسير[١].

إن شاول الذى مسحه لاحقاً صموئيل ملكاً على إسرائيل كما يروى كاتب سفر القضاة. كان متمرداً وخارجاً على القانون ومعه عدد من العاطلين المتمردين أيضاً لا هَمَّ لهم إلاّ العدوان والسلب والنهب، وقد تبنّاه الكاهن الحاقد صموئيل ودعمه مشيراً إلى أنّ يهوه وراءه، فنقرأ: «وقال صموئيل لشاول إياى أرسل الرّب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل والآن فاسمع صوت كلام الرّب. هكذا يقول ربّ الجنود. إنّى قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له بالطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كلَّ ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة. طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً جملاً وحماراً. فاستحضر شاول الشعب وعدّه فى طلايم مئتى ألف راجلٍ وعشرة آلاف رجل من يهوذا.»[٢].

فالسلطة المحّلية كانت تلاحق هؤلاء العصاة المتمردين الذين كانوا

(١) «وخرجت نارٌ من الأرض وأكلت المائتين والخمسين رجلاً» سفر العدد ١٦.

«ثقلت يد الرّب على الأشدوديين وأخرجهم وضربهم بالبواسير» سفر صموئيل ٦.

ـ أما أهل بيت شمس «ضرب منهم خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً لأنّهم نظروا إلى تابوت الرّب» سفر صموئيل الإصحاح السادس.

(٢) سفر صموئيل الإصحاح الخامس عشر.

يختبئون فى المغاور والكهوف خلال النهار ويتحركون ليلاً يقطعون الطرق ويسلبون الناس الآمنين. فنقرأ: «وقال شاول لننزل وراء الفسطينيين ليلاً وننهبهم إلى ضوء الصباح ولا نبقى منهم أحداً.»(١).

وفى نفس الفترة التى كان فيها شاول متمرداً وخارجاً على القانون ويقف وراءه الكاهن صموئيل، كان داود يظهر على السّاحة شيئاً فشيئاً، يقضى أيامه فى الغزو والسّطو بتوجيهات من الرّب يهوه مباشرة فنقرأ: «فقال الرّب لداود اذهب واضرب الفلسطينيين وخلّص قعيلة»(٢).

وكان داود يسأل الرّب ليتأكد إن كان بمقدوره ضربهم والانتصار عليهم ويجيبه الرّب مؤكداً على أنّه سيدفعهم إلى يده وسيتمكن منهم فنقرأ:

«فعاد أيضاً داود وسأل من الرّب فأجابه الرّب وقال قم انزل إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين فإنى أدفع الفلسطينيين ليدك، فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة وخلّص داود سكان قعيلة»(٣).

«وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لأنّ هؤلاء من قديم سكّان الأرض من عند شور إلى أرض مصر. وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى أخيش»(٤).

لقد خلت السّاحة لداود بعد أن مات شاول ونشط فى عملياته

---

(١) سفر صموئيل الاصحاح الرابع عشر.

«وكانت حرباً على الفلسطينيين كل أيام شاول وإذا رأى شاول رجلاً جباراً أو ذا بأسٍ ضمه إلى نفسه». ١٤/ ٥٢.

(٢) سفر صموئيل الأوّل الإصحاح الثالث والعشرون.

(٣) سفر صموئيل الأوّل الإصحاح الثالث والعشرون.

(٤) سفر صموئيل الأول الإصحاح السابع والعشرون.

العسكرية ضد السكان من الفلسطينيين والموآبيين والكنعانيين بشكل عام. ولم يكن هناك من يقف فى وجهه لأنّ الرّب معه، وهو الذى يحضّه ويدفعه لأن يغزو ويحارب عنه حسب ما يرد فى سفر صموئيل الثانى، حيث نقرأ: «وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذللهم وأخذ زمام القصبة من يد الفلسطينيين وضرب المؤابيين وقاسهم بالحبل أضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وبحبلٍ للاستحياء»(١).

«وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات فأخذ داود منه ألف وسبعمائة فارس وعشرين ألف راجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مئة مركبة»(٢).

«وقتل داود من آرام سبعمئة مركبة وأربعين ألف فارس وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك»(٣).

إنّ الأنبياء أو الكهنة أو رجال الله الناطقون باسم يهوه كانوا دوماً وراء كل الأعمال العدوانية والانغلاق والتعصّب والحقد تجاه الشعوب والأمم الأخرى.

لانقرأ عن أى واحد منهم كان يحضُّ على السلام والمحبة والتآخى والعفو عند المقدرة والتسامح.. جميعهم يحضّون على العدوان والإبادة والقتل وعدم الرأفة، والتمسك بالإله يهوه ربّ الجنود هذا الإله الحاقد الذى لا يرتاح إلاّ بمنظر الدماء، والقتل والتحريق والقطع، وحرق المدن.

فى سفر الملوك الثانى مثلاً نَقرأ أنّ يهورام ملك إسرائيل ويهو شافاط ملك يهوذا اتفقا على محاربة موآب، وقرّرا استشارة نبى ليسأل لهم الإله يهوه إن كان سيدفع ليدهم موآب أم لا. فأحضرا أليشع بن شافاط وكان نبيّاً آنذاك فقال لهم: «هكذا قال الرّب اجعلوا هذا الوادى جباباً جباباً لأنّه هكذا

(١) سفر صموئيل الثانى الإصحاح الثامن.

(٢) سفر صموئيل الثانى الإصحاح الثامن.

(٣) سفر صموئيل الثانى الإصحاح العاشر.

قال الرّب لاترون ريحاً ولا ترون مطراً وهذا الوادى يمتلئ ماءً فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم. وذلك يسيرٌ فى عينى الرّب فيدفع موآب إلى أيديكم فتضربون كل مدينة محصّنة وكلّ مدينة مختارة وتقطعون كلّ شجرة طيبة وتطمّون جميع عيون الماء وتفسدون كلّ حقلة جيدة بالحجارة..»(١).

وفى سفر أشعيا، نجد أنّ هذا النّبى «أشعيا» يشعر بالكآبة والإحباط من التقصير الذى يراه من بنى إسرائيل، فهو يريدهم أن لايستريحوا من أعمال العدوان، نظراً لأنّ الإله يهوه يبغض الأمم الأخرى ويحقد عليها ويرغب فى سحقها وإبادتها من أجل شعبه الخاصّ المقدس. لهذا فإنّ سفر أشعيا عبارة عن دروس فى الحقد والعنصرية والعنف، يحذّر فيها اليهود من التخلّى عن أعمال العدوان والتسلط والقتل حتى لا يغضب الإله يهوه وتنفيذاً للشريعة التى بنيت على التحريم والقطع والحضّ على العدوان والفوقية والعنصرية. فنقرأ: «اقتربوا أيّها الأمم لتسمعوا وأيّها الشعوب اصغوا. لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكلّ نتائجها. لأنّ للرّب سخطاً على كلّ الأمم وحمواً على كل جيشهم. قد حرّمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم. ويفنى كلّ جند السموات وتلتف السموات كدرج وكلُّ جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسُّقاط من التينة. لأنّه قد روىً فى السَّموات سيفى هو ذا على أدوم ينزل وعلى شعب حرّمته للرّب سيفٌ قد امتلأ دماً اطلى بشحم بدم خرافٍ وتيوس بشحمٍ كلى كباش لأنّ للرّب ذبيحة فى بُصرة وذبحاً عظيماً فى أرض أدوم. وسقط البقر الوحشىُّ معها. والعجول مع الثيران وتروى أرضهم من الدّم وترابهم من الشحم يسمَّن. لأنَّ للرّب يوم انتقام سنة جزاء من أجل دعوى صهيون»(٢).

---

(١) سفر الملوك الثانى الإصحاح الثالث.

(٢) سفر إشعيّاء الإصحاح الرابع والثلاثون.

ونقرأ فى موضع آخر: «ولكن هكذا يقول ربّ الجنود لاتخف من آشور ياشعبى الساكن فى صهيون. يضربك بالقضيب ويرفع عصاه عليك على أسلوب مصر. لأنّه بعد قليل جداً يتم السّخط وغضبى فى إبادتهم. ويقيم عليه ربُّ الجنود سوطاً كضربة مديان»[١].

«هو ذا السيد ربّ الجنود يقضب الأغصان برعب والمرتفع والقامة يقطعون. والمتشامخون ينخفضون. ويقطع غاب الوعر بالحديد ويسقط لبنان بقدير»[٢].

ثم نقرأ فى الإصحاح الثالث عشر: «وحيٌ من جهة بابل رآه إشعيّاء بن آموص. أقيموا رايةً على جبل أقرع. ارفعوا صوتاً إليهم أشيروا باليد ليدخلوا أبواب العتاة. أنا أوصيت مقدسى ودعوت أبطالى لأجل غضبى مفتخرى عظمتى صوت جمهورٍ على الجبال شبه قوم كثيرين صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة. ربّ الجنود يعرض جيش الحرب. يأتون من أرض بعيدةٍ من أقصى السّموات. الرّب وأدوات سخطه ليخرب كلّ الأرض»[٣].

«هو ذا يوم الرّب قادم قاسياً بسخطٍ وحموّ غضبٍ ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها»[٤].

إنّ كافة الأمم والشعوب فى نظر إشعيا خطاة وبالتالى فإنّ يهوه سيبيدهم من الوجود قتلاً ليبقى شعبه الخاصّ المقدس فقط فنقرأ: «وأعاقب المسكونة على شرّها والمنافقين على إثمهم وأبطل تعظّم المستكبرين وأضع تجبّر العتاة. وأجعل الرجل أعزَّ من الذّهب الإبريز والإنسان أعزَّ من ذهب أوفير لذلك أزلزل السّموات وتتزعزع الأرض من مكانها فى سخط

(١) سفر إشعياء الإصحاح العاشر.

(٢) سفر إشعياء الإصحاح العاشر.

(٣) سفر إشعياء الإصحاح الثالث عشر.

(٤) سفر إشعياء الإصحاح الثالث عشر.

ربّ الجنود وفى يوم حموّ غضبه ويكون كظبى طريدٍ وكغنم بلا من يحميها يلتفتون كلّ واحد إلى شعبه ويهربون كلٌّ واحد إلى أرضه. كلّ من وجد يطعن وكلّ من انحاش يسقط بالسّيف. وتحطّم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم»(١).

لقد تعمد إشعياء أو كاتب سفر إشعيّاء أن يحسم موضوع التهاون فى مسألة الاندماج والمساواة والانسانية، فاليهود هم الأخيار، هم النخبة والزرع المقدس، هم الأسياد، وهذا ما ينبغى، أن يفهمه كل يهودى ويغدو منهجاً وطريقاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك. وهذا يستدعى دون شك استخدام العنف والقسوة. فنقرأ: «لأنّ الرّب سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم فى أرضهم فتقترن بهم الغرباء وينضمون إلى بيت يعقوب ويأخذهم شعوب ويأتون بهم إلى موضعهم ويمتلكم بيت إسرائيل فى أرض الرّب عبيداً وإماءً»(٢).

وفى الإصحاح الثلاثين نقرأ: «هو ذا اسم الرّب يأتى من بعيد غضبه مشتعلٌ والحريق شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلةٍ ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة لغربلة الأمم بغربال السّوء وعلى فكوك الشّعوب رسنٌ مضلٌّ»(٣).

ونقرأ فى الإصحاح التاسع والأربعين: «هكذا قال السيد الرّب ها إنّى أرفع إلى الأمم يدى وإلى الشعوب أقيم رايتى فيأتون بأولادك فى الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أنّى أنا الرّب الذى لايخزى منتظروه»(٤).

(١) سفر إشعيّاء الإصحاح الثالث عشر.

(٢) سفر إسعيّاء الإصحاح الثالث عشر.

(٣) سفر إشعيّاء الإصحاح الثلاثون.

(٤) سفر إشعيّاء الإصحاح التاسع والأربعون.

ويستمر إشعيّاء فى التأكيد على أنّ كافة الأمم سوف تكون فى خدمة إسرائيل حيث نقرأ: «لأنّه تتحوّل إليك ثروة البحر ويأتى إليك غنى الأمم».

«وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك لأنى بغضبى ضربتك وبرضوانى رحمتك. وتنفتح أبوابك دائماً نهاراً وليلاً لا تغلق. ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم. لأنّ الأمّة والمملكة التى لاتخدمك تبيد وخراباً تخرب الأمم»(١).

«ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم، أمّا أنتم فتدعون كهنة الرّب تسمون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون»(٢).

كما نجد هذه النزعة العدوانية فى سفر إرميا أيضاً. وكاتب هذا السفر يركز على ضرورة التمسّك بالرّوح العدوانية تجاه كافة الشعوب وهو يحذر من مغبة التخلى عن هذه الرّوح، لأنّ غضب يهوه سريعٌ وتعطشه للدماء لاحدود له. فنقرأ: «الرّب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته يزئر زئيراً على مسكنه بهتافٍ كالدَّائسين يصرخ ضدّ كلّ سكان الأرض بلغ الضجيج إلى أطراف الأرض لأنّ للرّب خصومة مع الشّعوب هو يحاكم كلّ ذى جسدٍ يدفع الأشرار للسّيف يقول الرّب. هكذا قال رب الجنود. هو ذا الشّر يخرج من أمّةٍ إلى أمّةٍ وينهض نوءٌ عظيمٌ من أطراف الأرض. وتكون قتلى الرّب فى ذلك اليوم من أقصاء الأرض إلى أقصاء الأرض. لا يندبون ولا يضمون ولا يدفنون. يكونون دمنةً على وجه الأرض»(٣).

فإرميّا النبى، الناطق باسم يهوه لاينسى أبداً أن يؤكد لبنى اسرائيل أنّ يهوه ورغم ما يحمله من حقدٍ تجاه كل الأمم وتجاه من يتخلى عن شريعته

---

(١) سفر إشعياء الإصحاح السّتون.

(٢) سفر إشعيّاء الإصحاح الحادى والسّتون.

(٣) سفر إرميّا الإصحاح الخامس والعشرون.

وقراراته فإنّه سيعيد لبنى إسرائيل أمجادهم حتى لو أفنى كل الأمم الأخرى. لكن بشرط أن لا يندمجوا بالشعوب، وأن لايتخلوا عن العدوان بأشكاله المختلفة. فنقرأ: «أمّا أنت ياعبدى يعقوب فلا تخف يقول الرّب ولاترتعب ياإسرائيل لأنّى ها أنذا أخلصك من بعيدٍ ونسلك من أرض سبيه فيرجع يعقوب ويطمئن ويستريح ولا مزعج. لأنى أنا معك يقول الرّب لأخلّصك وإن أفنيت جميع الأمم الذين بدّدتك إليهم فأنت لا أفنيك بل أؤدبك بالحقِّ ولا أبرئك تبرئةً. لأنّه هكذا قال الرّب كسرك عديم الجبر وجرحك عضالٌ. ليس من يقضى حاجتك للعصر. ليس لك عقاقير رفادةٍ. قد نسيك كلُّ محبيك. إياك لم يطلبوا لأنى ضربتك ضربة عدوٍّ تأديب قاسٍ لأنّ إثمك قد كثر وخطاياك تعاظمت قد صنعت هذه بك. لذلك يؤكل كلّ أكليك ويذهب كلُّ أعدائك قاطبة إلى السَّبى ويكون كلُّ سالبيك سلباً وأدفع كلُّ ناهبيك للنهب»(١).

«هو ذا زوبعة الرّب تخرج بغضب. نوءٌ جارفٌ على رأس الأشرار يثور. لا يرتدُّ حموُّ غضب الرّب حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه»(٢).

إنّ إرميا، يصب جام غضبه وحقده على كلّ الشعوب والأمم مؤكداً أن يهوه سوف يفنى هذه الأمم وسيبيدها ويقتل شبانها وأطفالها وشيوخها ويحرق مدنها من أجل شعبه الخاصّ المقدس. فيبدأ بمصر ويصب لعنته عليها ويدفعها ليد نبوخذ نصر ملك بابل فيضرب جيشها ويبيده وينتقم يهوه من المصريين فنقرأ: «فهذا اليوم للسيد رب الجنود. يوم نقمةٍ للانتقام من مبغضيه فيأكل السّيف ويشبع ويرتوى من دمهم. لأنّ للسّيد ربّ الجنود ذبيحة فى أرض الشمال عند نهر الفرات»(٣).

(١) سفر إرميّا الإصحاح الثلاثون.

(٢) سفر إرميّا الإصحاح الثلاثون.

(٣) سفر إرميّا الإصحاح السادس والأربعون.

ويتـابع إرمـيّـا إلى بابل، مـؤكـداً على فنائهـا وعـودة اليـهـود منهـا إلى أورشليم، بـأمـان واطمئنـان. ثمّ يركـز على أنّ الفلسطينيـين سيهلكون، هكذا قـال لـه الرّب فنقـرأ: «كلمـة الرّب التى صـارت إلى إرمـيّـا النبى عن الفلسطينيين قبل ضرب فرعون غزة»(١).

«بسبب اليوم الآتى لهلاك كلّ الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدون كلَّ بقيةٍ تعين لأنّ الرّب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور»(٢).

ويتوعد أيضاً بضرب موآب وتخريبها وإبادتها من الوجود. حيث نقرأ: «قريبٌ مجىء هلاك موآب وبليتها مسرعةٌ جدّاً. اندبوها ياجميع الذين حواليها وكلّ العارفين اسمها قولوا كيف انكسر قضيب العزِّ عصا الجلال. انزلى من المجد اجلسى فى الظّلماء أيتها الساكنة بنت ديبون لأنّ مهلك موآب قد صعد إليك وأهلك حصونك. قفى على الطريق وتطلعى ياساكنة عروعير. اسألى الهارب والناجية قولى ماذا حدث. قد خزى موآب لأنّه قد نقض. وولولوا واصرخوا أخبروا فى أرنوب أنّ موآب قد أُهلك»(٣).

كما يتوعّد بنى عمون قائلاً: «ها أيامٌ تأتى يقول الرّب وأسمع فى ربّة بنى عمون جلبة حرب وتصير تلاً خرباً وتحرق بناتها بالنّار فيرث إسرائيل الذين ورثوه يقول الرّب»(٤).

أمّا عن أدوم فيقول: «لأنّى بذاتى حلفت يقول الرّب بصرة تكون دهشاً وعاراً وخراباً ولعنة وكلّ مدنها تكون خرباً أبديةً»(٥).

«وتصير أدوم عجباً كلُّ مارٍّ بها يتعجب ويصفر بسبب كلّ ضرباتها

(١) سفر إرميّا الإصحاح السابع والأربعون.

(٢) سفر إرميّا الإصحاح السابع والأربعون.

(٣) سفر إرميّا الإصحاح الثامن والأربعون.

(٤) سفر إرميّا الإصحاح التاسع والأربعون.

(٥) سفر إرميا الإصحاح التاسع والأربعون.

كانقلاب سدوم وعمورة ومجاوراتها يقول الرّب لايسكن هناك إنسان ولا يتغرب فيها ابن آدم»(١).

وعن دمشق: «خزيت حماة وأرفاد. قد ذابوا لأنهم قد سمعوا خبراً رديئاً. فى البحر اضطراب لا يستطيع الهدوء. ارتخت دمشق والتفتت للهرب. أمسكتها الرعدة وأخذها الضيق والأوجاع كماخض كيف لم تترك المدينة الشهيرة قرية فرحى. لذلك تسقط شبانها فى شوارعها وتهلك كلّ رجال الحرب فى ذلك اليوم يقول ربّ الجنود»(٢).

كما يعرج على قيدار وممالك حاصور قائلاً: «وتكون حاصور مسكن بنات آوى وخربة إلى الأبد، لايسكن هناك إنسان ولا يتغرّب فيها ابن آدم»(٣).

وأيضاً يتوعد عيلام قائلاً: «كلمة الرّب التى صارت إلى إرميّا النبى على عيلام. فى ابتداء ملك صديقيا ملك يهوذا قائلة. هكذا قال ربّ الجنود. هاأنذا أحطم قوس عيلام أول قوتهم وأجلب على عيلام أربع رياح من أربعة أطراف السماء وأذريهم لكل هذه الرياح ولا تكون أمة إلا ويأتى إليها منفيو عيلام. وأجعل العيلاميين يرتعبون أمام أعدائهم وأمام طالبى نفوسهم وأجلب عليهم شرّاً حموّ غضبى يقول الرّب. وأرسل وراءهم السّيف حتى أفنيهم»(٤).

وأخيراً يتناول بابل وأرض الكلدانيين متوّعداً أيضاً ومشيراً إلى أنّ الهلاك آت والخراب كبيرٌ، وأنّ يهوه سيسلط على البابليين شعباً كبيراً جباراً يأتى من الشمال فيدمر ويحرق ويقتل ويسبى دون رحمة أو شفقة وينتقم له منهم لأنّهم سبوا شعبه الخاصّ المدلل. فنقرأ فى عدة مواضع

---

(١) سفر إرميّا الإصحاح التاسع والأربعون.

(٢) سفر إرميّا الإصحاح التاسع والأربعون.

(٣) سفر إرميّا الإصحاح التاسع والأربعون.

(٤) سفر إرميّا الإصحاح التاسع والأربعون.

ضمن الاصحاح الخمسين: «ها أنذا أوقظ وأصعد على بابل جمهور شعوبٍ عظيمةٍ من أرض الشمال فيصطفون عليها. من هناك تؤخذ. نبالهم كبطلٍ مهلكٍ لا يرجع فارغاً وتكون أرض الكلدانيين غنيمة. بكل مغتنميها يشبعون يقول الرّب»[1].

«بسبب سخط الرّب لاتسكن بل تصير خربةً بالتمام كل مارٍّ ببابل يتعجب ويصفر بسبب كلّ ضرباتها. اصطفوا على بابل حواليها ياجميع الذين ينزعون فى القوس. ارموا عليها لاتوفروا السهام لأنّها قد أخطأت إلى الرّب. اهتفوا عليها حواليها. قد أعطت يدها. سقطت أسسها. نقضت أسوارها لأنّها نقمة الرّب هى فانتقموا منها»[2].

«هكذا قال الرّب. ها أنذا أوقظ على بابل وعلى الساكنين فى وسط القائمين علىَّ ريحاً مهلكة. وأرسل إلى بابل مذرين فيذرونها ويفرغون أرضها لأنهم يكونون عليها من كلّ جهة فى يوم الشرا. على النازع فى قوسه فلينزع النازع وعلى المفتخر بدرعه فلا تشفقوا على منتخبيها بل حرموا كل جندها. فتسقط القتلى فى أرض الكلدانيين والمطعونون فى شوارعها»[3].

ويتابع إرميّا مواعظه لبنى إسرائيل متوعداً كالمعتاد ومهدداً بربّ الجنود يهوه المنقذ الوحيد لهم وقضيب الميراث الأوحد الذى يجعل منهم قوة ضاربة قادرة على سحق كل الأمم. بسكانها ومدنها وأطفالها وشيوخها.. فنقرأ: «أنت لى فأسٌ وأدوات حربٍ فأسحق بك المركبة وراكبها. وأسحق بك الرجل والمرأة وأسحق بك الشيخ والفتى وأسحق بك الغلام والعذراء. وأسحق بك الراعى وقطيعه. وأسحق بك الفلاح وفدانه. وأسحق بك الولاة والحكام. وأكافئ بابل وكلّ سكان أرض الكلدانيين على كلّ شرهم الذى فعلوه فى

(١) سفر إرميّا الإصحاح الخمسون.

(٢) سفر إرميّا الإصحاح الخمسون.

(٣) سفر إرميّا الإصحاح الخمسون.

صهيون أمام عيونكم يقول الرّب»(١).

«لذلك هكذا قال الرّب. ها أنذا أخاصم خصومتك وأنتقم نقمتك وأنشف بحرها وأجفف ينبوعها. وتكون بابل كوماً ومأوى بنات آوى ودهشاً وصفيراً بلا ساكن»(٢).

وكما كان إرميّا متشدداً فى أمر التمسّك بالروح العدوانية والسلوك العدوانى، فإنّ حزقيال النبى أيضاً رفع راية الحقد والعدوان محذّراً ومهدداً ومتوعداً بأنّ يهوه لن يسمح أبداً بالتخلى عن هذه النزعة، وسيصب جام غضبه حتى على شعبه الخاص المقدس إن تردد أو تجاهل هذا الأمر.. فنقرأ فى سفر حزقيال مزيداً من أفكار الحضّ على العدوان والسلوك العدوانى بلسان النبى حزقيال الناطق باسم يهوه.

وأيضاً اتبع حزقيال نفس الأسلوب الذى اتبعه إرميّا فى صبّ جام غضبه على الشعوب والأمم مؤكداً على أنها ستباد وستدمر وستحرق لأنّها رأت مذلة إسرائيل وفرحت حسب رأيه فنقرأ: «وكان إلىَّ كلام الرّب قائلاً: ياابن آدم اجعل وجهك نحو بنى عمون وتنبأ عليهم. وقل لبنى عمون اسمعوا كلام السيد الرّب. هكذا قال السّيد من أجل أنك قلت هه على مقدسى لأنّه تنجس وعلى أرض إسرائيل لأنّها خربت وعلى بيت يهوذا لأنهم ذهبوا إلى السبى. فلذلك ها أنذا أسلمك لبنى المشرق ملكاً فيقيمون صيرهم فيك ويجعلون مساكنهم فيك. هم يأكلون غلتك وهم يشربون لبنك وأجعل ربة مناخاً للإبل وبنى عمون مربضاً للغنم فتعلمون أنى أنا الرّب.لأنّه هكذا قال السّيد الرّب. من أجل أنك صفقت بيديك وخبطت برجليك وفرحت بكل إهانتك للموت على أرض إسرائيل فلذلك ها أنذا أمد يدى عليك واسلمك غنيمة للأمم واستأصلك من الشعوب وأبيدك من الأراضى. أخربك فتعلم أنى أنا الرّب»(٣).

(١) سفر إرميّا الإصحاح الخمسون. (٢) سفر إرميّا الإصحاح الواحد والخمسون.

(٣) سفر حزقيال الإصحاح الخامس والعشرون.

وهذا ما جرى على موآب وسعير فنقرأ: «من أجل أنّ موآب وسعير يقولون هو ذا بيت يهوذا مثل كلّ الأمم. لذلك ها أنذا أفتح جانب موآب من المدن. من مدنه من أقصاها بهاء الأرض بيت بشيموت وبعل معون وقرتيايم. لبنى المشرق على بنى عمون وأجعلهم ملكاً لكيلا يذكر بنو عمون بين الأمم وبموآب أجرى أحكاماً فيعلمون أنى أنا الرّب»(١).

ولم تنجُ أدروم من العدوان فكانت من المناطق التى رأى حزقيال ضرورة إبادتها والانتقام من سكانها وهو ماأشار إليه السّيد الرّب فنقرأ: «من أجل أنّ أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء إساءة وانتقم منه لذلك هكذا قال السيد الرّب وأمدُّ يدى على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيرها خراباً من التيمن وإلى ددان يسقطون بالسيف وأجعل نقمتى فى أدوم بيد شعبى إسرئيل فيفعلون بأدوم كغضبى وكسخطى فيعرفون نقمتى يقول السيد الرّب»(٢).

ثمّ نقرأ عن توعده لاستئصال الفلسطينيين من الوجود، فيقول: «من أجل أنّ الفلسطينيين قد عملوا بالانتقام وانتقموا نقمةً بالإهانة إلى الموت للخراب من عداوةٍ أبديةٍ فلذلك هكذا قال السّيد الرّب ها أنذا أمدُّ يدى على الفلسطينيين وأستأصل الكريتيين وأهلك بقية ساحل البحر. وأجرى عليهم نقماتٍ عظيمةٍ بتأديب سخطٍ فيعلمون أنّى أنا الرّب إذ أجعل نقمتى عليهم»(٣).

ويتابع حزقيال ما قاله الإله يهوه بشأن الأمم والشعوب ويتحدّث عن صور بلسان يهوه مهدّداً ومتوّعداً بتخريب أسوارها وأبراجها وقتل سكانها بالسيف ونهب ثرواتها. فقط لأنّها قالت على أورشليم «هه». فنقرأ بعضاً من هذا التوعد: «... ها أنذا عليك ياصور فأصعد عليك أمماً كثيرة كما

(١) سفر حزقيال الإصحاح الخامس والعشرون.

(٢) سفر حزقيال الإصحاح الخامس والعشرون.

(٣) سفر حزقيال الإصحاح الخامس والعشرون.

يُعلّى البحر أمواجه فيخربون أمواج صور ويهدمون أبراجها وأسحى ترابها عنها وأصيّرها ضحَّ الصخر. فتصير مبسطاً للشّباك فى وسط البحر لأنى أنا تكلّمت يقول السّيد الرّب وتكون غنيمةً للأمم وبناتها اللواتى فى الحقل تقتل بالسّيف فيعلمون أنىّ أنا الرّب»[١].

ثم يتحدّث عن صيدون قائلاً: «ها أنذا عليك ياصيدون وسأتمجد فى وسطك فيعلمون أنى أنا الرّب حين أجرى فيها أحكاماً وأتقدّس فيها وأرسل عليها وباءً ودماً إلى أزقتها ويسقط الجرحى فى وسطها بالسّيف الذى عليها من كل جانب فيعلمون أنىّ أنا الرّب»[٢] ويتحدّث أيضاً عن مصر قائلاً: «ها أنذا أجلبُ عليك سيفاً واستأصل منك الإنسان والحيوان وتكون أرض مصر مقفرة وخربةً فيعلمون أنىّ أنا الرّب»[٣].

ويبدو أنّ حزقيال مستاءٌ من سكان جبل «سعير». فهو يكرّر توعّده لهم نقلاً عن السّيد الرّب فيقول: «ها أنذا عليك ياجبل سعير وأمدُّ يدى عليك وأجعلك خراباً مقفراً. أجعل مدنك خربةً وتكون أنت مقفراً وتعلم أنّى أنا الرّب. لأنّه كانت لك بغضةٌ أبديةٌ ودفعت بنى إسرائيل إلى يد السّيف فى وقت مصيبتهم وقت إثم النهاية. لذلك حىٌّ أنا يقول السّيد الرّب إنى أهيئك للدَّم والدّم يتبعك. إذ لم تكره الدَّم فالدَّم يتبعك فأجعل جبل سعير خراباً ومقفراً وأستأصل منه الذّاهب والآئب.. وأملأ جباله من قتلاه. تلالك وأوديتك وجميع أنهارك يسقطون فيها قتلى بالسّيف وأصيّرك خرباً أبديةً ومدنك لن تعود فتعلمون أنى أنا الرّب»[٤].

ثم يذكر أرض ماجوج ورئيسها «جوج». فهى من المناطق المعادية

(١) سفر حزقيال الإصحاح السادس والعشرون.

(٢) سفر حزقيال الإصحاح الثامن والعشرون.

(٣) سفر حزقيال الإصحاح التاسع والعشرون.

(٤) سفر حزقيال الإصحاح الخامس والثلاثون.

لبنى إسرائيل وينبغى سحقها وعبادتها أيضاً حتى يرتاح شعب يهوه الخاص المقدّس. فنقرأ: «ها أنذا عليك ياجوج رئيس روش ماشك وتوبال. وأردّك وأقودك وأصعدك من أقاصى الشّمال وآتى بك على جبال إسرائيل وأضرب قوسك من يدك اليسرى، وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتسقط على جبال إسرائيل أنت. وكلّ جيشك والشعوب الذين معك أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كلّ نوع ولوحوش الحقل. على وجه الحقل تسقط لأنى تكلّمت يقول السّيد الرّب. وأرسل ناراً على ماجوج وعلى الساكنين فى الجزائر آمنين فيعلمون أنى أنا الرّب»(١).

ويتابع بهذه اللغة الحاقدة القاسية المليئة بالرّوح العدوانية قائلاً: «قل لطائر كل جناح ولكلّ وحوش البرِّ اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كلّ جهة إلى ذبيحتى التى أنا ذابحها لكم. ذبيحةً عظيمةً على جبال إسرائيل لتأكلوا لحماً وتشربوا دماً. تأكلون لحم الجبابرة وتشربون دم رؤساء الأرض. كباشٌ وحملانٌ وأعتدةٌ وثيرانٌ كلّها من قسّمنات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشّبع وتشربون الدَّم إلى السُّكر من ذبيحتى التى ذبحتها لكم. فتشبعون على مائدتى من الخيل والمركبات والجبابرة وكلّ رجال الحرب يقول السّيد الرّب»(٢).

وفى الأسفار التوراتية الباقية «هوشع، يوئيل، عاموس، يونان، عوبديا، ميخا، ناحوم، حبّقوق، صفنيا، حجّى، زكريا، ملاخى» فى هذه الأسفار نجد أيضاً تلك الرّوح العدوانية، التى لاتتحدّث إلاّ عن القتل والتدّمير والاستئصال والقطع والتحريق والسّبى وغضب رّب الجنود يهوه وتوعّده الدائم بالإبادة وتهديده المستمر لشعبه الخاص إن حاول أن يتخلى عن هذه الرّوح العدوانية.

وكلّ نبى من هؤلاء يشير فى سفره أنّ يهوه سيفنى الشعوب والأمم من

(١) سفر حزقيال الإصحاح التاسع والثلاثون.

(٢) سفر حزقيال الإصحاح التاسع والثلاثون.

أجل بنى إسرائيل، سيدّمر المدن ويقتل النساء والأطفال والشيوخ وأورشليم وحدها هى الباقية ويسكب الرّب روحه على كل واحد من بنى إسرائيل، ويحاكم جميع الأمم والشعوب بعد أن يردّ سبى يهوذا وإسرائيل. فنقرأ: «لأنّه هو ذا فى تلك الأيام وفى ذلك الوقت عندما أردُّ سبى يهوذا وأرشليم أجمع كلَّ الأمم وأنزلهم إلى وادى يهو شافاط وأحاكمهم هناك على شعبى وميراثى إسرائيل»[1].

«وماذا أنتن لى ياصور وصيدون وجميع دائرة فلسطين. هل تكافئوني عن العمل أم هل تصنعون بى شيئاً. سريعاً بالعجل أردُّ عملكم على رؤوسكم لأنكم أخذتم فضتى وذهبى وأدخلتم نفائسى الجيّدة إلى هياكلكم. وبعتم بنى يهوذا وبنى أورشليم لبنى اليادانيين لكى تبعدوهم عن تخومهم. ها أنذا أنهضهم من الموضع الذى بعتوهم إليه وأردُّ عملكم على رؤوسكم. وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بنى يهوذا ليبيعوهم للسَّبائيين لأمّةٍ بعيدةٍ لأنّ الرّب قد تكلّم»[2].

أمّا عاموس النّبى فهو يدعو إلى معاقبة الشعوب والأمم جميعها والرّب هو الذى أخبره بذنوب هذه الأمم والشعوب. وهو الذى سيعاقبها قتلاً وتدميراً وإبادةً فنقرأ: «هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب دمشق الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنّهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد. فأرسل ناراً على بيت حزائيل فتأكل قصور بنهدد وأكسر مغلاق دمشق وأقطع الساكن من بقعة آون وماسك القضيب من بيت عدنٍ ويسبى شعب آرام إلى قير قال الرّب»[3].

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب غزَّة الثلاثةِ والأربعةِ لا أرجع عنه لأنّهم سبوا سبياً كاملاً لكى يسلموه إلى أدوم فأرسل ناراً على سُورِ غزّة فتأكل قصورها. وأقطع السّاكن من أشدود وماسك القضيب من أشقلون

(١) سفر يوئيل الإصحاح الثالث.

(٢) سفر عاموس الإصحاح الأول.

(٣) سفر عاموس الإصحاح الأول.

وأردُّ يدى على عقرون فتهلك بقية الفلسطينيين قال السيد الرّب»[١].

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب صور الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم سلّموا سبياً كاملاً إلى أدوم ولم يذكروا عهد الإخوة. فأرسل ناراً على سور صور فتأكل قصورها»[٢].

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب أدوم الثلاثة والأربعة لا أرجع لأنّه تبع بالسيف أخاه وأفسد مراحمه وغضبه إلى الدّهر يفترس وسخطه يحفظه إلى الأبد فأرسل ناراً على تيمان فتأكل قصور بصرة»[٣].

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب بنى عمّون الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنّهم شقّوا حوامل جلعاد لكى يوسّعوا تخومهم. فأضرم ناراً على سور ربّة فتأكل قصورها. بجلبةٍ فى يوم القتال بنوءٍ فى يوم الزّوبعة. ويمضى ملكهم إلى السّبى هو ورؤساؤه جميعاً قال الرّب»[٤].

«هكذا قال الرّب. من أجل ذنوب موآب الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم أحرقوا عظام ملك أدوم كلساً. فأرسل ناراً على موآب فتأكل قصور قريوت ويموت موآب بضجيج بجلبةٍ بصوت البوق وأقطع القاضى من وسطها وأقتل جميع رؤسائها معه قال الرّب».

وفى سفر عوبديا نقرأ: «هكذا قال السّيد الرّب عن أدوم. سمعنا خبراً من قبل الرّب وأرسل رسولٌ بين الأمم. قوموا ولنقم عليها للحرب. إنّى قد جعلتك صغيراً بين الأمم. أنت محتقرٌ جدّاً».

كما نقرأ فى سفر ميخا: «قومى ودوسى يابنت صهيون لأنّى أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين وأحرّم

(١) سفر عاموس الإصحاح الأول.

(٢) سفر عاموس الإصحاح الأول.

(٣) سفر عاموس الإصحاح الثانى.

(٤) سفر عوبديا الإصحاح الأول.

غنيمتهم للرّب»[١].

وهذا ناحوم النّبى أيضاً يصب جام غضبه على نينوى فيتوعد ويتهدد ويزمجر غاضباً متأثراً بالإله يهوه فنقرأ: «الرّب إله غيورٌ ومنتقمٌ. الرّب منتقمٌ وذو سخطٍ. الرّب منتقمٌ من مبغضيه وحافظٌ غضبه على أعدائه»[٢].

«من يقوم أمام سخطه ومن يقوم فى حموِّ غضبه، غيظه ينسكب كالنّار والصخّور تتهدم منه»[٣].

«قفوا قفوا ولا ملتفت انهبوا فضةً انهبوا ذهباً. فلا نهاية للتُّحف للكثرةِ من كلّ متاعٍ شهىٍّ»[٤].

«ها أنا عليك يقول رّب الجنود. فأحرق مركباتك دخاناً وأشبالك يأكلها السَّيف واقطع من الأرض فرائسك ولا يسمع أيضاً صوت رسلك»[٥].

ثمّ يصف لنا «صفنيا» النّبى المآسى التى ستعانى منها الشعوب والأمم من جرّاء غضب يهوه وسخطه عليهم لأنّهم لايؤمنون به فنقرأ: «لأنّ غزّة تكون متروكةً وأشقلون للخراب. أشدود عند الظهيرة يطردونها وعقرون تستأصل. ويل لسكّان ساحل البحر أمَّة الكريتيين. كلمة الرّب عليكم ياكنعان أرض الفلسطينيين إنّى أخربك بلا ساكن ويكون ساحل البحر مرعى بآبارٍ للرعاة وحظائر الغنم. ويكون الساحل لبقّية يهوذا عليه يرعون فى بيوت أشقلون عند المساء يربضون لأنّ الرَّبَّ إلههم يتعهدهم ويردُّ سبيهم»[٦].

(١) سفر ميخا الإصحاح الرابع.

(٢) سفر ناحوم الإصحاح الأول.

(٣) سفر ناحوم الإصحاح الأول.

(٤) سفر ناحوم الإصحاح الثانى.

(٥) سفر ناحوم الإصحاح الثانى.

(٦) سفر صفنيا الإصحاح الثانى.

«حيٌّ أنا يقول ربُّ الجنود إله إسرائيل إنَّ موآب تكون كسدوم وبنو عمّون كعمورة ملك القريص وحفرة ملحٍ وخراباً إلى الأبد. تنهبهم بقيّة شعبى. وبقيّة أمتى تمتلكهم»[١].

«... وأنتم أيّها الكوشيون. قتلى سيفى هم. ويمدّ يده على الشمال ويبيد آشور ويجعل نينوى خراباً يابسة كالقفر»[٢].

«لذلك فانتظرونى يقول الرَّبُّ إلى يوم أقوم إلى السّلب لأنَّ حكمى هو بجميع الأمم وحشر الممالك لأصبَّ سخطى كل حمو غضبى لأنّه بنار غيرتى تؤكل كلُّ الأرض»[٣].

ويرى النبّى حجَّى. فى سفره أنّ يهوه سيمحو الأمم كلها ويبقى فقط على بنى إسرائيل شعبه الخاص فنقرأ: «وأزلزل كلَّ الأمم ويأتى مشتهى كلّ الأمم فأملأ هذا البيت مجداً قال ربُّ الجنود. لى الفضة ولى الذّهب يقول ربُّ الجنود»[٤].

«وأقلب كرسى الممالك وأبيد قوّة الأمم وأقلب المركبات والراكبين فيها وينحطّ الخيل وراكبوها كلٌّ منها بسيف أخيه»[٥].

ولا يختلف عنه النبى زكريا فى هذا الأمر. فهو يرى أن يهوه غار على أورشليم وغضب من الأمم والشّعوب ورأى ضرورة العدوان عليها وسحقها وإبادتها فنقرأ: «هكذا قال ربُّ الجنود. غرت على أورشليم وعلى صهيون غيرةً عظيمةً وأنا مغضبٌ بغضبٍ عظيم على الأمم المطمئنين»[٦].

(١) سفر صفينا الإصحاح الثانى.

(٢) سفر صفينا الإصحاح الثانى.

(٣) سفر صفينا الإصحاح الثالث.

(٤) سفر حجَّى الإصحاح الثانى.

(٥) سفر حجَّى الإصحاح الثانى.

(٦) سفر زكريا الإصحاح الأول.

كما يرى أنَّ الأمم كلّها ستخضع لربِّ الجنود ويسجدون له مخافة غضبه وقسوته وقدرته. وستغدوا أورشليم المقرَّ الرئيسى للأمم والشعوب تأتى إليها قبائل الأرض وتسجد للملك ربّ الجنود. فنقرأ: «وهذه تكون الضربة التى يضرب بها الرَّب كلَّ الشعوب الذين تجندوا على أورشليم. بحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم. وعيونهم تذوب فى أوقابها ولسانهم يذوب فى فمهم فيمسك الرجل بيد قريبه وتعلو يده على يد قريبه»(١).

« ... ويكون أنَّ كلّ الباقى من جميع الأمم الذين جاؤوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك ربِّ الجنود وليعيدوا عيد المظال. ويكون أنَّ كلَّ من لا يصعد من قبائل الأرض إلى أورشليم ليسجد للملك ربّ الجنود لايكون عليهم مطرٌ. وإن لاتصعد ولاتأتى قبيلة مصر ولا مطرٌ عليها تكن عليها الضربة التى يضرب بها الرّبّ الأمم الذين لايصعدون ليعيّدوا عيد المظال. هذا يكون قصاص مصر وقصاص كلّ الأمم الذين لا يصعدون ليعّيدوا عيد المظال»(٢).

■ ■ ■

(١) سفر زكريا الإصحاح الرابع عشر.

(٢) سفر زكريا الإصحاح الرابع عشر.

المؤامرة اليهودية على العالم

«ويل للمُتآمرين بالسوء، الذين يحيكون الشرّ، وهم فى مضاجعهم، الذين يُنفّذون عند طلوع الفجر، ما خطّطوا له (فى الليل)، لأن ذلك فى مُتناول أيديهم، يشتهون حقولا فيغتصبونها، وبيوتا فيستولون عليها، يجورون على الرجل، وعلى بيته، وعلى الإنسان وميراثه» (التوراة: سفر ميخا، ٢: ١ ـ ٢).

«قد باد الصالح من الأرض، واختفى المُستقيم من الناس، جميعهم يكمنون لسفك الدماء، وكل واحد منهم يقتنص أخاه. تَجِدُّ أيديهم فى ارتكاب الشرّ، ويسعى الرئيس والقاضى وراء الرشوة، ويملى العظيم عليهم أهواء نفسه، فيتآمرون جميعا على الحقّ. أفضلهم مثل العوسج، وأكثرهم استقامة مثل سياج الشوك» (التوراة: سفر ميخا، ٧: ٢ ـ ٣).

هذه النصوص التى تكشف حقيقة اليهود والعقلية التى يفكّرون، لم تخطّها قلم كاتب عربى أو غربى حاقد، على اليهود واليهودية، من المعادين للسامية اليهودية، وإنما جاءت فى التوراة، كتاب اليهود والنصارى المقدّس. وبالرغم من ذلك ما زال الكثير، من مفكرى وكتاب العرب فى هذا العصر الأغبر، ينكر أن هناك مؤامرة تُحاك ضد كل ما هو مسلم، وضد كل ما هو عربى، بل ضد كل ما هو غير يهودى، ويتهمون كل من يقول بذلك، بأنه من مؤيدى نظرية المؤامرة، التى لا أصل لها من الصحة. أما ما نقوله نحن فى هؤلاء أحد أمرين، إما أن يكونوا شركاء فى المؤامرة، ويعملون ما بوسعهم لتجهيل الناس بعلم، حتى لا يتنبّهوا لأسلحتها ورموزها فيُقاوموها، وإما أن يكونوا أُناسا، يعيشون على سطح كوكبٍ، غير الذى نعيش فيه، يُدلون بدلوهم ليُضلّوا الناس بغير علم.

الديانة اليهودية:

لنعلم أن تسمية القرآن لبنى إسرائيل باليهود، أُطلقت عليهم لقولهم ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، وذلك بعد اتخاذهم العجل، بمعنى أنهم أعلنوا التوبة عن فعلهم والرجوع إلى الله، وفى الحقيقة كان ذلك قولهم بألسنتهم، وأما قلوبهم فأشربت وشُغفت بعبادة العجل، حيث قال سبحانه ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٣)، وكان هذا حالهم بمعية نبيهم موسى عليه السلام. ولم يختلف حالهم مع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث قال فيهم سبحانه ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء: ٤٦).

وأما الديانة اليهودية: فهى معتقد، اختلط فيه شىء، من بقايا مشوّهة لكتب أنبيائهم، مع آراء وتفسيرات أحبارهم، ومعتقدات وأساطير وخرافات الأقوام، التى عاشوا فيما بينها، على مرّ العصور، ومصدر هذه العقيدة فى الأصل هو التوراة، والتى سبق أن قلنا إنها كُتبت بشكلها النهائى، فى القرن الأول الميلادى، قبل خروجهم النهائى من فلسطين، وتشتّتهم فى كافة أرجاء الأرض.

وفيما بعد السبى البابلى، قام كهنتهم وأحبارهم (حكماؤهم)، بتأليف كُتب جمعوا فيها، معتقداتهم وآراؤهم وشروحهم للتوراة، وقالوا إنها القانون الشفوى، الذى لم يأتِ به موسى عليه السلام مكتوبا، والذى تناقلوه شفاها عبر الأجيال، وجُمعت هذه المؤلفات فيما سُمّى بالتلمود، والذى يعتبرونه أكثر قُدسية من التوراة نفسها، ولديهما تلمودان أحدهما جُمع فى فلسطين عام ٤٠٠ م، وسُمىَ تلمود أورشليم، والآخر جُمع فى بابل عام ٥٠٠ م، وسُمىَ تلمود بابل، وهو الأشهر ويقع فى ٣٦ مُجلّدا. وقد كان التلمود يُعامل بسرية،

فيما بين اليهود، وقد تم طبعه فى أوروبا، فى القرون الوسطى، وكلّما أُكتشف أمره فى الدول الأوربية، كان يُصادر ويُجمع ويُحرق، وكان اكتشافه سببا، فى كثير من حالات الاضطهاد والتعذيب والقتل والنفى لليهود. ومن هذا نخلص إلى أن الديانة اليهودية، هى ما جاء من معتقدات فى التلمود أولا وثانيا وثالثا...، والتوراة على ما بقى فيها من وحى أخيرا.

ماهية التلمود ومعتقدات اليهود:

قال د. (جوزيف باركلى) أحد الباحثين فى التلمود: «وبعض أقوال التلمود مغال (مُبالغ فيه)، وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر. ولكنها تشكّل فى صورتها المخلوطة، أثراً غير عادى، للجهد الإنسانى، وللعقل الإنسانى، وللحماقة الإنسانية».

ومما جاء فى التلمود من تعاليم، نعرض بعض المقتطفات التالية، من كتابىّ (تعاليم التلمود) لظفر الإسلام خان، و(بروتوكولات حكماء صهيون) لعجاج نويهض:

يقول عجاج نويهض: «هذه الكلمات للعلامة (بولس حنا مسعد)، صاحب كتاب (همجية التعاليم الصهيونية)، ومما قاله المؤلف فى مقدمته: «للمسيحى إنجيله يبشّر به العالم، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب، أما الإسرائيلى فله كتابان؛ كتاب معروف وهو التوراة، لا يعمل به، والآخر مجهول لا يعرفه العالم (التلمود)، يفضّله على الأول ويدرسه خفية، وهو أساس كل مصيبة. والنصارى يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع، والمسلمين يعترفون بأن الله رب العالمين. أما الصهيونيون يريدون أن يكون الإله، لهم وحدهم، زد على ذلك، أن التلمود ينصّ على أن جميع خيرات الأرض، ملك لبنى إسرائيل، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان، خلقوا عبيدا لهم. هم منحدرون من الله، كما ينحدر الابن من أبيه، وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة، ولم يُعطوا صورة الإنسانية، إلا إكراما لبنى إسرائيل».

نظرة التلمود لكافة البشر:

المخلوقات نوعان: علوى وسفلى. العالم يسكنه سبعون شعبا بسبعين لغة. إسرائيل صفوة المخلوقات، واختاره الله، لكى تكون له السيادة العليا، على بنى البشر جميعا، سيادة الإنسان على الحيوان المُدجّن. «إن نفوس اليهود منعّم عليها، بأن تكون جزءا من الله، فهى تنبثق من جوهر الله، كما ينبثق الولد من جوهر أبيه»، و«هذا السبب يجعل نفس اليهودى، أكثر قبولا عند الله، وأعظم شأنا عند الله، من نفوس سائر الشعوب، لأن هؤلاء تُشتقّ نفوسهم من الشيطان، وهى مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد».

ولهذا يقول التلمود: «أن زرع (نطفة) الرجل غير اليهودى هى زرع حيوانى». و«زرع الأغراب كزرع الحصان». و«إن غير اليهود كلاب عند اليهود». و«إن غير اليهودى، لا يختلف بشىء عن الخنزير البرى». و«إن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات»، و«قد كُتب على شعوب الأرض: لحومكم من لحوم الحمير، وزرعكم من زرع الحيوانات». و«كما أن ربة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء إسرائيل، يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم، دون أن يتحمّلوا عناء العمل».

نظرة التلمود إلى العرب (القدماء):

أمة مُحتقرة، من العار الزواج بعربية، يعبدون الأصنام، مرتكبو تسعة أعشار الجرائم فى العالم، صفتهم الغدر وكراهية اليهود، كانوا قادة تخريب الهيكل مع نبوخذ نصر.

التعامل مع الملل الأخرى:

«إن عبدة الأوثان، الذين لا يعتنقون الدين اليهودى، والمسيحيين والمسلمين، هم فى نظر اليهود أعداء الله وأعداء اليهود». و«يسمح التلمود لأصدقاء الله وأقاربه، فى أن يُضلّوا الأشرار». و«ممنوع السلام على

الكفار»، ولكنّ «الرياء مسموح به». و«يُمكنك أن تغشّ الغريب وتدينه بالربا الفاحش». و«يجب انتزاع قلب النصرانى من جسده، وإهلاك علية القوم منهم». و«إذا ردّ أحد اليهود إلى الغريب ما أضاعه، فالرب لا يغفر له أبدا». و«أُقتل عبدة الأوثان، ولو كان أكثر الناس كمالا». و«إذا وقع وثنى فى حفرة فاسددها عليه بحجر». و«من يسفك دم الكفار (غير اليهود) بيده، يقدّم قربانا مُرضيا لله». وإجمالا يقول التلمود: أن من ينتهك الوصايا العشر مع غير اليهود فهو جائز بل واجب.

التجديف على الله:

«اليهود يضعون التلمود فوق التوراة، والحاخام فوق الله، والله يقرأ وهو واقف على قدميه، وما يقوله الحاخام يفعله الله، إن تعاليم اللاهوتيين فى التلمود، لهى أطيب من كلام الشريعة (كلام الله)، والخطايا المُقترفة ضد التلمود، لهى أعظم من المقترفة ضد التوراة». و«إن الربانى مناحيم يُطلعنا بالاتفاق مع كثير من العلماء، على أن الله يأخذ رأى الربانيين على الأرض، فى المشاكل التى تنشأ فى السماء». و«إن كلمات الربانيين أشدّ عذوبة من كلمات الأنبياء... وذلك لأن كلماتهم هى كلمات الله».

و«إن الله قد تاب عن تركه بنى إسرائيل، يرتطمون فى الشقاء، كمن يتوب عن إثم شخصى،...». و«أن الله عندما يُقسم فى كل مرة، بدون مُبرّر معقول، فمن اللازم أن يحلّ قسمه بقسم آخر نظيره،...». و«أن الله قد أقسم بغير عدل، وارتكب خطيئة الكذب، لكى يلقى السلام والوئام، بين سارة وإبراهيم». و«أن اليهود أحبّ إلى الله من الملائكة، فالذى يصفع اليهودى، كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء، وهذا يُفسر لنا، استحقاق الوثنى وغير اليهودى الموت، إذا ضرب يهوديا». و«وإذا أراد الرجل أن يقترف ذنبا، فعليه أن يذهب إلى مكان، هو مجهول فيه، لئلا يُهين الله علانية».

الملائكة:

«إن عمل الملائكة الرئيسى، سكب النوم على عيون البشر، وحراستهم فى الليل، أما فى النهار فإنهم يُصلّون عن البشر، ولذلك، يجب أن نلتجئ إليهم».

الأنبياء:

«أن إبراهيم أكل ٧٤ رجلا، وشرب دماءهم دفعة واحدة، ولذلك كان له قوة ٧٤ رجلا». وصفوا عيسى عليه السلام بالأحمق والمجذوم و«غشاش بنى إسرائيل»، واتهموا أمه بالزنا، وتلاميذه بالملحدين، والإنجيل بالكتاب المملوء بالإثم.

التنجيم:

يعتقد التلمود اعتقادا جازما، بأن التنجيم علم يتحكم بحياة الناس، ومن أقوالهم: «إن تأثير النجوم تجعل الرجل ذكيا، وبنو إسرائيل تحت تأثير النجوم»، «إن كسوف الشمس آية سوء للشعوب، وخسوف القمر آية سوء لبنى إسرائيل، لأن إسرائيل تعتمد فى بقائها على القمر».

السحر:

والتلمود ملىء بطقوس السحر والشعوذة والعرافة، وطرق الاتصال بالجنّ، وفيه أن الأرواح الشريرة والشياطين والجنيات، من ذرية آدم. وأنهم يطيرون فى كل اتجاه، وهم يعرفون أحوال المستقبل، باستراق السمع، وهم يأكلون ويشربون ويتكاثرون مثل الإنسان، ويجوز للناس استشارة الشيطان، فى آخر أيام الأسبوع.

الروح والبعث والجزاء:

لهم فيها أقوال شتى، «تنتقل نفس اليهودى بعد موته إلى جسد آخر، وعندما يلفظ المتقدم فى السن أنفاسه، تسرع نفسه إلى جنين فى بطن أمه». ومنها؛ أن اليهودى الذين يقتل يهوديا «تدخل روحه فى الحيوانات

والنباتات، ثم تذهب إلى الجحيم، وتعذّب عذابا أليما، مدة اثنىّ عشر شهرا، ثم تعود ثانية لتدخل فى الجمادات، ثم فى الحيوانات، ثم فى الوثنيين، حتى ترجع إلى جسد يهودى بعد تطهيرها». ويقولون إن الجنة، ليس فيها أكل أو شرب، أو زواج أو تناسل.. وإنما يجلس الصالح فيها بوقار وسكينة، ويقولون إن نار جهنم لا سلطان لها، على مُذنبى بنى إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء.

ويقولون إنه لا حساب بعد انفصال الروح عن الجسد. ويقولون «المشروبات السماوية هى الخمور الفاخرة، المعتّقة المحفوظة من يوم الخليقة السادس، وهذه الجنّة اللذيذة، لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، أما الباقون فيُزجّون فى نار جهنم». و«... ويأتى المسلمون بعد النصارى، لأنهم لا يغسلون، سوى أيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم، كل هؤلاء، يُحشرون حشرا فى جهنم، ولا يغادرونها أبدا».

التطلع الدائم للملك:

«إن المسيح (الذى ينتظرون ظهوره) يُعيد قضيب المُلك إلى إسرائيل، فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك»، «ولا يأتى ما لم ينقرض مُلك الشعوب غير اليهودية»، «ذلك أن إسرائيل إذا كان صالحا، يجب عليه أن يعمل بغير هوادة، فى العمل على أن ينبذ المتسلّطين (الحكام) على الشعوب نبذ النواة، لأن السلطة على الشعوب غير اليهودية، هى من نصيب اليهود فقط، وفى كل مكان يدخله اليهود، يجب أن يكونوا هم المتسلّطين، وطالما هم بعيدون، عن تحقيق هذه الفكرة، فيعتبرون أنفسهم منفيين وغرباء».

(وهذا المقتطفات جزء يسير، مما تحصّل لدينا لما جاء فى التلمود، من أفكار وأقوال لحاخامات اليهود).

قال تعالى ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا

وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرًا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴿٤٦﴾ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً ﴿٤٧﴾ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثمًا عظيمًا ﴿٤٨﴾ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً ﴿٤٩﴾ انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثمًا مبينًا ﴿٥٠﴾ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴿٥١﴾ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرًا﴾ (النساء: ٤٦ ـ ٥٢).

المؤامرة اليهودية:

هى شجرة شيطانية، لا تراها فوق أنفك، ولا ترى رسمها فوق السطور، بذورها التوراة، وجذورها التلمود، وجذعها بروتوكولات الحكماء، وفروعها الهيئات والمنظمات الدولية، وأوراقها كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، وثمارها الإلحاد والانحلال. أُنتجت بذورها فى ألمانيا، ونقلت وزُرعت فى بريطانيا وسُقيت بماء الذهب، وأضيف إليها سماد الشهوة، ولما استقام عودها، نُقلت وغُرست فى أمريكا، ذات الأراضى الخصبة، لمثل هذا النوع من الأشجار، فاشتدّ عودها وارتفع، حتى بلغ عنان السماء، وامتدت جذورها إلى شتى بقاع الأرض، وبدأنا نقطف شيئا من بواكير ثمارها، وعندما ينضب ماء الذهب من الأرض، ستعلن حربها المدمّرة على العالم، لنقطف الفوج الثانى من ثمار الفقر والمجاعة والمرض، ولا علاج. آنذاك يأتى يوم

الحصاد، قيام مملكة داود الدكتاتورية العالمية الأبدية، فى قدس الأقداس، لينصّب العجل الذهبى، إله أوحد لكل البشر، على أطلال المسجد الأقصى.

المؤامرة الأولى فى تاريخ بنى إسرائيل:

قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ (يوسف: ٧).

سورة يوسف وبالرغم من تسميتها باسمه عليه السلام، تحكى فى الواقع، قصة أُخوة يوسف، وتروى تفاصيل أول مؤامرة، حاكها ونفذها بنو إسرائيل (يعقوب) بدم بارد، ضد أبيهم وأخيهم يوسف عليهما السلام، أحبّهم إلى قلب أبيه، وبوحشية منقطعة النظير، وقوله تعالى (**فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ**)، يؤكد أن موضوع السورة، هو ما قام به أخوة يوسف من أفعال، تدلّ على عدم إيمانهم بالله وما جاء به أنبياؤه، من علم وموعظة وحكمة، من آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأنهم لما كادوا ليوسف ما كادوه، كانوا قد أغفلوا كليا، وجود الله سبحانه وتعالى، وأنكروا قدرته على التدخل بمجريات الأمور، وقلب نتائج ما يُخطّطون له رأسا على عقب، وأنكروا أيضا نبوة أبيهم يعقوب عليه السلام.

إخوة يوسف ليسوا أنبياء:

جاء فى تفسير القرطبى رحمه الله للآية التالية ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ (يوسف: ٥) ما نصه: «ودل أيضا على أن يعقوب عليه السلام، كان أحس من بنيه حسد يوسف وبغضه، فنهاه عن قص الرؤيا عليهم، خوف أن تغلَّ بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة فى هلاكه، ومن هذا، ومن فعلهم بيوسف، يدل على أنهم كانوا غير أنبياء، فى ذلك الوقت (ولم يكونوا أنبياء فى غير ذلك الوقت أيضا)، ووقع فى كتاب الطبرى لابن زيد، أنهم كانوا أنبياء، وهذا يردّه القطع بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنيوى، وعن عقوق الآباء، وتعريض مؤمن للهلاك،

والتآمر فى قتله، ولا التفات لقول من قال إنهم كانوا أنبياء، ولا يستحيل فى العقل زلة نبى، إلا أن هذه الزلة قد جمعت أنواعا من الكبائر، وقد أجمع المسلمون على عصمتهم منها، وإنما اختلفوا فى الصغائر».

لفظ سبط يُطلق على الأحفاد وليس على الأبناء:

وفى لسان العرب «وقيل السبط واحد الأسباط، وهو ولد الولد، وقال ابن سِيدَهْ: السبط ولد الابن والابنة، وفى الحديث، الحسن والحسين، سبطا رسول الله ﷺ، ورضى عنهما، ومعناه طائفتان وقطعتان منه، ومنه حديث الضباب، إن الله غضب على سبط من بنى إسرائيل، فمسخهم دوابا، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سُمّى سبطا، ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق، وجمعه أسباط. قالوا والصحيح أن الأسباط، فى ولد إسحاق بن إبراهيم، بمنزلة القبائل فى ولد إسماعيل عليهم السلام، وإنما سمى هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل، ليفصل بين ولد إسماعيل، وولد إسحاق عليهما السلام. وجاء أيضا أن السبط لغة، هو نبات ذو ساق طويلة مفردة عليها أوراق دقيقة، تعلفه الإبل».

وبالتالى نستطيع القول، بأن لفظ الأسباط، أُطلق على أحفاد يعقوب عليهم السلام، وليس على أبنائه الاثنى عشر، بل يتعدى ذلك إلى كل نسل بنى إسرائيل، حتى يومنا هذا، وأمّا قوله تعالى **﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾** (البقرة: ١٣٦)، المقصود هنا الأنبياء من الأحفاد على مرّ العصور، ومنهم يوسف وموسى وداود وسليمان، وزكريا ويحيى وعيسى، ومن كُذّب وقُتل من أنبياء بنى إسرائيل، وهم كثير، ممن لم تُذكر أسماؤهم. والوحيد من أبناء يعقوب الاثنى عشر، الذى نصّ القرآن على نبوّته هو يوسف عليه السلام، بدلالة قوله تعالى **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** (الأنعام: ٨٤) وقوله **﴿وَلَقَدْ**

جاءَكُمْ يوسُفُ من قَبْلُ بالْبَيِّنَات فَمَا زِلْتمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ (غافر: ٣٤)، بالإضافة إلى ما جاء من آيات فى سورة يوسف.

وانظر فى قوله تعالى ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ (الأعراف: ١٦٠)، وقوله تعالى (أَسْبَاطًا أُمَمًا) أى تم فرزهم حسب انتساب كل فرد منهم، إلى أحد أبناء يعقوب عليه السلام، فنتج بالتالى اثنتى عشرة أمة، وكل أمة أُطلق عليها لفظ سبط، وسُمى كل سبط باسم أحد أبناء يعقوب، وعلى ذلك يُطلق لفظ سبط على مجموعة من الأفراد، يجمعهم انتسابهم إلى أب واحد، فيقال سبط يوسف أى قبيلة يوسف.

فصول المؤامرة الأولى:

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨).

١ ـ قام أبناء يعقوب بعقد اجتماع سرى، بعيدا عن المعنيين بالأمر (يعقوب ويوسف وأخيه).

٢ ـ كانت المشكلة مدار البحث حب أبيهم ليوسف وأخيه، والدافع هو الحسد وحب التملّك.

٣ ـ كان هناك إقرار بالإجماع، أنّ أبيهم يعقوب نبىّ الله ضالّ، وضلاله واضح لا لُبس فيه.

٤ ـ كانوا يؤمنون بالقوة المتحصّلة من الكثرة (فهم عشرة أشقّاء كبار مقابل اثنين صغار).

٥ ـ جمعتهم وحدة الغاية والمصلحة.

﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف: ٩).

١ ـ الطرح الأول كان القتل أى حتمية الهلاك.

٢ ـ الطرح الثانى كان النفى إلى أرض بعيدة مع احتمالية الهلاك.

٣ ـ كانت الغاية الاستفراد بحبّ أبيهم.

٤ ـ الإقرار بعدم مشروعية عملهم وفساده، وذلك قبل شروعهم بالتنفيذ.

٥ ـ تبييت نية بالتوبة والصلاح، قبل ارتكاب الجريمة، وهذا منطق أعوج لا يقبله ربٌّ ولا عبد.

٦ ـ إغفالهم للعناية الإلهية المُدّخرة فى علم الغيب، والتى تتدخل فى الوقت المناسب لتسيير الأمور.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف: ١٠).

١ ـ كان أصلحهم فاسدا، حيث وافقهم على فعل المنكر مع تخفيف الضرر.

٢ ـ كان هناك إصرار لدى الأغلبية.

٣ ـ كان القرار النهائى أخف الضرر: إلقاء يوسف فى بئر مع توافر احتمالية الهلاك، فيما لو لم يلتقطه أحد.

٤ ـ عدم الاكتراث بنبوة أبيهم، وما كان يتنزّل عليه من الوحى.

٥ ـ غفلة وعمى بصر وبصيرة واتباع للهوى، فليس فيهم ذو رأى سديد، ولا حتى شيطان أخرس.

٦ ـ جهل بعواقب الأمور، كالأثر النفسى والمعنوى البالغ، على من يطمحون بالاستفراد بحبه، وبالتالى عدم تحقق مرادهم.

٧ ـ تبييت النية للقيام بالفعل عندما تحين الفرصة.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا

يرْتَعْ ويَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف: ١١ ـ ١٥).

١ ـ لم يكن يعقوب فى العادة يأمنهم على يوسف وأخوه، لمعرفته بعدم صلاحهم.

٢ ـ لم ينتظروا الفرصة للتنفيذ، بل سعوا إلى خلقها وإيجادها، باستخدام الحيلة والمكر والدهاء.

٣ ـ تجاهلوا تأكيد أبيهم لهم، بأن غيبة يوسف عن وجهه، ولو لفترة بسيطة تسبب له الحزن. فكيف إذا كان ذلك أبديا؟! وكانت تلك محاولة منه عليه السلام، لإحياء ضمائرهم لعلّهم يرجعون، ولكنهم لم يشعروا بذلك فكان كما أخبره سبحانه.

٤ ـ كان أبوهم عليه السلام على علم بمخطّطهم قبل التنفيذ، وقد أخبرهم بما كانوا قد خطّطوه مسبقا بشأن الذئب، لكن ذلك لم يُثنهم عن عزمهم.

٥ ـ قرار التنفيذ اتخذ بالإجماع.

٦ ـ تم إخفاء النوايا الإجرامية اتجاه يوسف، تحت غطاء من الحرص على ترفيهه، لإقناع أبيهم بالاستجابة لمطلبهم.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٦ ـ ١٨).

١ ـ الاستخفاف بأبيهم واستضعافه لكبر سنّه.

٢ ـ التضليل واختلاق وفبركة الشواهد والأدلة، لتبرئة أنفسهم وإدانة الذئب.

٣ ـ الجرأة في الكذب على نبيّ الله مع علمهم بذلك.

٤ ـ يقين يعقوب عليه السلام من كذبهم وتجنّيهم على الذئب.

٥ ـ ومما أحزنه عليه السلام، هو ما كان عليه أبناؤه من قلة إيمانهم، وعقوقهم له، وظلم لأخيهم، وفسادهم وإفسادهم، وصفات وطبائع غاية في السوء، لا تليق بالأنبياء أو بأبناء أنبياء يتنزّل الوحي بين ظهرانيهم، وفي المقابل لم يملك عليه السلام إلا الصبر والرجاء، وطلب العون من الله لمجابهتهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ٦٩ ـ ٧٧).

بعد أن مرّت سنون على تلك الحادثة، وأصبح يوسف وزيرا لمالية فرعون، وقدمَ إخوته إليه في مصر، احتال عليهم ليأمن منهم على أخيه، ويرفع عنه ما كان قد وقع عليه من ظلم وكيد.

١ ـ كان يوسف عليه السلام على علم، بما كانوا يكيدون لأخيه، عن طريق الوحي أو القياس.

٢ ـ عدم توبتهم عما فعلوه سابقا، وبقاؤهم على نفس الحال.

٣ ـ خيانة يوسف بالغيب، بعد كل هذه السنين، واتهامه زورا وبهتانا بالسرقة، فيوسف من عباد الله المخلصين، وما كان له أن يسرق.

٤ ـ تأكيد يوسف على فسادهم وإفسادهم، بما حدّث به نفسه، حيث لم يجهر نبى الله بقوله (أو بحكمه عليهم) أنهم أسوأ حالا ممن يسرق، (**قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا**) فما فعلوه معه لا يُقارن بخطيئة السرقة، التى اتهموه بها، والتى أقرّوا بأنها أحد أشكال الإفساد فى الأرض ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾ (يوسف: ٧٣).

﴿**وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف: ٨٤ ـ ٨٧).

١ ـ عدم اكتراثهم بسوء حال يعقوب عليه السلام، ومدى ما نزل به من أذى نفسى وجسدى.

٢ ـ قسوة قلوبهم باستنكارهم حزن أبيهم على يوسف.

٣ ـ يعقوب يقطع الرجاء من أبنائه، ويشكو قسوة أبنائه، وضعفه وقلة حيلته فى مواجهة أفعالهم إلى الله.

٤ ـ لم يعترفوا لأبيهم بحقيقة فعلتهم مع يوسف، مع علمهم ومعرفتهم ومعايشتهم لحال أبيهم، وما وصلت إليه من سوء.

٥ ـ كان يعقوب على يقين من نجاة يوسف، وكذب أبنائه عليه.

هنا تتضح مفارقة عجيبة، توضح الكثير من معالم الشخصية اليهودية

الإسرائيلية القديمة الحديثة، فهم يعلمون علم اليقين، أن يوسف ذهب إلى غير رجعة، وأنه قُتل على الأرجح، ولم يعترفوا لأبيهم بحقيقة ما فعلوا، وظلّوا مصرّين على حكاية الذئب، فلا ضمير يؤنبهم، ولا قلب يشعر مع أبيهم. وأبيهم يعلم علم اليقين من ربه، أن يوسف على قيد الحياة، وأنه نبى وسيكون له شأن كبير مستقبلا، إذ كان عالما بتأويل رؤيا يوسف السابقة، وأن إخوته سيسجدون له لعلو منزلته، وهذا ما كان يُصبّره عليه السلام حين قال (فصبر جميل)، أما ما كان يؤلمه عليه السلام، هو إصرار أبنائه على ما هم عليه واستمرارهم، وعدم التوبة والرجوع إلى الله.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ **(يوسف: ٩١ ـ ١٠٣).**

١ ـ هنا يتضح خلق الأنبياء وأدبهم، فى يوسف عليه السلام، حيث قابلَ السيئة

بالحسنة، ونسب خطيئة أخوته إلى الشيطان.

٢ ـ معطيات المعادلة كانت: جمع واجتماع فى الخفاء + قرار بالإجماع + تنفيذ بمكر ودهاء = مؤامرة.

٣ ـ إخوة يوسف لم يكونوا أنبياء بأى حال من الأحوال.

انظر إلى الآيتين (١٠٢ ـ ١٠٣) التى جاءت تعقيبا على قصة يوسف عليه السلام وإخوته، لتقول أن هذا هو حال نبى الله يوسف مع إخوته، وحال نبى الله يعقوب مع أبنائه، الذين لم يكونوا على الأقل مؤمنين بنبوة أبيهم، إن لم يكونوا أصلا غير مؤمنين بالله، فما بالك فى عدم إيمان قومك بنبوتك ودعوتك، وهم ليسوا بأبنائك، فلا تكن شديد الحرص، على من لا أمل فى هدايته بعدما أضلّه الله، ولكن اُدعُ الناس، وفوّض أمر هدايتهم لله، كما فوّض يعقوب ويوسف عليهما السلام، أمرهما إلى الله فيما كان من شأن أبنائه. أما من يستنكر فكرة أنهم غير أنبياء، والله أعلم بحالهم، فليرجع إلى القرآن وليقرأ قصة نوح عليه السلام مع ابنه، وقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وقصة أبو لهب عم رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولاحظ أنه سبحانه نسبهم بالإخوة إلى يوسف عليه السلام، فى قوله: (لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين)، ولم ينسبهم إلى يعقوب عليه السلام، مع أنهم أبناؤه.

ما تقدّم من إمر أخوة يوسف عليه السلام، ليس بحاجة لزيادة أو توضيح أو تعليق، فهذا ما جاء به القرآن الكريم، وكان هذا أول فسادهم وإفسادهم فى الأرض، الذى كان موجّها ضد أخيهم وأبيهم. ومنذ ذلك اليوم، احترف بنو إسرائيل فنون التآمر، ومارسوه أولا فيما بينهم، منذ نشأتهم وحتى نهاية مملكتهم الأولى فى فلسطين. وبعد السبى البابلى، وشتاتهم فى شتى بقاع الأرض، أصبح بعضا من تآمرهم، يُحاك ضد الشعوب التى يقيمون فيما بينها. وكان تطلّعهم دائما وأبدا إلى الملك والقوة والغنى والأفضلية، وكانت غايتهم على الدوام، جمع المال بطرق غير مشروعة، من ربا ونصب واحتيال،

والتقرب من أصحاب السلطة والنفوذ بالإغواء والإغراء، للتلاعب بهم وتحريكهم من وراء الستار، لإيقاع الفتن والحروب بين الشعوب، لضمان السيطرة لتلبية مصالحهم واحتياجاتهم، ولذلك تجدهم يجتمعون ويُخطّطون فى السر والعلن، ويعملون باستمرار بلا كلل أو ملل، وتاريخهم قديما وحديثا غنى بالأمثلة والشواهد.

اليهود والملك المادى

ملك يوسف عليه السلام:

كانت نشأة بنى إسرائيل كقبيلة بدوية، تعيش ضمن قبائل البدو، فى صحراء النقب، وكان أول عهد لهم بالمُلك، فى زمن يوسف عليه السلام، تحت التاج الفرعونى فى مصر، حيث وفّر لهم الملك آنذاك حياة هانئة رغيدة، وأزال عنهم بؤس وشقاء حياة البداوة، ولما زال ملك يوسف عليه السلام بوفاته، انقلب حالهم رأسا على عقب، فقاسوا شتى أنواع العذاب والمهانة، ومنذ ذلك اليوم ترسخت لديهم قناعة بأن الملك والغنى يعنى السعادة، وزوالهما يعنى الشقاء.

رفض نبوة موسى عليه السلام:

وعندما بعث سبحانه لهم موسى عليه السلام، لم يستجيبوا له، فهم لا ينتظرون من يدعوهم إلى الله، ولا يؤمنون بما هو غيبى وغير محسوس، دين فيه إله غير مرئى، يمنح جنة غير مرئية، والحصول عليها مشروط بالصلاح والإصلاح، بعد عمر طويل، وبعد موت وبعث وحساب، وإنما يؤمنون بمن يمنحهم، ملكا مجانيا دنيويا ماديا، عاجلا لا آجلا، يكون فى متناول اليد، بلا جهد أو عناء منهم لتحصيله، ولا مانع لديهم بعد ذلك، أن يكون لهم إله، بشرط أن يكون محسوسا، ويوافق أهواءهم، كالعجل الذهبى الذى صنعه لهم السامرى، فسارعوا لعبادته، لذلك عانى منهم عليه السلام ما عاناه، فى رحلته معهم من مصر، إلى الأرض المقدّسة.

طلب المُلك بدعوى الرغبة فى القتال:

وبعد موته عليه السلام، وبعد انقضاء سنوات التحريم الأربعين، لم يطلبوا من نبيهم قيادتهم للقتال، لدخول الأرض المقدسة، وإنما طلبوا منه أن يبعث الله لهم مَلِكا، وذلك طمعا فى المُلْك، وليس للقتال فى سبيل الله كما زعموا، إذ أنهم بعد أن كُتب عليهم القتال، تولوا إلا قليل منهم، وبالرغم من ذلك منّ الله عليهم بالملك، فكانت مملكتهم الأولى فى الأرض المقدسة، بقيادة داود وسليمان، للذيْن لم يكن لبنى إسرائيل معهما حول ولا قوة، إذ لم يستطع مترفوهم وفسقتهم، من الوصول والتغلغل والتدخل فى شؤون الحكم، لاجتماع الملك والنبوة فيهما عليهما السلام، بل لعنهم داود آنذاك، كما لعنهم عيسى عليه السلام من بعد.

مُلكاً لا نبوة فيه:

وبعد أن توفّى الله سليمان، وخرجت النبوة من الملك، كان لهم ما أرادوا - امتحانا لهم وابتلاء منه عزّ وجلّ - فأفسدوا فيها أيّما إفساد، فوقع منهم القتل فى الأنبياء والصالحين والمستضعفين، وإخراج بنى جلدتهم من أرضهم، وسلب ونهب ممتلكاتهم، وعصيان أوامر الله، والاعتداء على حدوده، بمخالفتهم الوصايا العشر برمتها، بما فيها الشرك بالله باتخاذ الأصنام والشياطين والملائكة، أولياء من دونه، فأزال الله عنهم المُلك عقابا لهم، على يد نبوخذ نصر البابلى وجيوشه، وكان فيهم السبى والإخراج من الأرض المقدّسة، لقسم كبير منهم، ومع علمهم بفسادهم وعقاب الله لهم ببعث البابليين عليهم، إلا أنهم عاتبون وغاضبون على الله، لأنه أخطأ فى حقهم - حسب اعتقادهم - بإنزال عقاب أولى الإفسادتين فيهم، ويعتبرون وعده لهم برجوعهم من الشتات للإفساد الثانى، هو تصحيح للخطأ الأول. بالإضافة إلى ذلك تجدهم، يصبّون جام غضبهم على بابل والبابليين، وكأن بعث البابليين على شعب الله المختار، كان من تلقاء أنفسهم، ودون وجه حق، ولم

يكن هذا البعث من قبله سبحانه. فقد جاء فى سفر إشعياء «٥ : ٣: قد تمّ بيعكم مجّانا، ومجّانا من غير فضة تُفدَوْن (أى يُعادون إلى فلسطين)، قد نزل شعبى أولا إلى مصر ليتغرّب هناك، ثم جار عليه الآشوريون بلا سبب».

عيسى عليه السلام لم يوافق أهواءهم:

ومع بقاء بعضهم فى الأرض المقدسة، من الذين كانوا قد أخرجوا من المملكة من المستضعفين، وعودة بعض المسبيين من بابل، بعد مدة من الزمن، حيث لم يكن لهم فيها من أمرهم شيئا، كانت أعينهم تتطلع إلى المُلك من جديد، حيث كانوا يظنّون أن علوهم الثانى، سيكون بعد عودتهم من بابل مباشرة، إذ كانت لديهم عدة نبوءات، الأولى بعيسى عليه السلام الذى سيُبعث من جبال ساعير (القدس)، فانتظروه ليقيم لهم ملكهم الثانى، وفى فترة انتظارهم، تناوب على حكمهم عدة شعوب، إلى أن بُعث عيسى فى زمن الحكم الرومانى لفلسطين، فدعاهم للعودة إلى الله والمحبة والسلام والتواضع، وعندما تيقنوا أنه ليس من طلاب الملك على اليهود، بالرغم من توافق صفته مع ما جاءت به التوراة، حاربوه وعادوه وكادوا له، وتآمروا عليه وحرضوا الرومان الوثنيين على قتله وصلبه.

وملك البرّ لم يوافق أهواءهم:

وقبل بعث عيسى وبعده، تعرّضوا للكثير من الذل والهوان، من الشعوب التى حكمتهم، فى كل مرة قاموا فيها، بالتمرد والعصيان للاستقلال وإقامة الملك، وكان آخرها على يد (هدريان) الرومانى، الذى أخرجهم منها بشكل نهائى، ففرّق الله شملهم فى شتى بقاع الأرض، فاتجه قسم كبير منهم إلى الجزيرة العربية، وسكنوا بالقرب من المدينة المنورة، مكان هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام، صاحب النبوءة الثانية لديهم، ملك البرّ، الذى سيُبعث من جبال فاران (مكة)، ويكون له ولخلفائه ملك، يشمل مشارق الأرض ومغاربها.

وكان اليهود يترقّبون أخباره، ويحسبون لزمان مولده ومبعثه، مع كرههم وعدائهم المسبق له، كونه من ولد إسماعيل وليس منهم، وعندما بُعث ﷺ، عاينوا صفته، وامتحنوه بأسئلتهم بما علموا وما لم يعلموا، ولما تبيّنوا صدق نبوته، حاولوا استمالته لجانبهم بالإغواء والإغراء، مستغلين رغبته ﷺ فى اتباعهم له، كونهم أهل كتاب، وهم الأقرب لتصديقه ومؤازرته ومناصرته، وكان مرادهم منه، هو اتباع ملتهم لتحقيق رغباتهم وأهوائهم، لإخراجه من الجزيرة إلى فلسطين، لإقامة ملكه عليهم هناك، ففضحهم رب العزة، وحذّر رسوله الكريم من الوقوع فى حبائلهم وشراكهم، ولمّا تيقّنوا من عدم رضوخه لهم، أنكروا نبوته وناصروا المشركين عليه، وكادوا له بكل ما أُتوا من مكر ودهاء وحيلة، فآذوه وآذوا أصحابه، ولم يدخروا فى ذلك جهدا، وحاولوا فتنته وقتله عدة مرّات، إلى أن تمّ جلاؤهم وإخراجهم من جزيرة العرب.

البحث عن الملك القارونى، وانتظار الملك الإله، على النمط الفرعونى آخر الزمان:

ومع ظهور الإسلام، ومعرفتهم بما سيكون من أمره، من سرعة انتشاره، واتساع دولته لتشمل مناطق شاسعة من العالم، ومن ضمنها سيطرته على الأرض المقدّسة، تلاشت أحلامهم فى عودتهم إليها، لإقامة ملكهم الأممى الثانى فيها على المستوى الفرعونى، فتخلّوا عن ذلك الطموح مؤقتا، وشرعوا فى تحقيق الملك الفردى على المستوى القارونى، بجمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة، من ربا واحتيال وسرقة والتهريب وتجارة الرقيق والدعارة، والتمتع بزينة الحياة الدنيا من جرّاء هذا الكسب، واستمروا على تلك الحال، إلى أن تمكنوا من إقامة دولتهم الحالية فى فلسطين، منتظرين حكم العالم أجمع، من خلال النبوءة الأخيرة، بالذى يأتى من ربوات القدس (مسيحهم المنتظر).

وبعد ذلك اتجه أغلبهم إلى الشمال، وتفرقوا فى البلاد العربية الأخرى، فتواجدوا فى العراق وبلاد الشام ومصر والأندلس، وبالرغم من تعامل الإسلام السمح مع أهل الكتاب، إلا أنهم كانوا مقيّدين، بما وضعه الإسلام من

قيود، على أهوائهم ومطامعهم المادية، ووجود القرآن عدوهم اللدود وثيقة أبدية، تكشف طبائعهم وحقيقة نواياهم وتحذر منهم. ولكى يستطيع أحدهم من العيش فى ظل الحكم الإسلامى، كان يعمد إلى إظهار إسلامه وإخفاء يهوديته، أو أن يُرغم نفسه كارها على التخلى، عن طبائعه وأهوائه فى الفساد والإفساد، وهذا مما لا يوافق طبعهم، ولا ما يأمرهم به تلمودهم، ولذلك آثر الكثير منهم الهجرة، من كل البلاد، التى كانت تخضع للحكم الإسلامى تباعا، على مرّ العصور، ومن ثم استقر بهم المقام فى القارة الأوروبية، حيث وجدوا فيها متنفسا فى البداية، لجهل الأوربيين بطبيعتهم البشعة.

الاضطهاد الأوروبى لليهود، وفشلهم فى تحصيل الملك القارونى:

وعندما تبين للأوربيين مع مرور الوقت، أن الكثير من المشاكل والمصائب والكوارث الاجتماعية والاقتصادية، من فقر ومجاعات وانهيارات اقتصادية، وانتشار للفساد والرذيلة، كان سببه اليهود، وضعوا الكثير من الحلول لمواجهة مشكلتهم، مثل سن القوانين التى تقيد حركتهم وتعاملاتهم، فلم تكن تجدى نفعا، مع ما يملكون من مكر ودهاء. وتم عزلهم فى أحياء سكنية خاصة بهم، فلم يُجْدِ ذلك نفعا، فكان لا بد من الحل الأخير، وهو طردهم ونفيهم، من معظم بلدان أوروبا الغربية، وكان رجالات الكنيسة آنذاك، يعملون كمستشارين للملوك فى العصور الوسطى، وكانوا يؤيدون تلك الإجراءات ضد اليهود، لتحريم المسيحية للزنا والربا، بالإضافة إلى ما اكتشف من تجديف على المسيح ووالدته، وكره وبغض وعداء للمسيحيين، فى تلمودهم السرى، الذى جلب لهم المذابح الجماعية فى بعض البلدان الأوربية، كإسبانيا والبرتغال، وفى النهاية تم طردهم بالتعاقب وعلى فترات متباعدة، من فرنسا وسكسونيا وهنغاريا، وبلجيكا وسلوفاكيا والنمسا، وهولندا وإسبانيا وليتوانيا، والبرتغال وإيطاليا وألمانيا، بدءا من عام ١٢٥٣م وحتى عام ١٥٥١م، فاضطر اليهود للهجرة، إلى روسيا وأوروبا الشرقية والإمبراطورية العثمانية.

إذن لا بدّ من التآمر:

آنذاك أصبح لليهود كشعب مشتت هَمٌّ مشتركٌ، من جرّاء الاضطهاد والتعذيب والطرد، من قبل الأوروبيين. وأبواب الجنّة الأوربية قد أغلقت من دونهم، حيث بدأ هناك بعد رحيل أغلب اليهود، ما يُسمى بالنهضة الأوروبية، فحيل بينهم وبين تحقيق أحلامهم، سواء على مستوى الملك الأممى، أو مستوى الملك الفردى، وهذا ما لا يستطيعون احتماله أو تقبّله، وهذه الأجواء تذكّرنا بأجواء المؤامرة الأولى فى تاريخهم، حيث واجه إخوة يوسف همّا مشتركا، تمثّل فى شعورهم بالدونية، بالمقارنة مع يوسف وأخيه، وكان دافعهم الحسد، فاجتمعوا سرا وتآمروا، وأجمعوا فنفّذوا.

ويحضرنى فى هذا المقام قول لابن القيم، إذ يقول فى كتاب الفوائد أن أصول المعاصى، ثلاثة: الكبر والحرص والحسد، فالكبر جعل إبليس يفسق عن أمر ربه، والحرص أخرج آدم من الجنة، والحسد جعل أحد ابنىّ آدم يقتل أخاه، وبعد التدبر فى هذا القول، ستجد أن الطريق إلى الوقوع فى المعصية، هو الوقوع فريسة للمقارنة والمفاضلة، من خلال الاعتماد على الحواس فقط، وبتغييب العقل والفؤاد، وبالتالى فقدان القدرة على الاستبصار، والحكم على الأمور، وقد نهى سبحانه فى مواضع كثيرة من القرآن، عن المقارنة والمفاضلة، وحسم الأمر بأن الفضل من لدنه، يؤتيه من يشاء من عباده، أما اليهود وبعد اطلاعى على ما جاء فى توراتهم وتلمودهم، فإنهم جمعوا فيها أصول المعاصى كلها، فالكبر جعلهم أفضل الناس على الإطلاق، والحرص جعلهم يفضّلون الدنيا على الآخرة، والحسد جعلهم يستبيحون ممتلكات الآخرين ويستحلّونها لأنفسهم.

(لوثر) بإصلاحاته الكنسية فى القرن السادس عشر، يُمكّن اليهود من احتلال أوروبا اقتصاديا:

وعندما تم تدمير السلطة الكنسية، التى قام بها الإصلاحيون فى

أوروبا (بفعل اليهود أنفسهم)، وضُمّت التوراة إلى الإنجيل فى كتب النصارى المقدسة، وجد اليهود بعض القبول فى الدول الأوروبية، فعادوا إليها شيئا فشيئا، ونتيجة للاضطهاد والطرد الجماعى، الذى تعرض له اليهود فى هذه الدول فيما مضى، وهم شعب الله المختار، أجمع قارونات المال اليهود، وبدءوا يعقدون اجتماعاتهم السرية، فى نهايات القرن الثامن عشر (قبل أكثر من مائتى سنة)، للانتقام وتجنب ذلك المصير المرعب مرة أخرى. وبوجود المال اليهودى، تشكل لديهم مخطط شيطانى، للسيطرة على العالم كله وحكمه، فوضعوا مخططا مبدئيا، كان موجها فى الدرجة الأولى، ضد ملوك أوروبا ورجالات الدين المسيحى.

■ ■ ■

أكبر وأخطر مؤامرة
فى تاريخ اليهود

المخطط فى أطواره الأولى:

ويتلخص مخططهم المبدئى، مما كُشف من محاضر اجتماعاتهم، فى كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) لمؤلفه (وليام كار) ضابط الاستخبارات فى البحرية الكندية، بما يلى:

الهدف العام: تأليه المادة ونشر المذاهب الإلحادية، لتمهيد سيطرة اليهود على العالم، ومن ثم تتويج أنفسهم ملوكا وأسيادا على الشعوب. (ونتيجة لذلك برز الكثيرون من المُفكّرين اليهود كفرويد وماركس وغيرهما، ومن غير اليهود من المأجورين كداروين وغيره، حيث بدأت الأطروحات والنظريات الإلحادية المنكرة لوجود الله عزّ وجلّ، فظهرت الشيوعية (لا إله) والرأسمالية (المال هو الإله) لذلك وضع الصيارفة اليهود عبارة (In God we Trust) على الدولار الأمريكى، وليس على الصفحة الأولى من كتابهم المقدّس، وظهرت الاشتراكية التى جمعت ما بين المبدأين من حيث الكفر).

فلسفة المخطط: يتم تقسيم الشعوب، إلى معسكرات متنابذة، تتصارع إلى الأبد، دونما توقف، حول عدد من المشاكل، اقتصادية وسياسية واجتماعية وعرقية وغيرها، ومن ثم يتم تسليح هذه المعسكرات، ثم يجرى تدبير حادث ما (فتنة)، تتسبب فى إشعال الحروب بين هذه المعسكرات، لتُنْهك وتحطّم بعضها بعضا، وبالتالى تتساقط الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية تباعا.

برنامج العمل:

١ ـ السيطرة على رجالات الحكم، على مختلف المستويات والمسؤوليات، بالإغواء المالى (الرشوة) والإغراء الجنسى، وعند وقوعهم، يتم استغلالهم لغايات تنفيذ المخطط، وعند تفكير أى منهم بالانسحاب، يتم تهديده بالانطفاء السياسى أو الخراب المالى، أو تعريضه لفضيحة عامة كبرى تقضى على مستقبله، أو تعريضه للإيذاء الجسدى أو بالتخلص منه بالقتل.

٢ ـ دفع معتنقى المذهب الإلحادى المادى، للعمل كأساتذة فى الجامعات والمعاهد العلمية وكمفكرين، لترويج فكرة الأممية العالمية بين الطلاب المتفوقين، لإقامة حكومة عالمية واحدة، وإقناعهم أن الأشخاص ذوى المواهب والملكات العقلية الخاصة، لهم الحق فى السيطرة على من هم أقل منهم كفاءةً وذكاءً (وذلك كغطاء لجرهم لاعتناق المذهب الإلحادى).

٣ ـ يتم استخدام الساسة والطلاب (من غير اليهود)، الذين اعتنقوا هذا المذهب، كعملاء خلف الستار، بعد إحلالهم لدى جميع الحكومات، بصفة خبراء أو اختصاصيين، لدفع كبار رجال الدولة، إلى نهج سياسات، من شأنها فى المدى البعيد، خدمة المخططات السرية لليهود، والتوصل إلى التدمير النهائى، لجميع الأديان والحكومات، التى يعملون لأجلها.

٤ ـ السيطرة على الصحافة وكل وسائل الإعلام، لترويج الأخبار والمعلومات التى تخدم مصالح اليهود، وتساهم فى تحقيق هدفها النهائى.

أما القائمون على المؤامرة، فهم مجموعة كبيرة منظمة من جنود إبليس، تضم حفنة من كبار أثرياء اليهود فى العالم، بالإضافة إلى حفنة من كبار حاخامات الشرق والغرب، ومن الأسماء التى أطلقها عليهم الباحثون فى مؤلفاتهم، جماعة النورانيين، وحكومة العالم الخفية، واليهود العالميّون، يعملون فى الخفاء. هدفهم حكم العالم اقتصاديا، ومن ثم سياسيا، عن

طريق تدمير الأخلاق والأديان، وإشعال الحروب الإقليمية والعالمية، وهم وراء كل جريمة، ويسيطرون على كثير من المنظمات السرية والعلنية، اليهودية وغير اليهودية، تحت مسميات عديدة، ولهم عملاء ذوو مراكز رفيعة ومرموقة، فى معظم الحكومات الوطنية لدول العالم، من الذين باعوا شعوبهم وأوطانهم بأبخس الأثمان، وتميّزوا بولائهم المطلق للمؤامرة وأصحابها، وفيما يلى سنعرض أهدافهم وسياساتهم.

بروتوكولات حكماء صهيون:

يقول (ويليام كار) إن هذه البروتوكولات، عرضها (ماير روتشيلد) أحد كبار أثرياء اليهود، أمام اثنى عشر من كبار أثرياء اليهود الغربيين، فى فرانكفورت بألمانيا عام ١٧٧٣م، أما كشفها فقد تم بالصدفة عام ١٧٨٤م فى ألمانيا نفسها، حيث أرسلت نسخ منها إلى كبار رجال الدولة والكنيسة، وتم محاربتها، ومحاربة كل رموزها الظاهرة فى ألمانيا آنذاك. ولذلك انتقلت إلى السرية التامة، وسارع معظم يهود العالم إلى التنصل منها، واستطاعوا بما لديهم من نفوذ، من إرغام الناس والحكومات على تجاهلها، ومنذ ذلك اليوم الذى كُشفت فيه، وحتى منتصف القرن الماضى، والكتّاب والباحثون الغربيون يتناولونها بالبحث والتقصى، ويؤكدون مطابقة ما جاء فيها، مع ما جرى ويجرى على أرض الواقع، ويحذّرون حكوماتهم من الخطر اليهودى المحدّق بأممهم، ولكن لا حياة لمن تنادى، فى حكومات تغلغل فيها اليهود، كما تتغلغل بكتيريا التسوس فى الأسنان، ومعظم الكتب التى حذّرت ـ وما زالت ـ من الخطر اليهودى، كان مصيرها الاختفاء من الأسواق، أو الإلقاء فى زوايا النسيان والإهمال.

أما من يُفكّر اليوم بمناهضة اليهود ومعاداتهم فى الغرب، فقد ثكلته أمه، فخذ (هايدر) مثلا، زعيم أحد الأحزاب النمساوية، الذى أطلق يوما عبارات مناهضة لليهود، عندما فاز حزبه ديموقراطيا، بأغلبية فى مقاعد

البرلمان، فقامت الدنيا ولم تقعد، ضجّة إعلامية كبرى، فى إسرائيل، أمريكا، بريطانيا، فرنسا، الأمم المتحدة، حتى أُرغم الاتحاد الأوروبى على مقاطعة النمسا، لمنع (هايدر) من الحصول على أى منصب فى الحكومة النمساوية.

الصيغة النهائية لمبادئ المخطط الشيطانى:

- الذى تربع اليهود من خلاله، أسيادا على العالم فى الخفاء، منذ خمسين عاما مضت، وما زالوا:

١ - أن قوانين الطبيعة تقضى بأن الحقّ هو القوة. (بمعنى أن الذى يملك القوة، هو الذى يُحدّد مفاهيم الحق، ويفرضها على الآخرين، والقوة تعنى امتلاك المال).

٢ - أن الحرية السياسية ليست إلا فكرة مجردة، ولن تكون حقيقة واقعة. (بمعنى أنك تستطيع الادعاء ظاهريا، بأنك ديموقراطى وتسمح بحرية الرأى، ولكنك فى المقابل تقمع الرأى الآخر سرا).

٣ - سلطة الذهب (المال) فوق كل السلطات حتى سلطة الدين. (محاربة الدين وإسقاط أنظمة الحكم غير الموالية، من خلال تمويل الحركات الثورية ذات الأفكار التحررية، وتمويل المنتصر منها بالقروض).

٤ - الغاية تبرّر الوسيلة. (فالسياسى الماهر: هو الذى يلجأ إلى الكذب والخداع والتلفيق، فى سبيل الوصول إلى سدة الحكم).

٥ - من العدل أن تكون السيادة للأقوى. (وبالتالى تحطيم المؤسسات والعقائد القائمة، عندما يترك المستسلمون حقوقهم ومسؤولياتهم، للركض وراء فكرة التحرّر الحمقاء).

٦ - ضرورة المحافظة على السرية. (يجب أن تبقى سلطتنا، الناجمة عن سيطرتنا على المال، مخفيّة عن أعين الجميع، لغاية الوصول إلى درجة من القوة، لا تستطيع أى قوة منعنا من التقدم).

٧ ـ ضرورة العمل على إيجاد حكام طغاة فاسدين. (لأن الحرية المطلقة تتحول إلى فوضى، وتحتاج إلى قمع، وذلك لكى يتسنى لأولئك الحكام سرقة شعوبهم، وتكبيل بلدانهم بالديون، ولتصبح الشعوب برسم البيع).

٨ ـ إفساد الأجيال الناشئة لدى الأمم المختلفة. (ترويج ونشر جميع أشكال الانحلال الأخلاقى، لإفساد الشبيبة، وتسخير النساء للعمل فى دور الدعارة، وبالتالى تنتشر الرذيلة حتى بين سيدات المجتمع الراقى، اقتداءً بفتيات الهوى وتقليدا لهن).

٩ ـ الغزو السلمى التسللى هو الطريق الأسلم، لكسب المعارك مع الأمم الأخرى. (الغزو الاقتصادى لاغتصاب ممتلكات وأموال الآخرين، لتجنب وقوع الخسائر البشرية فى الحروب العسكرية المكشوفة).

١٠ ـ إحلال نظام مبنى على أرستقراطية المال، بدلا من أرستقراطية النسب، (لذلك يجب إطلاق شعارات: الحرية والمساواة والإخاء، بين الشعوب بغية تحطيم النظام السابق، وكان هذا موجها إلى الأسر الأوروبية ذات الجذور العريقة، ومن ضمنها الأسر الملكية والإمبراطورية، ليلقى لصوص هذه المؤامرة بعدها، شيئا من التقدير والاحترام).

١١ ـ إثارة الحروب، وخلق الثغرات فى كل معاهدات السلام التى تعقد بعدها، لجعلها مدخلا لإشعال حروب جديدة. (وذلك لحاجة المتحاربين إلى القروض، وحاجة كل من المنتصر والمغلوب لها بعد الحرب، لإعادة الإعمار والبناء، وبالتالى وقوعهم تحت وطأة الديون، ومسك الحكومات الوطنية من خناقها، وتسيير أمورها حسب ما يقتضيه المخطط من سياسات هدامة).

١٢ ـ خلق قادة للشعوب، من ضعاف الشخصية الذين يتميزون بالخضوع والخنوع، (وذلك بإبرازهم وتلميع صورهم، من خلال الترويج الإعلامى لهم، لترشيحهم للمناصب العامة فى الحكومات الوطنية، ومن ثم التلاعب بهم، من

وراء الستار بواسطة عملاء متخصّصين، لتنفيذ سياساتنا).

١٣ ـ امتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها. (لترويج الأكاذيب والإشاعات والفضائح الملفّقة، التى تخدم المؤامرة).

١٤ ـ قلب أنظمة الحكم الوطنية المستقلة بقراراتها، والتى تعمل من أجل شعوبها، ولا تستجيب لمتطلبات المؤامرة. (من خلال إثارة الفتن، وخلق ثورات داخلية فيها، لتؤدى إلى حالة من الفوضى، وبالتالى سقوط هذه الأنظمة الحاكمة، وإلقاء اللوم عليها، وتنصيب العملاء قادة فى نهاية كل ثورة، وإعدام من يُلصق بهم تهمة الخيانة من النظام السابق).

١ ـ استخدام الأزمات الاقتصادية للسيطرة على توجهات الشعوب. (التسبب فى خلق حالات من البطالة والفقر والجوع، لتوجيه الشعوب إلى تقديس المال وعبادة أصحابه، لتصبح لهم الأحقية والأولوية فى السيادة، واتخاذهم قدوة والسير على هديهم، وبالتالى سقوط أحقية الدين وأنظمة الحكم الوطنية، والتمرد على كل ما هو مقدّس، من أجل لقمة العيش).

٢ ـ نشر العقائد الإلحادية المادية. (من خلال تنظيم محافل الشرق الكبرى، تحت ستار الأعمال الخيرية والإنسانية، كالماسونية ونوادى الروتارى والليونز، التى تحارب فى الحقيقة كل ما تمثله الأديان السماوية، وتساهم أيضا فى تحقيق أهداف المخطط الأخرى، داخل البلدان التى تتواجد فيها).

٣ ـ خداع الجماهير المستمر، باستعمال الشعارات والخطابات الرنّانة، والوعود بالحرية والتحرر. (التى تلهب حماس ومشاعر الجماهير لدرجة يمكن معها، أن تتصرف بما يخالف حتى الأوامر الإلهية، وقوانين الطبيعة، وبالتالى بعد الحصول على السيطرة المطلقة على الشعوب، سنمحو حتى اسم «اللّه» من معجم الحياة).

٤ ـ ضرورة إظهار القوة لإرهاب الجماهير. (وذلك من خلال افتعال

حركات تمرد وهمية، على أنظمة الحكم، وقمع عناصرها بالقوة على علم أو مرأى من الجماهير، بالاعتقال والسجن والتعذيب والقتل إذا لزم الأمر، لنشر الذعر فى قلوب الجماهير، وتجنُّب أى عصيان مسلح قد يُفكّرون فيه، عند مخالفة الحكام لمصالح أممهم).

٥ ـ استعمال الدبلوماسية السريّة من خلال العملاء. (للتدخل فى أى اتفاقات أو مفاوضات، وخاصة بعد الحروب، لتحوير بنودها بما يتفق مع مخططات المؤامرة).

٦ ـ الهدف النهائى لهذا البرنامج هو الحكومة العالمية التى تسيطر على العالم بأسره. (لذلك سيكون من الضرورى، إنشاء احتكارات عالمية ضخمة، من جرّاء اتحاد ثروات اليهود جميعها، بحيث لا يمكن لأى ثروة من ثروات الغرباء مهما عظُمت، من الصمود أمامها، مما يؤدى إلى انهيار هذه الثروات والحكومات، عندما يوجّه اليهود العالميون، ضربتهم الكبرى فى يوم ما).

٧ ـ الاستيلاء والسيطرة على الممتلكات العقارية والتجارية والصناعية للغرباء. (وذلك من خلال ؛ أولا: فرض ضرائب مرتفعة، ومنافسة غير عادلة للتجار الوطنيين، وبالتالى تحطيم الثروات والمدخرات الوطنية، وحصول الانهيارات الاقتصادية بالأمم. ثانيا: السيطرة على المواد الخام، وإثارة العمال، للمطالبة بساعات عمل أقل وأجور أعلى، وهكذا تضطر الشركات الوطنية لرفع الأسعار، فيؤدى ذلك إلى انهيارها وإفلاسها، ويجب ألا يتمكن العمال بأى حال من الأحوال، من الاستفادة من زيادة الأجور).

٨ ـ إطالة أمد الحروب لاستنزاف طاقات الأمم المتنازعة ماديا ومعنويا وبشريا. (لكى لا يبقى فى النهاية سوى مجموعات من العمال، تسيطر عليها وتسوسها حفنة من أصحاب الملايين العملاء، مع عدد قليل من أفراد الشرطة والأمن، لحماية الاستثمارات اليهودية المختلفة، بمعنى آخر إلغاء الجيوش النظامية الضخمة حربا أو سلما، فى كافة البلدان).

٩ - الحكومة العالمية المستقبلية، تعتمد الدكتاتورية المطلقة كنظام للحكم. (فرض النظام العالمى الجديد، يقوم فيه الدكتاتور بتعيين أفراد الحكومة العالمية، من بين العلماء والاقتصاديين وأصحاب الملايين).

١٠ - تسلل العملاء إلى كافة المستويات الاجتماعية والحكومية. (من أجل تضليل الشباب وإفساد عقولهم بالنظريات الخاطئة، حتى تسهل عملية السيطرة عليهم مستقبلا).

١١ - ترك القوانين الداخلية والدولية التى سنتها الحكومات والدول كما هى، وإساءة استعمالها وتطبيقها. (عن طريق تفسير القوانين، بشكل مناقض لروحها، يستعمل أولا قناعا لتغطيتها، ومن ثم يتم طمسها بعد ذلك نهائيا).

ثم يختم المتحدّث عرضه بالقول: «لعلكم تعتقدون أن الغرباء (غير اليهود)، لن يسكتوا بعد هذا، وأنهم سيهبّون للقضاء علينا، كلا هذا اعتقاد خاطئ. سيكون لنا فى الغرب، منظمة على درجة من القوة والإرهاب، تجعل أكثر القلوب شجاعة ترتجف أمامها، تلك هى منظمة الشبكات الخفية تحت الأرض، وسنعمل على تأسيس منظمات من هذا النوع، فى كل عاصمة ومدينة، نتوقّع صدور الخطر منها»، انتهى.

بتصرّف من كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج):

نود أن نُشير إلى أنّ هذا المخطط، وُضع قبل أكثر من ٢٠٠ سنة تقريبا، وأن العمل على تنفيذه بقى جاريا على قدم وساق، وكان دائم التجدّد والتطوّر من حيث القائمين عليه، ومن حيث برامجه وأدواته، ليتوافق مع التطورات المتسارعة التى ظهرت فى القرنين الماضيين، من مُخترعات واكتشافات كوسائل الاتصال ووسائل الحروب على مختلف أنواعها، سُخرت كلها لخدمة هذا المُخطّط الشيطانى، الذى خطّته أيدى أبالسة اليهود على مرّ العصور، وما كان لبشر من غير اليهود، أن يجمعوا كل هذا الشرّ فى جعبتهم،

ويصهروه بهذا الشكل المُذهل المتعمّق، فى معرفته بدواخل النفس البشرية وأهوائها، ومكامن ضعفها وقوتها، إتقانا ربما يعجز إبليس نفسه عن الإتيان بمثله، حتى استطاعوا من خلاله، التحكم بالبشر، بدءا من الرئيس الأمريكى بعظمته، وحتى إنسان الغياهب الأفريقية بفقره وقلة حيلته، الذى لا يدرى ما الذى يُحاربه أولا، الجوع أم الإيدز. وها هم الآن بدءوا يُزيلون أقنعتهم شيئا فشيئا، فتصريحاتهم من مواقع السياسة الأمريكية ومواقفهم، تكشف عن مدى قباحة وجوههم وأفعالهم فى حقّ الإنسانية.

إسقاط جميع أنظمة الحكم الوراثية العريقة فى أوروبا من خلال الثورات التحررية:

وقد استطاع اليهود، من خلال مواظبتهم على تنفيذ هذه البروتوكولات، من إسقاط نظام الحكم الملكى فى بريطانيا، لفترة ليست بالقصيرة، ومن ثم عاد النظام الملكى، بشكل صورى لا يتمتع بأى سلطة، كما هو الحال الآن، كما قاموا بإسقاط النظام الملكى فى فرنسا، ومن ثم تم تحويلها إلى النظام الجمهورى. وبعد إثارتهم للحرب العالمية الأولى، استطاعوا إسقاط الحكم القيصرى فى روسيا، الذى عاملهم كما عوملوا فى أوروبا، ولكن بدون طرد، وإدخال الحكم الشيوعى إليها، واستطاعوا إسقاط الحكم القيصرى فى ألمانيا أيضا، وأسقطوا الإمبراطورية العثمانية، وكان آخر حصادها، هو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى.

المخطط فى مراحله النهائية، تحت حماية أمريكا:

ولو أنك نظرت إلى البروتوكول رقم (٢٣)، ستجد أن النظام الذى كان يُنادى به الرئيس الأمريكى (بوش) فى بداية التسعينيات، بعد انهيار الاتحاد السوفييتى، موجود تحت نفس الاسم (النظام العالمى الجديد) وهذه العبارة نفسها مكتوبة أيضا، على الدولار باللغة اللاتينية، وهذا مؤشر على أن المخطّط أصبح فى مراحله الأخيرة، حيث أن هذا البرتوكول هو الثالث قبل

الأخـيـر، ومـا بقى عليـهم للوصـول إلى هدفـهم النهـائى، سـوى تنفـيـذ البـرتوكـولين (٢٤) و (٢٥)، وهمـا المتـعلقـين بـالعـولمة بـجـانبـيهـا الثـقـافى والاقتصادى، والتى سنوضحها لاحقا.

الرؤساء الأمريكيون الأوائل يُحذّرون من الخطر اليهودى:

ترجـمـة النص الكامل للجـزء الخـاص باليـهـود من خطاب بنيـامـين فرانكلين أمام الكونغرس:

«أيها السادة: هنالك خطر كبير يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية.. وهذا الخطر هو اليهود.. ففى أى أرض يحلُّ بها اليهود.. يعملون على تدنى المستوى الأخلاقى والتجارى فيها.. وعلى مدى تاريخهم الطويل.. ظلّوا متقوقعين على أنفسهم فى معزل عن الأمم التى يعيشون فيها.. ولم يندمجوا فى حضاراتها.. بل كانوا يعملون دوما على إثارة الأزمات المالية وخنق اقتصادياتها.. كما حصل فى البرتغال وإسبانيا.

لأكثر من ١٧٠٠ سنة.. وهم يبكون على قدرهم ومصيرهم المحزن.. أعنى طردهم ونفيهم من وطنهم الأم (فلسطين).. ولو أن العالم المتحضر (الغرب) أعاد لهم فلسطين الآن.. فإنهم على الفور سيختلقون الكثير من الأسباب والأعذار والحجج الواهية.. ليبرروا عدم رغبتهم فى العودة إليها.. لماذا؟.. لأنهم كائنات طفيلية.. والطفيليات لا تستطيع أن تتطفل على طفيليات أخرى.. فهم لا يستطيعون العيش مع بعضهم البعض.. مما يستدعى ضرورة تواجدهم بين المسيحيين.. أو بين أناس من غير جنسهم.

وإن لم يُطردوا من الولايات المتحدة بموجب الدستور.. فإنهم وخلال مائة عام على الأقل من الآن.. سيتوافدون إلى هذا البلد بأعداد كبيرة.. وبتلك الأعداد سوف يحكموننا ويدمّروننا.. من خلال تغيير أنظمة الحكم لدينا.. والتى بذلنا نحن الأمريكيين من أجل توطيدها على مر السنين..

الغـالى والنفـيس من دمـائنا وأرواحنا وممتلكاتنا وحـرياتنا.. وإن لم يتم طردهم.. وبعد مائتى سنة من الآن.. فإن أحفادنا سيعملون فى الحقول ليل نهار.. من أجل إشباع بطونهم وجيوبهم.. بينما يجلسون هم فى قصورهم يفركون أيديهم فرحا واغتباطا.. بما حصدوه من غلال وأرباح.

وها أنا أحذركم أيها السادة.. إن لم تطردوا اليهود من هذا البلد إلى الأبد.. فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم فى قبوركم.. ومع أنهم يعيشون بيننا منذ أجيال.. فإن مُثُلهم العليا ما زالت تختلف كليا، عما يتحلى به الشعب الأمريكى من مُثُل.. فالفهد الأرقط لا يمكنه تغيير لون جلده (عبارة مقتبسة من التوراة).. سوف يُعرّضون مؤسساتنا ومقوماتنا الاجتماعية للخطر.. لذلك يجب طردهم بنص من الدستور».

وكان فرانكلين من الرؤساء الأوائل فى أمريكا، والذى استشعر الخطر اليهودى قبل تغلغله فى أمريكا، من خلال دراسته لتوراتهم ولتاريخهم فى أوروبا، وما أحدثوه من خراب فيها.

وهذا قسم من خطاب الرئيس الأمريكى (لنكولن) للأمة، فى نهاية مدته الرئاسية الأولى:

«إننى أرى فى الأفق نُذر أزمة تقترب شيئا فشيئا.. وهى أزمة تثيرنى وتجعلنى أرتجف على سلامة بلدى.. فقد أصبحت السيادة للهيئات والشركات الكبرى.. وسيترتب على ذلك وصول الفساد إلى أعلى المناصب.. إذ أن أصحاب رؤوس الأموال، سيعملون على إبقاء سيطرتهم على الدولة.. مستخدمين فى ذلك مشاعر الشعب وتحزّباته.. وستصبح ثروة البلاد بأكملها، تحت سيطرة فئة قليلة.. الأمر الذى سيؤدى إلي تحطم الجمهورية».

وكان هذا الخطاب قبل أكثر من ١٣٠ سنة، بعد أن تغلغل اليهود فى

أمريكا، وقد اغتيل هذا الرئيس فى بداية فترة الرئاسية الثانية، نتيجة خطاباته لأن كل أصحاب رؤوس المال الأمريكى أصبحوا من اليهود. كما اغتيل الرئيس (جون كندى)، عندما أعلن عن برامجه الإصلاحية، وبناء أمريكا من الداخل، ونهج التعايش السلمى مع الخارج، كروسيا والبلدان الأخرى، وهذا مما يتعارض كليا، مع بروتوكولات أرباب المال اليهود وحكمائهم. وتخيل لو أن أرباب المال اليهود يسحبون أرصدتهم من أمريكا، بالتأكيد سينهار الاقتصاد الأمريكى برمّته على الفور، وربما تصبح أمريكا من أفقر بلدان العالم.

بعد اغتيال (كندى) استوعب رؤساء أمريكا الدرس، وحفظوه عن ظهر قلب، فلم يجرؤ أحدهم على نهج أى سياسة، تتعارض مع طموحات اليهود، وتطلعاتهم على كافة الأصعدة، بل كانوا فور انتخابهم، يسارعون لتقديم فروض الطاعة والولاء لأسيادهم اليهود. وخدماتهم لليهود خلال الأربعين سنة الماضية ظاهرة للعيان، وأصبحت مهمة الرئيس الأمريكى، لا تتعدى مهمة (كلب الصيد المدرّب جيدا)، لاصطياد الشعوب وثرواتها وجلبها، لليهود فى الداخل والخارج، وفى نهاية ولاية كل كلب جديد منهم، يُعلّق فى رقبته وساما رفيعا من المديح اليهودى، فيهزّ ذنبه فرحا ويمضى خارجا من البيت الأبيض، بعد حصوله على شرف عضوية (نادى كلاب الصيد) اليهودى، وكلنا يذكر قصة (كلينتون) عندما نسى نفسه، وحاول الضغط على نتنياهو، ففجّروا فى بيته الأبيض القنبلة (لوينسكى)، التى كانت مُعدّة منذ لحظة انتخابه، فأعادته إلى صوابه، وإلى موقعه الحقيقى ككلب صيد لا أكثر، فأصبح فى نهاية مدة رئاسته صهيونيا، أكثر من الصهاينة أنفسهم، يمسح بفروه الأبيض الناعم نعال أحذيتهم، عسى أن يقتات هو وزوجته على فتات موائدهم، فى قاعات مجلس الشيوخ الأمريكى، بعد خروجهم من البيت الأبيض.

الحرب العالمية الثانية درس من دروس التآمر اليهودى العالمى

الظروف التى سبقت الحرب، من كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) بتصرّف:

- معاهدة فرساى المجحفة بحق ألمانيا: التى كان لليهود وعملائهم اليد الطولى فى صياغتها، من وراء الستار، لتكون بؤرة لتوريط ألمانيا فى حرب أخرى، إذا تطلب الأمر مستقبلا. حيث أن بنود هذه المعاهدة، اقتطعت جزءا من الأراضى الألمانية، وضمتها إلى بولندا، وأرغمت ألمانيا على دفع التعويضات، للخسائر الناجمة عن الحرب العالمية الأولى، وأبقت ألمانيا تحت طائلة الديون إلى ما لا نهاية.

- وجود الحركة النازية فى ألمانيا: والسبب فى بلورة أفكارها، هو معرفة الألمان بفصول المؤامرة اليهودية، حيث أن الصيغة النهائية لبرتوكولات حكماء المؤامرة، التى تدعو لتفوق العرق اليهودى، والتى كُشفت أصلا فيما سبق فى ألمانيا نفسها، مما دفع الألمانى (كارل ريتر) إلى طرح أفكار، تدعو إلى تفوق العرق الجرمانى، ردا على ما طرحته برتوكولات حكماء اليهود. ومن أقوال مؤسس الفكر النازى (كارل ريتر) الذى نشر أفكاره عام ١٨٤٩م: «لكى يعود السلام والحرية الاقتصادية إلى العالم، يجب أولا القضاء على المولين اليهود، وعلى جميع أعضاء الحركة الثورية العالمية، الذين يُوجّهون الشيوعية ويسيطرون عليها». ومضمون المعتقدات النازية يقضى بتفوق العرق الجرمانى، والذى يتوجب عليه إخضاع العالم بالقوة العسكرية، ويجب أن تكون الطاعة فيه لرئيس الدولة الجرمانية، طاعة عمياء وبدون نقاش. وعلى ما يبدو أن رجالات الحرب الألمان، بعد الحرب العالمية الأولى، وما لحق بألمانيا من إجحاف، من خلال المؤامرات اليهودية قبل وبعد الحرب، اقتنعوا بالمذهب النازى واعتنقوا مبادئه، التى تتقاطع مع المخطط اليهودى، للسيطرة على العالم اقتصاديا، ومن ثم السيطرة على الحكم سلميا، فوضعوا

مخططهم العسكرى لاكتساح أوروبا وأمريكا، للقضاء على الممولين اليهود، واليهود بشكل عام فى أماكن تواجدهم، والاستيلاء على ثرواتهم الطائلة.

ـ مرتكزات السياسة الألمانية: كانت تقوم على وجوب تحرير ألمانيا، من الاتفاقيات الاقتصادية المفروضة عليها، من قبل المولين والمرابين الدوليين، بعد أن أدرك الزعماء الألمان، خطر هذه الاتفاقيات على استقلال البلاد، لأن الفوائد المفروضة على القروض المالية، بموجب هذه الاتفاقيات، ستؤدى حتما إلى وقوع البلاد فى براثن دائنيها، (بمعنى ارتهان القرار والموقف، السياسى والاقتصادى بمصلحة الدائنين، بغض النظر عن مصلحة الأمة)، تماما كما وقعت بريطانيا عام ١٦٩٤م، وفرنسا عام ١٧٩٠م، وأمريكا عام ١٧٩١م. وبالتالى ستكون هذه القروض، دينا واستعبادا لكل فرد من أفراد الشعب، لأن تسديدها لن يكون إلا بفرض مزيد من الضرائب، يدفعها المواطنون جميعا، ويكون المستفيد الذى لا يخسر أبدا هو الدائن، أى الممول المرابى العالمى. عندئذ صمم القادة الألمان، على خلق عملة ألمانية، لا تستند إلى القروض، بل تعتمد على الدخل القومى، والممتلكات الوطنية، وعلى موارد الصناعة والزراعة، والثروات الطبيعية، وعلى الطاقة الإنتاجية للأمة.

ـ وصول هتلر إلى سدة الحكم: شخصية هذا الرجل، اعتراها الكثير من التشويه الإعلامى اليهودى الغربى، وفى الحقيقة لم يكن هتلر داعية حرب، ولم يكن معتنقا للمذهب النازى، بل كان رجلا قوميا، يسعى لرفع الظلم والإجحاف الذى لحق بأمته، من جراء معاهدة فرساى، وكان عدوّاً لدودا للنازيين، والممولين اليهود على حد سواء، وقد جاء فى الصفحة الأخيرة من كتابه (كفاحى) الذى كتبه فى السجن عام ١٩٣٤م، قبل أن يتسلّم الزعامة، ما نصه «وبهذا يقف الحزب الاشتراكى الوطنى، موقفا إيجابيا من المسيحية، ولكنه لا يترك أمور العقيدة لجماعة من المنحرفين (النازيين)، ومن جهة أخرى يحارب، الروح المادية اليهودية، المتغلغلة فى نفوسنا وفى نفوس

الآخرين». أما عن معاهدة فرساى فقد كتب يقول: «إنها لم تكن لمصلحة بريطانيا، ولكنها كانت أولا وأخيرا، فى صالح اليهود لتدمير ألمانيا». ونود أن نضيف أن السبب الرئيسى، فى هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى، وهى فى قمة انتصاراتها العسكرية، هو الثورات والفتن التى أحدثها الممولون اليهود، بإحياء الثورات الشيوعية داخل ألمانيا، والتى أضعفت الجبهة الداخلية، وأضعفت الروح المعنوية لدى الجيش الألمانى، والتى تسببت فى تنازل القيصر عن عرشه، وتوقيع الهدنة للالتفات إلى الشأن الداخلى، خوفا من سيطرة الشيوعية على ألمانيا، كما حصل فى روسيا.

- **نشوء دول المحور**: وجد الشعب الألمانى بصورة عامة، أنه يشارك شعوب اليابان وإيطاليا وإسبانيا، آمالهم وأمانيهم فى المستقبل السياسى والاقتصادى، فظهر حلف المحور، ونظرا لديناميكية زعماء تلك الدول، وما بذلوه من جهود ضخمة، تمكّنوا من إعادة بناء بلدانهم على كافة المستويات، الصناعية والزراعية والعسكرية، بما يشبه المعجزات.

كان هتلر يحمل على كاهله أربعة هموم قومية:

١ - إعادة بناء الدولة الألمانية.

٢ - استرجاع الأجزاء المقتطعة من ألمانيا.

٣ - محاربة أرباب المال اليهود، والقضاء على الثورة الشيوعية اليهودية فى روسيا، والتى كانت تموّل الحركات الثورية فى بلاده.

٤ - كبت رغبات لوردات الحرب النازيين، فى احتلال العالم عسكريا.

سيناريو الحرب:

بدأ هتلر عام ١٩٣٦م، محاولات التحالف مع بريطانيا، وجرت عدة محادثات غير رسمية بين دبلوماسيى البلدين، وكانت الغاية من هذا التحالف، هو رغبة الألمان فى احتلال جميع الدول الشيوعية، وتحرير

شعوبها، وإعدام جميع الخونة فيها، وذلك لقناعة الألمان بارتباط الشيوعية، بكبار أغنياء اليهود، الذين يوجّهون حركتها ويموّلونها، كما يوجهون ويمولون فى نفس الوقت الحركة الصهيونية السياسية، وكان الرد البريطانى على مقترحات الألمان سلبيا، معبرا عن عدم موافقته على هذه المقترحات، فاقتنع هتلر بأنه يستحيل على أى أمة بمفردها، أن تحطم نفوذ المرابين العالميين، وخاصة فى الدول المسمّاة بالديموقراطية، وذلك لتحكّمهم المالى بهذه الدول، وإيقاعهم إياها تحت طائلة الديون.

ولمّا رفض هتلر، أوامر لوردات الحرب النازيين، لردع الشيوعية وستالين منفردا، حاولوا اغتياله، ولما فشلوا، حاولوا إضعاف شعبيته التى حققها بين الألمان، فبدأ النازيون بنشر الأفكار النازية الإلحادية بين الشعب الألمانى، واستغلت الصحافة المعادية ذلك، وألصقت هذه التهمة بهتلر، وبدأت وسائل الإعلام حملتها ضد هتلر، وانقسم الشعب الألمانى إلى قسمين، ووقع هتلر بين فكى كماشة، رجال الكنيسة من جهة، ورجال النازية من جهة أخرى، أما فى بريطانيا فكانت وسائل الإعلام اليهودية، ماضية فى تشويه صورة هتلر وألمانيا، لتمنع أى فرصة لأى تقارب ألمانى بريطانى.

وعندما عرضت ألمانيا مشروعا مقبولا، لمشكلة الممر البولندى ودانزنغ المدينة الألمانية، التى سببتها معاهدة فرساى الجائرة، سارع أقطاب المؤامرة، لإيجاد تحالف بريطانى بولندى، من خلال فبركتهم لإنذار مزوّر، تنذر فيه ألمانيا البولنديين، بالاستسلام خلال ٤٨ ساعة فقط، تمخّض عن معاهدة بريطانية، لحماية البولنديين من أى عدوان ألمانى، عام ١٩٣٩م. ومن ثم عملوا على إقناع البولنديين، بصلاحية معاهدة الحماية البريطانية، وهكذا أهمل البولنديون المذكرة الألمانية أشهرا عديدة، فى حين كانت الصحافة المعادية لهتلر، تشنّ عليه الحملات العنيفة المضادة، وذلك لسبب واحد هو معاداته لأصحاب المؤامرة العالمية، واعتماده سياسة مستقلة داخل

الإمبراطورية الألمانية، بعيدا عن قروضهم وخططهم الاقتصادية المدمرة، وبشكل عام كانت الصحافة الغربية، قد هيّأت الشعوب هناك لتقف موقفا معاديا للألمان، ولجميع الدول التى تؤيد سياستهم، وبدأت تفسّر وتحلّل أقواله وأفعاله، وتقلب الحقائق وتفبرك الأخبار، وتحذر من أطماعه التوسعية.

وهكذا بعد التعنت البولندى وتجاهله للمذكرة الألمانية، ضجر هتلر من انتظار الرد، ومن الحرب المشينة، التى وجهتها ضده صحافة الحلفاء، فأمر جيوشه بالتحرك نحو بولندا، لاسترجاع ما استقطع من أراضى ألمانيا بالقوة، ولم يتعدّ إلى ما وراءها، بل توقف عند ذلك الحدّ. عندئذ أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا، بموجب الاتفاقية السابقة، مع علم الذين أوجدوا هذه الاتفاقية عدم قدرة بريطانيا، على حماية نفسها فى مواجهة القدرات العسكرية الألمانية. وعندما تأكد لهم أن رئيس الوزراء البريطانى (تشامبرلين)، غير مُتحمس للدخول فى حرب فعلية مع ألمانيا، أسقطوه وجاءوا (بتشرشل) الذى قام بقصف المدن الألمانية بالطائرات. وهكذا اضطر هتلر مرغما لتكملة تلك الحرب المدمرة، مُستجيبا للوردات الحرب النازيين، التى دامت قرابة الخمس سنوات، وانتهت بخروج معظم الدول التى شاركت فيها، مثقلة بالديون والخسائر المادية والبشرية. وكان المستفيد الوحيد هم المرابون اليهود، الذين موّلوا هذه الحرب فى سنواتها الخمس، وموّلوا عمليات الإعمار بعدها، بقروض لم تستطع البلدان الأوربية، تسديدها إلى يومنا هذا.

وأما ألمانيا ومن أجل عدائها المعلن لليهود، سواء من هتلر أو من قبل النازيين، فقد لاقت مصيرها المحتوم، من تقسيم أراضيها وتحجيم قدراتها، ونهب مقدّراتها وثرواتها، حيث استطاع اليهود العالميون، بما يملكونه من أموال، ومن خلال سيطرتهم على اقتصاديات الدول الغربية برمتها، ومصادرة قرارها السياسى، وتجييره لخدمة مخططاتهم الشيطانية، وعلى

رأسها أمريكا وبريطانيا، من التخلص من الخطر الألمانى، الذى كان يُهدّد وجودهم، ويقضّ مضجعهم ويتقاطع مع مخطّطاتهم لتدمير البشرية.

ويخلص صاحب كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) المسيحى الكندى، فى نهاية حديثه عن الحرب العالمية الثانية، يوجهه لمن انساق وساهم من ساسة الغرب، فى نجاح المخطط الجهنمى للمرابين اليهود، طمعا بما يلقونه لهم من فتات وحطام هذه الدنيا الزائلة، إلى القول:

«**أما الحقيقة الأولى:** فهى أن الإنسان، لن يصحب معه إلى القبر، شيئا من كنوز الدنيا، أو شيئا من أكاليل المجد والثناء..

والحقيقة الثانية: هى أن القبر، ليس النهاية، بل إنه الطريق الذى لا مناص منه ولا مفرّ، بعد القبر، من تقديم الحساب أخيرا، حيث ليس للمرابين العالميين، من حول ولا قوة».

تأخر موسم الحصاد اليهودى للمحصول العالمى:

كان مخطط المؤامرة، يقتضى تنفيذ ما جاء فى البروتوكولات بحرفيته، والغاية من ذلك السيطرة على اقتصاديات دول العالم بأسرها، وحصر رؤوس الأموال العالمية كلها فى أيدى اليهود، وعندما يحين الموعد المناسب، يعمد اليهود إلى شراء الذهب من الأسواق العالمية وتكديسه، ومن ثم يُشعلون نيران الحرب العالمية الثالثة، والتى حسب تصورهم، ستكون كارثية بكل معنى الكلمة على العالم بأسره، وتخلف وراءها قطعانا بشرية جائعة، ملحدة لا تؤمن إلا بما هو مادى، ومنحلة لا تبحث إلا عن كل ما يُشبع غرائزها الجسدية، آنذاك يُعلن ملوك الذهب عن أنفسهم، ويشترطون لإنقاذ تلك القطعان البشرية من الموت جوعا، بما أنهم يملكون الذهب، تنصيبهم ملوكا على الأرض، ليُقيموا دولتهم العالمية الدكتاتورية وعاصمتها القدس، فلا تملك تلك القطعان، إلا أن تدين بالعبودية المطلقة لليهود، بعد

أن جاءها نور الذهب ليُبدد ظلمة الأديان الموحشة.

إذ كان من المفروض أن تقوم الحرب العالمية الثالثة، حسب مُخططاتهم، بعد (٢٠ - ٢٥) عاما من الحرب العالمية الثانية، ولكن ما لم يكن فى الحسبان، هو موت لينين نتاج المؤامرة اليهودية، وانقلاب (ستالين) على مخطّطاتها ومخطّطيها، وتخلّصه من جميع القادة اليهود فى الحزب الشيوعى، وإقامته لاتحاد سوفييتى قوى، وامتلاكه للسلاح النووى، ومقاسمته لأمريكا حكم العالم، ودخول عصر الحرب الباردة، الذى حجّم اليهود وطموحاتهم، بوقوفه ندّا قويا فى وجه أمريكا وطموحاتها، فكان لا بد من تدميره وتفكيكه أولا، عن طريق الغزو السلمى التسلى، المطروح فى البروتوكول رقم (٩).

فوجدوا فى (غورباتشوف) ضالتهم، الذى أدخل إصلاحاته الهدّامة. ولما أوشك الاتحاد على الانهيار، أجهزوا عليه بعمليهم الآخر (يلتسين)، فسيطر على مقاليد الحكم بالقوة، وأنهى ما يُسمى بحلف وارسو، وأزاح الحكم الشيوعى المناهض لأمريكا عن روسيا، وأخذ بنصائح صندوق النقد الدولى، للإصلاح الاقتصادى من خصخصة وغيرها، فاستطاع المليارديرات اليهود ك (بيريزوفسكى) من شراء معظم المشاريع الاستثمارية الروسية، وشراء القرار السياسى والاقتصادى الروسى، وبالإضافة إلى ما كانت تواجهه روسيا من أوضاع اقتصادية متردّية، أدخلوها فى حرب استنزافية مع الشيشان فى أوساط التسعينيات، وكل ذلك حتى يتسنى لليهود أن يصولوا ويجولوا، فى كافة أرجاء العالم ليُحققوا طموحاتهم، وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط، وعندما خلت لهم الساحة بانهيار الاتحاد السوفييتى، وتجيير قرارات روسيا بالأموال اليهودية، أشعلوا حرب الخليج الثانية، باستخدام نفس السيناريو المستخدم فى الحرب العالمية الثانية، والخروج بنفس النتائج، وشاركت روسيا فى الحملة الثلاثينية على العراق، على استحياء من حليفها السابق، غير أن

الحصار العراقى، شمل كل مناحى الحياة، ولم يقتصر على التصنيع العسكرى كما هو الحال مع ألمانيا واليابان.

وكان مؤتمر مدريد للسلام، الذى كان فى الأصل، غاية لمخطّطى ومفكرى اليهود التوراتيين فى الغرب، والذى لم يكن يوافق عليه حكام إسرائيل العلمانيون، وذلك لخلق درع من معاهدات السلام، لحماية إسرائيل من الأخطار الخارجية، من دول ما وراء دول الطوق، ولتحييد دول الطوق نفسها، ودفعها لخوض الحروب نيابة عن الدولة اليهودية، فى حال فكرت أى دولة بعيدة، كروسيا والعراق، العدوين اللدودين حسب النبوءات التوراتية، بالإضافة إلى مصر والسودان وليبيا، والأردن وسوريا وإيران وأفغانستان، وكل هذه الدول مذكورة فى التوراة بأسمائها القديمة. ولذلك كانت هناك معاهدة السلام المصرية، لقطع الطريق على مصر نفسها والسودان وليبيا، وكانت المعاهدة الأردنية لقطع الطريق على الدول الشرقية، ولم تتحقق معاهدة السلام السورية، نتيجة التعنت السورى لاسترجاع هضبة الجولان، التى لا تستطيع إسرائيل التخلى عنها، بأى حال من الأحوال، فكانت هناك معاهدة أمنية بين إسرائيل وتركيا، بديلا عن المعاهدة السورية مؤقتا، لقطع الطريق على روسيا، أما هذه الأيام فالموقف من سوريا قد اختلف، باختلاف الموقف السورى من إسرائيل ومن العراق، مما يستدعى أفكارا جديدة، وأسلوبا جديدا للتعامل مع سوريا.

■ ■ ■

ميكانيكيات وأدوات العمل المستخدمة لتنفيذ برامج المخطط الشيطانى

مجلس الأمن:

بغض النظر عما يُمثّله من أنظمة وقوانين وقرارات، تأخذ طابع العدالة والإنصاف، فالتطبيق فى الواقع يختلف كليا، ويأخذ طابع الجور والظلم، كما هو الحال مع فلسطين والعراق من جانب، وإسرائيل من جانب آخر. فالقرارات ملزمة للجانب الأول، وغير ملزمة للجانب الثانى. وخذ إسرائيل وجنوب إفريقيا من جانب آخر كنظامين عنصريين، فالنظام الأول زالت عنه صفة العنصرية، بقرار من مجلس الأمن مع بقاء النظام العنصرى، والثانى زالت عنه هذه الصفة بزوال النظام، وهذا لا يُسمّى كما يحلو لبعض الغافلين، ازدواجية فى التعامل، أو الكيل بمكيالين، فالحقيقة هى أن مجلس الأمن الخاص بالأمم المتحدة، هو مجلس أمن يهودى عالمى، وبالتالى ليس هناك ما يُسمّى بمعيارين أو مكيالين، بل هو معيار واحد ومكيال واحد، يقيس كل الأشياء وفق الرؤى اليهودية الإسرائيلية، فهو الذى أوجد دولة إسرائيل، وهو الذى حافظ على بقائها وإدامتها.

لنطرح هذه التساؤلات: كم كان عدد الدول، التى كانت قلقة بمصير اليهود؟ وما الداعى لوجود دولة لليهود، بما أن اليهودية ديانة وليست قومية؟ ومن قال بأن القومية تعطى الشرعية لإقامة دولة ؟ فهناك الأكراد والأرمن وألبان كوسوفو وغيرهم الكثير، ممن هم متواجدون على أراضيهم! فلماذا لم يُوجد لهم مجلس الأمن دولا؟! وبدلا من ذلك يتغاضى عن إبادتهم وقمعهم، خاصة إذا كانوا مسلمين كالبوسنة وكوسفو والشيشان، أو أعداءً لدولة حليفة

لليهود كأكراد تركيا، وعندما يتعلّق الأمر بالعراق يُصبح الأكراد فى الشمال مسألة إنسانية تُقلق مجلس الأمن. فما مصلحة أمم العالم قاطبة ومجلس أمنها، فى إنشاء دولة لليهود! مع وجود الأنظمة العلمانية فى معظم دول العالم، حتى فى معظم الدول الإسلامية والعربية! إلا أن يكون هذا المجلس هو مجلس أمن يهودى بحت، ولكن كيف تحصّل اليهود على ذلك؟

الجواب بسيط جدا، من خلال التلاعب من خلف الستار، بالترغيب والترهيب الاقتصادى، للمصوّتين على القرارات، لضمان الأغلبية لإصدار أى قرار يرغبون بتمريره. بالإضافة إلى إيجاد حق النقض (الفيتو) للدول دائمة العضوية، منها ثلاث دول مؤيدة لإسرائيل بالسيطرة الاقتصادية، مع أن واحدة تكفى، لتعطيل أى قرار لا يخدم مصالح اليهود والدولة اليهودية، واثنتان لا يُرتجَ منهما خيرا وهما روسيا والصين، اللتان غالبا ما كانتا تتماشيان مع الرغبة الأمريكية، نتيجة الاسترضاء السياسى، كغض الطرف عن ممارسات هاتين الدولتين، فيما يخص مثلا حقوق الإنسان فى الصين، أو اضطهاد الشعوب المُجاورة والأقليات العرقية أو الدينية فى روسيا، بالإضافة إلى الإغراء الاقتصادى، متعدد الأوجه والخيارات. وفى حال فكّرت إحداهما فى استعمال أى منهما، حق النقض على قرار يخدم إسرائيل، تصبح دولة نازية ولا سامية، وتبدأ الآلة الإعلامية اليهودية العالمية بالطبل والزمر، فالأمور تصبح محسومة مسبقا، ومؤخرا كُشف النقاب عن هذه السياسة علنا، عندما هدّدت أمريكا دولة كولومبيا المستضعفة بفرض مقاطعة اقتصادية، عندما صوّتت لصالح إرسال قوة حماية دولية للفلسطينيين.

ولنأخذ على سبيل المثال، القرارات الخاصة بالعراق، حيث اتُّخذت بالإجماع، بحجة مخالفة العراق للقانون الدولى آنذاك، وطريقة تأمين الإجماع، تمت كما هى العادة بطريقة آلية، بالنشاط الملحوظ للديبلوماسية

اليهودية الأمريكية من وراء الستار، ومن أمام الستار أحيانا بجولات مكوكية. فمعظم دول مجلس الأمن، إمّا أن تكون حليفة أو صديقة أو مديونة أو منهارة اقتصاديا. وعندما وُضع أول قرار بدأت الماكينة اليهودية، بالدوران بأقصى سرعتها وطاقتها، مدفوعة بأحقادها ومخاوفها التوراتية، لفرض قرارات جديدة، ولتأمين تطبيق القرارات وتنفيذها، والعالم كله لا يعلم لغاية الآن، حقيقة النوايا اليهودية الأمريكية البريطانية الفرنسية، من وراء تلك الحرب وهذا الحصار. وفى الحقيقة ما وُضع بقرار لا يُرفع إلا بقرار، وهذا ينطبق على الحصار، ولن يُرفع هذا الحصار اليهودى التوراتى، ما دامت أمريكا تملك حق النقض، إلا أن يتم خرق هذا الحصار بدون قرار رفع، من جانب دولة عظمى كروسيا أو الصين، لا يستطيع القانون الدولى اليهودى الأمريكى معاقبتها، كونها تمتلك سلاحا نوويا، قادرا على أن يمحو أمريكا وحلفاءها عن الوجود، بما فيها من يهود، وهذا الاحتمال يُعدّ نوعا من المُغامرة فى الظروف الراهنة، ومع ذلك بدأ التمرد الروسى على أوامر أسياد العالم يلوح فى الأفق.

المنظمات الإنسانية فى الأمم المتحدة:

ما الذى تنادى به هذه المنظمات ؟ تنادى بحرية المرأة، وحقوق الإنسان، وحقوق الطفل، وتنظيم النسل وتحديده، وغيرها، وكل هذه الحريات والحقوق، عند المناداة بها، غالبا ما تأخذ الطابع السياسى، فانظر إلى الدول المتهمة، بانتهاك هذه الحريات وهذه الحقوق، هى الدول العربية الإسلامية أولا، والدول الإسلامية غير العربية ثانيا، والدول الشيوعية، وما عدا ذلك إذا كان موجودا، فهو لذرّ الرماد فى العيون، فما الذى يريدون من وراء ذلك ؟ انظر إلى الحياة الاجتماعية فى الغرب، الذى سمح ويسمح بهذه الحريات والحقوق، تجد أن الإجابة هى ما يلى:

تحرّر الفكر، فنتج الكفر والإلحاد وعبادة المادة وتقديسها، تحررت

النساء فتتازلن عن دورهن الفطرى فى الأمومة والتربية، فنتجت كافة أنواع الإباحية والفجور والدعارة، وأصبحت لحوم النساء عرضة للكلاب الضالّة. وتحـرّرت الطفولة، فتطاولت على الآباء والأمهات والمعلّمين والمعلّمات، وتمرّدت عند البلوغ لتترك الأسرة، وطفقت تبحث عن إشباع الغرائز والشهوات. لنخلص من ذلك إلى أن المطالبة بحماية هذه الحقوق والحريات، هى فى الأصل دعوة للتمرد على الطبيعة البشرية وأبجدياتها، وعلى القيم الروحية والأخلاقية، التى قدّمتها الأديان السماوية كمنهج للحياة. تهدف إلى ضرب الأسرة، اللبنة الأساسية فى بناء المجتمعات، بحرمان الأب من دوره القيادى، مما يؤدى إلى تفكيك العلاقات ما بين أفرادها، وضياع الرؤى المشتركة للبقاء والاستمرار. ولو قمت بإحصائية لعدد الغربيين ذوى الولادات الشرعية ! ربما لوجدت أن معظمهم أولاد زنا، شرّ الخلق عند الله!! أما نحن.. فماضون على الدرب لنواكب مُتطلبات العصر اليهودى.. بجهود الجهابذة من مفكرين وخبراء واختصاصيين.. من دعاة التحرّر والتحرير والإصلاح الاقتصادى والثقافى.. وسنصل.. عمّا قريب.. إن لم يدّاركنا الله برحمته.

البنك الدولى وصندوق النقد الدولى:

مهمة هذه المؤسسة تقديم النصائح، بما يُسمى ببرامج التصحيح الاقتصادى، ومن ثم تقديم القروض، والحصول على ضمانات للسداد، ولكن هل تكترث هذه المؤسسة بمصير الأموال المقدّمة، وهل تتابع تنفيذ برامجها التصحيحية؟ وما هى طبيعة هذه البرامج وماذا تحمل فى طياتها؟ فى الحقيقة تذهب معظم الأموال المقدّمة إلى جيوب، المتنفّذين فى الحكم، وكنفقات للأجهزة الحكومية، ولا تظهر المتابعة، إلا عندما تقع الدول المديونة، فى أزمات اقتصادية يكون سببها فى الأصل برامج الصندوق نفسها، تعجز بسببها من سداد استحقاقات الدين، فيأتى الصندوق بحزمة

اقتراحات جديدة، بديون جديدة وفوائد جديدة، ومن ثم يتم إعادة جدولة الديون. ومن ضمن الاقتراحات رفع الضرائب والرسوم على كل شيء. وربما يضعوا فى بيتك مستقبلا موظفا حكوميا، ليحصى عليك عدد لقمات الطعام، التى تأكلها أنت وأبناؤك، أو ما تحرقه عضلاتك من سكّر أثناء الحركة، بما أنها نوع من الوقود، ولتُجبى منك نسبة الضريبة على كل لقمة أو غرام من السُّكّر، مما يؤدى إلى رفع الأسعار باستمرار، ويكون ضحيتها أولا وأخيرا المواطن المسحوق. ويُضاف دين جديد للخروج من الأزمة الاقتصادية، وتُعاد جدولته مع الديون القديمة مرة أخرى، ومن ثم تقع أزمة جديدة، نتيجة الانسياب المستمر لرأس المال الوطنى، فى المجتمعات الاستهلاكية وغير المنتجة، فضلا عن السرقات والاختلاسات، ومن ثم ديون جديدة، وهكذا دواليك.. فيتضخم أصل الدين القومى ليصل إلى أرقام فلكية، لا تستطيع الشعوب حتى تسديد قيمة فوائدها السنوية..

وبالتالى تصادر أو بالأحرى تُشترى القرارات السياسية، كما اشتُريت قرارات الاتحاد السوفييتى، فى حرب الخليج وما بعدها، بعد أن اختلس (غورباتشوف) وحاشيته، ما مجموعه أربعة مليارات دولار، ثمنا لتدمير الاتحاد السوفييتى، لكى يتمكن اليهود من التفرّد بحكم العالم، من خلال نظامهم العالمى الجديد. وبعد أن أزاح الرئيس الروسى (يلتسين) غريمه من الكرملين بقوة المدرعات، أكمل صفقة البيع، فاختلس على مدى سنين حكمه، ما مجموعه سبعة مليارات دولار، من مساعدات صندوق النقد لدولى. ولما اكُتشف الأمر من قبل الروس، وصار (يلتسين) قاب قوسين أو أدنى من الملاحقة القضائية، اشتعلت بقدرة قادر أحداث داغستان، والتفجيرات الوهمية فى موسكو، التى لم تُسجّل أى ضحية، وشُنّت حرب غير مبررة للقضاء على الإرهاب فى الشيشان، وانشغل الشعب الروسى فيها، ونسى اختلاسات (يلتسين)، الذى قدّم استقالته، واشترط علنا على خليفته (بوتين)،

عدم ملاحقته قضائيا عند تسلمه للسلطة. فمن الذى مكّن (يلتسين) من ذلك؟ وكيف صعد (بوتين) من المجهول، ليصبح رئيسا لروسيا؟!

يُصرّح الملياردير اليهودى (سوروس)، بأن المسؤول عن تدبير ذلك، هو الملياردير اليهودى الآخر (بيريزوفسكى)، الذى قدّم التمويل لثوار داغستان الإسلاميين، وبعد اشتعال النيران وغزو الشيشان، انقطع التمويل. ويصرح زعيم الإسلاميين (خطّاب) صحفيا، بعد أن شرب المقلب اليهودى، وتبخرت أحلامه فى إقامة دولة إسلامية فى داغستان، بأن الاتفاق مع (بيريزوفسكى)، لم يتطرّق إلى تدخل الطيران الروسى لقصف الثوار. وبالتالى ذهب الشعب الشيشانى المسلم، ضحية لمؤامرة (يلتسين، بيريزوفسكى، خطّاب، بوتين)، كما حصل مع الشريف حسين فى الثورة العربية فى الحرب العالمية بعد أن غُدر به، فكانت نتيجتها الاستعمار والانتداب وضياع فلسطين وتشرذم الأمة العربية، وكما حصل مع هتلر فى الحرب العالمية الثانية، ومع صدام حسين فى حربى العراق المُدمّرتين. هل المشكلة فى أن العرب، لا يقرءون التاريخ أو القرآن أو التوراة أو الإنجيل؟! أم أن العرب لا يقرءون شيئا، وإن قرءوا لا يفهمون، وإن فهموا لا يعملون. فى الحقيقة هذا ليس من قولى، وإنما سمعته يوما من أحدهم، منسوبا إلى أحد زعماء اليهود ربما يكون (بيغن)، والغريب أن سيناريو المؤامرة هو نفسه بكل حيثياته، يتكرّر فى كل مرة!!

والسؤال هنا، من هم أصحاب صندوق النقد الدولى والبنك الدولى الحقيقيون؟! وإن كانت تملكهما الدول، فما معنى أن تكون بلدان كأمريكا وبريطانيا وفرنسا واليابان مثلا، من أكثر دول العالم أرقاما للدين القومى؟! فالدين القومى الأمريكى المعلن لعام ٢٠٠٠، كما نُشر فى إحدى الصحف، يصل إلى ٣٠٠ ألف مليار دولار، والدين القومى اليابانى يصل إلى ٢٨٠ ألف مليار دولار، وهما أكبر اقتصادان فى العالم. ولم يكفهم كل ذلك، وكما إخوة

يوسف، لم ينتظروا الفرصة ولم يتقاعسوا، بل سارعوا لخلق الفرصة بالمكر والحيلة، للظفر بأخيهم، لم تستكن أبالسة الشر، ولم يهدأ لهم بال، فهم دائمو الحركة والبحث، فى مطابخ السياسة والاقتصاد هناك فى الغرب، وكل جيل يُكمل ما بدأه الآخر، ويضيف عليه تعديلاته، ويستعجل تنفيذ خطوات المخطط الشيطانى، ويحلم كل جيل بأن يكون مجىء مليكهم المنتظر فى زمانه، وتأخّر التنفيذ يعنى تأخر المجىء، وآخر ما تفتّقت عنه أذهانهم، فى حلقات هذا المسلسل الطويل، هو فكرة العولمة، التى لا تعدو أكثر من كونها، وحيا شيطانيا، لنشر المذهب الشيطانى وفرضه على شعوب العالم.

العولمة:

العولمة: كلفظ مُجرّد مصطلح مُبهم، ويصبح مفهوما وتضح ماهيته، عندما تُضاف إليه كلمة أخرى، كأن نقول عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد. وبما أننا نعلم أن من يُنادى بالعولمة ويدعو إليها هى أمريكا، فذلك يعنى أولا: تعميم الثقافة الأمريكية، وثانيا: تعميم النظام الاقتصادى الأمريكى الرأسمالى. وبشكل شمولى هو فرض الحضارة الأمريكية الغربية بكافة جوانبها، كأسلوب جديد للحياة على كافة شعوب العالم، ولو قمنا بتقييم بسيط للحضارة الأمريكية، لوجدنا أن من رسم وشكّل معالم وأبعاد هذه الحضارة، منذ بدايات القرن الماضى، هم الأسياد الجدد لأمريكا، أعنى أرباب المال اليهود، من خلال سيطرتهم المطلقة، على كافة أدوات الإنتاج الأمريكى الاقتصادى والثقافى.

أما ملامح الحضارة الأمريكية، فهى فى الواقع ترجمة حيّة لما يحمله اليهود، من عقائد كفرية إلحادية، لا تؤمن إلا بكل ما هو محسوس، تدعو إلى تأليه رأس المال والاقتصاد وعبادة أصحابه. وتدعو إلى أخلاقيات اجتماعية تلمودية، سِمتها الانحلال والإباحية، والدعوة لممارسة كل رذيلة، والتحلل من كل فضيلة. لنخلص إلى القول إلى أن الغاية من العولمة، هو

نشر العقيدة اليهودية المادية الدنيوية، الخاصة بأصحاب البروتوكولات اليهود تمهيدا لضربتهم النهائية.

فى أواخر القرن الماضى، تمكن اليهود من نشر هذه العقيدة فى أمريكا والدول الغربية، وبعد أن استحكمت قبضتهم على مواقع صنع القرار فيها، من خلال امتلاكهم لرؤوس الأموال المحرّكة لاقتصاديات هذه الدول. ومع انتهاء الحرب الباردة وتفرّد أمريكا بحكم العالم، امتلك هؤلاء القوة العظمى والوحيدة فى العالم، التى أصبحت كالمعلّم الشرس بعصاه الطويلة، الذى يسعى كل التلاميذ لنيل رضاه، بالانصياع لأوامره وترك نواهيه، وينفذون ما يفرضه عليهم رغبة ورهبة، حتى لو أوردهم موارد الهلاك. فأصبح لدى هؤلاء القدرة أكثر من أى وقت مضى - حسب تصورهم - على تنفيذ ما تبقى من خطوات مخططهم الشيطانى.

فى الجانب الآخر من العالم، تقف بشموخ المجتمعات الشرقية، من المؤمنين بالله وحتى الملحدين والوثنيين، ذوى المعتقدات والقيم الراسخة، والتى غرسها وحافظ عليها الأنبياء والمفكّرين ورجال الدين، قديما وحديثا، فشكّلت حواجز منيعة أمام طموحات اليهودية العالمية، وكانت آخر القلاع التى يتطلّعون إلى تحطيمها، وما تبقى من أسوارها فى طريقه للانهيار.

ولما أصبحت الرياح مواتية لهم، جلس أسياد العالم وائتمروا فتفتّقت أذهانهم، عن هذه الأفكار الجهنمية الخاصة بمنظمة التجارة العالمية وقوانينها، ومتطلبات الانتساب إليها، لاختراق جميع الحواجز الاقتصادية، التى أقامتها الحكومات لحماية ثرواتها الوطنية، من الانسياب التلقائى إلى جيوب أرباب المال اليهود. والتى سيكون بمقدورهم من خلالها، إصابة عدة عصافير بحجر واحد.

وسائلها الثقافية: بالترتيب هى، المطبوعات والراديو والسينما والتلفاز والفيديو والأطباق اللاقطة وأخيرا الإنترنت. وكان ابتكار الإنترنت بمُشاركة

الأطباق اللاقطة، التى أُجبرت الدول العربية، على السماح بدخولها واقتناها، قبل ٤ إلى ٥ سنوات، أكبر ضربة لما أقامه هؤلاء من حواجز، لحماية شعوبهم من الغزو الثقافى الغربى. وجاءت العولمة الاقتصادية لترفع الرسوم الجمركية عنها، لتصبح فى متناول من لا يملك ثمن رغيف الخبز، ولتكون بمثابة حصان طروادة ولكن بحلّة جديدة، لتصل إلى البدوى فى خيمته، والمشرّد فى كهفه، والموظف فى مكان عمله، والطالب فى جامعته ومدرسته، وحتى الطفل فى مهده.

التحذير من خطر العقائد والأخلاقيات اليهودية، والتى يسعون الآن لنشرها تحت مُسميات عولمة الثقافة وعولمة الاقتصاد، جاء فى بعض أقوال رؤساء الغرب:

(لنكولن): «.. فقد أصبحت السيادة للهيئات والشركات الكبرى.. إذ أن أصحاب رؤوس الأموال، سيعملون على إبقاء سيطرتهم على الدولة.. وستصبح ثروة البلاد بأكملها، تحت سيطرة فئة قليلة.. الأمر الذى سيؤدى إلى تحطم الجمهورية».

(فرانكلين): «ومع أنهم يعيشون بيننا منذ أجيال.. فإن مُثُلهم العليا ما زالت تختلف كليا، عما يتحلى به الشعب الأمريكى من مُثُل.. فالفهد الأرقط لا يمكنه تغيير لون جلده (عبارة مقتبسة من التوراة)».

(هتلر): «ومن جهة أخرى يحارب، الروح المادية اليهودية، المتغلغلة فى نفوسنا وفى نفوس الآخرين».

بعد هذا العرض نستطيع تعريف لفظ العولمة على أنها:

مصطلح مضلل استعمل كغطاء، للتعبير عن برنامج يهودى أمريكى لتهويد العالم بأسره. أدواته الثقافية هى وسائل الاتصال والإعلام المختلفة، وأدواته الاقتصادية صندوق النقد والبنك الدولى والخصخصة ومنظمة

التجارة العالمية. وغايته أولا: خلق ديانة مادية جديدة، تحت عنوان الثقافة والتحضّر، وثانيا: نهب ثروات الشعوب، تحت عنوان تحرير التجارة. وذلك لتهيئة الأجواء، لظهور اليهود كأسياد للعالم بأسره، عندما يحين الوقت المناسب لذلك.

أخطار العولمة على أرض الواقع:

الخطر الاجتماعى : يتمثّل فى ضرب منظومة العقائد والقيم والأخلاق، لدى الشعوب المختلفة فى العالم، والتى بدورها تشكل الضمير الإنسانى للفرد، الذى يُحاول السمو بالإنسان إلى مرتبة الملائكة. وأما الهدف النهائى المرتجى من بُعدها الاجتماعى، هو تشكيل أجيال جديدة تبحث بشتى الوسائل والسبل، عما يُشبع غرائزها ورغباتها ونزواتها، لتهبط بالإنسان إلى ما دون مرتبة الحيوان، وبذلك يسهل على مخططى المؤامرة اليهود سياسة هذه الأجيال وتذليلها. وبالتالى لن تكون هناك معارضة، لمثل هؤلاء فيما لو حُكموا من قبل سادة العالم الجدد، ملوك الإلحاد والإباحية، وهذا ما تصبو إليه الأجيال التى هى فى طور التشكّل الآن.

وقد بدأنا فى السنوات الأخيرة، نرى نماذج من المسوخ البشرية، فى العديد من بيوت المسلمين. فتيان وفتيات لا يرغبون فى التعلم أو العمل، والفشل هو السمة البارزة فى أعمالهم وتوجهاتهم ونتائجهم. يجوبون الشوارع ويرتادون الأماكن العامة ويذهبون إلى الجامعات، بحثا عن الحب والمجون والخلاعة، بعد أن أصبحت جامعاتنا وشوارعنا معارض لدور الأزياء العالمية، ولا أحد يريد العفاف والطهر، لذلك تجدهم يعزفون عن الزواج، وكما قال أحد المتعولمين: «ما دام الحليب موجود فى السوق، فما الداعى لشراء البقر؟».

وأكبر الأثر فى تشكيل هذه النماذج، هى القنوات الفضائية العربية - فضلا عن قنوات الإباحة الأجنبية - وخاصة التى تضم فى طاقمها مقدّمى

ومقدّمات البرامج اللبنانيون، بعرض الكاسيات العاريات المائلات المميلات، اللواتى يتحدثن بلسان عربى مبين، مما أعطى المبرر لفتياتنا، وكسر الحاجز النفسى لديهن، ليتّخذن منهن قدوة تُحتذى، بمباركة من الأب الذى يُربّت على كتف ابنته، أثناء مشاهدته لتلك الغوانى وأولئك المخنّثين، بعين الرضا والقبول والإعجاب والاستحسان والاستمتاع.

ما تراه اليوم أن رجال أمة الإسلام، يتحدّون الله وحدوده وحُرماته، عن سبق إصرار وترصّد، وهم يدفعون فتياتهم بشكل مباشر لممارسة مهنة عرض الأزياء، فى الشوارع والأماكن العامة والجامعات وأماكن العمل. هدفهن دائما وأبدا الإغواء والفتنة بحركات وأصوات، لا تقوم بها إلا إناث القطط فى شهر شباط، ولمرة واحدة فى السنة، أمّا رجال بلاد العرب أوطانى، شيوخا وشبابا، أصبحوا كذكورها، ولكن على مدار السنة. لينتهى بهن المطاف فى أحضان الرذيلة، فلا أحد معصوم، والذباب البشرى الجائع يملأ الأجواء، بحثا عن قطعة الحلوى أو كيس للقمامة، فلا فرق عنده. وأما الإنترنت فحدّث ولا حرج، والنساء تتهافت عليها أكثر من الرجال.

أما أطفال أمة الإسلام، فهم بين أيدى أمهات صفتهن قد تقدّمت أعلاه، لا يفقهن من الزواج شيئا، ولا يملكن من عاطفة الأمومة واحدا بالمليون، مما تمتلكه وحوش القفر. وتربية الأطفال لديهن، تقوم على مبادئ تربية الدواجن وتسمين الخراف. أطفال مهملون فى زوايا الغرف، يحملقون فى برامج المسوخ المتحركة، وأغانى ومسلسلات وأفلام الدعارة العربية والأجنبية. أما فى المدرسة فقد عُمِدَ إلى تغيير المناهج المدرسية، لسلخ الطفل عن هويته الإسلامية العربية، فحُذفت أمجاد الأبطال والبطولات الإسلامية، وبدلا منها تم تصميم بطولات وهمية لأبطال من ورق. وربما يضيفون غدا مناهج التربية الجنسية لتثقيف الأجيال الناشئة، فالغرائز تحتاج إلى تعلم. وتم تغيير أساليب التربية والتدريس، بإلغاء عقوبة الضرب، وإلغاء عقوبة الرسوب،

وإدخال لغة العولمة، كمبحث أساسى فى المناهج الدراسية.

وخلاصة القول بأنهم سيُهوّدون العالم، تحت غطاء أمريكى مدموغ بـ (made in USA)، لدرجة أنهم ربما، يُجبرونك على الذهاب لصلاة الجمعة، فى يوم السبت أو الأحد، بعد إحدى ندوات حوار الأديان.

أما الخطر الاقتصادى ؛ فيتمثّل فى ضرب قوانين الحماية، التى وُضعت للمحافظة على الثروة الوطنية. لتسهيل عملية سلب ثروات الشعوب، وتكديسها فى المصارف العالمية وإفقارها وتجويعها. إذ لم يكفهم ما يقوم به البنك الدولى وصندوق النقد والخصخصة، من نهب لثروات الشعوب، من خلال تغلغل الاستثمارات اليهودية، فى شتى أقطار العالم، بعد كل هزة أو أزمة اقتصادية مفتعلة، بشكل مباشر أو غير مباشر. فموجة الخصخصة التى هى أحد برامج صندوق النقد الدولى، أتاحت لرؤوس الأموال اليهودية، لدخول الدول العربية، تحت مُسميات شركات أجنبية عالمية كبرى، أو عن طريق شركات محلية بأسماء عربية صورية، مقابل حفنة من الدولارات.

بل ابتكروا ما هو أخطر بكثير، الشق الأخر الذى كان (كلينتون) يُروّج للانضمام له، ألا وهو (منظمة التجارة العالمية)، والتى تدعو لتحرير التجارة وتحرير رأس المال. والملاحظ أن كل مبادئهم الهدامّة، عادة ما تحمل صفة التحرير أو التحرر، وانظر إلى هذا القول الأعرج الأعوج، فالشعوب عندما تحمى سلعتها وصنعتها، تصبح مُستعمِرة لتجارتها، لذلك فهى بحاجة إلى التحرير. أما المراد من وراء ذلك فى الحقيقة، فهو السطو على مكتسبات الدول الغنية والفقيرة، بطرق شرعية ملتوية، مغطّاة بأوراق التغليف البراقة الملوّنة، لتسحر أعين الشعوب المسحوقة، بما يُشبه عملية التنويم المغناطيسى. ولنوضح ما نقصده بذلك، بأنك تستطيع فى البداية على سبيل المثال، الحصول على سيارة جيدة بثمن زهيد، نتيجة تخفيض الجمارك والرسوم، ولكن هذا التخفيض سيترتب عليه، عجز كبير فى الموازنة العامة

للدولة، فمن أين ستغطى الدولة هذا العجز برأيك، إن لم تعتمد على فرض رسوم وضرائب بديلة تحت مسميات أخرى، لتصل فى النهاية إلى عدم القدرة، على شراء الوقود لتلك السيارة، لعدم قدرة الراتب على تأمين متطلبات الحياة الأساسية.

فبعد أن تمكّنوا من خلق قطعان من المستهلكين، تنظر بعين القداسة لكل ما هو غربى ومستورد، من منتجات ثقافية وتكنولوجية استهلاكية الطابع، جاءوا باتفاقيات هذه المنظمة، لرفع القيود، من قوانين جمركية وضريبية على السلع المستوردة، وذلك بغية فتح الأسواق الوطنية للسلع الأجنبية، وبالتالى تتهافت المجتمعات الاستهلاكية، على تلك السلع، فتتسرّب العملة الوطنية إلى الخارج بلا توقف، ويترتّب على ذلك عجز كبير، فى ميزانيات دول العالم الثالث، التى لا تملك صناعات منافسة، تعوّض وتعيد جزءا من العملة المفقودة. لذلك ستضطر الحكومات، إلى اتخاذ إجراءات علاجية عديدة، لسدّ عجز الموازنة، التى غالبا ما يتكفل بها صندوق النقد الدولى، بزيادة الضرائب بكافة الأشكال والمُسمّيات، بمبررات ومن غير مبررات أحيانا، بالإضافة إلى تراكم ديون جديدة، وزيادة الضرائب تعنى رفع الأسعار تلقائيا، وهكذا دواليك.. وسيظهر التأثير المدمّر على شعوب الدول التى انضمّت لهذه المنظمة، خلال فترة ربما لا تزيد عن سنة أو سنتين. وذلك عندما تبدأ المؤسسات والشركات الوطنية، بالإفلاس والانهيار تباعا، ومن ثم انتشار البطالة والفقر والجوع بين مواطنيها، انتشار النار فى الهشيم.

هناك فرق شاسع، بين فلسفة الاقتصاد وفلسفة الدمار والخراب. تقضى فلسفة الاقتصاد بأن تنفق أقل مما تُنتج، وتدّخر الفائض لتقلبات الزمن، وأما فلسفة الدمار والخراب، تقضى بأن تنفق أضعاف ما تنتج، لتنتهى فى أحضان صندوق النقد الدولى، ولا أظن من قال: «على قدّ

لحافك مدّ رجليك» كان حاصلا على دكتوراه فى الاقتصاد. ليصل إلى هذه النتيجة. وأتساءل كيف عاشت البشرية ما يُقارب الستة آلاف سنة. بدون صندوق النقد الدولى وبرامجه الإصلاحية.

أما الآن.. فأمعن النظر والفكر والوجدان، فى كل ما يدور من حولك، فى بيتك، فى الشارع، فى المدرسة، فى الجامعة، فى وطنك، بل فى العالم أجمع.. وأجب عن هذا التساؤل.. على أىّ هدى، يسير هذا الواقع الذى نحن عليه الآن..؟! على هدى القرآن.. أم على هدى أسياد هذا الزمان!

نبذة بسيطة عن يهود العالم:

من حيث المنشأ، ينقسم الشعب اليهودى إلى ثلاثة أقسام:

ـ **اليهود الغربيون:** وأغلبهم أثرياء، استطاعوا التغلغل فى أوروبا الغربية فى نهاية القرون الوسطى، وبدايات عصر النهضة (١٦ ـ ١٧)، فازدادوا ثراء فوق ثراء، بما لديهم من وسائل وإمكانيات وأخلاقيات، لجمع المال بطرق مشروعة وغالبا غير مشروعة، لم يكن الأوروبيون والأمريكيون يُمارسونها أو يتنبّهوا إليها، رغم كل تحذيرات الرؤساء والساسة والخبراء المخلصين لأممهم، حتى «وقع الفأس فى الرأس»، فتربعوا على عرش الاقتصاد العالمى حاليا.

ـ **اليهود الشرقيون الإشكناز:** وأغلبهم فقراء، وقد بقى حالهم كذلك، فى بلدان أوروبا الشرقية وروسيا الفقيرة، وكانوا مضطهدين ومنبوذين، فى أغلب الأحيان، ويعيشون فيما يُسمّى بالغيتوهات أو الكيبوتس.

ـ **اليهود الشرقيون العرب:** وهم الذين عاشوا فى البلدان العربية، كأفراد وجماعات، يتمتعون بحق المواطنة مثلهم مثل غيرهم، وكثير منهم أُجبر على الهجرة إلى إسرائيل، من خلال دبّره الموساد الإسرائيلى، من أزمات لإرغامهم على المغادرة، وبقى جزء منهم فى البلدان العربية لغاية الآن.

أما من حيث التوجه فينقسمون إلى ثلاث أقسام:

- **المتحـرّرون:** وأغلبهم من يهود الغرب، ومهمتهم تنفيذ ما جاء فى بروتوكولات الحكماء، وحكم العالم اقتصاديا وسياسيا، يكونون فيه شيوخ الأمة، ويضعون الدستور، ويرسمون السياسية، ويُنصّبون مَلِكا من أنفسهم، دكتاتورا مُطلقا على العالم، يؤمر فيُطاع، ويكون بمثابة الإله على الأرض، ولا إله فى السماء، فيُصبح اليهود أسيادا وبقية خلق الله، بلا استثناء عبيدا لهم.

- **العلمانيون:** وأغلبهم من يهود الشرق الأوروبى، ومهمتهم هى تنفيذ أهداف الحركة الصهيونية السياسية، التى تلفّعت بالدين اليهودى، من أجل تحقيق أهدافها السياسية، بإيجاد «غيتو» قومى لليهود فى فلسطين، لرفع الاضطهاد والذل الذى لازمهم طيلة حياتهم، ولإيجاد موطئ قدم لهم، فنوائب الدهر الغربية غير مضمونة، فربما ينقلبون عليهم يوما ما ويطردونهم، وهم الذين يشكّلون الأحزاب العلمانية فى الدولة اليهودية.

- **المتدينون:** وأغلبهم من يهود الشرق بما فيهم يهود البلاد العربية، وظهرت منهم حركات دينية متطرفة كثيرة، ومهمتهم هى تنفيذ الوصايا التوراتية، التى خطّها أحبارهم القدماء على شكل نبوءات، وتتلخص فى استلاب الأراضى، وتهجير السكان الوثنيين، والاستيطان، وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل، تمهيدا للملك اليهودى الداودى القادم، الذى سيأتى من ربوات القدس، ليحكم العالم إلى الأبد، فينتشر الحق والعدل والسلام اليهودى فى الأرض، وهم الذين يشكّلون الأحزاب الدينية المتطرّفة.

وكل هذه الأصناف اليهودية، فى المحصلة وجوه عديدة لعملة واحدة، هى التوراة والتلمود، أخطر وثيقتين على مستقبل البشرية والعالم، لذلك احتل التحذير من اليهود واليهودية، مساحة شاسعة من قرآننا العظيم. بينما احتل الفكر اليهودى المادى، مساحة شاسعة، من عقول أمة الإسلام، فنسيت إلهها، وعبدت العجول الذهبية المادية للسامريّين الجدد.

آخر ما نود قوله، إن اليهود قطعوا شوطا كبيرا، فى تنفيذ مخططهم الشيطانى للسيطرة على العالم، حتى صاروا (نظريا) قاب قوسين أو أدنى، من الوصول إلى هدفهم النهائى فى ظرف سنين قليلة. ونجاحهم اعتمد فى الدرجة الأولى، ليس على ذكائهم ومكرهم ودهائهم فحسب. بل فى العزف على وتر يطرب له جميع الناس، بلا استثناء إلا من رحم وهدى ربى، ألا وهو سهولة وقوع النفس البشرية أسيرة لأهوائها وأطماعها، ومن ثم إرغامها على الخلود إلى الأرض، لترضى بالحياة الدنيا وتطمئنّ بها، عندما تنعدم لديها القيم الروحية الإيمانية، المُتحصّلة من فهم حقيقة العلاقة ما بين السماء والأرض، والتى توضحها سورة الإسراء بكل فصولها..

وقد يسأل سائل: ثم ماذا؟ نُجيب بقوله تعالى: **﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾** (الرعد: ٤٢) وقوله: **﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾** (النحل: ٢٦).

والعلو اليهودى قائم على قاعدتين، هما إسرائيل كموطن بما فيها القدس، كعاصمة مستقبلية للدولة اليهودية العالمية الأبدية، وأمريكا كقوة اقتصادية عسكرية، لتمكين هذا الحلم اليهودى. فلا غرابة ولا عجب، إن أتى الله هذا البنيان من القواعد، فخرّ على رؤوسهم وعلى رؤوس من يشدّ على أيديهم، سقف أحلامهم وطموحاتهم، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون.

ونختم هذا الفصل بنص من التوراة، يؤكد لليهود أن عاقبة أفعالهم، ستكون مدمرة لا محالة، وأن الكأس التى جرّعوها للشعوب، لا بد أن يتجرّعوها فى النهاية، حتى لو تخندقوا فى الحصن الأمريكى البريطانى المنيع، فذلك لن يُجدى نفعا، ومهما كُبرت أمريكا وعظمت وتعالت، فالله أكبر وأعظم وأعلى، وليت عبدة أمريكا من أمتى يفقهون ذلك، لعلهم يرجعون، قبل فوات الأوان.

«ويل لمن يكوّم لنفسه الأسلاب، ويثرى على حساب ما نهب، إنما إلى متى ؟ ألا يقوم عليك دائنوك بغتة، أولا يثورون عليك ويُملأونك رُعبا. فتصبح لهم غنيمة لأنك سلبت أمما كثيرة، فإن بقية الشعوب ينهبونك ثأرا، لما سفكت من دماء، وارتكبت من جور فى الأرض، فدمّرت مُدنا، وأهلكت الساكنين فيها. ويل لمنْ يدّخر لبنيه مكسب ظلم، ويُشيد مسكنه فى مقام حصين، ليكون فى مأمن من الخطر. لقد لطّخَتْ مؤامرتك بيتك بالعار، حين استأصلت أمما عديدة، وجلبت الدمار على نفسك، حتى حجارة الجدران تصرخ من شرّك، فتردّد الدعائم الخشبية أصداءها. ويل لمن يبنى مدينة بالدماء، ويُؤسس قرية بالإثم». (التوراة: سفر حبقوق ٢ : ٦ ـ ١٢)(١).

قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (المائدة: ٦٤).

■ ■ ■

(١) خالد عبد الواحد: نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، شبكة الإنترنت الدولية.

النص الكامل لكتاب
أحجار على رقعة الشطرنج

وليم غاي كار

مراحل المؤامرة

فى عام ١٧٨٤ وضعت مشيئة الله تحت حيازة الحكومة البافارية براهين قاطعة على وجود المؤامرة الشيطانية المستمرة:

كان آدم وايزهاوبت Adam Weishaupt أستاذا يسيوعيا للقانون فى جامعة انغولد شتات Ingoldstadt، ولكنه ارتد عن المسيحية ليعتنق المذهب الشيطانى.. فى عام ١٧٧٠ استأجره المرابون الذين قاموا بتنظيم مؤسسة روتشيلد، لمراجعة وإعادة تنظيم البروتوكولات القديمة على أسس حديثة.. والهدف من هذه البروتوكولات هو التمهيد لكنيس الشيطان للسيطرة على العالم، كما يفرض المذهب الشيطانى وأيديولوجيته على ما يتبقى من الجنس البشرىّ، بعد الكارثة الاجتماعية الشاملة التى يجرى الإعداد لها بطرق شيطانية طاغية.

وقد أنهى وايزهاوبت مهمته فى الأول من أيار (مايو) ١٧٧٦م.

ويستدعى هذا المخطط الذى رسمه وايزهاوبت تدمير جميع الحكومات والأديان الموجودة.. ويتم الوصول إلى هذا الهدف عن طريق تقسيم الشعوب ـ التى سماها الجوييم (لفظ بمعنى القطعان البشرية، يطلقه اليهود على البشر من الأديان الأخرى) ـ إلى معسكرات متنابذة تتصارع إلى الأبد، حول عدد من المشاكل التى تتولّد دونما توقف، اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية وغيرها.

ويقتضى المخطط تسليح هذه المعسكرات بعد خلقها، ثم يجرى تدبير «حادث» فى كل فترة، لتنقض هذه المعسكرات على بعضها البعض، فتضعف نفسها محطمة الحكومات الوطنية والمؤسسات الدينية.

وفى عام ١٧٧٦ نظم وايزهاوبت جماعة النورانيين لوضع المؤامرة موضع التنفيذ.. وكلمة النورانيين تعبير شيطانى يعنى «حملة النور».

ولجأ وايزهاوبت إلى الكذب، مدعيا أن هدفه الوصول إلى حكومة عالمية واحدة، تتكون من ذوى القدرات الفكرية الكبرى ممن يتم البرهان على تفوقهم العقلىّ.. واستطاع بذلك أن يضمّ إليه ما يقارب الألفين من الأتباع، من بينهم أبرز المتفوقين فى ميادين الفنون والآداب والعلوم والاقتصاد والصناعة.. وأسس عندئذ محفل الشرق الأكبر ليكون مركز القيادة السرىّ لرجال المخطط الجديد.. وتقتضى خطة وايزهاوبت المنقّحة من أتباعه النورانيين اتّباع التعليمات الآتية لتنفيذ أهدافهم:

١ - استعمال الرِّشوة بالمال والجنس، للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة على مختلف المستويات، فى جميع الحكومات وفى مختلف مجالات النشاط الإنسانى.. ويجب عندما يقع أحدهم فى شراك النورانيين، أن يستنزف بالعمل فى سبيلهم، عن طريق الابتزاز السياسىّ، أو التهديد بالخراب المالى، أو يجعله ضحية لفضيحة عامه كبرى، أو بالإيذاء الجسدى، أو حتى بالموت هو ومن يحبهم.

٢ - يجب على النورانيين الذين يعملون كأساتذة فى الجامعات والمعاهد العلمية، أن يولوا اهتمامهم إلى الطلاب المتفوقين عقليا والمنتمين إلى أسر محترمة، ليولّدوا فيهم الاتجاه نحو الأممية العالمية، كما يجرى تدريبهم فيما بعد تدريبا خاصا على أصول المذهب العالمىّ، بتخصيص منح دراسية لهم.. ويلقّن هؤلاء الطلاب فكرة الأممية أو العالمية، حتى تلقى القبول منهم، ويرسخ فى أذهانهم أن تكوين حكومة عالمية واحدة فى العالم كله، هو الطريقة الوحيدة للخلاص من الحروب والكوارث المتوالية.. ويجب إقناعهم بأن الأشخاص ذوى المواهب والملكات العقلية الخاصة، لهم الحق فى السيطرة على من هم أقل كفاءة وذكاء منهم، لأن الجوييم يجهلون ما هو

صالح لهم جسديا وعقليا وروحيا.. ويوجد فى العالم اليوم ثلاث مدارس متخصصة بذلك.. تقع الأولى فى بلده غوردنستون Gorodonstoun فى سكوتلندا، والثانية فى بلده سالم Salem فى ألمانيا، والثالثة فى بلدة أنا فريتا Anavryta فى اليونان.. وقد درس الأمير فيليب زوج ملكه إنكلترا اليزابيث الثانية فى غوردنستون، بتدبير من عمه اللورد لويس ماونتباتن Lord Louis Mountbatten، الذى أصبح بعد الحرب العالمية الثانية القائد الأعلى للبحرية البريطانية.

٣ ـ مهمة الشخصيات ذات النفوذ التى تسقط فى شباك النورانيين والطلاب الذين تلقوا التدريب الخاص، هى أن يتم استخدامهم كعملاء خلف الستار، بعد إحلالهم فى المراكز الحساسة لدى جميع الحكومات، بصفة خبراء أو اختصاصيين، بحيث يكون فى إمكانهم تقديم النصح إلى كبار رجال الدولة، وتدريبهم لاعتناق سياسات تخدم فى المدى البعيد المخططات السرية لمنظمة العالم الواحد، والتوصل إلى التدمير النهائى لجميع الأديان والحكومات.

٤ ـ السيطرة على الصحافة وكل أجهزة الإعلام الأخرى، ومن ثم تعرض الأخبار والمعلومات على الجوييم بشكل يدفعهم إلى الاعتقاد بأن تكوين حكومة أممية واحدة هو الطريق الوحيد لحل مشاكل العالم المختلفة.

■ ■ ■

ولما كانت فرنسا وإنكلترا أعظم قوتين فى العالم فى تلك الفترة، أصدر وايزهاوبت أوامره إلى جماعة النورانيين لكى يثيروا الحروب الاستعمارية لأجل إنهاك بريطانيا وإمبراطوريتها، وينظموا ثورة كبرى لأجل إنهاك فرنسا.. وكان فى مخططه أن تندلع هذه الأخيرة فى عام ١٧٨٩م.

هذا وقد وضع كاتب ألمانى أسمه سفاك Zwack نسخة وايزهاوبت المنقحة عن المؤامرة القديمة، على شكل كتاب جعل عنوانه «المخطوطات

الأصلية الوحيدة» Einige Original Scripten.

وفى عام ١٧٨٤ أرسلت نسخة من هذه الوثيقة إلى جماعة النورانيين، الذين أوفدهم وايزهاوبت إلى فرنسا لتدبير الثورة فيها.. ولكن صاعقة انقضت على حامل الرسالة وهو يمر خلال راتسبون Ratisbon فى طريقه من فرانكفورت إلى باريس، فألقته صريعا على الأرض، مما أدى إلى العثور على الوثيقة التخريبية من قبل رجال الأمن لدى تفتيشهم جثته، وسلم هؤلاء الأوراق إلى السلطات المختصة فى حكومة بافاريا.

وبعد أن درست الحكومة البافارية بعناية وثيقة المؤامرة، أصدرت أوامرها إلى قوات الأمن لاحتلال محفل الشرق الأكبر ومداهمة منازل عدد من شركاء وايزهاوبت من الشخصيات ذات النفوذ، بما فيها قصر البارون باسوس Bassus فى سندرسدورف Sandersdorfv.

وأقنعت الوثائق الإضافية - التى وجدت إبان هذه المداهمات - الحكومة البافارية بأن الوثيقة هى نسخة أصلية عن مؤامرة رسمها الكنيس الشيطانى الذى يسيطر على جماعة النورانيين.

وهكذا أغلقت حكومة بافاريا محفل الشرق الأكبر عام ١٧٨٥، واعتبرت جماعة النورانيين خارجين على القانون.

وفى عام ١٧٨٦ نشرت سلطات بافاريا تفاصيل المؤامرة، بعنوان «الكتابات الأصلية لنظام ومذاهب النورانيين».. وأرسلت نسخا منها إلى كبار رجال الدولة والكنيسة.. ولكن تغلغل النورانيين ونفوذهم كانا من القوة، بحيث تجوهل هذا النذير، كما تجوهلت قبله تحذيرات المسيح للعالم.

انتقل نشاط النورانيين منذ ذلك الوقت إلى الخفاء، وأصدر وايزهاوبت تعاليمه إلى أتباعه بالتسلل إلى صفوف ومحافل جمعية الماسونية الزرقاء، وتكوين جمعية سرية فى قلب التنظيمات السرية.

ولم يسمح بدخول المذهب النورانىّ، إلا للماسونيين الذين برهنوا على ميلهم للأممية، وأظهروا بسلوكهم بعدا عن الله.. وهكذا استخدم النورانيون قناع الإنسانية لتغطية نشاطهم التخريبى الهدام.. وعندما شرعوا فى التمهيد للتسلل إلى المحافل الماسونية فى بريطانيا، وجهوا الدعوة إلى جون روبنسون لزيارة الدول الأوروبية.. وكان روبسون أحد كبار الماسونيين فى سكوتلندا وأستاذا للفلسفة الطبيعية فى جامعة أدنبره وأمين سر الجمعية الملكية فيها.. ولكن خدعتهم لم تنطلِ على روبنسون، ولم يصدق أن الهدف الذى يريد العالميون الوصول إليه هو إنشاء دكتاتورية محبة وسماحة.. إلا أنه احتفظ بمشاعره لنفسه.. وعهد إليه النورانيون بنسخة منقحة من مخطط مؤامرة وايزهاوبت لدراستها والحفاظ عليها.

وفى عام ١٧٨٩ تفجرت الثورة فى فرنسا، بسبب رضوخ رجال الدولة والكنيسة فيها للنصح الذى وُجّه إليهم بتجاهل التحذيرات التى تلقوها.

ولكى ينبّه الحكومات الأخرى إلى خطر النورانيين، عمد روبنسون إلى نشر كتاب سنه ١٧٩٨، أسماه «البرهان على وجود مؤامرة لتدمير كافة الحكومات والأديان».. ولكن هذا التحذير تُجوهل أيضا كما تجوهلت التحذيرات التى سبقته!

كان توماس جيفرسون قد أصبح تلميذا لوايزهاوبت، كما كان من أشد المدافعين عنه حينما أعلنته حكومة بلاده خارجا على القانون.. وعن طريق جيفرسون تم تغلغل النورانيين فى المحافل الماسونية حديثة التشكيل آنئذ فى «إنجلترا الجديدة» New England.

ومع علمى أن هذه المعلومات ستهز الكثير من الأمريكيين إلا أننى أرغب فى تسجيل الحقائق التالية:

فى عام ١٧٨٩ حذر جون روبنسون الزعماء الماسونيين من تغلغل جماعة

النورانيين فى محافلهم.

وفى التاسع عشر من تموز ١٧٩٨ أدلى دافيد باين رئيس جامعة هارفارد بنفس التحذير إلى المتخرجين، وأوضح لهم النفوذ المتزايد للنورانيين فى الأوساط السياسية والدينية فى الولايات المتحدة الأميركية.

كان جون كوينسى أدامز John Quincy Adams قد نظم المحافل الماسونية فى أميركا.. وقرر عام ١٨٠٠ ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية ضد جيفرسون، فكتب ثلاث رسائل إلى الكولونيل وليم ستون، شارحا كيف استخدم جيفرسون المحافل الماسونية لأهداف تخريبية.. ومما يؤكد صحة مضمون هذه الرسائل، نجاح جون كوينسى أدامز فى انتخابات الرئاسة.. ولا تزال هذه الرسائل محفوظة فى مكتبه ريتنبورغ سكوير Ritenburg فى مدينة فيلادلفيا.

وفى عام ١٨٢٦ رأى الكابتن وليام مورغان أن واجبه يقتضى منه إعلام بقية الماسونيين والرأى العام بالحقيقة فيما يتعلق بالنورانيين ومخططاتهم السرية وهدفهم النهائى.. وكلف النورانيون واحدا منهم - هو الإنجليزى ريتشارد هوارد - بتنفيذ حكمهم الذى أصدروه على مورغان بالموت كخائن.. وحذر الكابتن مورغان من الخطر، فحاول الهرب إلى كندا، ولكن هوارد تمكن من اللحاق به بالقرب من الحدود، حيث اغتاله على مقربة من وادى نياغارا.. وعثر التحقيق على شخص من نيويورك اسمه آفيرى ألين Avery Allen أقسم يمينا أنه سمع هوارد وهو يقدم تقريرا فى اجتماع لجمعية سرية فى نيويورك اسمها «فرسان المعبد» Knights Templars، حيث شرح فى هذا التقرير كيف نفذ حكم الإعدام بالكابتن مورغان.. وأفاد كيف اتخذت الترتيبات لنقل القاتل بعيدا إلى إنجلترا.

لا يعلم سوى القليلين اليوم، أن هذا الحادث أدى آنئذ إلى استياء وغضب ما يقرب من ٤٠٪ من الماسونيين فى شمالى الولايات المتحدة

وهجرهم للماسونية.. ولدى نسخ عن تفاصيل محاضر اجتماع ماسونى كبير عقد آنئذ لمناقشة هذه الحادثة.. ونستطيع تصوّر مقدار نفوذ القائمين على المؤامرة الشيطانية، إذا تذكرت بأنهم استطاعوا حذف حوادث بارزة كهذه من مناهج التاريخ التى تدرس فى المدارس الأمريكية!!

وفى عام ١٨٢٩ عقد النورانيون مؤتمرا لهم فى نيويورك، تكلم فيه نورانىّ إنجليزى اسمه رايت Wright، وأعلم فيه المجتمعين أن جماعتهم قرّرت ضم جماعات العدنيين Nihilist والإلحاديين Atheist وغيرهم من الحركات التخريبية الأخرى، فى منظمة عالمية واحدة تعرف بالشيوعية.. وكان الهدف من هذه القوة التخريبية التمهيد لجماعة النورانيين لإثارة الحروب والثورات فى المستقبل.. وقد عين كيلينتون روزفلت Clinton Roose-velt ـ الجد المباشر لفرانكلين روزفلت ـ و(هوارس غريلى) و(تشارلز دانا) لجمع المال لتمويل المشروع الجديد.. وقد مولت هذه الأرصدة (كارل ماركس) و(إنجليز) عندما كتبا «رأس المال» و«البيان الشيوعى» فى حى سوهو فى العاصمة الإنجليزية لندن.

وفى عام ١٨٣٠ مات وايزهاوبت بعد أن ادّعى أن النورانية ستموت بموته، ولكى يخدع مستشاريه الروحانيين، تظاهر بأنه تاب وعاد إلى أحضان الكنيسة.

وهكذا ففى الوقت الذى كان فيه كارل ماركس يكتب «البيان الشيوعى» تحت إشراف جماعة من النوارنيين، كان البروفيسور (كارل ريتر) من جامعة فرانكفورت يعد النظرية المعادية للشيوعية، تحت إشراف جماعة أخرى من النورانيين، بحيث يكون بمقدور رؤوس المؤامرة العالمية استخدام النظريتين فى التفريق بين الأمم والشعوب، بصورة ينقسم فيها الجنس البشرى إلى معسكرين متناحرين، ثم يتم تسليح كل منهما ودفعهما للقتال وتدمير بعضهما والمؤسسات الدينية والسياسية لكل منهما.

وقد أكمل العمل الذى شرع به ريتر، ذلك الألمانى الذى وصف بالفيلسوف (فردريك وليام) الذى أسس المذهب المعروف باسمه «النيتشييزم».

وكان هذا المذهب هو الأساس الذى تفرع عنه فيما بعد المذهب النازى.. وهذه المذاهب هى التى مكنت عملاء النورانيين من إثارة الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وفى عالم ١٨٣٤ اختار النورانيون الزعيم الثورى الإيطالى جيوسيبى مازينى Guiseppi Mazzini ليكون مدير برنامجهم لإثارة الاضطرابات فى العالم.. وقد ظل هذا المنصب فى يدى مازينى حتى مات عام ١٨٧٢م.

فى عام ١٨٤٠ جىء إليه بالجنرال الأميركى بابك Albert Pike، الذى لم يلبث أن وقع تحت تأثير مازينى ونفوذه.. وكان الجنرال بابك شديد النقمة آنئذ، لأن الرئيس جيفرسون دافيس سرح القوات الهندية الملحقة بالجيش، والتى كانت تحت قيادته، بسبب ارتكابهم فظائع وحشية تحت قناع الأعمال الحربية العادية.. وتقبل الجنرال بابك فكرة الحكومة العالمية الواحدة، حتى أصبح فيما بعد رئيس النظام الكهنوتى للمؤامرة الشيطانية.. وفى الفترة بين عامى ١٨٥٩ و١٨٧١ عمل فى وضع مخطط عسكريّ لحروب عالمية وثلاث ثورات كبرى، اعتبر أنها جميعها سوف تؤدى خلال القرن العشرين إلى وصول المؤامرة إلى مرحلتها النهائية.

قام الجنرال بابك بمعظم عمله فى قصره فى بلدة ليتل روك فى ولاية أركاس عام ١٨٤٠م.. وعندما أصبح النورانيون ومعهم محافل الشرق الأكبر موضعا للشبهات والشكوك، بسبب النشاط الثورى الواسع الذى قام به مازينى فى كل أرجاء أوربا، أخذ الجنرال بابك على عاتقه مهمة تجديد وإعادة تنظيم الماسونية، حسب أسس مذهبية جديدة، وأسس ثلاثة مجالس عليا أسماها «البالادية»، الأول فى تشارلستون فى ولاية كارولينا الجنوبية فى الولايات المتحدة، والثانى فى روما بإيطاليا، والثالث فى برلين بألمانيا..

وعهد إلى مازينى بتأسيس ثلاثة وعشرين مجلسا ثانويا تابعا لها، موزعة على المراكز الاستراتيجية فى العالم.. وأصبحت تلك المجالس منذئذ وحتى الآن مراكز القيادة العامة السرية للحركة الثورية العالمية.. وقبل إعلان ماركونى اختراعه اللاسلكى (الراديو) بزمن طويل، كان علماء النورانيين قد تمكنوا من إجراء الاتصالات السرية بين بابك ورؤساء المجالس المذكورة.. وكان اكتشاف هذا السر هو الذى جعل ضباط المخابرات يدركون كيف أن أحداثا غير ذات صلة ظاهرية مع بعضها تقع فى أمكنة مختلفة من العالم وفى وقت واحد، فتخلق ظروفا وملابسات خطيرة، فلا تلبث أن تتطور حتى تنقلب إلى حرب أو إلى ثورة.

كان مخطط الجنرال بابك بسيطا بقدر ما كان فعالا.. كان يقتضى أن تنظم الحركات العالمية الثلاث: الشيوعية والنازية والصهيونية السياسية، وغيرها من الحركات العالمية، ثم تستعمل لإثارة الحروب العالمية الثلاث والثورات الثلاث.. وكان الهدف من الحرب العالمية الأولى هو إتاحة المجال للنورانيين للإطاحة بحكم القياصرة فى روسيا، وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية الإلحادية. وتم التمهيد لهذه الحرب باستغلال الخلافات بين الإمبراطوريتين البريطانية والألمانية، التى ولّدها بالأصل عملاء النورانيين فى هاتين الدولتين.. وجاء بعد انتهاء الحرب بناء الشيوعية كمذهب واستخدامها لتدمير الحكومات الأخرى وإضعاف الأديان.

أما الحرب العالمية الثانية فقد مهدت لها الخلافات بين الفاشستيين والحركة الصهيونية السياسية.. وكان المخطط المرسوم لهذه الحرب أن تنتهى بتدمير النازية وازدياد سلطان الصهيونية السياسية، حتى تتمكن أخيرا من إقامة دولة إسرائيل فى فلسطين.. كما كان من الأهداف تدعيم الشيوعية حتى تصل بقوتها إلى مرحلة تعادل فيها مجموع قوى العالم المسيحى، ثمّ إيقافها عند هذا الحد، حتى يبدأ العمل فى تنفيذ المرحلة

التالية، وهى التمهيد للكارثة الإنسانية النهائية.

أما الحرب العالمية الثالثة، فقد قضى مخططها أن تنشب نتيجة للنزاع الذى يثيره النورانيون بين الصهيونية السياسية وبين قادة العالم الإسلامى، وبأن توجّه هذه الحرب وتدار بحيث يقوم الإسلام والصهيونية بتدمير بعضهما البعض، وفى الوقت ذاته تقوم الشعوب الأخرى بقتال بعضها البعض، حتى تصل إلى حالة من الإعياء المطلق الجسمانى والعقلى والروحى والاقتصادى.

وفى ١٠ آب (أغسطس) ١٨٧١، أخبر الجنرال (بابك) (مازينى) أن الذين يطمحون للوصول إلى السيطرة المطلقة على العالم سيسبّبون بعد نهاية الحرب العالمية الثالثة أعظم فاجعة اجتماعية عرفها العالم فى تاريخه.. وسوف نورد فيما يلى كلماته المكتوبة ذاتها (مأخوذة من الرسالة التى يحتفظ بها المتحف البريطانى فى لندن بإنكلترا):

«سوف نطلق العِنان للحركات الإلحادية والحركات العدمية الهدامة، وسوف نعمل لإحداث كارثة إنسانية عامة تبين بشاعتها اللا متناهية لكل الأمم نتائج الإلحاد المطلق، وسيرون فيه منبع الوحشية ومصدر الهزة الدموية الكبرى.. وعندئذ سيجد مواطنو جميع الأمم أنفسهم مجبرين على الدفاع عن أنفسهم حيال تلك الأقلية من دعاة الثورة العالمية، فيهبون للقضاء على أفرادها محطمى الحضارات.. وستجد الجماهير المسيحية آنئذ أن فكرتها اللاهوتية قد أصبحت تائهة غير ذات معنى، وستكون هذه الجماهير متعطشة إلى مثال تتوجه إليه بالعبادة.. وعندئذ يأتيها النور الحقيقى من عقيدة الشيطان الصافية، التى ستصبح ظاهرة عالمية، والتى ستأتى نتيجة لرد الفعل العام لدى الجماهير بعد تدمير المسيحية والإلحاد معا وفى وقت واحد»!

ولما مات مازينى فى عام ١٨٧٢، عين بابك زعيما ثوريا إيطاليا آخر اسمه (أدريانو ليمى) خليفة له.. وعندما مات ليمى بعد ذلك خلفه لينين

وتروتسكى، وكانت النشاطات الثورية لكل هؤلاء تموّل من قبل أصحاب البنوك العالمية فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة.. وعلى القارئ، هنا، أن يتذكر أن أصحاب البنوك العالمية هم اليوم - كما كان صرافو النقود والمرابون فى أيام المسيح - عملاء للنورانيين أو أدوات بيدهم.

ولقد أدخل فى روح الجماهير أن الشيوعية حركة عمالية قامت للدفاع عن حقوق العمال ولتدمير الرأسمالية.. ويُظهر هذا الكتاب «أحجار على رقعة الشطرنج» وكتاب «ضباب أحمر يعلو أمريكا»، أن ضباط الاستخبارات فى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا قد حصلوا على وثائق وبراهين صحيحة، تثبت أن الرأسماليين العالميين هم الذين موّلوا بواسطة مصارفهم الدولية، كل الأطراف فى كل الحروب والثورات منذ ١٧٧٦م.

إن أتباع الكنيس الشيطانى هم الذين يوجّهون فى عصرنا الحاضر حكوماتنا ويجيرونها على الاشتراك فى الحروب والثورات، ماضين قدما فى تحقيق مخططات الجنرال بابك، التى ترمى إلى الوصول بالعالم المسيحى بأسره إلى خوض حرب شاملة على مستوى الأمة وعلى مستوى العالم كله.

وهناك العديد من الوثائق التى تبرهن بصورة قاطعة أن بابيك كان بدوره الرئيس الروحى للنظام الكهنوتى الشيطانى، مثل وايزهاوبت فى عصره.. وبالإضافة إلى الرسالة التى كتبها لمازينى عام ١٨٧١، فقد وقعت رسالة أخرى بأيد غريبة، وكان قد كتبها بتاريخ ١٤ تموز ١٨٨٩ إلى رؤساء المجالس العليا التى شكلها سابقا.. وقد كتبت هذه الرسالة لتشرح أصول العقيدة الشيطانية فيما يتعلق بعبادة إبليس والشيطان.. وجاء ضمن ما قاله فى هذه الرسالة:

«يجب أن نقول للجماهير إننا نؤمن بالله ونعبده، ولكن الإله الذى نعبده لا تفصلنا عنه الأوهام والخرافات.. ويجب علينا نحن الذين وصلنا إلى مراقب الاطلاع العليا أن تحتفظ بنقاء العقيدة الشيطانية.. نعم إن الشيطان

هو الإله.. ولكن للأسف، فإن أدوناى (وهذا هو الاسم الذى يطلقه الشيطانيون على الإله الذى يعبدونه) هو كذلك إله.. فالمطلق لا يمكن إلا أن يوجد كإلهين!!

وهكذا فإن الاعتقاد بوجود إبليس وحده هو كفر وهرطقة.. وأما الديانة الحقيقية والفلسفة الصافية فهى الإيمان بالشيطان كإله مساو لأدوناى.. و لكن الشيطان، وهو إله النور وإله الخير، يكافح من أجل الإنسانية ضد أدوناى إله الظلام والشر»!!

ولا تذكر الكتابات المقدسة الشيطان إلا فى مواضع قليلة «أشعيا ١٤، لوقا: ١٠».. ولكن العقيدة الشيطانية تنص بشكل قاطع على أن الشيطان هو الذى قاد الثورة فى السماء، وأن إبليس هو الابن الأكبر لأدوناى، وهو شقيق ميخائيل الذى هزم المؤامرة الشيطانية فى السماء.. وتقول التعاليم الشيطانية إن ميخائيل قد نزل إلى الأرض بشخص يسوع لكى يكرر على الأرض ما فعله فى السماء، ولكنه فشل.. وبما أن الشيطان هو أبو الكذب فيظهر جليا أن قوى الظلام الروحية تلك تخدع أكبر عدد ممكن من هؤلاء الذين يدعون بالمثقفين لفعل ما يريدون، تماما كما فعلوا فى السماء.

إن الدعاية التى بثها بين الجماهير موجهى المؤامرات الشيطانية، جعلت الرأى العام يعتقد أن خصوم المسيحية هم جميعا من الملحدين.. ولكن الحقيقة هى أن هذا كذب موجّه مقصود، والهدف منه تمويه المخططات السرية لكهّان المذهب الشيطانىّ، الذين يشرفون على الكنيس الشيطانىّ ويوجهونه، بصورة يتمكّنون معها من منع الإنسانية من تطبيق دستور العدالة الإلهية فى الأرض.. وهؤلاء الكهان يعملون فى الظلام ويبقون دائما خلف الستار، يحافظون على سرية شخصياتهم وأهدافهم حتى عن الأغلبية العظمى من أتباعهم المخدوعين.. ولقد أنبأتنا الكتابات المقدسة بأن مخططات مثل مخططات وايزهاوبت وبابك سوف توضع وتنفذ فعلا حتى

يأتى اليوم الذى تستطيع فيه قوى الشر الروحية أن تسيطر على الأرض.

وتخبرنا إحدى الآيات أنه بعد أن تمر الأحداث التى تكلمنا عنها، فإن الشيطان سيكون مقيدا لمدة ألف عام (يتضح من هنا أنّ الكلام عن المسيح الدجال، وليس عن إبليس.. وهذا أقرب للمنطق).. وأنا لا أدعى معرفة ما تفيد هذه الآية بتحديدها هذه الفترة الزمنية أو مقدار هذه الفترة بمقاييسنا الإنسانية، ولكن ما يهمّنى الآن هو أن دراسة المؤامرة الشيطانية على ضوء ما ذكرته الكتابات المقدسة، أقنعتنى أنه من الممكن أن يتم تقييد الشيطان واحتواء القوى الشيطانية بسرعة أكبر، إذا ما نشرت الحقيقة الكاملة فيما يختص بوجود المؤامرة الشيطانية المستمرة لكل الناس فى كل الأمم المتبقية وبأكبر سرعة ممكنة.

بعيدا عن الجدل، يجب على أى مسيحى أن يعلم أن هناك قوتين خارقتين اثنتين، الأولى هى الله «وقد ذكرت له التوراة عدة أسماء»، والثانية هى الشيطان الذى له أيضا أسماء عدة.. والمهم الذى يجب أن نذكره، هو أنه حسب ما تقول رسالات الوحى، فان هناك يوم حساب نهائيا.

«وسيكسر إبليس القيد الذى قيده ألف عام وسيعود من جديد ليخلق الفوضى على هذه الأرض.. وسيتدخل الله بعد ذلك إلى جانب النخبة وسيفصل بين الخراف والماعز».. ونحن نعلم أن الذين سيحيدون عن جانب الله سيحكمهم الشيطان أو إبليس بالفوضى والاضطراب الأبدى، حتى إنهم سيكرهون حاكمهم ويكرهون بعضهم البعض، لأنهم سيعلمون أنهم قد خدعوا لإبعادهم عن الله، وأنهم قد فقدوا محبته وصداقته إلى الأبد.

وفى عام ١٩٥٢ نشر نيافة الكاردينال كارو دودريغز، أسقف مدينة سانتياغو عاصمة تشيلى، كتابا اسمه «نزع النقاب عن سر الماسونية»، شرح فيه كيف خلق النورانيون وأتباع الشيطان وإبليس جمعية سرية فى قلب جمعية سرية أخرى.. وأبرز فى كتابة عددا كبيرا من الوثائق القاطعة التى تبرهن أنه

حتى رؤساء الماسونية أنفسهم، أى الماسونيين من الدرجات ٣٢، ٣٣، يجهلون ما يدور فى محافل الشرق الأكبر وفى المحافل المجددة التى أوجدها بابك، أى محافل الطقوس البالادية والمحافل الخاصة التابعة لها، التى يجرى فيها تدريب النساء اللواتى سيصرن أعضاء فى المؤامرة العالمية وتلقينهن الأسرار.. واستشهد الكاردينال بالصفحة ١٠٨ من كتابه بالمرجع الثقة «مارجيوتا» ليبرهن أن ليمى Lemmi قبل أن يختار بابك لخلافة مازينى كموجه للحركة الثورية العالمية، كان من أتباع إبليس الملتزمين والمتعصبين.

■ ■ ■

ويتطلب مخطط وايزهاويت ما يلى:

١ ـ إلغاء كل الحكومات الوطنية.

٢ ـ إلغاء مبدأ الإرث.

٣ ـ إلغاء الملكية الخاصة.

٤ ـ إلغاء الشعور الوطنى.

٥ ـ إلغاء المسكن العائلى الفردى، والحياة العائلية، وإلغاء فكرة كون الحياة العائلية الخلية التى تبنى حولها الحضارات.

٦ ـ إلغاء كل الأديان الموجودة، تمهيدا لمحاولة إحلال العقيدة الشيطانية ذات الطابع المطلق فى الحكم وفرضها على البشرية.

■ ■ ■

مركز قيادة المؤامرة:

كان مركز قيادة المؤامرة حتى أواخر القرن الثامن عشر فى مدينة فرانكفورت بألمانيا، حيث تأسست أسرة روتشيلد واستقرت وضمت تحت سلطانها عددا من كبار الماليين العالميين الذين «باعوا ضمائرهم إلى

الشيطان».. ثم نقل كهان النظام الشيطانى مركز قيادتهم إلى سويسرا، بعد أن فضحتهم حكومة بافاريا عام ١٧٨٦، ولبثوا هناك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث انتقلوا إلى نيويورك وأصبح مركز قيادتهم فى مبنى هلرولد يرات.. وفى نيويورك حل آل روكفلر محل آل روتشيلد فيما يختص بعمليات التمويل.

■ ■ ■

والآن سأختم هذا المدخل بمقتطفات أقتبسها من محاضرة ألقاها أحد رؤساء المجالس الماسونية البالادية على أعضاء محفل الشرق الأكبر فى باريس بفرنسا فى بداية هذا القرن:

«تم إنزال نسبة تطبيق قوانين «الجوييم» إلى أدنى مستوى، وتم نسف هيبة القانون بواسطة التأويلات المتحررة التى أدخلناها فى هذا المجال.. وسيحكم القضاة فى المسائل الرئيسية المهمة حسب ما نملى عليهم: أى يحكمون على ضوء القواعد التى نضعها لهم ليحكموا الجوييم بموجبها، ويتم ذلك بالطبع عن طريق أشخاص هم دمى بين أيدينا بالرغم من عدم وجود أية رابطة ظاهرية بيننا وبينهم.. وهناك حتى شيوخ وأعضاء فى الإدارة يقبلون بمشورتنا».

هل يستطيع أى شخص عاقل أن ينكر أنه قد تم تطبيق المراحل المتوالية للمؤامرة كما صاغها وايزهاوبت فى نهاية القرن الثامن عشر، وكما رسم الجنرال بابك مخططاتها فى نهاية القرن التاسع عشر؟

لقد تحطمت الإمبراطوريتان الروسية والألمانية، وتحولت الإمبراطوريتان البريطانية والفرنسية إلى قوى من الدرجة الثانية والثالثة، وتساقطت الرؤوس المتوجة (الملوك) كالثمار الناضجة.. وقد تم تقسيم العالم مرتين إلى معسكرين متنازعين، نتيجة للدعايات التى بثها

النورانيون.. واشتعلت نيران حربين عالميتين سفك فيها العالم المسيحى الغربى دماء بعضه بعشرات الملايين، دون أن يكون لدى أى واحد من المشتركين فى هذه المجازر أى سبب شخصىّ ضد أى من الآخرين!!.. وقد أصبحت الثورة الروسية والثورة الصينية أمرا واقعا، وتمت تنمية الشيوعية وتقويتها حتى أصبحت معادلة فى القوة لمجموع العالم المسيحى الغربى.. أما فى الشرقيين الأدنى والأقصى فالمؤامرة ماضية فى التمهيد للحرب العالمية الثالثة!!

ويجب الآن وفى هذا الوقت بالذات إيقاف هذا المخطط، عن طريق إعلام الرأى العام العالمى بأن الكارثة الاجتماعية النهائية قادمة لا محالة، وسوف يتلوها الاستبعاد المطلق الجسدى والعقلى والروحى للإنسانية.

إن اتحاد الجمهور المسيحى Federation of Christ Layman الذى لى شرف رئاسته، قد وضع فى متناول الجميع كل المعلومات التى استطاع الحصول عليها، لإلقاء الضوء على الأوجه المختلفة للمؤامرة.. وقد نشرنا هذه المعلومات فى كتابين هما «أحجار على رقعة الشطرنج» و «ضباب أحمر يعلو أميركا»، بالإضافة إلى منشورات أخرى.. ونحن إذ نتنبأ بالأحداث التى تلى نبنى على معرفتنا بالمؤامرة المستمرة، وقد تحققت هذه الأحداث إلى حد أنها أثارت اهتمام المفكرين فى جميع أقطار العالم.

توقيع: وليم غاى كار

كليرواتر ـ فلوريدا

فى ١٢ تشرين الأول «أكتوبر» ١٩٥٨

■ ■ ■

المؤامرة لم تتوقّف لحظة

من الجليّ أنّ معظم المخططات المذكورة أعلاه قد حدث فى نصف القرن الماضى!

وحتّى الآن ما زلنا نرى مراحل المؤامرة تترى، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وما تلاها من غزو أفغانستان والعراق!

ولنرَ بعض الأصابع الخفية فى غزو العراق:

كتب (عبد العزيز آل محمود) رئيس تحرير (الجزيرة نت):

«هاجمت وسائل الإعلام المستقلة كلا من إدارة الرئيس (بوش) ورئيس الوزراء البريطانى (تونى بلير) بسبب الكذب الذى استخدم لتبرير الحرب على العراق، وخصوصا الادعاءات بخصوص امتلاك بغداد لأسلحة الدمار الشامل التى قيل إن الرئيس العراقى السابق يستطيع أن ينشرها خلال خمس وأربعين دقيقة من إصدار أوامره، ولم تجد قوات الاحتلال أيا من تلك الأسلحة المزعومة أو حتى وسائل إنتاجها!

لقد خرجت تلك الأكاذيب من خلية أنشأها اليهود فى وسط الإدارة الاميركية، أسموها مكتب المخططات الخاصة، هذا المكتب يديره (إبرام شالسكى) بعدد لا يتعدى العشرين شخصا من اليهود الصهاينة، الذين يجمعون كل المعلومات ثم يحللونها، ويضيفون عليها ما يريدون من معلومات أو يشوهونها، ثم توضع على مكاتب صناع القرار فى البيت الأبيض والبنتاجون ووزارة الخارجية وإدارة الأمن القوميّ.. وما قضية شراء العراق لليورانيوم من أفريقيا التى رددها بوش ووزير دفاعه رامسفيلد ورئيس الوزراء البريطانى تونى بلير، والتى بسببها استقال رئيس المخابرات الأميركية، سوى لعبة من ألاعيب ذلك المكتب.

نشرت صحيفة the nation الأمريكية مقالا للكاتب روبرت درايفوس، ذكر فيه أن رئيس الوزراء الإسرائيلى شارون قد أنشأ مكتبا موازيا لمكتب المخططات الخاصة الأمريكى، وعلى اتصال مباشر به.. وقد نقل الكاتب عن سفير أمريكى سابق على صلة وثيقة بالمخابرات الأميركية، قوله إن هناك معلومات تصل عن طريق المعارضة العراقية فى الخارج، من ضمنها المجلس الوطنى العراقى الذى يرأسه أحمد جلبى، الذى أكد للأمريكيين أن الشعب العراقى سيرحب بهم ترحيب المحررين وبأيد مفتوحة!!.. وبسبب اقتناع وزير الدفاع الأمريكى بما قاله الجلبى، خالف قادته العسكريين الذين كانوا يشكّون فيما يقوله ذلك المعارض، ولهذا السبب طلب القادة العسكريون المزيد من القوات لحفظ الأمن فى المدن العراقية، لان أعداد العسكريين الأمريكيين لم تكن كافية!

ومن ضمن المعلومات المغلوطة التى تصل إلى مكتب المخططات الخاصة، تلك التى يرسلها مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى شارون، الذى كان يدبلج تقارير مكتوبة باللغة الإنكليزية إلى شالسكى مباشرة.. وإحدى تلك الرسائل كانت تتهم العراق بمحاولة الحصول على اليورانيوم من النيجر.

بدأت أعين بعض المراقبين الغربيين تتفتح على معرفة كمية الكذب التى كانت تصل إلى رؤسائهم.. هذا الكذب الذى يصل مباشرة من إسرائيل أو يحرّف من قبل جماعة شالسكى.. وحتى المناصرين للمشروع الصهيونى بدأوا يتخوفون من سيطرة اليهود على مفاصل صناعة القرار فى بيوت الحكم الأميركية والأوروبية.. وقد يكون هناك من بدأ يكتب منتقدا تصرف اليهود وسوء أخلاقهم، كما فعل الرئيس الأمريكى الأسبق ترومان الذى دعمهم بكل ما يملك، ثم أساؤوا معاملته بطريقة فجة وقحة.. وقد يكتشف بوش وبلير أنهما كانا أحجارا على رقعة شطرنج يحركهما يهودى لا يتمنى لهما ولا لشعبيهما ولا للعالم الخير!

حركة الثورة العالمية

يجب علينا أن ندرس التاريخ، لأن التاريخ فعلا يكرر نفسه، وذلك لأنّ هدف الصراع المستمر هو نفسه منذ أزمنة سحيقة.. الصراع الدائم القديم بين قوى الخير وقوى الشر، لتقدير ما إذا كانت إرادة الله العلى القدير هى التى ستسيطر، أم أن العالم سوف يعمّه الشر والفساد.

والواقع هو أن كلا من قوى الخير وقوى الشر، قد انقسمت بدورها إلى أحزاب متعددة، تتصارع فيما بينها فى محاولتها الوصول إلى الهدف المشترك.. وهذه الخلافات فى الرأى كانت نتاجا لوسائل الإعلام، التى كانت تستعمل لنشر الأكاذيب أو الحقائق الناقصة على الجماهير، بدلا من أن تستغل لنقل الحقيقة الكاملة إليها فيما يتعلق بأية حادثة أو موضوع.

وقد استخدم تجار الحروب وسائل الإعلام، لتقسيم الإنسانية إلى معسكرات متناحرة لأسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية، بحيث كان بإمكانهم دوما استثارة كل منها حتى يصلوا بهم إلى درجة الهيجان التى ينقص فيها بعضهم على البعض الآخر ويُدمَّروا جميعا!

■ ■ ■

تثبت الدراسة المقارنة للأديان فى الماضى انه وجد حتى عند أفراد القبائل المنعزلة حسا دينيا يدفعهم إلى المناقشة والتفكير فى أسئلة مثل: لماذا ولدنا؟.. وما هو الهدف من حياتنا؟.. وما هى الغايات التى نخدمها ونسعى إليها؟.. وأين سنذهب بعد الموت؟.. حتى أكثر القبائل تأخرا فى أفريقيا الوسطى وفى أستراليا، يبدو أنه لم يكن لديها شك حول وجود إله وعالم روحى وحياة أخرى تذهب إليها النفوس بعد موت الأجساد الفانية.

كما تدلنا الدراسة المقارنة للأديان أن معظم الديانات التى تتناول تعاليمها الإيمان بإله علوىّ، تنطلق من مبدأ نظامى سام، يحثّ على عبادة الله العلىّ القدير، واحترام الوالدين والمسنين، ومحبة الجِيران والمحسنين، والصلاة على الموتى من الأقارب والأصدقاء.. ثم جاء الأشرار بأطماعهم وشهواتهم وشرورهم للتسلط بالقوة على الآخرين، فهبطوا بالأديان من مستوياتها السامية المبدئية إلى المستوى الذى نراها فيه اليوم.. ولقد انحطت بعض الديانات لدرجة أن كهانها كانوا يقدمون القرابين البشرية للتقرب من الله!!.. وحتى المسيحية التى هى من أحدث الديانات، فقد هبطت وانحطت وانقسمت إلى عدد كبير من الشيع والمذاهب، حتى بات من العسير تصور تلك الأكثرية الساحقة من الذين يعلنون انتماءهم للمسيحية كجنود للمسيح!!

وبصورة عامة، فان المسيحية قد انحدرت فيما يختص بأعمال الخير والصلاح.. فى الماضى وجدت الألفة والمحبة وخلقت الوحدة والتماسك فى الحظيرة المسيحية.. فالتعريف الحقيقى «للجار» هو أنه ذلك الشخص الذى برهن عن محبة وإحسان تجاهك، ويمكنك الاعتماد عليه.. وتحثنا الكتب المقدسة على حب جيراننا كأنفسنا.. والوسيلة الوحيدة لصنع الجيران الطيبين هى فى أن تقوم الأعمال الطيبة من دون شعور بالأنانية، ففقدان أعمال الخير الفردية معناه فقدان روح الوحدة وروح التلاحم الجماعى السليم.

ولقد تبنينا فى هذه الأيام طريقة باردة للقيام بالأعمال الصالحة، فنحن نترك القيام بالأعمال الخيّرة للموظفين القائمين على مصالح المجتمع.. وهذا أشاع التعبير الذى يقول «بارد كالإحسان المهنى»!!.. ومن الأفضل أن نتذكر أنه حق تشريعات الضمان الاجتماعى التى تقوم بها الحكومة لا تعفى الفرد من القيام بحقوق الجوار.. فالصلاة بدون العمل الصالح لا تجدى نفعا، وتقوم قوة المذهب الإلحادى على ضعف الإيمان وتفكيكه.

ولسبب أو لآخر فإن المذاهب المسيحية تفقد سيطرتها بسرعة على عنصر الشباب فى البلدان المدعوة بالعالم الحر.. وكل شاب تفقده المسيحية يتحول عادة إلى العلمانية، وسرعان ما يصبح «رفيقا» فى أحد المذاهب الإلحادية، الشيوعية أو النازية.

والغالبية العظمى ممن يعتنقون المسيحية ليسوا فى الحقيقة «جنودا للمسيح»، بينما نجد أن على كل منتسب إلى أحد الحزبين الشيوعى أو النازى أن يقسم يمين الولاء المطلق لقادته، وأن يخصص كل ساعة من ساعات يقظته للسير قدما بالقضية، وأن يساهم بعشر دخله لتمويل نشاطات الحزب.

■ ■ ■

وإذا استثنينا الملحدين وأتباع دارون، فإن معظم الناس يتقبّلون ما يسمى بقصة الخليقة. ولكن يبدو أن هناك اختلافات شاسعة فى الآراء فيما يتعلق بقصة آدم وحواء وجنة عدن.

وما يهم هنا، هو أن كل المخلوقات البشرية قد مُنحت قدرا من حرية الإرادة، يُمكّنها من تقرير ما إذا كانت تؤمن بوجود إله وشيطان، أم أنها تعتنق العقيدة الإلحادية المادية.. فمن آمن بوجود إله وشيطان فعليه أن يقرر لمن يتوجه بالخدمة والعبادة.. أما الملحد فيعتنق نظرية الحكم المطلق، ويتوجه بالولاء للحزب وللدولة.. أما عقوبة الانحراف فهى المعاناة والسجن وغالبا ما تكون الموت.

ونحن نرى الملحدين ينفون نفيا قاطعا وجود القوى الغيبية، ويحتجون بأن الله نفسه لم يثبت وجوده حتى الآن.. وهناك العديد من فرق الملحدين: هناك الشيوعيون الحقيقيون، وهناك ماسونيو محفل الشرق الأكبر، وهناك المفكرون الأحرار، وهناك أعضاء الرابطة اللا ربانية، وهنك النورانيون

والعدميون والفوضويون والنازيون الحقيقيون والمافيا.. وهناك غير المؤمنين الذين يخجلون من ممارسة النشاطات الإلحادية فى المجموعات النازية والشيوعية، ولكنهم يتجهون إلى الانتماءات العلمانية متعددة الأشكال.

ويقيم معظم الإلحاديين معتقداتهم على المبدأ القائل بأن هناك حقيقة واحدة وهى المادة، وأن القوى العمياء لهذه المادة «ويسمونها أحيانا بالطاقة» قد تطورت حتى ظهرت على شكل النبات فالحيوان فالإنسان.. وهم يُنكرون إطلاقا وجود الروح وإمكانية وجود حياة أخرى بعد الموت.

الشيوعية والنازية:

تم تأسيس الشيوعية الحديثة عام ١٧٧٣، من قبل مجموعة من سادة المال العالميين (بارونات المال)، واستعملوها منذئذ لإقامة دولة إلحادية العقيدة تقوم على الدكتاتورية الشاملة.. وقد بيّن لينين ذلك بوضوح فى كتابة «شيوعية الجناح اليسارى»، إذ يقول فى الصفحة ٥٣ منه:

«إن نظريتنا ليست مذهبا عقائديا، بل هى أداة للعمل».

وكان كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) ألمانيا من أصل يهودى.. وقد طرد من ألمانيا ثم فرنسا بسبب نشاطاته الثورية، فمنحته إنكلترا حتى اللجوء إليها.. وفى عام ١٨٤٨ نشر ماركس «البيان الشيوعى».. وقد اعترف أن مخطط تحويل العالم إلى اتحاد جمهوريات اشتراكية سوفيتية قد يستغرق قرونا عديدة.

أما كارل ريتر (١٧٧٩ - ١٨٥٩) وهو ألمانى أيضا، فقد كان أستاذا للتاريخ والعلوم الجيوسياسية.. وقد جاء بنظرية معاكسة «للبيان الشيوعى»، ووضع مخططا أعلن فيه أن باستطاعة العرق الآرى أن يسيطر على أوربا ثم على العالم أجمع بعد ذلك.. وقد تبنى عدد من الزعماء الآريين الملحدين مخطط ريتر، فأسسوا النازية لتحقيق هدف السيطرة على العالم وتحويله إلى دولة إلحادية تخضع لدكتاتوريتهم الشاملة.

ويتفق زعماء كلتا المجموعتين الإلحاديتين على سلطة الدولة، وعلى اعتبار رئيس الدولة إلها على الأرض، وهذا المعتقد يضع موضع التنفيذ فكرة تأليه الإنسان.

واكتملت القناعة لدى كارل ريتر بعد دراساته التاريخية بأن حفنة من كبار الماليين العالميين الذين لا يدينون بالولاء لأى بلد ولكنهم يتدخلون فى قضايا جميع البلدان، أسسوا عام ١٧٧٣ ماسونية الشرق الأكبر الحرة، بغرض استخدام حركة الثورة العالمية لتحقيق مطامحهم السرية.. وقد أعلن ريتر أن معظم هؤلاء الماليين العالميين - إن لم يكن كلهم - من اليهود أو من أصل يهودىّ، بصرف النظر عما إذا كانوا يمارسون بالفعل طقوس الدين اليهودى.

وقد ناقش ريتر فى رده على البيان الشيوعى لكارل ماركس. الأخطار التى ستنجم لو أذن العالم لهذه الحفنة من الرجال بالاستمرار فى السيطرة السياسية على الشيوعية العالمية وتوجيبها حسب مخططاتهم.. وأنهى ذلك بأن قدم إلى سادة الحرب الآريين الألمان اقتراحات واقعية وعملية لمكافحة مؤامرة بارونات المال العالميين، راسما لهم مخططا مقابلا للمخطط الأول فى اتساعه وبعد أمده، ويستهدف بدوره السيطرة على موارد العالم الطبيعية لمصلحة العرق الآرى.

وأشار ريتر بتأسيس النازية واستعمال الفاشية «أى الاشتراكية الوطنية» كوسيلة لتحقيق مطامعهم بتخريب مخططات بارونات المال العالميين وغزو العالم.. وأشار إلى قضية أخرى، وهى أنّ بارونات المال العالميين ينوون استعمال السامية فى كل الأوجه لتحقيق مخططاتهم، ولذا فعلى الزعماء الآريين أن يستعملوا اللا سامية من كل وجوهها لتمضى قدما بالقضية الآرية.

وتضمن مخطط كارل ريتر المقترحات التالية:

١ - إخضاع جميع الأقطار الأوروبية لسيطرة ألمانيا.. وشدد ريتر على

أهمية إقناع الشعب الألمانى بتفوقه الجسمانى والعقلى على الأجناس السامية.. وكانت هذه الفكرة هى النواة التى بنى حولها رجال الإعلام الآرى نظرية «العرق الألمانى السيد».. وكانت هذه النظرية هى الوسيلة التى اتخذها هؤلاء لمجابهة دعايات الماليين العالميين، الذين كانوا يدعون أن الجنس السامى هو شعب الله المختار، وأنه هو الذى اختارته العناية الإلهية ليرث هذه الأرض.. وهكذا انقسم الملايين من البشر إلى معسكرين متجابهين.

٢ ـ وأوصى كارل ريتر باتباع سياسة مالية معينة تمنع أصحاب المصارف العالميين من السيطرة على اقتصاديات ألمانيا (مثلما سيطر هؤلاء على اقتصاديات إنكلترا وفرنسا وأميركا).

٣ ـ وأوصى ريتر بإنشاء طابور خامس نازى لمجابهة التنظيمات الشيوعية السرية، هدفه إقناع الطبقات العليا والوسطى فى البلدان التى تنوى ألمانيا إخضاعها، بأن الفاشية هى الوسيلة الوحيدة المؤهلة لمجابهة الشيوعية، واستقبال الجيوش الألمانية على أنها الحامية لتلك الأقطار من الخطر الشيوعى.

٤ ـ وأوصى ريتر بتدمير الشيوعية تدميرا كاملا، واستئصال شأفة العرق اليهودى عن بكرة أبيه، لكى يتمكن الزعماء الآريون من التوصل للسيطرة الكاملة على القضايا والأمور العالمية.

■ ■ ■

إن الصراع والتصميم للسيطرة على العالم، يتيح لكل من زعماء الكتلتين الإلحاديتين أن يحيكوا أخبث المؤامرات، وأن يرتكبوا كل أنواع الجرائم من الاغتيال الفردى إلى الإبادة الجماعية.. وهم يثيرون الحروب لمجرد إنهاك الأمم التى ينوون إخضاعها.

وتدل الدراسة المقارنة للأديان، أن النازية والشيوعية لا تمكن مقارنتهما

بأى شكل من الأشكال بأى من الأديان التى تنادى بالإيمــــان بالله العلىّ القدير.. وقد يسمح الزعماء الملحدون فى البلدان المخضعة بممارسة الأديان التى تقوم على تعاليم الإيمان بالله لفترة من الوقت، ولكنهم لا يسمحون لرجال الدين بالعمل إلا على هامش المجتمع.. ولذلك فهم يمنعون رجال الدين من ممارسة أى نفوذ أو توجيه للسلوك الاجتماعى أو السياسى لأبناء طوائفهم.. والهدف الأبعد لكل من العقيدتين الإلحاديتين، هو أن يمحوا من عقول البشر أية معرفة بوجود الله السامى أو بوجود الروح أو بالحياة الأخرى.. وهم يستخدمون لذلك ما أمكنهم من الوسائل، كالقتل وبرامج غسل الدماغ المستمرة والتى تنفذ بإحكام.. وإذا ما عرفنا هذه الحقائق أدركنا تماما أن أى كلام عن تعايش سلمى بين المؤمنين والملحدين إما أن يكون هراء مطلقا أو نوعا من الدعاية والإعلام.

■ ■ ■

إن أبسط وسيلة لفهم ما يجرى فى عالمنا الحاضر هو دراسة أحداث التاريخ على ضوء ما ذكرناه أى على اعتبار نقلات فى لعبة الشطرنج العالمية.. ولقد قسم زعماء النورانيين العالم إلى معسكرين، واستعملوا الملكات والملوك والرهبان والفرسان، تماما كما يحدث فى لعبة الشطرنج.. واستعملوا جماهير الناس بيادق فى اللعبة.. وتدفعهم سياساتهم القاسية التى لا تعرف الرحمة إلى اعتبار الناس مجرد أحجار يمكن التصرف بها، فهم قد يضحون بقطعة كبيرة أو بمليون من البيادق إذا كان يقربهم ولو خطوة إلى هدفهم النهائى، السيطرة الطاغية للشيطان.

ونقل عن لسان البروفيسور ريتر، أن المرحلة الحاضرة من المؤامرة انطلقت من مصرف آمشيل مايروباور (الشهير بروتشيلد) والواقع فى فرانكفورت بألمانيا، حيث اجتمع ثلاثة عشر من كبار تجار الذهب والفضة. وقرروا إزالة كل الرؤوس المتوجة فى أوروبا، وتدمير كل الحكومات الموجودة،

وإزالة كل الأديان المنظّمة، قبل أن يباشروا فى تأمين سلطتهم المطلقة على الثروات والموارد الطبيعية والبشرية فى العالم بأسره، ومن ثَمّ يقيمون حكم الشيطان الطغيانى.. وكان فى مخططهم استعمال مبادئ مادية التاريخ والديالكتيكية للمضى فى تنفيذ مشاريعهم.

وعندما يخامر أدنى شك تلك القوى الخفية، أن أحد آلاتهم من الزعماء يعرف أكثر مما ينبغى، يأمرون بتصفيته فورا.. من أجل هذا دُبّرت حوادث الاغتيال الفردية والكثير من الثورات والحروب التى أزهقت عشرات الأرواح البشرية بالإضافة إلى الملايين من المشردين.. ومن العسير على أى قائد عسكرى أن يأتى بتبرير لحادث إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما أو ناغازاكى، حيث قتل مئة ألف شخص فى غمضة عين، وأصيب ما يقرب من ضعف هذا العديد بجراح خطيرة.. كانت القوات اليابانية قد هزمت، وكانت قضية التسليم مسألة ساعات أو أيام، ولم يكن هناك أى داع لتنفيذ مثل هذا العمل الجهنمىّ.. والتعليل المنطقى الوحيد هو أن القوى الخفية قد قررت استعراض هذا السلاح الأحدث بين أسلحة الدمار، لتذكير ستالين بما يمكن أن يحدث إذا ما تمادى فى مطالبه.. وهذا هو العذر الوحيد، وهو لا يشكل حتى مجرّد شبه تبرير لهذه الجريمة الشنعاء التى ارتكبت ضد الإنسانية.

ولكن القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية لم تعودا الآن أشد الأسلحة المدمرة فتكا.. إن غاز الأعصاب الذى شرعت الكتلتان الشيوعية والرأسمالية بتجميعه فى المخازن قادر على مسح كل المخلوقات الحية من على وجه الأرض.. إن إفناء كل أثر للحياة البشرية فى منطقة ما، أصبح الآن يخضع للمتطلبات العسكرية والاقتصادية التى تخدم أهدافهم.

وتستطيع القوات الغازية بعد أيام قليلة من استعمال الغاز، اجتياز المناطق الملوثة دون ما خطر، وستكون هذه المناطق آنئذ مناطق أموات، بيد أن الأبنية والآلات تبقى سليمة دون مساس.

كتب أدمون بورك ذات مرة: «كل ما تحتاج إليه قوى الشر لتنتصر هو أن يمكث أنصار الخير بدون عمل ما».. وإنها لحقيقة كبيرة تلك التى كتبها بورك.

إن دراسة الأديان المقارنة، بالعلاقة مع الظروف التى نخبرها اليوم، تسلم الدارس غير المتحيز إلى الاستنتاج الذى يقول إن هؤلاء الذين يؤمنون بالله والحياة الأخرى ينعمون بعقيدة قائمة على الحب والأمل، أما الإلحاد فيقوم على الحقد واليأس الأسود.. ولم يحدث فى التاريخ أن شهد العالم محاولة لإدخال العلمانية إلى حياتنا كما حدث سنة ١٨٤٦، حينما أصر هوليوك وبراد لو وأمثالهما على رأيهم القائل إن اهتمامات الإنسان يجب أن تقتصر على مصالحة الحياتية الحاضرة.

ودعاة العلمانية هؤلاء هم السابقون لهذا القطيع من الرسل المزيفين وأشباه المسيح من مثل كارل ماركس وكارل ريتر ولينين وستالين وهلتر وموسولينى.. لقد خدع هؤلاء الملايين من البشر بالأمارات والعجائب التى صنعوها، كما خدعوا العديد من المسيحيين المؤمنين الذين كان عليهم أن يكونوا أكثر فهما وإدراكا.

■ ■ ■

اليهود

أصل اليهود:

نحن نطلق اليوم اسم اليهودى بشكل عام على كل شخص اعتنق يوما الدين اليهودى.. والواقع هو أن الكثيرين من هؤلاء ليسوا ساميين من حيث الأصل العرقى، ذلك أن عددا ضخما منهم منحدرون من سلالات الهيروديين أو الأيدوميين ذوى الدم التركى المنغولى.

شرعت الأعراق غير الساميّة والتركية والفنلندية فى القدوم إلى أوربا، قادمة من آسيا منذ القرن الأول الميلادى، عبر الممر الأرضى الواقع شمالى بحر قزوين.. ويطلق على هذه الشعوب الوثنية اسم «الخزر».. وقد استقروا فى أقصى الشرق من أوروبا، حيث شكلوا مملكة الخزر القوية، ثم بسطوا سلطانهم شيئا فشيئا بواسطة الغزوات المتكررة، حتى سيطروا فى نهاية القرن الثانى على معظم المناطق الواقعة فى أوروبا الشرقية غربى جبال الأورال وشمالى البحر الأسود.

وقد اعتنق الخزر اليهودية آنئذ، مفضلين إياها على المسيحية أو الإسلام، وبنوا الكنائس والمدارس لتعليم الدين اليهودى فى سائر أنحاء مملكتهم.. وكان الخرز إبان ذروة قوتهم يجبون الجزية من خمسة وعشرين شعبا قهروهم.

وقد عاشت دولة الخزر ما يقارب الخمسمئة عام، حتى سقطت فى نهاية القرن الثالث عشر فى أيدى الروس الذين هاجموهم من الشمال.

وقد انتقلت الروح الثورية من الخزر اليهود إلى الإمبراطورية الروسية،

واستمرت حتى ثورة تشرين الأول الحمراء سنة ١٩١٧م.

إن غزو الخزر فى القرن الثالث عشر يبيّن لنا أن الكثير من الناس الذين نطلق عليهم اسم اليهود قد بقوا فى الواقع داخل الإمبراطورية الروسية.

والحقيقة الأخرى هى أن الفنلنديين والمجموعات الأخرى التى تصنف تحت الجنس الروسى، لم تكن من أصل آرى.. وقد اعتبرها الشعب الألمانى أعداء وعاملها على هذا الأساس.

المرابون:

سيرة حياة المسيح ترينا أنه أحب كل الناس ماعدا مجموعة واحدة خاصة.. لقد كره المرابين بعنف يبدو صدوره غريبا من رجل له مثل وداعة المسيح.. وهاجمهم بقوة مرات متكررة لأكلهم الربا، وفضحهم ووسمهم بعبادة المال، وقال عنهم: إنهم من كنيس الشيطان.. وجاء التعبير القوىّ عن كره المسيح لصرافى النقود، عندما أخذ السوط وطردهم خارج الهيكل، مقرعا إياهم بهذه الكلمات: «كان هذا الهيكل بيتا للرب.. ولكنكم حولتموه إلى مغارة للصوص».. وبقيام المسيح بهذا العمل الانتقامىّ ضد صرافى النقود، كان يوقع وثيقة موته بنفسه.

ويرينا التاريخ أن صرافى النقود العالميين أخذوا يستعملون الغوغاء فى مخططاتهم السرية.. إن النورانيين يوجهون كل القوى الشريرة فى العالم.

يثبت التاريخ أن سينيكا الفيلسوف والمصلح الرومانى (٤ ق.م - ٦٥ م) قد مات لأنه حاول - كما فعل المسيح من قبله - فضح العمليات الفاسدة والنفوذ الشرير اللذين يمارسهما المرابون الذين تسربوا إلى روما.. وكان سينيكا مربى نيرون ومعلمه الخاص، وعندما أصبح هذا إمبراطورا لبث الفيلسوف مستشاره وصديقة المخلص.. ولكن نيرون ما لبث أن تزوج من يوبايا التى أوقعته فى حبائل المرابين الأشرار.. وهكذا أصبح نيرون واحدا

من أسوأ حكام التاريخ سمعة، وانحدرت شخصيته إلى الدرك الأسفل من السفالة واللؤم، حتى إنه ما كان يعيش إلا لتحطيم كل شىء صالح، وأخذت أعماله الانتقامية تأخذ شكل العدوان العلنى.. وهكذا فقد سينيكا كل تأثير كان له على نيرون ولكنه لم يتوقف أبدا عن التقريع العلنى للمرابين بسبب نفوذهم الشرير وممارستهم الفاسدة.

وفى النهاية طالب المرابون نيرون أن يتخذ الإجراء الذى يسكت سنيكا الذى كان يتمتع بشعبية كبيرة.. وهكذا أمر نيرون سنيكا أن ينهى حياته بنفسه!

كانت تلك أول حاله شهيرة أجبر فيها المرابون شخصية شرعت فى إثارة المتاعب بوجههم، على الانتحار، ولكنها لم تكن الحالة الأخيرة إذ تجد عبر التاريخ عددا من قصص الانتحار المماثلة وجرائم القتل التى أضفى عليها طابع الحوادث أو الانتحار.

إن قضية جيمس فورستال هى واحدة من أسوأ الأمثلة على ذلك فى السنوات الأخيرة.. فى عام ١٩٤٥ كان اقتناع فورستال يتجه إلى أن أصحاب المصارف الأميركيين يشكلون خفية جماعة واحدة، مع أصحاب المصارف العالميين الذين يسيطرون على ماليات فرنسا وإنكلترا وسائر الدول.. واقتنع، كما تقول مذكراته، أن بارونات المال العالميين كانوا هم المسئولين المباشرين عن اندلاع نيران الحربين العالميتين الأولى والثانية.. ولقد حاول إقناع الرئيس روزفلت وسائر رسميى الحكومة على أعلى المستويات بهذه الحقيقة.. ولا نعلم بعد ذلك ما إذا كان قد فشل فى ذلك وانتحر نتيجة ليأسه، أم أنه قد اغتيل لإطباق فمه إلى الأبد.. وقد أصبحت عمليات القتل التى يُضفى عليها طابع الانتحار وسيلة سياسية مقبولة فى المؤامرات العالمية عبر القرون.

الاحتكارات اليهودية فى التاريخ:

أصدر الإمبراطور الرومانى يوستنيافوس الأول (٤٨٣ ـ ٥٦٥ م) قانونه المعروف باسم «القوانين المدنية»، والذى حاول فيه وضع حد للأعمال غير المشروعة التى كان التجار اليهود يلجأون إليها فى التجارة والمبادلات.. ولكن التجار اليهود لم يكونوا سوى عملاء للنورانيين، وقد تمكنوا بواسطة التجارة غير المشروعة وعمليات التهريب واسعة النطاق الحصول على امتيازات مجحفة على غيرهم من التجار، وهكذا تمكنوا من إفلاسهم وإخراجهم من ساحة العمل.. وقد بقى قانون يوستنيانوس حتى القرن العاشر المصدر الحقوقى الأساسى، ولا يزال يعتبر حتى يومنا هذا من أهم المراجع فى الحقوق والأحكام.. ولكن المرابين استطاعوا بدهائهم أن يقلبوا الخير الذى كان يوستنيانوس فى سبيل القيام به.. وتصف موسوعة فنك أند واغناز Funk and Wagnalls اليهودية وضع التجار اليهود فى تلك الأيام كما يلى: «لقد تمتع اليهود آنئذ بكامل حريتهم الدينية، حتى إن بعض المراكز الصغرى فى الدولة كانت مفتوحة لهم.. وكانت تجارة العبيد تشكل المصدر الأول لثروة بعض اليهود الرومانيين، ولكن قوانين عديدة صدرت لمحاربة هذه التجارة فى السنوات ٣٣٥ و٣٣٦ و٣٨٤م».

ويكشف لنا التاريخ أن التجار اليهود وصرافى النقود لم يقتصروا فى أعمالهم غير المشروعة على تجارة العبيد، بل كانوا ينظمون ويحتكرون التجارات الفاسدة، من مخدرات ودعارة وتهريب المسكرات والعطور والجواهر والبضائع الثمينة الأخرى.. وتأمينا لمصالحهم وحماية لعملياتهم غير المشروعة، كانوا يلجأون إلى الرشوة وشراء ذمم المسؤولين الكبار.. وهكذا استطاعوا بواسطة المخدرات والمسكرات والنساء تقويض أخلاق الشعب.. ويسجل التاريخ أن يوستنيانوس، وهو إمبراطور روما القوى، لم يكن بالقوة الكافية لوضع حد لتلك النشاطات.

وقد بحث المؤرخ البريطانى إدوارد جيبون (١٧٣٧ ـ ١٧٩٤) فى التأثيرات المفسدة للتجار والمرابين اليهود، ووصفهم بأنه كانت لهم يد طولى فى «انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية».. وكان هذا هو عنوان كتابه.. وتحدث جيبون بإسهاب عن الدور الذى لعبته بوبابا زوجة نيترون، فى التمهيد لتلك الظروف التى جعلت الشعب الرومانى ينظر كالمخمور بدون مبالاة إلى انهياره السريع وتحطمه.. وبسقوط الإمبراطورية الرومانية تأسست السيطرة اليهودية، ودخلت أوروبا إلى ما يدعوه المؤرخون «بالعصور المظلمة».

وتقول الموسوعة البريطانية حول هذا الموضوع ما يلى: «كان لدى التجار والمرابين اليهود ميل شديد للتخصص بالتجارة، وكان مما ساعدهم على الامتياز فى ذلك الحقل، مهارتهم وانتشارهم فى كل مكان.. وكان معظم تجارة أوروبا فى العصور المظلمة فى أيديهم، وخاصة تجارة الرقيق».

ونستطيع أن نلمس آثار تلك السيطرة اليهودية المطلقة، حين نرى مثلا قطع عمله قديمة بولونية وهنغارية تحمل نقوشا يهودية.. ويكشف لنا إلحاح اليهود بهذه الصورة للسيطرة على النقد وجعل إصدار العملة فى أيديهم، أن المرابين اليهود اعتنقوا منذ تلك الأزمنة الشعار الذى اشتهر به بعد ذلك (آمشل ماير باورر) (١٧٤٣ ـ ١٨١٢ م) وهو: «دعنا نتول إصدار النقد فى أمة من الأمم والإشراف عليه، ولا يهمنا بعد ذلك من الذى يسنّ القوانين لهذه الأمة»!!

وقد طرح آمشل ماير باور هذا الشعار على شركائه، ليشرح لهم جوهر الدافع الذى حدا بالمرابين اليهود السعى للحصول على السيطرة على مصرف إنكلترا عام ١٦٩٤م.

الحروب الصليبية:

صمم البارونات ـ وهم الذين كانوا رؤوس الآرية ـ على كسر الاحتكار اليهودى فى التجارة والعملة والمبادلات فى أوروبا.. وكان هذا هو الدافع

الحقيقى لقيامهم عام ١٠٩٥ بالحصول على بركة بعض الزعماء المسيحيين لشن الحروب الصليبية أو الحروب المقدسة.

وبين عامى١٠٩٥ و ١٢٧١ نظّمت ثمانى حملات صليبية، الهدف الظاهر لها هو حماية الحجاج المسيحيين إلى مهد المسيح، وإقامة الحكم المسيحى فى فلسطين.. أما حقيقة الواقع فهى أنها كانت حروبا لتقسيم سكان أوروبا إلى معسكرين متناحرين: الأول مع اليهود والثانى ضدهم.

عام ١٢١٥ عقدت الكنيسة الكاثوليكية المؤتمر المسكونى الرابع، وكان الموضوع الأساسىّ قيد الدرس هو التعديات اليهودية فى سائر الأقطار الأوروبية.. خلال هذه الحقبة من التاريخ كان زعماء الكنيسة وزعماء الدول يعملون متحدين.. ولقد عبر زعماء الكنيسة عن رضاهم التام لجانب استمرار الحملات الصليبية.. وأصدروا كذلك المراسيم والقرارات للحد من الربا الفاحش الذى كان اليهود يمارسونه.. وللتوصل إلى ذلك أصدرت مراسيم تقضى بتحديد إقامة اليهود فى المستقبل بأحيائهم الخاصة، كما منعوا إطلاقا من استخدام المسيحيين لديهم كأجراء أو توكيلهم فى معاملاتهم، وذلك لمنع المرابين والتجار اليهود من اتخاذ المسيحيين واجهات لهم فى أعمالهم، فقد كانوا يعقدون الصفقات المشبوهة بواسطة بعض العملاء المسيحيين، الذين كانوا يتحملون الوزر والعقوبة حين افتضاح الأمور.. كما حظرت القوانين على اليهود استخدام المسيحيات فى منازلهم أو مؤسساتهم، فقد كانوا يغوون تلك الفتيات ويحولونهن إلى عاهرات، يستعملونهن فى الحصول على المال والنفوذ.. ومنعت قوانين أخرى بعد ذلك اليهود من ممارسة بعض العمليات التجارية.. ولكن الكنيسة بكل سلطانها، مدعومة بزعماء الدول، لم تستطع أن تخضع سادة المال للقوانين.. وساهمت تلك القوانين فى إذكاء نار حقد النورانيين على كنيسة المسيح، وشرعوا فى التخطيط لإضعاف الكنيسة وفصلها عن الدولة.. وللوصول إلى هذا الهدف، أخذ النورانيون يبثّون بين العامة فكرة العلمانية واللا دينية.

ملاحقة اليهود فى أوروبا:

عام ١٢٥٣ عمدت الحكومة الفرنسية إلى حل جذرىّ لمشكلة اليهود، فطردتهم جميعا لمخالفتهم القوانين، فاتجه قسم كبير من المطرودين إلى إنكلترا التى ألجأتهم.. وحتى عام ١٢٥٥ كان اليهود قد تمكنوا من السيطرة على عدد من كبار الرجال السلك الكنسى الإنكليزىّ، وعلى الكثير من النبلاء والسادة الإقطاعيين.. وكان هؤلاء المرابون ومن يسمونهم حكماء اليهود ينتمون إلى النورانيين.. وقد تم اكتشاف ذلك خلال التحقيق الذى أمر الملك هنرى الثالث بإجرائه، فى فضائح الاحتيال والرشوة والجرائم التى فاحت روائحها، بعد مقتل سان هيوأوف لينكولن عام ١٢٥٥م.. وقد أثبتت التحقيق أن ثمانية عشر يهوديا كانوا هم الذين ينظمون تلك العمليات فقدموا إلى المحاكمة، وحكم عليهم بالإعدام.

مات الملك هنرى عام ١٢٧٢، وخلفه على عرش إنكلترا الملك إدوار الأول، الذى أصدر أمرا حرم بموجبه على اليهود ممارسة الربا.. ثم استصدر من البرلمان عام ١٢٧٥ قوانين خاصة سميت «الأنظمة الخاصة باليهود».. وكان الهدف منها تقليص سيطرة المرابين اليهود على كافة مدينيهم، ليس فقط من المسيحيين بل حتى من الفقراء اليهود أنفسهم.. ولا يمكن وصم هذه الأنظمة بأنها معادية للسامية لأنها حمت فيمن حمت اليهود المتقيدين بالقوانين.

وقد ظن المرابون اليهود أنهم فى هذه المرة أيضا، سيتمكنون من تحدى أوامر الملك.. وكان خطؤهم كبيرا، إذ أن الملك عمد إلى إصدار قانون بطرد جميع اليهود من إنكلترا.. وكان ذلك بدء المرحلة التى يسميها المؤرخون «الإجلاء الأكبر».

بعد أن خطا الملك إدوار الخطوة الأولى، سارع ملوك ورؤساء أوروبا إلى الاقتداء به.

عام ١٣٠٦ طردت فرنسا اليهود، وتبعتها سكسونيا عام ١٣٤٨، وهنغاريا عام ١٣٦٠، وبلجيكا عام ١٣٧٠، وسلوفاكيا عام ١٣٨٠، والنمسا عام ١٤٣٠، والأراضى المنخفضة (هولندا) عام ١٤٤٤، وأخيرا أسبانيا عام ١٤٩٢م.

ويتخذ طرد اليهود من أسبانيا أهمية خاصة.. ففى القرن الرابع عشر تمكن المرابون اليهود للمرة الأولى من جعل الحكومة الإسبانية تمنحهم حقّ جباية الضرائب من الشعب مباشرة، كضمان للقروض التى كانوا يقدّمونها للحكومة.. واستغل المرابون اليهود هذا الوضع أبشع استغلال، وأبدوا من القسوة والوحشية فى طلب «أقّة اللحم» من الأهالى ما ملأ أفئدتهم بالحقد والغضب، بحيث أضحت شرارة واحدة كافية لتفجير النقمة.. فكانت هذه الشرارة فى الخطابات اللاهية التى ألقاها فرناندو مارتسنسز، والتى هبّ على أثرها الشعب لارتكاب واحدة من أكثر المجازر المعروفة دموية.. وهذا أحد الأمثلة التى دفع فيها اليهود الأبرياء جزاء سياسة زعمائهم المجرمة بحق الإنسانية.

وقد طرد اليهود من ليتوانيا عام ١٤٩٥، ومن البرتغال عام ١٤٩٨، ومن إيطاليا عام ١٥٤٠، ومن بافاريا عام ١٥٥١م.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه خلال هذه الإجراءات، كان بعض المتمولين والمتنفذين من اليهود، يتدبرون أمر الحصول على ملاجئ وسكن لهم فى بوردو وأفينيون، وبعض الممتلكات البابوية، وفى مرسيليا وشمالى الألزاس وقسم من إيطاليا الشمالية.. وكان الأمر كما تقول الموسوعة البريطانية: «ووجدت جماهير اليهود نفسها تصب ثانية فى طريق الشرق، وعلى الأخص فى الإمبراطوريتين البولونية والتركية.. أما الجاليات الضئيلة التى فضّلت معاناة البقاء فى الغرب، فقد كانت خاضعة لكافة القيود التى كانت مفروضة عليها فى المرحلة السابقة».

وهكذا يمكن القول بأن العصور المظلمة لدى اليهود بدأت مع بشائر

عصر النهضة فى أوروبا.. وهذه الحقيقة تدعم صحة النظرية التى يقول بها بعض المؤرخين والتى فحواها أن أمم أوروبا لم تستطع البدء بعصر النهضة والازدهار، إلا بعد أن تمكنت من تحرير نفسها من براثن السيطرة الاقتصادية اليهودية.

حُصرت الجاليات اليهودية فى أوروبا بعد حركات التهجير الكبرى، داخل أحيائها التى سميت بالجيتو، والتى يسميها اليهود الكاحل، حيث فرض على اليهود أن يعيشوا معزولين عن جماهير الشعوب، يحكمهم حاخاماتهم أو حكماؤهم، الذين كانوا بدورهم خاضعين لتوجيهات النورانيين وكبار المرابين اليهود، الذين لبثوا فى مراكزهم التى تمكنوا من الحصول عليها فى بعض المدن الأوروبية.. وكان عملاء النورانيين منبثين فى أحياء الجيتو، ينفثون سموم الحقد والكراهية وروح الانتقام فى قلوب الجماهير اليهودية، من أولئك الذين هجروهم وعزلوهم.. كما كان الحاخامين بدورهم يلقنونهم أنهم «شعب الله المختار»، وأن يوم الانتقام آت دون ريب، وسيرثون الأرض ومن عليها.

وتجدر هنا الإشارة إلى أن معظم اليهود الذين انتقلوا إلى أوروبا الشرقية، فرض عليهم بدورهم العيش فى «مناطق الإقامة» التى سمح لهم بها، والواقعة بصورة عامة على الحدود الغربية لروسيا، من سواحل البحر البلطيقى فى الشمال حتى سواحل البحر الأسود فى الجنوب.. وكان معظمهم من اليهود الخزر فى الأصل.. ويشتهر الخزر من اليهود بثقافتهم المعروفة بـ «اليديش» (وهو اسم لغتهم التى يتكلمون بها)، كما يعرفون بخبثهم وبخلهم الشديد، وأساليبهم المنحطة فى الأمور المالية، وأخلاقهم الدنيئة.. ويجب أن نميز هنا بينهم وبين العبرانيين القدماء الذين ذكرتهم التوراة، فهؤلاء كانوا من الرعاة المهذبين فى الغالب.

كان عملاء النورانيين داخل أحياء الجيتو يذكون نار الحقد ورغبة

الانتقام.. وأخذوا بتنظيم واستغلال هذه الظروف، حتى تحولت إلى حركة ثورية عالمية، هدفها الرعب والتخريب.

نشوء السوق السوداء فى أوروبا

طور سادة المال هذه الحركة الثورية، حتى حولوها إلى الشيوعية العالمية التى نعرفها اليوم.. كانوا ينظمون أعمال العنف الفردية حتى أصبحت حركة ثورية منظمة ووضعوا فيما بعد خطة منظمة لعودة اليهود للبلاد التى طردوا منها عن طريق التسلل، حيث إنهم كانوا ممنوعين قانونيا من الرجوع إلى تلك البلاد.. وحيث إنهم كانوا ممنوعين من الإقامة والحصول على وظيفة، فقد زودوا بمبالغ وأرصدة لإنشاء نظام السوق السوداء، ومارسوا فى هذه الأسواق كل أنواع التجارات والمبادلات المحرمة.. وكانوا يعملون حسب منهج الشركة الاحتكارية الخفية، مما أتاح لبارونات المال الذين يمولون هذه الشبكات أن يبقوا فى الخفاء.

وقد اتجهت شكوك عدد من المؤلفين والمؤرخين ـ أمثال الكونت دى بونسين والسيدة نيستا وبستر والسير والترسكوت ـ إلى أن النورانيين كانوا هم القوة الخفية وراء حركة الثورة العالمية.. يقول الكاتبان وليم فوس وسيسيل غيراهتى فى كتابهما «الحلبة الإسبانية»: «إن مسألة معرفة من هم الزعماء الحقيقيون للشركة الاحتكارية الخفية التى تسيطر على العالم وكيف يصل هؤلاء إلى أهدافهم، هى مسألة خارج مجال هذا الكتاب.. ولكنها ستبقى واحدة من أهم المسائل التى يجب أن تحل.. والذى سيتمكن من كشف هذا اللغز يوما ونشره على الناس، سيكون رجلا من الشجاعة فى القمة، وسيعتبر أن حياته لا قيمة لها إذا ما قيست بالواجب الذى ينتظره، وهو تنبيه العالم ألى ما تبنته جماعة الشيطان الذين نصبوا أنفسهم كهنة لدين خفى يريدون فرضه على العالم».

إننا نستطيع الحكم على نجاح مخطط تسلل اليهود إلى البلاد التى

طردوا منها، بدراستنا للوقائع التالية: فقد عاد اليهود إلى إنكلترا عام ١٦٠٠م، وإلى هنغافوريا سنة ١٥٠٠ ولكنهم طردوا منها ثانية عام ١٥٨٢م.. وعادوا إلى سلوفاكيا سنة ١٥٦٢ ليطردوا منها عام ١٧٤٤م.. وعادوا إلى ليتوانيا عام ١٧٠٠م.. وبصرف النظر عن عدد المرات التى طردوا فيها، فإنهم فى كل مرة كانوا يتركون وراءهم الشبكات الخفية التى كانت تدير وتخطط النشاطات الثورية والاضطرابات للقوى الخفية.

■ ■ ■

النورانيـون

من المعروف إن حاخامى اليهود، يزعمون لأنفسهم السلطة المطلقة فى تفسير ما يسمونه المعانى السرية للكتابات المقدسة، وذلك بواسطة إلهام إلهى خاص.. وليس لهذا الادعاء أهمية تذكر فى حد ذاته، إذا لم يكن بيد هؤلاء جمعية بوسيلة ليضعوا ما تلقوه فى الوحى موضع التنفيذ.. وهكذا اجتمع عدد من المرابين وكبار الحاخامين والمديرين والحكماء، وقرروا أن يؤسسوا مجمعا سريا يعمل على تحقيق أغراضهم، وأسموه «المجتمع النورانى» ..The Illuminati وكلمة نورانى مشتقة من كلمة «لوسيفر» Lucifer التى تعنى «حامل الضوء» أو «الكائن الفائق الضياء».. وهكذا، فإن المجمع النورانىّ قد أنشئ لتنفيذ طقوسهم الخاصة.. وهكذا نرى صوابية تسمية المسيح لهم بكنيس الشيطان.

وكان المجلس الأعلى للمجمع النورانىّ مؤلفا من ثلاثة عشر عضوا.. ويشكل هؤلاء اللجنة التنفيذية لمجلس «الثلاثة وثلاثين».

ويدّعى رؤوس المجمع النورانى اليهودىّ امتلاك المعرفة السامية، فيما يتعلق بشؤون الدين والعقائد والاحتفالات الدينية والطقوس.. وكان هؤلاء هم الذين صمموا العقيدة الإلحادية المادّية، التى نشرت عام ١٨٤٨ فى «البيان الشيوعى» الذى كتبه كارل ماركس.

كان عم ماركس حاخاما من حاخامات اليهود، ولكنه انفصل رسميا من السلك الكهنوتى الأعلى.. وهكذا نجد أن اليهود يعودون مرة أخرى إلى مبدأ الشركة الخفية.

شعار النورانيين:

الهرم:

يرمز إلى المؤامرة الهادفة إلى تحطيم الكنيسة الكاثوليكية - كممثلة للمسيحية العالمية - وإقامة حكم ديكتاتورى تتولاه حكومة عالمية على نمط الأمم المتحدة.

العين التى فى أعلى الهرم ترسل الإشعاعات فى جميع الجهات:

ترمز إلى وكالة تجسس وإرهاب - على نمط الجستابو - أسسها وايزهاوبت تحت شعار الأخوة، لحراسة أسرار المنظمة وإجبار الناس على الخضوع لقوانينها عن طريق الإرهاب.

وكان لهذه الوكالة دور عظيم فى حكم الإرهاب الذى أعقب الثورة الفرنسية.

والكلمتان المحفورتان فى أعلى الشعار Annuit Coeptis تعنيان: أن مهمتنا (مؤامرتنا) قد تكللت بالنجاح.

أما الكلمات المحفورة فى أسفل الشعار Novus Ordo Seclorum: فتفسر طبيعة المهمة، ومعناها «النظام الاجتماعى الجديد».

والجدير بالملاحظة أن هذا الشعار لم تتبنّه الماسونية، إلا بعد دمج الأنظمة الماسونية بالأجهزة النورانية إبان مؤتمر فيلمسباد فى سنة ١٧٨٢م.

■ ■ ■

الثورة الإنجليزية ١٦٤٠ ـ ١٦٦٠

لما كان الملك إدوار الأول ملك إنكلترا، هو أول من طرد اليهود من بلاده، فقد قرر سادة المال اليهود فى فرنسا وألمانيا أن تكون إنكلترا بالذات هى هدفهم الأوّل.

وهكذا شرعت خلاياهم بإثارة الشقاق والمتاعب بين الملك وحكومته، وبين أرباب العمل والمستخدمين، وبين العمال والمالكين، ثم بين الدولة والكنيسة.. ودس المتآمرون نظريات ووجهات نظر متناقضة، تنادى بحلول مختلفة فى أمور السياسة والدين، لشق صف الشعب الإنكليزى وتحويله إلى معسكرات متنابذة.. فقسموا الشعب الإنكليزى أولا إلى معسكرين: بروتستانتى وكاثوليكى.. ثم انقسم المعسكر البروتستانتى إلى طائفتين: الملتزمين والمستقلين.

ولما وقع الخلاف بين ملك إنكلترا شارل الأول وبين البرلمان، اتصل عملاء المرابى اليهودى (مناسح بن إسرائيل)، بالقائد الإنكليزى المعارض أوليفر كرومويل، وعرضوا عليه مبالغ طائلة من المال إن استطاع تنفيذ مشروعهم الخفىّ، الرامى إلى الإطاحة بالعرش البريطانى.

وكان الزعيم البرتغالى اليهودى فرنانديز كارفاجال يلعب دور المخطط الرئيسى للشؤون العسكرية لعمليات كرومويل، فأعاد تنظيم أنصار كرومويل المعروفين بـ «الرؤوس المستديرة»، وحولهم إلى جيش نموذجىّ، وجهزهم بأحسن ما يمكن من الأسلحة والمعدات.. وعندما كانت المؤامرة فى طريق التنفيذ، كان يتم تهريب المئات من المخربين المدربين إلى إنكلترا، للانخراط فى الشبكات الخفية التى كان يديرها اليهود.. والشىء ذاته يجرى فى

أميركا اليوم.

وكانت الشبكات اليهودية الخفية فى إنكلترا آنذاك برئاسة يهودى اسمه دى سوز.. ولقد تمكن اليهودى فرنالديز كارفاجال بنفوذه من تعيين (دى سوز) سفيرا للبرتغال فى إنكلترا.. وكان زعماء الاضطرابات اليهود يجتمعون ويخططون لمؤامراتهم وألاعيبهم فى داره المتمتعة بالحماية الدبلوماسية.

وقد قر قرار المتآمرين أول الأمر على شق الشعب الإنكليزى وإيقاع الخلاف بين الكنيسة والدولة.. وللوصول إلى ذلك أدخلوا إليها مذهب كالفن الذى كان من صنع اليهود.. والاسم الأصلىّ لكالفن هو كوهين، وكان قد غيره إلى كلوفين إبان انتقاله من سويسرا إلى فرنسا للتبشير بدعوته.. و لما انتقل إلى إنكلترا أصبح اسمه كالفن.. ويبين لنا التاريخ كيف أن سويسرا كانت المنشأ الأول للعديد من الثورات والمؤامرات.. كما يبين لنا كيف أن الزعماء الثوريين من اليهود كانوا يغيرون أسماءهم لإخفاء أصلهم الحقيقى.

فى عام ١٩٣٦ وخلال احتفالات منظمة «بناى بريث» اليهودية فى باريس، أكد المحتفلون بحماس بالغ أن كالفن كان يهودى الأصل.

وبالإضافة إلى المجادلات الدينية، كان الزعماء الثوريون ينظمون الجماعات المسلحة لزيادة حدة الاضطرابات فى السياسة والعمل.. ونجد الشرح الوافى لهذه الناحية من خفايا الثورة الإنكليزية والتفاصيل المرتبطة بهذه الفترة فى جزئى المجلد الضخم «حياة الملك شارل الثانى»، الذى وضعه إسحق دزرائيلى (١٧٦٦ ـ ١٨٤٨) أحد كبار اليهود الإنكليز ورئيس الوزارة عدة مرات ووالد بنيامين لورد بيكونسفيلد.. ويبين إسحاق دزرائيلى فى كتابه، أنه حصل على معلومات قيمة من ميلخوار دى سالم Melchior de Sa-lem، اليهودى الذى كان مندوبا لفرنسا لدى الحكومة البريطانية آنذاك.. ويسلط دزرائيلى الضوء فى كتابه، على التشابه الغريب والتماثل، فى أنماط التخطيط والإعدادات، للعمليات التى سبقت كلا من الثورتين الإنكليزية

والفرنسية.. وهكذا فإننا نستطيع أن نرى بجلاء أثر الأيدى الخفية لمنظمى حركة الثورة العالمية فى كلتا الثورتين.

إن الدليل الكامل على إدانة كرومويل باشتراكه فى المخطط الثورى اليهودى العالمى، حصل عليه اللورد (الفريد دوغلاس)، الذى كان رئيسا لتحرير المجلة الأسبوعية «بلين إنجلش»، التى كانت تصدرها شركة النشر الشمالية فى بريطانيا.. وفى مقال له ظهر فى عدد ٣ أيلول ١٩٢١ من هذه المجلة، يشرح اللورد دوغلاس كيف وصل إلى حوزة صديقه السيد (ل. د. فان فالكرت) من أمستردام فى هولندا، مجلد مفقود من سجلات كنيس مولجيم.. وكان هذا المجلد قد فقد خلال الحروب النابليونية، وهو يحتوى السجلات والرسائل التى تلقاها ورد عليها مديرو هذا الكنيس.

وهذه السجلات والرسائل مكتوبة بالألمانية. وواحدة منها، وهى مؤرخة فى السادس من حزيران ١٦٤٧، مرسلة من أ.ك. - أى أوليفر كرومويل - إلى إبنزر برات Ebenezer Pratt وهى تقول:

«سوف أدافع عن قبول اليهود فى إنكلترا، مقابل المعونة المالية.. ولكن ذلك مستحيل طالما الملك شارل لا يزال حيا.. لا يمكن إعدام شارل دون محاكمة، ولا نمتلك فى الوقت الحاضر أساسا وجيها يكفى لاستصدار حكم بإعدامه، ولذلك فنحن ننصح باغتياله.. ولكننا لن نتدخل فى الترتيبات لتدبير قاتل، غير أننا سوف نساعده فى حاله هربه».

وجوابا على هذه الرسالة، كتب الحاخام برات بتاريخ ١٢ تموز ١٦٤٧، رسالة يقول فيها:

«سوف نقدّم المعونة المالية، حالما تتم إزالة شارل ويقبل اليهود فى إنكلترا.. والاغتيال خطر جدا.. ينبغى إعطاء شارل فرصة للهرب، وعندئذ يكون القبض عليه ثانية سببا وجيها للمحاكمة والإعدام.. وسوف تكون

المعونة وافرة.. ولكن لا فائدة من مناقشة شروطها قبل البدء بالمحاكمة».

وفى الثانى عشر من تشرين الثانى من ذلك العام، مهدت الفرصة للملك شارل الأول للهرب.. وقد ألقى القبض عليه بالطبع.. ويتفق المؤرخان البريطانيان الكبيران هوليس ولودلو - وهما الحجة فى تاريخ تلك الحقبة - على أن هرب الملك ثم إيقافه كان من تدبير كرومويل.. وقد جرت الأحداث بعد إيقاف الملك بسرعة، فقد صفى كرومويل جميع أعضاء البرلمان الإنكليزى الموالين للملك.. ولكن المجلس فى جلسته التى عقدها طوال ليلة ٥ كانون الأول من عام ١٦٤٨، قرر - بالرغم من هذه التصفية وبأغلبية أعضائه - قبول التنازلات التى تقدم بها الملك، واعتبارها كافية لعقد اتفاق جديد معه.

وكان معنى ذلك بالنسبة لكرومويل، انتهاء دوره وحرمانه من الأموال التى وعده بها سادة المال العالميون، فتحرك للضرب من جديد.. وأصدر أوامره للكولونيل برايد بتطهير كل أعضاء البرلمان الذين صوتوا إلى جانب عقد اتفاق مع الملك.. والذى حصل بعد ذلك هو ما يعرف فى كتب التاريخ المدرسية بـ «تصفية برايد».. ولم يبق فى المجلس بعد انتهاء هذه التصفية سوى خمسين عضوا، استولوا لحساب كرومويل على السلطة المطلقة.. وفى التاسع من كانون الثانى عام ١٦٤٩ أعلن تشكيل «محكمة العدل العليا»، التى كانت مهمتها محاكمة الملك.. وكان ثلث أعضاء هذه المحكمة من عناصر جيش كرومويل.. وعندما لم يستطيع المتآمرون إيجاد محام إنكليزى واحد يقبل القيام بدور مدع عام ضد الملك، كلف كارفاجال أحد اليهود الأجانب، واسمه (إسحق دوريسلاوس) - الذى كان عميلا لمناسح بن إسرائى فى إنكلترا - بهذه المهمة.. وهكذا أدين شارل الأول بالتهم التى وجهها إليه المرابون العالميون اليهود، لا بالتهم التى وجهها إليه الشعب الإنكليزى.. وفى يوم ٣٠ كانون الثانى ١٦٤٩ نفذ فيه حكم الإعدام بالمقصلة، علنا أمام دار

الضيافة فى وايتهول بلندن.

وهكذا انتقم المرابون اليهود وكهنة كنيس الشيطان لأنفسهم من طرد الملك أدوار لهم من إنكلترا.. وتلقى كرومويل الأموال ثمن جريمته.

لم يكن الانتقام الهدف الوحيد للمرابين العالميين اليهود، بل كان هدفهم الأصيل السيطرة على اقتصاديات إنكلترا وعلى مقاليد الأمور فيها.. وكانوا يخططون لتوريط إنكلترا فى حروب مع الدول الأوروبية، فالحروب تتطلب مبالغ ضخمة من المال، مما يضطر الحكام الأوروبيين للاقتراض من المرابين اليهود.. ويستتبع ذلك ازدياد سريع فى القروض الوطنية للدول الأوروبية.

وإذا ما تتبعنا تسلسل الأحداث من مقتل شارل عام ١٦٤٩ إلى إنشاء مصرف إنكلترا عام ١٦٩٤، لوجدنا كيف أن الديون الوطنية كانت فى ازدياد دائم.. وتمكن الصيارفة العالميون من جعل المسيحيين ينقضّون على بعضهم البعض.

أهم الأحداث:

١٦٤٩: هاجم كروموبل أيرلندا معتمدا على الأموال اليهودية.. ألقى القبض على دروغهيدا Drogheda ووكسفورد.. لوم البروتستانت الإنكليز لاضطهادهم الكاثوليك الأيرلنديين.

١٦٥٠: ثار القائد الإنكليزى مونتروز على كروموبل ولكنه فشل وقبض عليه وأعدم.

١٦٥١: أعد شارل الثانى هجوما على إنكلترا، ولكنه هزم وأبحر عائدا إلى فرنسا.

١٦٥٢: دخلت إنكلترا الحرب ضد الهولنديين.

١٦٥٣: أعلن كروموبل نفسه «السيد الحامى لإنكلترا».

١٦٥٤: اشتبكت إنكلترا فى عديد من الحروب الجديدة.

١٦٥٦: بدأت الاضطرابات فى المستعمرات الأمريكية.

١٦٥٧: موت كروموبل وإعلان ابنه ريتشارد الحامى الجديد لإنكلترا.

١٦٥٩: ريتشارد يشمئز من التآمر المستمر ويعتزل الحكم.

١٦٦٠: الجنرال مونك يحتل لندن.. إعلان شارل الثانى ملكا.

١٦٦١: كشف الستار عن المؤامرات التى اشترك فيها كروموبل وبعض أعوانه، مثل براد شو وإيرتون، وحدوث هياج شعبى فى لندن، حيث نبشت الجثث وعلقت على المشانق.

١٦٦٢: صراع دينى بين الطوائف البروتستانتية، واضطهاد الطوائف التى لم تقبل بالخضوع للكنيسة الرسمية فى إنكلترا (الانجليكانية).

١٦٦٤: تشتبك إنكلترا من جديد بالحرب مع هولندا.

١٦٦٥: أزمة اقتصادية شديدة تحيق بإنكلترا.. البطالة والمجاعة تأخذان بخناق الشعب، وانتشار الطاعون الأكبر.

١٦٦٦: إنكلترا تخوض حربا جديدة ضد فرنسا وهولندا.

١٦٦٧: بدأ عملاء الكابال Cabal صراعا سياسيا ودينيا جديدا.

١٦٧٤: استتباب السلام بين إنكلترا وهولندا.. القوى الخفية تعيد توزيع الأدوار.. ترفيع السيد (وليام مستراد هولدر) الساذج إلى رتبة القائد العام للقوات الهولندية، وأصبح اسمه وليم أمير أورانج.. ترتيب لقاء بينه وبين مارى ابنة دوق يورك.. إبعاد الدوق عن وراثة عرش إنكلترا.

١٦٧٧: تتزوج الأميرة الإنكليزية مارى من وليم أوف أورانج.. ولإيصال وليم إلى عرش إنكلترا، كان ينبغى القضاء على شارل الثانى ودوق يورك.

١٦٨٣: تدبير مؤامرة منزل راى، التى كان هدفها القضاء على شارل الثانى ودوق يورك.. ولكن المؤامرة فشلت.

١٦٨٥: وفاة الملك شارل الثانى وصعود دوق يورك إلى العرش باسم الملك جيمس الثانى.. نشوب حملة إشاعات لتلطيخ سمعه الملك.. إقناع دوق مونمارث - أو رشوته - بتزعم حركة عصيان لقلب الملك.. وفى ٣٠ حزيران نشبت معركة سيدجمور، التى هزم فيها مونمارت وألقى القبض عليه، وتم إعدامه فى ١٥ تموز.. وفى آب شن القاضى جيفريز حملة محاكمات دموية، ذهب ضحيتها حوالى ٣٠٠٠ من أنصار مونمارت، وحكم على ١٠٠٠ آخرين بالبيع كالعبيد.

١٦٨٨: أمرت القوى الخفية وليم أمير أورانج، بإنزال قواته فى إنكلترا على شاطئ توربای، مما أجبر الملك جيمس الثانى على التنازل والهرب إلى فرنسا، فقد أصبح مكروها من الشعب بسبب حملة الإشاعات التى لطخت سمعته، والمؤامرات ضده.. وكذلك بسبب غبائه وعدم كفاءته الشخصية.

١٦٨٩: إعلان وليم ومارى ملكا وملكة على إنكلترا.

السيطرة على اقتصاد إنجلترا:

لم يكن الملك جيمس الثانى ينوى أن يترك العرش هكذا بدون دفاع.. ولكن لما كان الملك جيمس كاثوليكيا، فقد حاولت القوى الخفية إبراز وليم أمير أوارنج كبطل للبروتستانتية.. نزل الملك جيمس فى الخامس من شباط على شاطئ أيرلندا. ثم جرت معركة بورنى التى وقف فيها الكاثوليكيون والبروتستانت وجها لوجه.. ويحتفل البروتستانت فى الثانى عشر من تموز من كل سنة بانتصارهم فى هذه المعركة.. وربما لا يعلم واحد منهم أن هذه المعركة كانت من تدبير المرابين العالميين للوصول إلى السيطرة على مقدرات إنكلترا الاقتصادية والسياسية.. وكان هدفهم الأول هو الحصول على إذن بإنشاء مصرف إنكلترا، وتأمين الديون الوطنية التى استدانتها إنكلترا منهم للقيام بتلك الحروب.. ويرينا التاريخ كيف أنهم ساروا قدما فى تنفيذ

مخططاتهم.. إن الدول والشعوب التى اشتركت فى تلك الحروب والثورات، لم تحصل فى النهاية على أية نتيجة ذات فائدة حقيقية.. كما لم يتم التوصل إلى أى حل مُرضٍ لأى من المشاكل السياسية أو الدينية أو الاقتصادية.. وكان الرابح الوحيد هو تلك الجماعة الصغيرة من المرابين وتجار الحروب الذين كانوا يتولون تمويل تلك الحروب والثورات، وأصدقاؤهم وعملاؤهم الذين كانوا يتاجرون بالأسلحة والذخائر والسفن.

وما أن وصل ذلك القائد الهولندى إلى العرش الإنكليزى، حتى أقنع الخزانة الإنكليزية باستدانة مبلغ ١,٢٥٠,٠٠٠ جنيه من الصيارفة اليهود الذين كان لهم الفضل فى إيصاله إلى العرش.. وتلقّن كتب التاريخ المدرسية أطفالنا اليوم أن المفاوضات التى جرت بشأن هذا القرض أجراها عن إنكلترا مبعوثان هما (جون هوبلن) و(وليام باترسون).. أما الطرف الآخر فى المفاوضات من المرابين المقرضين، فلا تشير إليهم الكتب المدرسية بشىء!!.. وقد بقيت هويتهم مكتومة عبر التاريخ.

وتكشف الوثائق التاريخية التى تسجل تلك المفاوضات، أنها جرت داخل كنيسة مغلقة محافظة على السرية التامة.. ووافق المرابون العالميون على منح الخزانة الإنكليزية قرضا بقيمة ١,٢٥٠,٠٠٠ جنيه، شرط أن يكونوا هم واضعو بنود وشروط الاتفاق.. وقد وافق الجانب الإنكليزى على ذلك.. أما الشروط فهذه بعضها:

١ ـ تبقى أسماء الذين قدّموا القرض سرية، ويُمنحون ميثاقا بتأسيس مصرف إنكلترا.

٢ ـ يمنح مديرو مصرف إنكلترا الحق بتحديد سعر العملة بالنسبة للذهب.

٣ ـ يعطى مديرو المصرف حق إصدار قروض بقيمة عشرة جنيهات، مقابل كل جنية ذهبى يملكونه فى أرصدتهم بالمصرف.

٤ ـ يسمح لهم بتوثيق القرض الوطنىّ، وتأمين دفع الأقساط الرئيسية منه، مع دفع مبالغ الفوائد عن طريق فرض ضرائب مباشرة على الشعب.

وهكذا باع الملك وليام أوف أورانج الشعب الإنكليزى للمرابين اليهود بمبلغ ١,٢٥٠,٠٠٠ جنيه إسترلينى!!.. ووصل هؤلاء أخيرا إلى مآربهم بجعل مصرف إنكلترا تحت سيطرتهم الاقتصادية، وحصلوا على حق إصدار العملة البريطانية، ولم يعد يهمهم بعد ذاك من كان يسن القوانين لتلك الأمة!!

ولإدراك ماذا يعنى مبدأ معادلة العملة بالذهب، يكفى أن نذكر مثالا بسيطا:

باستطاعة مدراء مصرف إنكلترا إصدار قرض بمبلغ ١٠٠٠ جنيه، مقابل كل ١٠٠ جنية ذهبىّ يضعونه فى أرصدتهم كضمانة.. فإذا كانت نسبة الفائدة تبلغ ٥٪ استطاعوا أن يحصلوا على مبلغ ٥٠ جنيها فى السنة، وهذا ما يعادل نصف قيمة مبلغ المئة جنيه الذى رصدوه لضمانه القرض!!.. وإذا ما رغب أحد الأشخاص أو المؤسسات أن يستدين من المصرف مبلغا من المال، كان مدراء المصرف يجبرونه على تقديم رهان من عقار أو سهم أو ممتلكات، يفوق بكثير قيمة القرض.. وإذا ما تأخر عن تسديد الفوائد المترتبة أو المبالغ الأصلية، كان مدراء المصرف يتخذون الإجراءات اللازمة لوضع يدهم على الممتلكات المرهونة.. وبذلك يتمكنون من الحصول على مبالغ تفوق بكثير المبالغ المقترضة.

وكانت النية المبيتة لدى الصيارفة الدوليين، تتجه لعدم تمكين إنكلترا من تسديد القروض القومية أبدا.. كانت خطتهم ترمى إلى خلق ظروف دولية تؤدى إلى توريط جميع الأمم الواقعة بين أيديهم أكثر فأكثر فى الديون.

ولعبت القوى الخفية دورها من وراء الستار وحركت الدمى المناسبة، ومهدت الطريق للحروب التى عرفت «بحرب الوراثة الإسبانية».. وفى عام ١٧٠١ عين دوق مارلبورو قائدا عاما للقوات الهولندية المسلحة، كما نال ـ

على حد قول الموسوعة اليهودية ـ مرتبا سنويا يبلغ ٦٠٠٠ جنيه، من المرابى اليهودى الهولندى سولومون مدنيا.

وترينا الأحداث التى تسلسلت حتى قادت إلى الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، كيف تضخّم مقدار القرض القومى البريطانى، حتى وصل إلى مبلغ ٨٨٥ مليون جنيه بين عامى ١٦٦٨ و١٨١٥م.. وفى عام ١٩٤٥، بلغ القرض مبلغا خياليا يفوق ٢٢ مليار جنيه!!.

■ ■ ■

الثورة الفرنسية ١٧٨٩

إن كلمة «أيدوم» Edam لها دلالتها فى التاريخ اليهودى كما جاء فى الموسوعة اليهودية، وهى تعنى «أحمر».

ويقص علينا التاريخ، كيف أن صائغا يهوديا يدعى (آمشل موسى باور)، أنهكه التجوال فى أراضى أوروبا الشرقية، فقرّ قراره على الاستقرار نهائيا فى فرانكفورت بألمانيا عام ١٧٥٠، حيث افتتح محلا للصرافة فى منطقة جود ينسراس.. وفوق باب دكانه كان يعلق درعا أحمر رمزا لمهنته.. وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الثوريين اليهود فى أوروبا الشرقية اعتمدوا أيضا البيرق الأحمر شعارا لهم، لأن اللون الأحمر يرمز إلى الدم.

ومن المهم لدى دراسة حركة الثورة العالمية أن نتذكر أن «العلم الأحمر» كان رمزا للثورة الفرنسية ولكل ثورة تلتها حتى الآن.

والأكثر من ذلك دلالة، هو أن لينين عندما قلب الحكومة الروسية بتمويل من الصيارفة العالميين وأسس الدكتاتورية الطاغية الأولى عام ١٩١٧، كان تصميمه لراية الدولة علما أحمر فى طرفه مطرقة ومنجل، وتعلو ذلك كله نجمه يهوذا.

روتشلد وإمبراطورية المال اليهودية:

كان لآمشل موسى باور ابن من مواليد عام ١٧٤٣، اسمه آمشل ماير باور.. توفى الأب عام ١٧٥٤ عندما كان ابنه فى الحادية عشرة من عمره.. وكان والده قد دربه على كل ما يتعلق بأمور مهنة الصياغة والربا.

بدأ الابن حياته ككاتب فى مصرف أوبنهايمر.. ولم تمض فترة طويلة

حتى برهن عن حذاقة وموهبة فى شؤون الصيارفة، مما حدا بأصحاب المصرف إلى أن يكافئوه، بإدخاله شريكا جزئيا فى المصرف.. ثم لم يلبث أن عاد إلى فرانكفورت ليتسلم ويدير المؤسسة التى خلّفها أبوه.. وكان الدرع الأحمر لا يزال معلقا بأبهة وفخر فوق الباب.. ولمعرفته بالدلالة السرية لهذا الدرع، قرر آمشل ماير وباور أن يتخذ اسما جديدا لعائلته.. ومعنى الدرع الأحمر بالألمانى روت شيلد ..Roth Schild وهكذا انبثقت إلى الوجود عائلة روتشيلد.

توفى (آمشل ماير باور) عام ١٨١٢، وكان له خمسة من الأولاد دربهم تدريبا دقيقا ليصبحوا من جهابذة المال والذهب.. وكان أقدر هؤلاء الأبناء ناثان، الذى أظهر مقدرة خارقة فى شؤون المال.. حتى إنه أوفد إلى إنكلترا وهو فى عامه الواحد والعشرين، بهدف السيطرة على مقدرات إنكلترا الاقتصادية.. وقد تلقى ناثان روتشيلد لدى سفره مبلغ ٢٠,٠٠٠ جنيه، فاستطاع إثبات مقدرته المالية بتحويلها إلى ٦٠,٠٠٠ جنيه خلال سنوات ثلاث فقط.

وفى عام ١٧٧٣ كان ماير روتشيلد لا يزال فى الثالثة والثلاثين من عمره.. وقد دعا لملاقاته فى فرانكفورت اثنى عشر رجلا من كبار الأغنياء، لإقناعهم بتجميع ثرواتهم وتأسيس مجموعة واحدة، ليكون بإمكانهم أن يمولوا الحركة الثورية العالمية.

وكشف لهم روتشيلد كيف تم تنظيم الثورة الإنكليزية، وبيّن لهم الأخطاء التى ارتكبت.. وكانت الثورة بطيئة جدا وأخذت وقتا طويلا.. ولم تتم تصفية الرجعيين بالسرعة والقسوة الكافيتين.

ويعتمد المخطط الخاص بفرنسا، على المناورة بثرواتهم الضخمة المتحدة، مما سيؤدى إلى خلق ظروف اقتصادية مشبعة بالقلق، بحيث تتفشى البطالة بصورة شاملة بين جماهير الشعب الفرنسى، فتدفعها إلى

حالة قريبة من المجاعة، فتنصب مسؤولية الانهيار الاقتصادى على عاتق الملك والبلاط والنبلاء والكنيسة والصناعيين وأرباب العمل، ويندس المحرضون والدعاة المأجورون بين صفوف الشعب، ليشيعوا مشاعر الحقد والبغضاء، ويطالبوا بالانتقام من الطبقات الحاكمة، التى يشهّرون بها بالفضائح الجنسية، كما يلصقون بها كل أنواع الاتهامات الحقيقية والباطلة.

وفيما يلى نسخة ملخصة لخطة العمل هذه تبين طبيعة المؤامرة التى رسمها هؤلاء آنئذ للسيطرة على الثروات والموارد الطبيعية واليد العاملة فى العالم (لاحظ أنّ الكلام التالى هو بروتوكولات حكماء صهيون):

١ ـ بدأ روتشيلد كلامه بشرح أبعاد الخطة قائلا: بما أن أكثرية الناس تميل إلى الشر أكثر من ميلها إلى الخير، فإن الوسيلة المثلى للحصول على أطيب النتائج فى الحكم هى استعمال العنف والإرهاب، وليس استعمال المناقشات العلمية الهادئة.. فالقانون بحسب رأيه ليس إلا القوة المقنعة.. وتوصل إلى الاستنتاج المنطقى الذى يقول إن «قوانين الطبيعة تقضى بأن الحق هو القوة».

٢ ـ ثم أكد روتشيلد أن الحرية السياسية ليست إلا فكرة مجردة ولن تكون حقيقة واقعة.. ويستنتج من ذلك أن كل ما يقتضيه الوصول إلى السلطان السياسىّ، هو أن يبشر شخص ما أو هيئة ما بالتحرر السياسى بين الجماهير، حتى إذا آمنت هذه الجماهير بتلك الفكرة المجردة، قبلت أن تتنازل عن بعض امتيازاتها وحقوقها دفاعا عن تلك الفكرة.. ويستطيع المتآمرون آن يستولوا على هذه الامتيازات والحقوق.

٣ ـ وأكد روتشيلد بعد ذلك أن سلطة الذهب قد تمكنت من انتزاع مقاليد الحكم من الحكام الأحرار.. وذكر مستمعيه بأن الدين كان هو المسيطر على المجتمع ذات يوم.. ثم لما استعيض عن الدين بالحرية، أضحى الناس لا يعرفون كيف يستعملون هذه الحرية باعتدال.. ودفعه ذلك إلى

الاستنتاج أن بإمكان المتآمرين أن يستعملوا فكرة الحرية لإثارة النزاعات الطبقية داخل المجتمع الواحد.. وأضاف أنه لن يكون مهما بالنسبة لنجاح مخططنا على الإطلاق أن يتم تدمير الحكومة القائمة من الداخل أو من الخارج، لأن المنتصر كائنا من كان سوف يحتاج إلى «رأس المال» وهو بكامله بأيدينا نحن.

٤ ـ وأعلن روتشيلد بعد ذلك أن الوصول إلى الهدف يبرر استعمال أية وسيلة كانت، لأن الحاكم الذى يحكم بموجب القواعد الخلقية ليس بالسياسى الماهر فى المناورات لأنه يلتزم بالحق والشرائع ولا يقبل بالكذب على الجماهير، وهكذا يكون وضعه ضعيفا ومعرضا دائما للهزات. ثم أضاف قائلا: «يجب على الذين يرغبون فى الحكم أن يلجئوا إلى الدسائس والخداع والتلفيق لأن الأخلاق الاجتماعية الكبرى كالصدق والاستقامة ما هى إلا عيوب كبرى فى السياسة».

...... سأختصر هذا الجزء، حيث يمكنك قراءة مختصر البروتوكولات فى المقال الخاص بها.

■ ■ ■

أنا على اقتناع بأن الوثائق التى وقعت عام ١٩٠١ بحوزة البروفيسور نيلوس الروسى، والتى نشرها فى كتاب تحت عنوان «الخطر اليهودى» عام ١٩٠٥ فى روسيا، لم تكن إلا نسخة موسعة عن المؤامرة الأصلية.. ويبدو من مقارنة النصوص أن القسم الأول مطابق لما أوردت.. ولكن هناك بعض المعلومات الإضافية التى تكشف كيف أن المتآمرين استعملوا الداروينية والماركسية، وحتى المبادئ التى قامت عليها فلسفة نيتشه.. والأهم من ذلك كله أن تلك الوثائق المكتشفة عام ١٩٠١، تكشف كيف أن الصهيونية ستستعمل كسلاح جديد فى المؤامرة.. وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الصهيونية لم تولد إلا عام ١٨٩٧م.

وقد ترجم كتاب «الخطر اليهودى» إلى الإنكليزية السيد فكتور مارسدن، وطبعته شركة مطبوعات بريتونز فى لندن بإنكلترا تحت عنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» عام ١٩٢١م.

■ ■ ■

وقد يدور فى الذهن السؤال التالى: ما هو البرهان على صحة انعقاد تلك الاجتماعات السرية؟.. وإذا تأكدنا من انعقاد هذه الاجتماعات. فكيف نثبت أن مثل هذه المواضيع بحثت خلالها؟

والجواب على ذلك فى منتهى البساطة.. إن العناية الإلهية هى التى تولت كشف تلك الخطة الشيطانية.

عام ١٧٨٥ كان أحد الفرسان يغزّ السير بجواده بين فرانكفورت وباريس، حاملا معلومات مفصلة حول الحركة الثورية العالمية عامةً، وتعليمات خاصة حول الثورة الفرنسية.. كانت تلك التعليمات صادرة عن النورانيين اليهود فى ألمانيا، وموجهة إلى السيد الأعظم لماسونى الشرق الأكبر فى فرنسا.. وكانت محافل الشرق الأكبر الماسونية فى فرنسا قد تحولت إلى شبكات سرية تعد للثورة وأعمال العنف، على يد الدوق دورليان السيد الأعظم لماسوني فرنسا.

أصيب ذلك الفارس بصاعقة فى طريقه عبر منطقة راتيسبون قضت عليه.. ووقعت الوثائق التى يحملها بحوزة رجال الشرطة، الذين سلموها بدورهم إلى السلطات المحلية فى بافاريا.. وهكذا نرى فى حال دراستنا لتطور الأحداث، الارتباط القائم بين دار روتشيلد واليهود النورانيين فى فرانكفورت، والنورانيين المتسللين داخل الماسونية الفرنسية الحرة، والذين أسسوا محافلهم الخاصة المعروفة بمحافل الشرق الأكبر.

تخطيط الثورة:

بدأ العملاء النورانيون بالاحتكاك بالمركيز ميرابو.

كان ميرابو ينتمى إلى طبقة النبلاء، ويتمتع بنفوذ كبير فى أوساط البلاط الملكى.. كما كان صديقا حميما للدوق الذى اختير ليكون الواجهة الظاهرة للثورة الفرنسية.. والأهم من ذلك كله، كان المركيز ميرابو مجردا من الأخلاق، وكانت حياته مليئة بالفواحش، مما أدى إلى وقوعه فى الديون الباهظة.

كان من السهل إذن على كبار المرابين، جعل عملائهم يتصلون بميرابو، الخطيب الفرنسى الشهير.. وتحت ستار الصداقة والإعجاب بالمواهب الخطابية، كان هؤلاء العملاء يعرضون على ميرابو مساعداتهم المالية لإنقاذه من مصاعبه المادية.. ولكن ما كانوا يقومون به فى الواقع، هو تدبير انغماسه فى هوة الرذيلة والإباحية إلى أخفض درجاتها.. وهكذا انتهى به الأمر إلى أن أصبح مدينا لهم بمبالغ طائلة، جعلته تحت رحمتهم وطوع إرادتهم.. وفى اجتماع عقد لتوثيق ديونه تم تعريف ميرابو باليهودى الكبير موسى مندلوهن، الذى وضعه تحت رعايته، وتولى تعريفه فى الوقت المناسب، بامرأة حسناء اشتهرت بجمالها وسحرها، كما اشتهرت بتجردها من أى وازع أخلاقى.

كانت هذه اليهودية الحسناء متزوجة من رجل يدعى هيرز.. ولكن هذا لم يزد ميرابو إلا ولعا بها ورغبه فيها.. ولم تمض فترة طويلة حتى أصبحت تقضى مع ميرابو من الوقت أكثر مما تقضى مع زوجها!.. وهكذا أصبح ميرابو بلا حول ولا قوة، مربوطا بالديون الباهظة ومفتونا بسحر السيدة هيرز من جهة أخرى.

وهكذا ابتلع الطعم مع الصنارة!.. ولكن العملاء، كما يفعل الصيادون المهرة، لم يضيقوا عليه الخناق بادئ الأمر.

كانت الخطوة التالية إدخاله إلى النورانية.. وكان عليه أن يقسم أغلظ الأيمان للمحافظة على السرية والطاعة تحت طائلة التهديد بالقتل.. والخطوة التى تلت ذلك هى زجه بمواقف معينة، أخذت بعد مدة طريقها إلى الشيوع بصورة غامضة.. وقد سمى هذا الأسلوب الذى يؤدى إلى تحطيم الصورة المعنوية والاجتماعية لشخص ما فيما بعد «الفضيحة أو التلطيخ أو التشهير».. وكانت النتيجة المباشرة لهذه الفضائح وحملة التشهير، أن تنكر لميرابو زملاؤه وأقرانه من طبقته الاجتماعية.. وأدت إلى امتلاء ميرابو بمشاعر الحقد، التى تحولت إلى رغبة فى الانتقام، وتفجرت باعتناقه مبادئ القضية الثورية.

لقد كانت مهمة ميرابو العمل على إغراء الدوق دورليان، وإقناعه بأن يقوم بدور القائد للثورة الفرنسية.. وكان الاتفاق الضمنىّ قد تم على أن ينصّب الدوق دورليان نفسه على العرش بعد الملك كحاكم ديمقراطى.. وقد حرص مخططو مؤامرة الثورة الفرنسية على أن يتجنبوا إعلام أىّ من ميرابو والدوق دورليان أنهم ينوون إعدام الملك والملكة والألوف من النبلاء.. وأقنعوهما بأن هدف الثورة ليس إلا تطهير السياسة والدين من الخرافات والطغيان.

وعهد إلى آدم وايزهاوبت بمهمة تنسيق الطقوس والشعائر النورانية لاستعمالها فى محافل الشرق الأكبر الماسونية.. كان وايزهاوبت يعيش فى فرانكفورت.. ولقد قام ميرابو بتعريف الدوق دورليان وصديقه تاليران إلى وايزهاوبت، الذى تولى بدوره مهمة تعريفهما بأسرار محافل الشرق الأكبر الماسونية.. وشرع الدوق دورليان بإدخال طقوس الماسونية الجديدة - ماسونية الشرق الأكبر - إلى الماسونية الفرنسية الحرة.. ولم يأت العام ١٧٨٩ حتى كان هناك أكثر من ألفى محفل فى فرنسا تابعة لماسونية الشرق الأكبر، تضم تشعباتها أكثر من مئة ألف عضو.. وهكذا تمكنت النورانية اليهودية بإشراف موسى مندلسوهن، من النفاذ إلى قلب الماسونية الأوروبية الحرة، على يد آدم وايزهاوبت.

وقام النورانيون اليهود بعد ذلك، بتشكيل لجان ثورية سرية داخل المحافل الماسونية.. وهكذا تأسست القاعدة الصلبة للحركة الثورية فى فرنسا، فى التشكيلات السرية التابعة للمحافل.

بعد أن نجح ميرابو بمهمته، أخذ يدفع صديقه للانزلاق فى الرذيلة والفجور، حتى هوى إلى نفس الدرك الذى كان هو قد وصل إليه من قبل، وقاده إلى العزلة الاجتماعية.. ولم تمض أربع سنين، حتى ناء كاهل الدوق دورليان بالديون الباهظة، بحيث لم ير مفرا من الاقتناع باللجوء إلى طريقة خطرة، هى الاشتراك فى عمليات التهريب والتجارة المحرمة حتى يسترد بعض خسارته.. إلا إن مغامراته كانت دائما تبوء بالفشل ويفتضح أمرها بطريقة غامضة، مما زاد موقفه سوءا وحمله خسائر أفدح.

وفى عام ١٧٨٠ بلغت ديونه مبلغ ٨٠٠,٠٠٠ ليره فرنسية.. وحينئذ تقدم المرابون ثانية، وشرعوا يقدمون له النصائح المتعلقة بأعماله المالية، ويمدونه بالمعونة النقدية.. وحبكوا دسائسهم حوله، واستخدموا مهارتهم فى المناورة، حتى وصلت أوضاعه إلى درجة من السوء، لم يجد معها بدا من رهن جميع أملاكه وأراضيه وقصوره، بما فيها القصر الملكى المخصص له، كضمان للديون التى بذمته.. ثم وقّع الدوق دورليان عقدا يإذن لدائنيه اليهود، بإدارة كل ما يخصه من أرض وممتلكات، حتى يؤمنوا له مبلغا يكفى لسداد ديونه، ويعطوه دخلا مناسبا ثابتا يمكّنه من العيش.

لم يكن الدوق دورليان يوما بالرجل الألمعى فيما يختص بالقضايا المالية.. وكان أغلب الظن لديه وهو يوقع العقد مع الصيارفة اليهود، أن الاتفاق صفقة سليمة.. فقد تعهد المرابون بإدارة ممتلكاته وتحويل عجزه المالى إلى نجاح.. وهل كان يريد أكثر من ذلك؟.. لا ريب فى أن الدوق لم يكن يشك أبدا فى أنه بتوقيعه ذلك العقد، باع نفسه جسدا وروحا إلى الشيطان.. ولكنه فعل ذلك وأصبح بين أيدى العملاء بكلّيّته.

وعينت القوى الخفية يهوديا من أصل إسبانىّ، للإشراف على أملاك الدوق دورليان وعلى قصره الملكىّ «الباليه رويال».. وكان اسم هذا المشرف اليهودى شودرلوس دى لاكلوس.. وكان شودرلوس معروفا بكتابه «العلاقات الخطرة»، وغيره من الكتب الجنسية الفاضحة.. وكان يدافع علنا عن فسقه المتمادى، بأنه إنما يدرس سياسة الحب من كل جوانبه لأنه مغرم بالسياسة!!

وقد حول قصر الدوق الذى عهد به إليه، إلى أضخم وأشهر دار للتهتك عرفها العالم حتى ذلك الوقت.. ليصبح المركز الذى تصمم وتنفذ فيه، تفاصيل الحملة الهادفة إلى تحطيم المعتقدات الدينية والأخلاق العامة فى فرنسا.. وكان كل هذا يتم على أساس المبدأ الحاخامى: «أفضل الثوريين شاب مجرد من الأخلاق»!

ولم يكن شودرلوس دى لاكلوس وحيدا فى مهمته، بل كان له شريك يهودى أيضا اسمه كاغليوسترو بجوزيف بالسامو من باليرمو.. وقد حول هذا أحد منازل الدوق إلى مركز للطباعة، أخذ يصدر منه المنشورات والإعلانات الثورية.. كما قام بتنظيم لجنه الإعلاميين الثوريين المحرّضين، الذى كانت مهمتهم نشر الأدب الثورى، وتنظيم الحفلات الموسيقية، والمسرحيات والاجتماعات الخطابية للمناقشة.. كان الهدف من كل ذلك إثارة المشاعر لدى الجماهير والتمهيد للثورة.. كما قام بالسامو بتنظيم حلقة من الجواسيس والعيون، لكى ينقلوا معلومات الفضائح لأسيادهم من رجال القوى الخفية، لكى يقوموا باستغلالها فى قضايا التشهير بالشخصيات الاجتماعية المرموقة.. وكان الرجال والنساء الذين يقعون فى شباك لاكاوس وبالسامو، لا يلبثون أن يصبحوا فريسة للابتزاز، حتى يصبحوا أداة طيعة ينفذون ما يؤمرون به.

وهكذا تحولت ممتلكات الدوق دورليان إلى مركز لتدبير الثورة.

وتغلغلت الخلايا فى قاعات الاجتماعات والمسارح والمعارض الفنية

والنوادى الرياضية، فتحوّلت إلى قاعات للمغامرة ومنازل للدعارة وحانات لتعاطى الخمور والمخدرات.. وكان زعماء الثورة الفرنسية المنتظرون محاطين بهذا الجو الموبوء، حيث تتعطل ضمائرهم، ثم يقضى عليها إلى الأبد بتشجيعهم على الانغماس فى أعمال الشر والرذيلة.

وكتب سكادر فى كتابه «أمير الدم»، فى معرض حديثه عن قصر الباليه دويال: «لقد كان هذا القصر يشغل رجال الشرطة، أكثر مما تشغلهم بقية المناطق فى باريس كلها مجتمعة».

■ ■ ■

أرسلت شقيقة الملكة أنطوانيت إليها عددا من الرسائل الشخصية، تنبهها فيها بوجود مخطط المؤامرة، واضطلاع أصحاب المصارف العالميين فيها، والدور الذى ستلعبه محافل الماسونية الحرة الفرنسية فيها.. ولكن مارى أنطونيت (١٧٥٥ ـ ١٧٩٣)، لم تستطع أن تصدق هذه الأشياء المخيفة.. وجوابا على تحذير أختها بأن النورانيين فى فرنسا يعملون تحت ستار الماسونية الخيرية لتدمير الدولة والكنيسة، أرسلت مارى انطوانيت إلى أختها تقول: «إن قلقك مبالغ فيه بشأن الماسونية، فهى هنا أقل أهمية منها فى أى مكان آخر فى أوروبا».

ولقد بين التاريخ مدى الخطأ الذى وقعت فيه مارى إنطوانيت، فهى برفضها المستمر أن تعير الاهتمام لتحذيرات أختها، أودت بنفسها وبزوجها إلى المقصلة.

ويعتقد معظم دارسى التاريخ، أن الملكة مارى إنطوانيت كانت امرأة لعوبا انساقت وراء تيار المرح والملذات الذى كان يسود البلاط الفرنسى، كما يتحدثون عن قضايا غرامية كثيرة ومثيرة ينسبونها إليها كحقيقة واقعة، مثل خيانتها لزوجها مع أصدقائه وحياتها الخليعة المتهورة.. والواقع هو أن

صورة مارى إنطوانيت تلك، لم تكن إلا الصورة التى قام برسمها بالسامو وزملاؤه، فى نطاق حمله التشهير الواسعة التى شنوها عليها.. وساعدهم ترسيخ هذه الصورة فى عقول الجماهير، على جعل الشعب يطالب برأسها بعد الثورة.. ولقد برهن المؤرخون أن الروايات المروية عن مارى أنطوانيت ليست إلا أكاذيب وتلفيقات.. ويؤكد لنا هذه الحقيقة الصبر الشديد الذى قابلت به مكائد أعدائها، والأنفة التى واجهت بها مصيرها، والشجاعة التى تحلت بها عند تقديمها للمقصلة.. وهذه الصفات لا يمكن أن تكون لامرأة خليعة ماجنة.

وللإمعان فى تلطيخ سمعه الملكة، ابتكر وايزهاوبت ومندلسوهن قضية عقد الجوهر.. وهذه القضية تتلخص كما يلى:

فى ذلك الوقت كانت الخزينة الفرنسية فى أسوأ حالاتها، وكانت الحكومة الفرنسية تستجدى بارونات المال ليمدوها بالمزيد من القروض.. فى ذلك الوقت اتجه عميل سرى من عملاء رؤوس المؤامرة إلى جوهرىّ البلاط، حاملا إليه طلبا مزعوما باسم الملكة لصنع عقد من الجواهر الثمينة شبيه بالعقود الأسطورية، إذ بلغ ثمنه ربع مليون ليرة فرنسية.. فقام الصائغ بصنع هذا العقد وقدمه إلى الملكة لتحكم عليه، ولكنها رفضت العقد بصورة قاطعة، كما نفت علمها بأية رسالة منها بهذا الصدد.. بيد أن الأقاصيص عن هذا العقد الخيالىّ، كانت قد شاعت فى كل مكان كما شاء لها المخططون.. ودارت آله الدعاية التى يشرف عليها بالسامو، فلم تلبث مارى أنطوانيت أن غرقت فى طوفان من الانتقادات، وتعرضت شخصيتها للتلطيخ، وسقطت سمعتها فى الأوحال.. وعندما وصلت الحملة إلى هذه الذروة، ضرب بالسامو ضربته الرئيسية، فدارت مطابعه لتطبع الآلاف تلو الآلاف من المنشورات التى تندد بالملكة، زاعمة أن عشيقا سريا لها هو الذى أهداها هذا العقد إعجابا بمفاتنها!

على أن الأمـور لم تقف عند هذا الحـد، بل ابتكر مـخططو التشـهـير فكرة أكثر خبثا وشيطانية من الأولى لتلطيخ سمعه الملكة.. فقد كتبوا رسالة إلى الكاردينال برنس دى روهان، تحمل توقيعا مزيفا للملكة.. وفى الرسالة طلب من الكاردينال موافاة الملكة فى قصر الباليه رويال فى منتصف الليل، للتباحث بشأن العقد.. وعهد المتآمرون إلى إحدى غانيات هذا القصر بالتنكر بزى الملكة ومقابلة الكاردينال ليلا.. وكان أن وصلت القضية إلى الصحف والمنشورات، وانتشرت الأهازيج الجنسية الرخيصة، التى تتناول اثنين من كبار شخصيات الدولة والكنيسة.

ويسجل التاريخ أن عقد الجوهر ـ بعد أن أدى مهمته الشريرة فى فرنسا ـ نقل إلى إنكلترا.. ويقال إن معظم هذه حباته محفوظة بشكلها الأصلى لدى يهودى يدعى إلياسون.

وهناك برهان قاطع آخر على ارتباط المرابين اليهود فى إنكلترا بالمؤامرات التى أدت إلى القيام الثورة الفرنسية.. وقد نبشت هذا البرهان الليدى كوينزبورو مؤلفة كتاب «الكهنوت الشيطانى».. وقد تم لها ذلك خلال أبحاثها، عندما عثرت على مطبوعة قديمة اسمها «العداء للسامية»، كتبها عام ١٨٤٩ اليهودىّ برنار لازار.. واستنتجت الليدى كوينزبورو من المعلومات الواردة فى الكتاب، أن بنيامين جولد شميد وأخاه إبراهام وشريكهما موسى ميكانا وابن أخيه السير موسى مونتيفيور ـ وهؤلاء جميعا كانوا من المتمولين اليهود فى إنكلترا ـ كانوا مرتبطين بإخوانهم اليهود فى أوروبا وعاملين معهم على إشعال الثورة الفرنسية.. وقد وجدت براهين أخرى أيضا، أثبتت علاقة دانييل أيتشيع من برلين وصهره دافيد فزيدلاندر وهيرز غربيير من الألزاس، بروتشيلد وبالمؤامرة.. وهكذا ينكشف لنا القناع عن الأشخاص الذين كانوا يشكلون فى ذلك الوقت القوة الخفية وراء الحركة الثورية العالمية.

■ ■ ■

وإنه من الأهمية بمكان دراسة الوسائل التى استعملها هؤلاء المرابون لإيقاع الحكومة بعجز مالى، لأن الوسائل ذاتها استعملت فيما بعد فى أميركا وروسيا وأسبانيا والبلدان الأخرى.

ويعطى الكاتب البريطانى السير والترسكوت فى المجلد الثانى من مؤلفة «حياة نابليون»، صورة واضحة عن النقلات الأولية فى لعبة الثورة الفرنسية.. ويلخّص سكوت الوضع آنذاك قائلا: «لقد عامل هؤلاء الممولون الحكومة الفرنسية كما يعامل المرابون المسرف المتلاف المفلس.. فهم يقرضونه الأموال اللازمة لبذخه وإسرافه بيد، ليعتصروا باليد الأخرى بقايا الثروات التى تذهب لسداد الفوائد غير المعقولة.. وهكذا تتالت سلسلة طويلة من قروض هؤلاء المرابين الهدامة، تعقبها حقوق وامتيازات مختلفة حصلوا عليها كضمانات لوفاء ديونهم.. وبذلك أصاب الارتباك مالية الدولة الفرنسية».

بعد أن بلغت أوضاع الحكومة الفرنسية درجة كبيرة من السوء وجدت نفسها مجبرة على طلب قروض جديدة لتمويل مشاريعها الحربية التى جرها إليها جماعة المؤامرة.. وتلطف المرابون وعرضوا على الحكومة الفرنسية تقديم القرض اللازم، شرط أن يتولوا هم كتابة عقد اتفاقية القرض.. وكانت الشروط التى قدموها فى الظاهر لينة ومتسامحة، ولكنهم تمكنوا من إدخال الثعبان إلى داخل الغرفة، أى إدخال مندوبهم السيد نيكر Necker إلى الحكومة الفرنسية، الذى طلب الممولون أن يعين وزيرا أعلى للشؤون المالية لدى المجلس الاستشارى للملك.. وادعى الممولون اليهود أن نيكر سيتمكن من انتشال فرنسا من مصاعبها المالية فى وقت لا يذكر.. ولكنّ ما حدث فى السنوات الأربع التالية، هو أن نيكر أسهم فى توريط الحكومة الفرنسية مع الممولين اليهود بأسوأ شكل، حتى إن قيمة القرض الوطنى بلغت ١٧٠ مليونا من الجنيهات الإسترلينية.

«**ملحوظة:** هذا شبيه بالفترة التى سبقت احتلال الإنجليز لمصر، بل

وشبيه بما يفعله البنك الدولىّ الآن بدولنا!!».

يصف الكابتن أ. رامزى هذا الوضع وصفا دقيقا فى كتابة «حرب دون اسم» فيقول: «الثورة هى ضربة موجهة إلى جسم مشلول.. عندما تشتد قبضة الديون، يسيطر الدائنون على مختلف مرافق الإعلام والنشاطات السياسية، مع تشديد القبضة على الصناعة.. وهكذا يصبح المسرح معدا لضربة الثورة.. تتولى اليد اليمنى - التى هى يد التمويل - بث الشلل فى الجسم، بينما تمسك اليد اليسرى - التى هى يد الثورة - بالخنجر وتهوى على الضحية بالضربة القاضية.. ويتولى الفساد الخلقى تسهيل العملية وتمهيد الطريق لها».

وبينما كانت منشورات الإساءة الدعائية تستنزل اللعنات على رؤوس رجال الكنيسة والدولة، كان عملاء المؤامرة ينظمون ويدرّبون الأشخاص الذين تقرر جعلهم زعماء حكم الإرهاب الذى سيتلو انهيار الملكية.. وكان بين هؤلاء الزعماء روبسبير ودانتون ومارا.. وكان الرجال المنتقون للهجوم على الباستيل وإطلاق سراح السجناء والمعتوهين يلتقون فى دير اليعاقبة.. هكذا رسمت تفاصيل الخطط الدموية بين جدران ذلك المبنى المقدس، وهناك وضعت القوائم بأسماء الرجعيين من النبلاء وأنصار الملك الذين تجب تصفيتهم.. وتقرر أن ينطلق المجرمون والمجانين الذين أطلق سراحهم فيُعملون الذبح والتقتيل والاغتصاب العلنى بين جماهير الشعب، فى الوقت الذى تقوم فيه عناصر الخلايا السرية بإدارة مانويل، بتجميع الشخصيات السياسية الكبيرة ورؤوس الإكليروس والضباط المعروفين بولائهم للملك.

■ ■ ■

بعيد انفجار الثورة الفرنسية قام اليعاقبة بالاستيلاء على السلطة.. وطلبوا من الدوق دورليان أن يصوت على إعدام ابن عمه الملك.. وظن الدوق أنه سيكون الملك الدستورى على فرنسا، فصوّت على إعدام ابن عمه،

فترك بذلك القوى الخفية والمخطط الحقيقيين بعيدين عن كل لوم أو شك، وجعل من شخصه هدف كل لوم وشك محتمل.. بعد ذلك أمرت القوى بتصفيته هو أيضا، فركزت ضده كل طاقاتها الدعائية والتشهيرية.. وفى وقت قصير كان الدوق فى طريقه إلى المقصلة!.. وبينما كان يستقل العربة فى الطرقات المكتظة، كان يسمع بأذنيه صراخ الجماهير من كل الطبقات وهى تندد بفضائحه وتعبر عن بغضها له!!

وعندما تبين ميرابو أنه لم يكن إلا وسيلة بيد القوى الخفية لتسليط انتقامها على الناس، شعر بالندم.. وبالرغم من انحلاله الخلقى لم يستطع ميرابو أن يهضم مشاهد العنف البالغ وأعمال العدوان، التى كان اليعاقبة يسلطونها على كل أولئك الذين يشير إليهم السادة السريون بأصابع الانتقام والتعذيب.. وكان ميرابو فى الواقع يعارض إيذاء الملك، وكانت خطته الشخصية تهدف إلى تقليص دور الملك حتى يصبح مجرد واجهة للحكم، ويكون هو بنفسه المستشار الرئيسى للملك الواجهة.. ولذلك فإنه عندما تحقق من أن هدف سادته هو قتل لويس، أقدم على تدبير محاولة لتهريبه من باريس ونقله إلى مقر قواته التى كان قادتها لا يزالون مقيمين على الولاء له.. ولكن خطة ميرابو تسربت وعرف بها اليعاقبة، فأمروا بتصفيته هو أيضا!

على أن الأمر اختلف بالنسبة له، لأن منظمات التشهير لم يكن لديها الوقت الكافى لحبك شبكة الفضائح والاتهامات حوله، فلجأ المنفذون إلى تسميمه، بصورة بدت معها الجريمة وكأنها حادث انتحار.. وفى كتاب حول قضية عقد الجوهر التى أشرنا إليها سابقا جاءت الملاحظة التالية:

«ولم يكن لويس يجهل أن ميرابو مات مسموما».

■ ■ ■

كان دانتون وروبسبير من الشياطين المتجسدة خلال عهد الإرهاب.. وعدما أتم روبسبير ودانتون عملهما بخدمة أهداف النورانيين، جاء دورهما أيضا، فحيكت حولهما شبكة الاتهامات والفضائح ثم أرسلا إلى المقصلة.

■ ■ ■

أدرك السير والترسكوت - الكاتب البريطانى الكبير - الكثير من الحقائق حول القوى الخفية التى كانت تقف وراء الثورة الفرنسية.. ويستطيع أى شخص يقرأ كتابه الضخم «حياة نابليون» أن يحسّ أن المؤلف قد اكتشف الجذور اليهودية للمؤامرة.

ويشير السير والتر إلى أن الشخصيات الرئيسية فى الثورة كانت بمعظمها رجوما أجنبية، كما لاحظ أن هؤلاء كانوا يستعملون تعابير يهودية خاصة مثل «المدراء» و«الحكماء».. كما يشير سكوت إلى تعيين (مانويل) مدعيا عاما لكومون باريس بطريقة غامضة.. وينص السير والتر أن هذا الشخص كان مسئولا عن انتقال آلاف الضحايا إلى سجون باريس، وهم بعينهم الذين قضوا نحبهم فى المجزرة الكبرى التى جرت خلال شهر أيلول من عام ١٧٩٢، وذهب ضحيتها ٨٠٠٠ من أولئك السجناء فى سجون باريس وحدها.. كما لاحظ السير والتر أن كومون باريس (مجلس مقاطعة باريس) أصبح فيما بعد بيد اليعاقبة، الذين كانوا يصرخون طالبين المزيد من الدم.. ويروى سكوت أن روبسبير ودانتون ومارا كانوا أعضاء فى كنيس اليعاقبة، حتى وقت إتمام مهماتهم وإعدامهم.. وكان مانويل هو الذى أشعل الشرارة فى الحملة على الملك والملكة، التى انتهت باقتيادهما إلى المقصلة.. وكان يساعد مانويل فى أعماله شخص آخر اسمه دافيد، وهو أحد الأعضاء فى لجنة الأمن العام، وكان يقوم بمحاكمة الضحايا.. وقد اشتهر بمطالبته الدائمة بالتقتيل وسفك الدماء.

ويسجل السير والتر أن دافيد هذا كان يستهل أعماله الدموية كل يوم

بعبارة «فلنسفك اليوم المزيد من الدماء».. وكان هو نفسه الذى أدخل عبادة الكائن الأعظم (الذى أحلته الثورة الفرنسية فترة محل الدين المسيحى الذى صدر الأمر بإلغائه)!.. وكانت الطقوس الوثنية الممارسة، نوعا من التقليد للحركات والتمتمات أثناء احتفالات الحاخامين بتلقى الوحى من الشيطان.. وقد حلت هذه مكان كل الطقوس المسيحية.

وتجب الإشارة هنا، إلى أن مؤلف السير والتر سكوت الضخم (حياة نابليون)، الذى يحوى تسعه مجلدات، والذى يكشف عن الكثير من الحقائق، قد اختفى ولم يعد معروفا اليوم!!

يجب التنويه أيضا بكتاب آخر بكتاب آخر ألفه (ج. رينيه) بعنوان «حياة روبسبير»، فهو يكتب وكأنه على اطلاع ببعض الأسرار.. يقول فى إحدى فقرات الكتاب: «بلغ حكم الإرهاب ذروته القصوى فى الفترة بين ٢٧ نيسان و٢٨ تموز من العام ١٧٩٤م.. ففى ذلك اليوم الأخير خذل روبسبير، ولم يكن المسئول عن حكم الإرهاب شخصا واحدا، كما أنه لا يمكن أبدا أن يكون روبسبير ذلك الشخص.. وكان عدد الأشخاص الذين يتمتعون بالنفوذ فى ذلك الوقت لا يقل عن عشرين».. وفى موضع آخر يقول رينيه: «يوم الثامن والعشرين من تموز ألقى روبسبير خطابا طويلا أمام الجمعية العمومية، شن فيه هجوما عنيفا على من أسماهم بالإرهابيين المتطرفين.. ولكن هجومه ذلك تضمن عبارات غامضة، صيغت بصورة غير مباشرة، تحمل اتهامات غير محددة».. وكانت الكلمات التى تفوه بها: «إننى لا أجرؤ على تسميتهم هنا وفى هذا الوقت.. كما أننى لا أستطيع تمزيق الحجاب الذى يغطى هذا اللغز منذ أجيال سحيقة.. غير أننى أستطيع أن أؤكد، أن بين مدبرى هذه المؤامرة تابعين لذلك المذهب القائم على الإفساد والإسراف، وهما الوسيلتان الأكثر فعالية بين جميع الوسائل التى اخترعها الغرباء لتفسيخ الدولة، وأعنى بهؤلاء كهنة الإلحاد الدنسين ومبدأ الرذيلة الذى

يعيشون عليه».. ويضيف رينيه معلقا: «لو لم يتفوه روبسبير بهذه الكلمات لكان من الممكن أن ينتصر.. كان روبسبير قد تلفظ فى الواقع بأكثر مما يجب، ولذلك فقد تلقى طلقة نارية فى فكه، أخرسته بصورة عملية حتى اليوم التالى الذى سيق فيه المقصلة»!!

وهكذا تم القضاء على ماسونى آخر أتيح له أن يعلم أكثر مما يجب.

بعد أن انتهى مخططو المؤامرة من القضاء على جميع الضحايا الذين تقرر التخلص منهم فى الثورة الفرنسية، بدأوا مرحلة جديدة من التآمر العالمى.. فأرسل أنسليم ماير روتشيلد ابنه ناثان ماير إلى إنكلترا، بمهمة افتتاح فرع لمؤسسة روتشيلد فى لندن.. وكان الهدف من ذلك توثيق اتصال المرابين العالميين الذين يسيطرون على مصرف إنكلترا، والمهيمنين على كل من مصرف فرنسا ومصرف هولندا ومصرف ألمانيا.. بعد ذلك تمر قرار أصحاب المصارف على استعمال نابليون أداة لتنفيذ مشيئتهم فقاموا بتدبير سلسلة الحروب النابليونية التى كان هدفها الإطاحة بعدد كبير آخر من العروش الأوروبية.

سقوط نابليون بونابرت:

بعدما اجتاح نابليون أوروبا بجيوشه، أعلن نفسه عام ١٨٠٤ إمبراطورا، وعيّن أخاه جوزيف ملكا على نابولى، ولويس ملكا على هولندا، وجيروم ملكا على وستفاليا.

وأما ناثان روتشيلد، فدبر الأمور بحيث جعل من إخوته الأربعة ملوك المال فى أوروبا، وأصبح هؤلاء بالتالى السلطة الخفية.

وكانت سويسرا مركزا لقيادتهم، وقرروا بالتالى جعل سويسرا حيادية، وعدم زجها بأى من المنازعات ضمانا لسلامتهم وسلامة أموالهم.

وفى مقر قيادتهم فى جنيف بسويسرا أخذوا يحبكون المؤامرات الخفية

من جديد، ودبروا الأمور بحيث يستمرون فى جنى الأرباح الفاحشة من الحروب، التى كانوا يثيرونها دون أن يهمهم فى شىء أمر أى من الفريقين المتحاربين أو نتيجة الحرب.. وكانت وسيلتهم إلى ذلك السيطرة على مصانع السلاح، وعلى صناعة السفن والمناجم، والصناعات الكيماوية وصناعات الأدوية، وأفران الفولاذ الخ.

وهكذا جرى كل شىء على ما يرام.. ولكن كان هناك شىء واحد يضايق جماعة المؤامرة، وهو أن نابليون كان يزداد صلفا وأنانية كل يوم، حتى وصلت به الحال إلى تركهم وفضحهم علنا.. وهكذا وضع بنفسه حدا لمغامرته.

يسود الاعتقاد بأن شتاء روسيا وبردها القارص، هما اللذان حولا حملة نابليون ـ الظافرة فى مطلعها ـ إلى واحدة من أكبر الفواجع العسكرية فى التاريخ.. أما الحقيقة فهى أن سبب الهزيمة كان تخريب خطوط الاتصال، الذى منع وصول الإمدادات من الذخائر والمؤن.

أصبحت هذه الخطة ـ التى اتبعتها القوى الخفية لتحطيم جيش نابليون وإجباره على التنازل عن العرش ـ منذئذ منهجا تقليديا للقوة الخفية وراء الثورات فى العالم.. وهذه الخطة فى غاية البساطة، فهى تقوم على وضع عملائهم السريين فى المراكز الرئيسية فى شُعَب الجيش المختلفة، من تجهيز ومواصلات ونقل واستخبارات.. وهكذا يستطيع قادة المؤامرة بث الاضطراب والفوضى، حتى فى أكثر الجيوش قوة وتنظيما، وذلك عن طريق تخريب عمليات التجهيز، وقطع الأوامر وإصدار أوامر متناقضة، وإرسال الإمدادات لغير الموضع المطلوب، وأعمال التجسس والتجسس المضاد.. فالخلايا التى توضع فى مثل تلك المواضع الحساسة تعادل عشرة آلاف رجل فى ساحة المعركة.. وهذه الوسائل عينها التى اتبعت فى إسقاط نابليون، اتبعت فيما بعد لتحطيم جيوش روسيا القيصرية أمام الجيوش اليابانية عام ١٩٠٤، وكذلك عام ١٩١٧ حين قامت الثورة الروسية، وفى

أحداث التمرد فى الجيش الإيطالى عام ١٩١٨م.. وكان تسلل الشيوعيين إلى المناصب الحساسة فى ألمانيا هو الذى دفع ضباط الجيش الألمانى إلى طلب الهدنة فمنحوها عام ١٩١٨م.. كما أن الوسائل عينها استعملت فى تحطيم فعالية الجيش الأسبانى عام ١٩٣٦م.. والخطط ذاتها تم استعمالها لإنزال الهزيمة بجيوش هتلر فى روسيا، بعد حملتها الظافرة هناك فى الحرب العالمية الثانية.

وهكذا نجد أن التاريخ يعيد نفسه، لأن القوى التى تسيطر على مجريات الأمور تستعمل الطرق ذاتها مرة بعد أخرى.. ولكن الأهم من كل ذلك، أن نذكر أن أحفاد أولئك الذين تسببوا فى سقوط نابليون، هم الذين تسببوا فى دحر القوات الصينية الوطنية عام ١٩٥٤ وحتى الآن.. فقد صدرت أوامر غامضة ذهبت بما قيمته ملايين الملايين من الدولارات من الأسلحة إلى قعر المحيط الهندى، بدلا من أن تذهب إلى تشيان كياى تشك وأنصاره.. وواقع الأمر الذى جعل الحكومتين الأميركية والبريطانية تخونان حلفاءنا الذين يحاربون الشيوعية فى الصين وفى كوريا، هو أن أصحاب المصارف العالميين كانوا يناورون لبسط السيطرة الشيوعية على آسيا، فقاموا بخداع السياسيين فى هذين البلدين، لجعلهما يتخليان عن القوات المضادة للشيوعية فى المنطقة!

■ ■ ■

يسجل لنا التاريخ كيف تنازل نابليون عن العرش عام ١٨١٤ فى باريس، حيث تم نفيه إلى جزيرة إلبا، وهربه من هناك ومحاولته استرجاع سابق مجده، وكيف أنه هذه المرة كان يلعب ضد رجال يسيطرون على لعبتهم تماما.. كان ناثان روتشيلد وحلقته العالمية قد ساندوا ألمانيا لإنزال الهزيمة بنابليون.. وكانت خطتهم هى كسب المزيد من المال مهما كانت نتيجة الصراع.. وقبل وقوع معركة واترلو كان ناثان روتشيلد فى باريس..

وكان مقيما فى قصر يطل مباشرة على القصر الذى يشغله لويس الثامن عشر.. وقد عمد من ناحية ثانية إلى تنظيم شبكة من الجواسيس والعيون تنقل إليه أولا بأول أخبار معركة واترلو وشيكة الوقوع، عن طريق الحمام الزاجل.. ونظم فى الوقت نفسه شبكة أخرى لنقل أخبار ملفقة عن المعركة إلى إنكلترا.. ولما تأكد ناثان من تفوق ولنجتون وظفر قواته، أصدر أوامره إلى عملائه بإرسال أنباء معكوسة إلى إنكلترا تؤكد انتصار نابليون وهزيمة الجيش الإنكليزى.. وهذه الواقعة هى التى أوجدت التعبير الشائع «الحمامة هى التى أخبرتنى».. فإذا ما سأل أحد الإنكليز صديقا له: «من أين جئت بهذه المعلومات؟»، فسيجيبه صديقة «أوه، إن الحمامة هى التى أخبرتنى»!

أما حمائم ناثان روتشيلد فقد كانت تخبر الأكاذيب.. ولقد نقلت إلى الشعب الإنكليزى من الأكاذيب الكبيرة، ما جعل الذعر يعم أوساط الجماهير.. انهارت السوق المالية انهيارا كبيرا، بحيث هبط سعر الجنيه الإسترلينى إلى شلن واحد، وانهارت أسعار الحاجيات بشكل لم يسبق له مثيل.. وكان ناثان قد استأجر سفينة صغيرة لتنقله من فرنسا إلى إنكلترا بمبلغ مائتى جنيه.. ولدى وصوله قام هو وشركاؤه بشراء كل ما يمكن شراؤه من سندات وأسهم وممتلكات.. ولما وصلت الأخبار الحقيقية أخيرا عن انتصار ولنجتون، عادت الأسعار إلى طبيعتها، فجنى المرابون العالميون أرباحا وثروات خيالية.

وقررت مؤسسة روتشيلد ـ تعبيرا منها عن الفرح بمناسبة المأثرة التى قام بها ولنجتون فى القضاء على نابليون ـ إقراض الحكومة الإنكليزية مبلغ ١٨ مليون جنية إسترلينى، والحكومة الروسية مبلغ ٥ ملايين.. وذلك، كما جاء رسميا، للقيام بإصلاح الخراب الذى سببته الحرب.. وعندما توفى ناثان روتشيلد عام ١٨٣٦، كان قد أمّن السيطرة على مصرف إنكلترا، وكان القرض القومى الإنكليزى قد وصل إلى ٨٨٥,٠٠٠,٠٠٠ من الجنيهات، بسبب المجزرة الاقتصادية الكبرى التى نفذها روتشيلد عام ١٨١٥م.

يكاد المرء لا يعثر على ماسونى أوروبى واحد بين آلاف الماسونيين يعلم شيئا عن القصة الحقيقة لتسلل نورانى محافل الشرق الأكبر إلى صفوف الماسونية الأوروبية الحرة.. على أن السادة العظام للماسونية الحرة فى إنكلترا أدركوا حقيقية الأمر، وهذا ما دعاهم إلى توجيه تنبيه إلى إخوانهم الماسونيين يحذرونهم فيه من الاتصال أو الارتباط بأىّ من ماسونيي الشرق الأكبر.. كما أن البابا بيوس التاسع أدرك حقيقة أن النورانيين الثوريين يتسللون إلى صفوف الماسونية الحرة فى أوروبا، مما جعله يشن حمله علنية على الشيوعية والماسونية، ويحذر المسيحيين من الانتساب إلى الماسونية.. وإذا كان يخامر البعض أى شك فى حقيقة الدور الذى لعبته الماسونية فى الثورة الفرنسية، فسنثبت هنا مناقشة جرت حول هذا الموضوع فى مجلس النواب الفرنسى عام ١٩٠٤م.. بعد بضعة أسئلة استجوابيه تقدم بها المركيز روزانب حول ما إذا كانت الماسونية الحرة هى صانعة الثورة الفرنسية قال: «إننا متفقون إذن بصورة كاملة على هذه النقطة بالتحديد، وهى أن الماسونية كانت الصانع الوحيد للثورة الفرنسية، وهذه التصفيات التى أسمعها الآن فى المجلس، تبرهن على أن بعض الموجودين يعلمون بذلك مثلى تماما».

وعندئذ نهض النائب جومل وهو أحد الأعضاء المعروفين لمحفل الشرق الأكبر وقال: «نحن لا نعلم ذلك فحسب، بل إننا نعلنه على الملأ».

وعام ١٩٢٣ أقيمت حفلة عشاء كبرى حضرها العديد من الشخصيات المهتمة بالسياسة الدولية، وكان بينهم من له علاقات بمنظمة عصبة الأمم.. وفى هذه الحفلة اقترح رئيس محفل الشرق الأكبر فى فرنسا على الحاضرين، أن يشربوا نخب الجمهورية الفرنسية وليدة الماسونية الفرنسية الحرة، ونخب الجمهورية العالمية التى ستولد من الماسونية العالمية.

كان المرابون العالميون فى فرنسا قد تمكنوا من دفع عملائهم وإيصالهم إلى مناصب استشارية حساسة للقادة السياسيين الذين صمموا معاهدة

فرساى المشؤومة.

وكان أعظم نصر لهم بعد ذلك، هو تمكنهم من إيصال مندوبهم السيد هيريو إلى موقع النفوذ فى فرنسا عام ١٩٢٤م.. وهكذا أصبح بإمكان قادة محفل الشرق الأكبر الماسونى فى فرنسا، وضع مشاريعهم وسياستهم الداخلية موضع التنفيذ خلال سنة، على يد حكومة السيد هيريو.. وسنورد هنا مراجعة لبعض الأحداث التاريخية، التى جرت منذ ١٩٢٣ وصاعدا، للدلالة على سيطرة نورانيى محافل الشرق الأكبر على السياسة فى فرنسا:

١ ـ فى كانون الثانى عام ١٩٢٣ أصدرت محافل الشرق الأكبر قرارا بإلغاء السفارة الفرنسية فى الفاتيكان، ونفذ البرلمان الفرنسى هذا القرار فى الرابع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٤م.

٢ ـ عام ١٩٣٢ أيضا طالبت المحافل بتطبيق فكرة العلمنة.. وقد أدلى هيريو ببيان وزارى تأييدا لهذه الفكرة فى السابع عشر من حزيران ١٩٢٤م.

٣ ـ فى الحادى والثلاثين من كانون الثانى عام ١٩٢٣، طالبت محافل الشرق الأكبر بمنح عفو عام عن كل المساجين من المجرمين والخونة.. واستفاد العديد من الزعماء الشيوعيين البارزين من هذا القرار، وكان منهم (مارتى)، الذى عرف فيما بعد كمنظم للكتائب التى حاربت إلى جانب الشيوعيين فى أسبانيا بين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م.. ووافق مجلس النواب على مشروع العفو، فى تصويت جرى فى الخامس عشر من تموز ١٩٢٤م.. وهكذا أفلتوا على الشعب الآمن عصابة من المجرمين الدوليين، الذين كانوا يعملون تحت إمرة المجلس الأعلى لمحافل الشرق الأكبر، النورانية.

٤ ـ فى شهر تشرين الثانى من عام ١٩٢٢، بدأت المحافل حملة كبرى، لإقناع الشعب الفرنسى بإقامة علاقات دبلوماسية مع الحكومة السوفيتية، ولكن هذه الحملة لم تتقدم كثيرا إلا بعد وصول السيد هيريو إلى الحكم..

وقد بدأت حملة الصداقة الفرنسية الروسية تلك، عندما نشر فى النشرة الرسمية لمحفل الشرق الأكبر فى فرنسا، مقالة عن هذا الموضوع، فى تشرين الثانى عام ١٩٢٢ فى الصفحة ٢٨٦.. وأقيمت العلاقات السياسية بين الحكومة الفرنسية وبين الحكومة الثورية الشيوعية فى الثامن والعشرين من تشرين الثانى عام ١٩٢٤م.. وقوى الشر ذاتها تعاود الآن الضرب على نغمة الاعتراف بالصين الشعبية اليوم.

■ ■ ■

ونجد فى كتاب «الحلبة الإسبانية» للمؤلف وليم فوس والذى طبعته دار «نادى الكتاب» فى لندن بإنكلترا عام ١٩٣٩، معلومات وافية ومفصلة عن المؤامرات التى حاكتها محافل الشرق الأكبر فى فرنسا وإسبانيا بين عامى ١٩٢٣ ـ ١٩٣٩م.. ولكى نتبين استمرارية المؤامرة التى قام بها المرابون العالميون سنلقى الأضواء هنا على بعض الأحداث:

ولد ليون بلوم فى باريس لأبوين يهوديين عام ١٨٧٢م.. واشتهر بسبب الدور الذى لعبه فى قضية دريفوس Dreyfus.. وقد انتخب رئيسا للوزراء فى حزيران عام ١٩٣٦، وبقى فى هذا المنصب حتى حزيران ١٩٣٧م.. ثم أعيد انتخابه فى آذار ١٩٣٧ وبقى حتى نيسان ١٩٣٧م. واستطاع مؤيدوه أن يتدبروا عودته إلى السياسة، بجعله نائبا لرئيس الوزراء من حزيران ١٩٣٧ وحتى كانون الثانى ١٩٣٨م.. وأقدر الآن أن منديس فرانس يلعب نفس الدور اليوم (كان هذا وقت تأليف الكتاب).

وكانت مهمة بلوم خلال ذلك الوقت، هى أن يكيف سياسة الحكومة الفرنسية تجاه إسبانيا بحسب مشيئة القادة السريين للحركة الثورية العالمية.. ولإبعاد كل شبهة عن أنفسهم عمد المتآمرون إلى إبراز دور الجنرال فرانكو وأنصاره من المعسكريين، بأنهم كانوا هم المخططين والمنفذين للحوادث التى جرّت إلى الحرب الأهلية فى أسبانيا.

وقد لعب بلوم دورا مهما فى تنفيذ مخطط القادة السريين، بإمداد القوات الملكية الإسبانية بالذخائر والأسلحة والأموال.. وقد عمل على إبقاء طرق جبال البرينيه مفتوحة.. كما عمل على اتباع سياسة عدم التدخل من جهة واحدة، فقد كانت هذه السياسة تطبق على قوات فرانكو الوطنية.

وقد يعتقد بعض القراء أننا نبالغ فى أمر النفوذ الذى تمارسه الماسونية فى القضايا الدولية.. إننا نحيل هؤلاء إلى كتاب «دكتاتورية الماسونية الفرنسية» لمؤلفة أ.ج. ميشيل.. ففى هذا الكتاب يثبت المؤلف أن محفل الشرق الأكبر فى فرنسا أصدر قرارا عام ١٩٢٤، بوجوب السيطرة على عصبة الأمم وجعلها أداه تابعة للماسونية الحرة.. وقد كتب تروتسكى فى كتابه «ستالين»: «يملك ستالين اليوم برج بابل جديدا فى خدمته.. وأحد المراكز الرئيسية لهذا البرج فى جنيف مهد المؤامرات»..

وتقع أهمية ما قاله تروتسكى حول التأثير الشيطانى لماسونيي الشرق الأكبر داخل عصبة الأمم، فى أن ما قاله ينطبق اليوم على منظمة الأمم المتحدة.. والدارس لمجريات الأمور فى الأمم المتحدة، يرى أن ما يحدث من مناقشات وقرارات، تبدو غريبة وفارغة من المعنى للشخص العادى فى الشارع.. ولكننا إذا ما وضعنا هذه القرارات فى موضعها الصحيح من المخطط طويل الأمد لجماعة المؤامرة، لبدت واضحة كل الوضوح.. وللقيام بذلك، ما علينا إلا أن نذكر اثنتين من الوقائع المهمة:

أولهما: يعتبر النورانيون أنه من الضرورى القضاء على كل أشكال الحكم الدستورية، سواء كانت ملكية أو جمهورية.

وثانيها: ينوى النورانيون إقامة الدكتاتورية العالمية فور سنوح الفرصة، وعندما يتأكدون من أن باستطاعتهم اغتصاب السلطة المطلقة.

ويقول م.ج. ماركوس: «يقع مركز الماسونية العالمية فى جنيف.. وكذلك

تقع مكاتب المؤسسات المرتبطة بالماسونية.. وهذا هو المكان الذى يفد للاجتماع فيه مندوبو الماسونية وممثلوها من العالم كله.. وهكذا نجد أن سر تلك المنظمات المرتبطة بالماسونية واضح وظاهر».

وهكذا نستطيع أن نفهم ما قاله السيد الأعظم للمحفل الماسونى فى أسبانيا، أمام مؤتمر ذلك المحفل عام ١٩٢٤، إثر عودته من جنيف.. إذ قال: «لقد أسهمت بالمساعدة فى عمل اللجان.. وقد استمعت إلى بول بونكور، جوهركس، لو سيور، ودى جو فنال.. وكان إلى جانبى مندوبون عن الحركة الماسونية فى فرنسا.. وكان هؤلاء يسألون بعضهم البعض: هل نحن فى اجتماع عالمىّ أم فى سلك ماسونىّ؟.. وكان الأخ جوزيف أفينال الأمين العام للعصبة».

وكانت حكومة الولايات المتحدة قد رفضت أن تنضم لعصبة الأمم.. وكانت بعض المصالح وراء هذه السياسة الانعزالية.. وهكذا فقد تقرّر تحطيم عصبة الأمم، وإنشاء منظمة الأمم المتحدة مكانها.. وقد سنحت الفرصة بقيام الحرب العالمية الثانية.. وقد جمعت أشلاء عصبة الأمم على أنقاضها بناءً جديدا، هو الأمم المتحدة، التى ضمت فيمن ضمت لدى تأسيسها الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة كأكثر الأعضاء قوة ونفوذا.. والدليل على سيطرة القوى الخفية على الأمم المتحدة وتمكنهم من تنفيذ مخططاتهم عبرها، هو أن الأمم المتحدة سلمت فلسطين إلى الصهيونية السياسية، بعد ما كان الصهيونيون يسعون وراء ذلك لمدة نصف قرن من الزمان.. كما أنها سلمت الصين وكوريا الشمالية ومنشوريا ومنغوليا وجزر الهند الشرقية وأجزاء من الهند الصينية إلى الشيوعيين.. وعلينا هنا أن نتذكر أن لينين كان قد تنبأ بأن القوات الشيوعية ستجتاح العالم الغربى من ناحية الشرق.

وقد كشف ضباط الاستخبارات الأمريكية والبريطانية، الدور الذى لعبه أصحاب المصارف العالميون فى الثورة الروسية، ونقلوا ذلك إلى حكوماتهم..

وقد أصدرت الحكومة البريطانية فى نيسان ١٩١٩ «كتابا أبيض» حول ذلك الموضوع.. وطمس الموضوع بسرعة، ولكنّ بعض الضرر كان قد لحق بالمؤامرة العالمية.. وهكذا وجهت أصابع الاتهام إلى أصحاب المصارف العالميين، تتهمهم بتمويل اليهودية العالمية، لتنفيذ مخططاتهم الهادفة إلى حكم العالم.. وكان على أصحاب المصارف العالميين أن يجدوا وسيلة يردوا بها على تلك الاتهامات والأفكار.. وتتجلى وحشيتهم فى الرد على هذه الاتهامات عندما اختير ستالين - وهو غير يهودى - لخلافة لينين، فأزاح تروتسكى من الطريق، وأخذ بتصفية مئات الألوف من اليهود الروس، فى التطهيرات الشهيرة التى أوصلته إلى السلطة.. وهذا يكفى لإقناع المخلصين والمخدرين من الناس فى أى مكان بأن المرابين العالميين لا يقيمون وزنا لجموع الشعب من أى دين أو عرق أو لون كانت، بل يعتبرونها أحجارا يمكن الاستغناء عنها فى لعبة الشطرنج العالمية.

■ ■ ■

الثورة الأمريكية والمناورات المالية

لنفهم كيف استطاع الرجال الذين سيطروا على بنك إنكلترا وعلى الدَّيْن القومى فيها، الهيمنة كذلك على التجارة والمبادلات والنظام النقدى فى أميركا - التى كانت ما تزال ولايات متفرقة تابعة للاستعمار البريطانى - علينا أن نعود إلى بداية القصة، عندما زار بنجامين فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠) إنكلترا، ممثلا رواد إنشاء المستعمرات الأمريكية.

فى الصفحة ٩٨ من وثيقة مجلس الشيوخ الأمريكى رقم ٢٣، نقرأ تقريرا كتبه (روبرت ل. أوين) . الرئيس الأسبق للجنة البنوك والنقد فى الكونغرس الأمريكى - عن مقابلة جرت بين شركاء روتشيلد وبنجامين فرانكلين.. يذكر هذا التقرير كيف سؤل المندوب الأمريكى عن السبب الذى يعود إليه ازدهار الحياة الاقتصادية فى المستعمرات الأمريكية، فأجاب فرانكلين بالحرف: «إن الأمر بسيط، فنحن نُصدر عملتنا بأنفسنا، ونسميها الأوراق المالية.. كما أننا حين نُصدرها نفعل ذلك بصورة تتناسب مع حاجات الصناعة والتجارة لدينا».

هذه الإجابة لفتت نظر آل روتشيلد، إلى الفرصة الكبرى المتاحة لهم لجنى الأرباح الطائلة.. ويكفيهم لذلك استصدار قانون بمنع المستعمرات من إصدار عملتها بنفسها، وإرغامها على الاعتماد على المصارف التى تُكلّف بذلك.. وكان آمشل ماير روتشيلد لا يزال مقيما فى ألمانيا حينئذ، يمد الحكومة البريطانية بالجنود المرتزقة، مقابل ٨ ليرات إسترلينية لكل جندىّ.. فكان نفوذه كافيا لاستصدار القانون المطلوب بشأن إصدار النقد الأمريكى.

وهكذا أصبحت أوراق النقد الأمريكى السابق لا قيمة لها.. وكان على

سلطات المستعمرات أن تودع فى بنك إنكلترا مبالغ وضمانات، للحصول على المال المطلوب للقيام بالأعمال والأشغال.. وعن هذا الموضوع يقول فرانكلين:

«أما بنك إنكلترا، فقد رفض أن يقدّم أكثر من ٥٠ بالمئة من قيمة الأوراق المالية الأمريكية التى عُهد بها إليه بموجب القانون الجديد.. وهذا يعنى أن قيمة السيولة النقدية الأمريكية خُفّضت إلى النصف تماما».

ينسب المؤرخون والباحثون السبب المباشر للثورة الأمريكية على إنكلترا إلى «ضريبة الشاى» الشهيرة.. أما فرانكلين - وهو أحد الوجوه البارزة فى هذه الثورة - فيحلل الأسباب كما يلى: «كانت الولايات الأمريكية مستعدة عن طيب خاطر لتقبل هذه الضريبة و مثيلاتها، لولا إقدام إنكلترا على انتزاع حق إصدار النقد من الولايات المتحدة، مما خلق حالة من البطالة والاستياء».

عم هذا الاستياء شيئا فشيئا كل سكان الولايات المتحدة.. ولكن لم يدرك إلا القليل منهم أن الضرائب الباهظة الجديدة والعقوبات الاقتصادية المفروضة، كانت نتيجة لنشاطات عصابة من اللصوص العالميين التى سيطرت على الخزينة البريطانية.

وحدثت الصدامات المسلحة الأولى فى ١٩ نيسان عام ١٧٧٥، بين البريطانيين وأهالى المستعمرات فى لكسنغتون وكونكورد.. وفى العاشر من أيار عقد المؤتمر الثانى للكونغرس فى فيلادلفيا، وجرى تعيين جورج واشنطن قائدا للقوات البحرية والبرية.. وفى الرابع من تموز ١٧٧٦ أعلن الكونغرس تبنّيه لوثيقة إعلان الاستقلال.

دام الصراع بعد ذلك أعواما سبعة، تعهد المرابون العالميون خلالها بتمويل هذه الحروب الاستعمارية، التى كانت فرصة جنت خلالها مجموعة روتشيلد أموالا طائلة، عن طريق إمداد الحكومة البريطانية بالجنود المرتزقة من ألمانيا.. ولم يكن الرجل البريطانى العادىّ يكنّ أىّ ضغينة

لزميله الأمريكيّ، بل على العكس كان يعطف سرا على القضية الأمريكية.

وفى التاسع عشر من تشرين الأول ١٧٨١، أعلن القائد البريطانى الجنرال كورنواليس استسلامه، واستسلام الجيش البريطانى بأجمعه بمن فيه من الجنود الألمانيين المرتزقة.. وفى الثالث من أيلول ١٧٨٣ أُعلن استقلال الولايات المتحدة رسميا، فى معاهدة السلام التى عقدت فى باريس.. وكان الخاسر الأوحد فى الواقع هو الشعب البريطانى.. فقد ازداد الدين القوميّ فى بريطانيا بشكل هائل، ونجح المرابون العالميون فى تحقيق الخطوة الأولى فى مخططاتهم طويلة الأمد لتفكيك الإمبراطورية البريطانية.

واشتغل عملاء المرابين العالميين بجدّ، للحيلولة دون قيام الاتحاد الذى كانت تسعى إليه الولايات الأمريكية.. فقد كان أكثر سهولة عليهم استغلال كل ولاية بمفردها، من السيطرة على اتحاد الولايات.. ويكفى لإثبات تدخل أصحاب المصارف العالميين فى الشؤون الداخلية للأمة، ما جاء فى محضر اجتماع «الآباء المؤسسين للولايات المتحدة» فى فيلادلفيا عام ١٧٨٧، حيث بحثوا وجوب إصدار بعض القوانين، التى تكفل لهم الحماية من استغلال هؤلاء المرابين.

وعمل عملاء المؤامرة ما بوسعهم للسيطرة على النقد الأمريكى.. ولكن كل جهودهم ذهبت سدى.. إذ فى الفقرة الخامسة من القسم الثامن فى المادة الأولى من الدستور ما يلى: «الكونغرس هو صاحب السلطة فى إصدار النقد، وفى تعيين قيمته».

وتظن أغلبية الشعب الأمريكى أن الدستور منذ وضعه أصبح شيئا مقدسا لا يمس، ولزام على كل القوانين التى تصدر أن تطابق الدستور.. ولكن الواقع هو أن حرمة الدستور كثيرا ما انتهكت!

لا ريب فى أن دراسة قضية سيطرة المرابين العالميين على الاقتصاد

الأمريكى، هى دراسة على جانب كبير من الأهمية.. فقد عيّن مديرو مصرف إنكلترا مندوبا لهم فى أمريكا وهو الكسندر هاميلتون.. وقد استطاعت حملة الدعاية الموجهة أن تضفى عليه طابع الزعيم الوطنىّ.. وعمد هو بهذه الصفة إلى تقديم اقتراح بإنشاء مصرف اتحادىّ، على أن يكون هذا المصرف تابعا للقطاع الخاص.. وكانت هذه الدعوة مناقضة للدعوة التى سادت آنذاك، ونادت بوجوب إبقاء حق إصدار النقد والإشراف عليه بيد الحكومة، التى كانت تنتخب من الشعب مباشرة.

ويقضى اقتراح هاميلتون بجعل رأسمال المصرف الاتحادى مبلغ ١٢ مليون دولار، على أن يقرض مصرف إنكلترا من هذا المبلغ ١٠ ملايين، ويسهم بمبلغ المليونين الباقيين أثرياء أمريكيون.

لم يأتِ عام ١٧٨٣، حتى كان هاميلتون وشريكه روبرت موريس قد نظما مصرف أمريكا (بنك أوف أميركا).. وكان موريس هو المراقب المالى فى الكونغرس الأمريكى، من جعل الخزينة الأمريكية فى حالة عجز بعد سبع سنوات من الحرب.. وهذا برهان آخر على أساليب السلطة الخفية فى استخدام الحروب لتحقيق مخططاتها فى الحركة الثورية العالمية.. وقد أقدم موريس على المزيد، فتأكد من تنظيف الخزينة الأمريكية تنظيفا تاما، فعمد إلى إجراء جديد أجهز به على ما تبقّى فى الخزانة الأمريكية - ومقداره ٢٥٠ ألف دولار - عن طريق الاكتتاب به فى رأسمال مصرف أميركا.. ولم يكن مدراء مصرف أميركا سوى عملاء لدى مدراء مصرف إنكلترا.

بيد أن آباء الاستقلال الأمريكى أحسوا بالخطر الداهم، وبأن تسلط مصرف إنكلترا على مصرف أميركا قد يؤدى - فى حالة منح مصرف أميركا حق إصدار النقد - إلى تسلطه على الاقتصاد الأمريكىّ كله.. فتدخلوا لدى الكونغرس، واستطاعوا حمله على رفض منح مصرف أميركا حق إصدار النقد.

توفى (بنجامين فرانكلين) عام ١٧٩٠م.. وفى الحال عمد عملاء المرابين العالميين اليهود إلى القيام بمحاولة جديدة للسيطرة على المقدرات المالية للولايات المتحدة.. ونجحوا فى إيصال مندوبهم الكسندر هاملتون إلى منصب وزير المالية.. وتمكن هاملتون من جعل الحكومة الأمريكية توافق على منح مصرف أميركا امتياز إصدار النقد، المستند إلى قروض عامة وخاصة، بحجّة أن النقد الذى يصدره الكونغرس سيكون عديم القيمة فى الخارج، فى حين أن النقد المستند إلى القروض العامة والخاصة سيكون متمتعا بضمانه قانونية، وقابلا لكل أنواع المعاملات والمبادلات.. وهكذا وقع الشعب ضحية لأولئك الرجال الذين يدّعون صداقته!

وقد حدد رأس المال الجديد للمصرف بـ ٣٥ مليون دولار، على أن تسهم فيها المصارف الأوروبية بمبلغ ٢٨ مليون دولار.. ويعتقد بأن المرابين العالميين أحسوا بأن هاميلتون أصبح يعرف أكثر مما يجب، فافتعلت مبارزة بينه وبين مبارز محترف اسمه آرون بير، لقى فيها هاميلتون حتفه.

وأعطيت التعليمات من مجموعة روتشيلد لأصحاب المصارف الأمريكية بزيادة السيولة فى الأسواق، وبالتوسع فى منح القروض والضمانات.. وأخذت وسائل الدعاية والإعلام تلعب على أوتار التفاؤل والرفاهية، وتبشر بالرخاء والازدهار للجميع.. وانطلقت حملات الدعاية تبشر بأن الشعب الأمريكى سيصبح أعظم شعب على وجه الأرض.. وسارع الجميع لتوظيف أموالهم فى عملية بناء تلك الأمة العظيمة.

وعندما وصل الأمر إلى هذا الحدّ، أصدرت مجموعة روتشيلد تعليماتها السرية بالتوقف عن تقديم القروض والاعتمادات، وضغط مقادير العملة المتداولة فى الأسواق، ممّا ولد أزمة مالية حادّة، أدّت إلى انهيار اقتصادىّ مريع.. وهكذا عجز المواطنون عن مواجهة الأعباء والواجبات المالية، بينما حصل المرابون العالميون على عقارات وضمانات بمقدار ملايين من الدولارات، مقابل دفع جزء بسيط من أسعارها الأساسية!!

ويجب الاعتراف هنا بأن العملية كلّها جرت على وجه قانونى وشرعى!!.. أما فى الواقع فيبدو آل كابولى Al Gapone وعصابته سادة مهذبين، بالمقارنة مع عصابة الصيارفة العالميين هؤلاء!!

على أن هذه الأزمة لم تمرّ دون أن تثير انتقاد عدد من كبار القادة الأمريكيين.. ولكنّ الظاهر أن تعليقاتهم و تحذيراتهم لم تمنع حلفاءهم من الوقوع فى المصائد ذاتها.. فى رسالة من جون آدامز (١٧٣٥ - ١٨٢٦) إلى (توماس جيفرسون) عام ١٧٨٧، كتب آدامز يقول: «لا يعود السبب فى تلك الفوضى وذلك الخراب إلى نقائص فى الدستور، أو إلى انعدام الشرف والفضيلة، بقدر ما يعود إلى الجهل المطبق فى الشؤون المالية والأوراق النقدية وطبيعة الحسابات والسيولة».

ورد توماس جيفرسون: «أنا أؤمن بأن هذه المؤسسات المصرفية أشد خطرا على حرياتنا من الجيوش المتأهبة.. وقد خلقت بوجودها أرستقراطية مالية، أصبحت تتحدى بسلطانها الحكومة.. وأرى أنه يجب استرجاع امتياز إصدار النقد من هذه المؤسسات، وإعادته إلى الشعب صاحب الحق الأول فيه».

وقال أندرو جاكسون: «إذا كان الدستور قد أعطى الكونغرس امتياز إصدار الأوراق النقدية، فليس معنى ذلك أن للكونغرس الحق فى نقل هذا الامتياز إلى الأشخاص والهيئات الخارجية».

أثارت هذه الانتقادات المكشوفة مخاوف المرابين العالميين، ونبهتهم إلى قرب قيام صعوبات فى وجههم، بمناسبة حلول موعد إصدار امتياز «مصرف الولايات المتحدة» عام ١٨١١م.. ووجه روتشيلد التحذير التالى: «إما إن توافق الحكومة الأمريكية على طلب تجديد امتياز مصرف أمريكا، وإلا فإنها ستجد نفسها فجأة متورطة فى حرب مدمرة».

ولم يستطع الأمريكيون أن يصدّقوا أنّ فى نيّة أصحاب المصارف

العالميين أن يثيروا حربا من أجل مصالحهم، واعتقدوا أن فى الأمر خدعة.. وكذلك ظن أندروا جاكسون، الذى قال لهم فيما بعد: «إن أنتم إلا مغارة لصوص ومجموعة مصاصى دماء، ولسوف أعمل على تحطيمكم بل وأقسم بالله إننى سوف أحطمكم».

وأصدر ناثان روتشيلد تعليمات: «علموا هؤلاء الأمريكيين الوقحين درسا قاسيا، وليعودوا إلى حالة الاستعمار وما قبل الاستقلال».

وكانت الحكومة البريطانية هى التى بدأت حرب عام ١٨١٢م.. وكان الهدف من هذه الحرب إفقار الخزينة الأمريكية، إلى حد تضطر معه السلطات الأمريكية إلى طلب السلم وطلب المساعدة المالية.. وقرر ناثان روتشيلد أن المساعدات المالية المطلوبة لن تعطى إلا فى حال قبول الحكومة الأمريكية تجديد امتياز مصرف أميركا.

ونجحت خطة ناثان روتشيلد نجاحا تاما.. وكانت نتيجة ذلك خلق حالة من الضيق والسخط بين الجماهير، التى تصب اللوم على السياسات الخاطئة للحكومات الوطنية، بينما كانت القوى الخفية وراء الكواليس بعيدة عن الشبهات، لا يعرف سرها إلا القلة القليلة من الناس.

وجدد الكونغرس الأمريكى امتياز مصرف الولايات المتحدة عام ١٨١٦ كما كان مطلوبا.. وصرخ بعض الثقات علنا أن أعضاء الكونغرس قد تلقوا رشاوى وتهديدات للتصويت لمصلحة ذلك القانون الذى أعاد الشعب الأمريكى إلى العبودية الاقتصادية.

عام ١٨٥٧ جرى فى لندن عقد قران لينورا ابنة ليونيل روتشيلد، على ابن عمها ألفونسو (وهم يعتقدون بوجوب إبقاء الأشياء ضمن العائلة).. وكانت حفلة الزواج مناسبة كبرى جمعت فى لندن عددا كبيرا من الشخصيات العالمية، منهم بنجامين درزائيلى رجل الدولة البريطانى والذى

عين رئيسا للوزارة عام ١٨٦٨ وأعيد تعيينه عام ١٨٧٤م.

وينقل عن دزرائيلى قوله فى تلك المناسبة المهمة: «يجتمع الآن تحت هذا السقف رؤساء روتشيلد، التى امتدت شهرتها إلى كل عاصمة من عواصم أوروبا وكل ركن من أركان العالم.. وإذا أردتم سنقسم الولايات المتحدة إلى شطرين، نُعطى أحدهما إلى جيمس، والآخر لليونيل.. وسوف يفعل نابليون الثالث (إمبراطور فرنسا آنذاك) ما أشير عليه به تماما.. أما بسمارك فسوف نعد له خطة ثقيلة تجعله عبدنا الذليل».

ويسجّل التاريخ بعد ذلك، كيف عين آل روتشيلد قريبهم (يهوذا ب. بنجامين) مندوبا رئيسيا لهم فى الولايات المتحدة.. وهكذا أصبحت الحرب الأهلية الأمريكية التى شطرت الأمة إلى قسمين حقيقة واقعة!

كما أقنع المرابون نابليون الثالث باحتلال المكسيك وضمها إلى إمبراطوريته.. وأقنعوا الحكومة البريطانية بإعادة احتلال الولايات الشمالية وإعادتها إلى حظيرة الاستعمار.. وكانت الحرب الأهلية الأمريكية بالنسبة للمرابين العالميين حربا اقتصادية.. وأصبح من السهل على المرابين العالميين زيادة الضغط الاقتصادى، وإثارة المتاعب المالية فى وجه الولايات الشمالية بعد أن تم تحرير العبيد.. وكان إبراهام لينكولن قد قال: «لا تستطيع أمة من الأمم أن تتحمل طويلا أن يكون نصف أفرادها من الأحرار ونصفهم من العبيد».

وقدم أصحاب المصارف العالميون قروضا محدودة للقوات الجنوبية لمساندتها فى حروب الشماليين.. كما أقرضوا نابليون الثالث مبلغ ٢٠١,٥٠٠,٠٠٠ فرنك لتمويل حملته فى المكسيك.. وفى عام ١٨٦٣ عرضت القوى الخفية على نابليون ولايتى لويزيانا وتكساس لمساعدة الجنوبيين، الذين كانوا بحاجة للمساعدة الفعلية ضد الشماليين.

وسمع قيصر روسيا بذلك، وأخبر الإنكليز أنهم إذا حاولوا التدخل

لصالح الجنوبيين وأمدوهم بالمساعدات العسكرية، فستعتبر روسيا هذا العمل بمثابة إعلان الحرب عليها.. وتأكيدا لتحذيره أرسل عددا من السفن الحربية الروسية إلى الموانئ الشمالية نيويورك وسان فرانسيسكو، ووضعها تحت إمرة لينكولن.

وعندما بدأت العقبات والمصاعب المالية تحيط بالولايات الشمالية، لم يرفض المرابون العالميون مدّها بالقروض، ولكنهم اشترطوا أن نسبة الفائدة ٢٨٪!

إن هذه الحرب كان من الممكن أن تنتهى خلال أشهر معدودة، لو لم يكن المرابون العالميون يقدمون القروض تلو القروض للطرفين.. وكانت هذه القروض تعطى بنسبة ربا فاحشة.. وكان كل شىء محسوبا ومخططا لدى المرابين العالميين، بهدف السيطرة الشاملة على اقتصاديات الأمة بأسرها.. ولما وجدوا أن الوقت قد حان لإنهاء الحرب أنهوها.

■ ■ ■

حاول لينكولن بعد هذا فكّ القيود المالية التى طُوقت بها الولايات الشمالية، وعمد إلى تطبيق الدستور متمسكا بالفقرة الخامسة من المادة الأولى، التى تمنع غير الكونغرس إصدار العملة، وأصدر ٤٥٠ مليونا من الدولارات الرسمية، التى جعل غطاءها القرض القومى.. وانتقم المرابون العالميون من لينكولن، بجعل الكونغرس يصدر قانونا يقضى بأن لا تقبل «أوراق لينكولن» المالية فى دفع الفوائد للقروض الحكومة أو فى شؤون الواردات.. ولم يقبل المرابون العالميون قبض تلك الأوراق المالية، مما جعلها بدون قيمة تقريبا!!.. وهكذا سببوا خفض الدولار من هذه الأوراق إلى ٣٠ سنتا!!

ولما تم لهم ذلك عمدوا إلى شراء تلك الأوراق بمجموعها.. بعد ذلك أخذوا بشراء القروض الحكومية بهذه الأوراق، معتبرين الدولار منها دولارا كاملا.. وبذلك يكونون قد تغلبوا على عقبة خطيرة، وجنوا أرباحا

تقدر بـ ٧٠ سنتا للدولار الواحد!!!

وظهرت فى صحيفة (لندن تايمز) مقالة موحى بها من قبل المرابين العالميين، وكان موضوعها لينكولن وأوراقه المالية.. وجاء فى تلك المقالة: «لو أن هذه السياسة المالية الخاطئة التى ابتدأت فى أمريكا الشمالية قبلت واعترف بها، لأصبح بإمكان الحكومة إصدار أوراق النقد التى تريدها بدون كلفة.. وستدفع بتلك الأوراق كل ديونها، مما يعنى أنها ستصبح بدون ديون.. وسيكون لديها كل المال اللازم لإجراء تجارتها والمبادلات.. وهكذا ستكون الأمة الأمريكية الأولى فى تاريخ العالم التى ستحقق مثل هذا الازدهار.. وبذلك ستجلب الأدمغة والثروات من جميع أنحاء العالم.. يجب تحطيم هذه الدولة وإلا فإنها ستتسبب بتحطيم كل العروش على وجه الأرض».

وكانت النشرة الدورية «دى هازا رد سيركيولار» تعنى بشؤون المصارف ما وراء البحار.. وقد جاء فيها: «إن الحرب تقضى على الرقّ.. وهذا ما نؤيده نحن وأصدقاؤنا الأوربيون، لأنّ الرق ما هو إلا امتلاك اليد العاملة.. أما الخطة الأوروبية التى بدأتها إنكلترا، فتقوم على أن رأس المال يستطيع أن يسيطر على اليد العاملة عن طريق الأجور.. ويجب على أصحاب رؤوس الأموال أن يعملوا على استعمال الأرباح الطائلة التى يجنونها من الحروب، فى السيطرة على قيمة العملة.. وللقيام بذلك، يجب اعتماد السندات الحكومية كأساس من أسس العمليات المصرفية.. ونحن الآن بانتظار أن تنفّذ وزارة المالية الأمريكية هذه النصيحة.. كما أنه ليس من المفيد لنا أن نسمح بتداول «أوراق لينكولن المالية الخضراء» لمدة طويلة، إذ أننا لا نستطيع السيطرة عليها.. ولكن بالمقابل نستطيع السيطرة على السندات ومن ورائها على العملة كلها والاقتصاد بأجمعه».

وعمد المرابون العالميون إلى تمويل الحملات الانتخابية لعدد كبير من النواب والشيوخ، ليعملوا من خلالهم على إقرار مشروع قانون الصيارفة..

وقد أصبح هذا المشروع قانونا عام ١٨٦٣، بالرغم من معارضة الرئيس لينكولن الشديدة له.. وهكذا ربح المرابون العالميون جولة أخرى.

■ ■ ■

جاء فى رسالة وجهتها مؤسسة روتشيلد وإخوانه الصيارفة فى لندن بإنكلترا بتاريخ ٢٥ حزيران ١٨٦٣، إلى مؤسسة السادة أيكلهايمر وموتون فاندر غولد وعنوانها: ٣ وول ستريت نيويورك:

«سادتى الأعزاء.. كتب إلينا السيد جون شيرمان من مقاطعة أوهايو فى الولايات المتحدة، لإعلامنا عن تقديراته للأرباح التى يمكن الحصول عليها نتيجة للقانون الأخير الذى أصدره الكونغرس بشأن المصارف.. والظاهر أن هذا القانون أتى وفق الخطة التى تبنتها جمعية المصارف البريطانية.. كما نصحت هذه الجمعية الأصدقاء الأمريكيين بأن هذا القانون، فى حال تصديقه وإقراره، سيكون سببا فى تدفق الأرباح الطائلة على جماعة الصيارفة فى العالم بأسره.. فهذا القانون يعطى المصرف الوطنى السيطرة المطلقة على الأوضاع المالية فى الدولة، والقلة التى سوف تنفذ إلى سر ذلك القانون وتعرف حقيقته، لن تبدى أية معارضة له، لأنها ستكون طامعة فى جنى الأرباح، أو أن مصالحها ستكون متوقفة على إقراره.. أما جمهور الشعب فسيكون عاجزا عن تفهم طبيعة المشروع، والامتيازات التى سيحصل عليها أصحاب رؤوس الأموال منه، ولن يخامرهم أى شك حتى فى أن هذا النظام سيكون ضد مصالحهم.

المخلصون: روتشيلد وإخوانه»..

وجاء فى الرسالة التى ردّ بها أيكلهايمر ومورتون وفاندرغولد ما يلى:

«يبدو لنا أن السيد جون شيرمان يتصف بالصفات التى تميز رجل المال الناجح، وقد وضع نصيب عينيه الوصول إلى رئاسة الولايات المتحدة، وهو

الآن عضو فى الكونغرس، وقد قاده تفكيره الصحيح لأن يدرك أن الربح الأكبر، هو فى الحفاظ على صداقة الأشخاص والمؤسسات ذوى الموارد المالية الواسعة.. أما بخصوص تنظيم المصرف الوطنى وطبيعة الأرباح الممكن جنيها من توظيف الأموال فيه، فالمرجو مراجعة النشرات المرفقة والتى نصها:

❖ يستطيع أى عدد من الأشخاص لا يقل عن خمسة تأليف هيئة مصرفية.

❖ لا يجب أن يقل رأسمال أى مصرف عن مبلغ مليون دولار، باستثناء البلدان التى لا يتجاوز عدد سكانها ٦٠٠٠.

❖ تكون المصارف هيئات خاصة، هدفها جنى الأرباح للأشخاص، ولمؤسسيها الحق فى اختيار موظفيهم.

❖ لا سلطة لقوانين الولاية على المصارف فى الولاية، باستثناء ما يقره الكونغرس بين وقت وآخر.

❖ تتقبل تلك المصارف الودائع، وتقدّم القروض المناسبة لمصلحتها الخاصة، كما تستطيع شراء السندات وبيعها وتقاضى الأعمال المصرفية العامة.

❖ يستوجب إنشاء مصرف برأسمال مليون دولار، شراء سندات حكومية بما يوازى هذه القيمة.. وبما أن السندات الحكومية تباع بخصم يبلغ ٥٠٪، فبالإمكان الآن إنشاء مصرف برأسمال قدره ٥٠٠,٠٠٠ دولار.. وستودع هذه السندات الخزانة الأمريكية فى واشنطن كضمان للأوراق النقدية التى ستقدمها الحكومة للمصرف.

❖ تقدم الحكومة فائدة عن قيمة السندات ٦٪، وتدفع هذه الفائدة مرتين فى السنة.. وإذا ما أخذنا بالاعتبار القيمة الحالية للسندات، لأدركنا أن الحكومة تدفع فائدة بنسبة ١٢٪ ذهبا على المال المودع.

❖ وتقدم الحكومة مقابل المستندات المذكورة السيولة اللازمة للمصرف

الذى يودع هذه السندات، وتتقاضى عنها فائدة سنوية بنسبة ١٪.

❖ ولما كان الطلب على السيولة المالية شديدا، فبإمكان المصرف أن يستخدم الأموال مباشرة فى تقديم قروض للناس بفائدة صافية تبلغ ١٢٪.

❖ وهكذا فإن الفائدة التى سيحصل عليها المصرف عن السندات، يضاف إليها الفائدة التى تنتج عن إقراض الأوراق المالية والسيولة، ويضاف إليهما الأرباح الطارئة، لترتفع أرباح المصرف إلى نسبة بين ٢٨ و٣٣,٣٪.

❖ وبإمكان المصارف زيادة حجم مبادلاتها أو تقليصه يحسب إرادتها، كما أنها تستطيع منح القروض أو حجبها كما تراه مناسبا.. ويجمع عقد تلك المصارف جمعية مصرفية وطنية توحّد أعمالها.. وهكذا تستطيع المصارف التأثير على السوق المالية كما تريد.. فبإمكان المصارف أن تتفق مثلا على رفض إعطاء القروض، فتسبب بذلك هبوطا فى الأسواق المالية وتستطيع أن تؤثر على كافة الإنتاج الوطنى.

❖ لا تدفع المصارف الوطنية أى ضرائب على مبالغ السندات أو على رؤوس الأموال أو على الودائع.

مع رجائنا بأن تعتبروا هذه الرسالة سرية جدا.. تقبلوا فائق احترامنا».

■ ■ ■

عمد أصحاب المصارف الأمريكيون إلى تطبيق المبادئ المذكورة بعد تبادل تلك الرسائل.. وهكذا عملوا على سحب السيولة وخفضوا قيمة القروض، إلى درجة أصبح معها المدينون غير قادرين على مواجهة مسؤولياتهم المالية، فوضع أصحاب المصارف أيديهم على العقارات والضمانات المرهونة، والتى تفوق قيمتها بكثير قيمة القروض الممنوحة.. وهكذا جنى الصيارفة محصولا طيبا.

وشعر لينكولن أن الشعب الأمريكى قد أصبح مستعدا لسماع صوت

العقل هذه المرة بعد هذه التجربة الحزينة والباهظة، فشنّ للمرة الثانية حملة علنية شديدة على المرابين العالميين.

وفى خطاب للأمة قال: «إننى أرى فى الأفق نذر أزمة تقترب شيئا فشيئا.. وهى أزمة تثيرنى وتجعلنى أرتجف من الخشية على سلامة بلدى.. فقد أصبحت السيادة للهيئات والشركات الكبرى.. وسوف يتبع ذلك وصول الفساد إلى أعلى المناصب.. وسوف يعمل أصحاب رؤوس الأموال على الحفاظ على سيطرتهم على الدولة، مستخدمين فى ذلك مشاعر الشعب وتحزباته.. وستصبح ثروة البلاد بأكملها تحت سيطرة فئة قليلة، الأمر الذى سيؤدى إلى تحطيم الجمهورية».

كان لينكولن فى ذلك الوقت فى نهاية مدة رئاسته، ولكن الانتخابات الجديدة حملته إلى الرئاسة مرة ثانية، وهو عازم على أن يقوم بعمل تشريعى ما للقضاء على سلطان الماليين العالميين الجشعين.. ولكنه قبل أن يتمكن من ذلك اغتيل، بينما كان يحضر استعراضا مسرحيا مساء الرابع عشر من نيسان عام ١٨٦٥، على يد جون ويلكس بوث.. ولا يعرف إلا القليل من الأمريكيين سبب هذه الجريمة.. وقد عثر المحققون آنئذ على رسالة بالشفرة فى أمتعة القاتل.. ومع أن الرسالة لا تشير من قريب أو بعيد إلى الجريمة، إلا أن اكتشافها أثبت وجود علاقة بين بوث وأصحاب المصارف العالميين.. ولو عاش لينكولن مدة أطول لكان بالتأكيد قد تمكّن من قصّ أجنحة المرابين العالميين.

قبيل مصرع لينكولن أدلى سالمون ب. تشايس وزير المالية الأمريكى (١٨١٦ ـ ١٨٤٦) بتصريح قال فيه: «إن مساهمتى فى إقرار قانون الصيارفة هى أكبر خطأ مالىّ ارتكبته فى حياتى.. فقد ساعد هذا القانون على إنشاء احتكار كبير يؤثر على كل المصالح فى البلاد.. ويجب علينا أن نصلح هذا الوضع.. ولكن قبل ذلك سنشاهد مواجهة عنيفة بين مصالح الناس

ومصالح المصارف بشكل لم نعرفة من قبل».

عـام ١٨٦٦ كـان هناك مـبلغ ١,٩٠٦,٦٨٧,٧٧٠ دولار فـى التـداول فى الولايات المتـحـدة.. وهبط هذا الرقم سنة ١٨٧٦ إلى ٦٠٥,٢٥٠,٠٠٠. وهكذا نجد أن أصحاب المصارف بسحبهم الأوراق المالية من التداول تسببوا فى إنقـاص السـيـولة بين أيدى الشـعب، وسـحـبـوا مـبلغـا يفـوق ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار، مما سبّب ٥٦,٤٤٦ حـادثة انهـيـار مـالىّ تمثل ٢,٢٤٥,١٠٥,٠٠٠ دولار من الخسائر التى لحقت بالتوظيف المالى.. وكانت الحصة الكبرى من الخسائر فى المرهونات والمحجوزات.. وهكذا نرى أن أصحاب المصارف بسحبهم السيولة من الأسواق وبتمديد القروض الممنوحة، أضافوا إلى ثرواتهم مبلغا أكثر من بليونى دولار، فى وقت لا يزيد على العشر سنوات كثيرا.

■ ■ ■

عندما سيطر آل روتشيلد على مصرف إنكلترا، أصرُّوا على أن يكون الذهب غطاءً للعملة الورقية.. وفى سنة ١٨٧٠ تضايق أصحاب المصارف الأوروبيون عندما واجهتهم صعوبة السيطرة على النقد فى الولايات المتحدة.. فقد كانت الولايات المتحدة تستعمل الفضة فى سبك وإصدار عملاتها.. وهكذا قرر هؤلاء تجريد الفضة من قيمتها الإبرائية فى الولايات المتحدة.

أوفد أصحاب المصارف الأوروبيون (إرنست سيد) مندوبا عنهم إلى أميركا، ووضعوا تحت تصرفه مبلغ نصف مليون دولار، لاستخدامه فى شراء ضمائر الشخصيات الرئيسية فى الهيئات التشريعية الأمريكية.. وأعطى أصحاب المصارف التعليمات لعملائهم عام ١٨٧٣، لاقتراح مشروع قانون «إصلاح إصدار العملة المعدنية».. وكانت مسودة المشروع مصوغة بمهارة، بحيث لا تظهر الغرض الرئيسى منه.. وكان السناتور الذى قدم المشروع هو (جون شيرمان) ذاته، الذى أشرنا قبل قليل إلى رسالته الموجهة

إلى مؤسسة روتشيلد.. وكان يساند شيرمان فى هذا عضو الكونغرس (صموئيل هوير).. ومر القانون بدون أى معارضة، بعدما أدلى شيرمان أمام الكونغرس بكلمة رائعة ومضللة!

ومرت سنوات ثلاث، قبل أن يتحقق أحد من الخطر الحقيقى الكامن فى إقرار ذلك القانون.. فقد كان ذلك القانون محاولة مموهة لإفقاد الفضة قيمتها الإبرائية.. ويقول تقرير للكونغرس إن أحدا من الأعضاء لم يفهم بشكل صحيح مضمون القانون، باستثناء أعضاء اللجنة التى قدمته.

ويقول السيد (جون ر. إيلسوم) فى الصفحة ٤٩ من كتابة «عاصفة على الخزانة الأمريكية»: «كان إرنت سيد قد قال لصديقه (السيد فردريك أ. لوكتباك) من دنفر بكولورادو: لقد واجهت لجنة مجلس الشيوخ والكونغرس ودفعت الرشاوى اللازمة، وبقيت فى أمريكا حتى اطمأننت إلى أن كل شىء على ما يرام».

عام ١٨٧٨ أقدم أصحاب المصارف على سحب المزيد من السيولة، وعلى تحديد القروض الممنوحة، مما تسبب فى ١٠,٤٧٨ حالة إفلاس تجارى ومصرفى فى الولايات المتحدة.. ولكن الكونغرس عام ١٨٧٩ أصرّ على إصدار كميات كبيرة من العملة، لوقف الأزمة الخانقة المصطنعة، مما خفّض حالات الإفلاس إلى ٦,٦٥٨ حالة.. ولكن القوى الخفية أصدرت تعليماتها عام ١٨٨٢، فكانت حصيلة المناورات المالية التى جرت بين عامى ١٨٧٨ و ١٨٩٢، ارتفاع حالات الإفلاس الاقتصادى فى أميركا إلى ١٤٨٧٠ حالة، بينما استمرت عمليات الحجوزات على المزارع والمساكن التى يملكها الأفراد.. وكان المستفيدون الوحيدون هم أصحاب المصارف وعملاؤهم، الذين وضعوا أيديهم على الممتلكات المرهونة.

ويظهر من الأحداث، أن أصحاب المصارف العالميين كانوا يتعمدون خلق حالة من الفشل والفقر واليأس فى الولايات المتحدة، لإيجاد مناخ ملائم

للحركة الثورية العالمية، التى تعتبر وسيلة بأيديهم للعمل.. ويؤيد هذا الاتهام، رسالة صادرة فى ١١ آذار ١٨٩٣ عن جمعية أصحاب المصارف الأمريكيين وموجهة إلى جميع الأعضاء، وتقول:

«يجب سحب الشهادات الفضية والأوراق التابعة للخزينة من التداول فورا، ليحل محلها أوراق مالية جديدة يكون أساس غطائها الذهب.. وهذا يتطلب إصدار سندات جديدة تتراوح قيمتها بين ٥٠٠ مليون دولار ومليار دولار، وتكون هى أساس التداول فى العملة الجديدة.. وهذا يفترض من جانبكم سحب ثلث العملة المتداولة، كما يفترض إلغاء نصف القروض الممنوحة.. كما يجب أن تولوا العناية اللازمة لخلق شعور بالضغط الاقتصادى».

وانصاع أصحاب المصارف الأمريكيون للأمر، وكانت النتيجة حالة من الذعر الشامل عمّت الشعب الأمريكى عام ١٨٩٣م.. وكان المواطن العادى ينحى باللوم على الحكومة.

عام ١٨٩٩، عقد فى إنكلترا مؤتمر كبير لأصحاب المصارف فى العالم، وحضره عن أميركا مندوبان، هما (ج. ب. مورغان) و(أنطونى دريكسيل).. وعند عودتهما إلى أميركا عهدت مؤسسة روتشيلد إلى مورغان بتمثيل وإدارة مصالحها.. وقد برهن مورغان على كفاءته لهذا المنصب، عندما تمكن من بيع بعض الأسلحة الفاسدة للحكومة الأمريكية.

وكانت النتيجة التى تمخض عنها مؤتمر لندن، هى إنشاء احتكار عالمى يضم المؤسسات التالية: (ج. ب. مورغان) وشركاه من نيويورك، (دريكسيل) وشركاه من فيلادلفيا، (غرنفيل) وشركاه من لندن، (مورغان هارجيس) وشركاه من باريس، مؤسسة م.م واربورغ فى ألمانيا وأمستردام.. وكانت المؤسسة المشرفة على هذا الاحتكار هى دار روتشيلد.

واندمجت مورغان ودريكسيل، وأسستا هيئة التأمينات الشمالية عام ١٩٠١، التى كان الهدف منها إفلاس شركة هاينز ـ مورس.. وكانت شركة هاينز ـ مورس تسيطر على قطاعات مهمة من الصرافة والشحن وصناعة الفولاذ وصناعات أخرى.. وكان من المتعين إفلاسها وإخراجها من السوق الأمريكية، لتستطيع مؤسسة مورغان ـ دريكسيل السيطرة على الانتخابات الاتحادية.

ونجحت مؤسسة مورغان ـ دريكسيل فى إيصال (تيودور روزفلت) إلى منصب رئاسة الجمهورية عام ١٩٠١م.. وكان هذا هو السبب فى تأخير إصدار الحكم عليهم، بشأن الاتهامات التى تدينهم باستعمال وسائل غير مشروعة للتخلص من المنافسة.. وكانت الخطوة التالية هى ربط مؤسسة مورغان ـ دريكسيل بمؤسسة كوهن ـ لوب.. وكان أن قامت المؤسستان بتجربة مشتركة لاختبار قواهما مجتمعة.. وكانت التجربة عبارة عن «مجزرة» اقتصادية جديدة.. فقد نظمت المؤسستان ما عرف بـ «الرعب فى وول ستريت ١٩٠٧».. وكانت ردة الفعل الشعبية لوسائل العصابات تلك، كافية لحثّ الحكومة على اتخاذ بعض الإجراءات.

وقامت الحكومة بتعيين لجنة خاصة اسمها «لجنة النقد الوطنى»، وعهد إلى السناتور (نيلسون ألدريك) برئاسة هذه اللجنة.. وتبين فيما بعد أن ألدريك كان مرتبطا باحتكارات المطاط والتبغ القوية.. وكان ألدريك آخر من يمكن أن يعهد إليهم بهذه المهمة فى الكونغرس!!.. وعلى إثر تسلمه لرئاسة اللجنة، اختار ألدريك بعض الضباط وسافر وإياهم إلى أوروبا.. وأثناء إقامتهم بأوروبا، أعطيت لهم كل التسهيلات الممكنة لدراسة الطرق التى يعتمدها أصحاب المصارف فى السيطرة على اقتصاديات الدول.

وقضى الدريك فى أوروبا سنتين، صرف خلالهما مبلغ ٣٠٠ ألف دولار من نقود الشعب الأمريكى، ثم عاد إلى الولايات المتحدة.. وكان كل ما حصل عليه الشعب، هو أن صرح لهم ألدريك أنه لم يكن قادرا على الوصول إلى

أية خطة محددة، تكفل عدم تكرار الأزمات المالية التى كانت تعصف بالولايات المتحدة، ناشرة البطالة ومبددة الثروات ورءوس الأموال الصغيرة!

كان ألدريك منذ الحرب الأهلية مقربا من آل روكفلر، حتى إن أحد شباب آل روكفلر تزوج من ابنته آبى.. وقد تلقى ألدريك قبل سفره إلى أوروبا نصيحة باستشارة بول واربورغ، الذى نزل فى الولايات المتحدة عام ١٩٠٢ مهاجرا من ألمانيا، وتبين فيما بعد أنه لم يكن إلا عضوا فى مؤسسة م. م. واربورغ الأوروبية المالية فى هامبورغ وفى أمستردام.. وكانت هذه المؤسسة كما أسلفنا تابعة لمجموعة روتشيلد.. وقد تمكن فى وقت لا يذكر من شراء حصة فى مؤسسة كوهن ـ لوب وشركائهما فى نيويورك، ومنح مرتبا يبلغ النصف مليون دولار سنويا.. وكان من الشركاء الجدد فى المؤسسة يعقوب شيف، وهو الذى موّل الحركات الإرهابية فى روسيا خلال الأعوام ١٨٨٣ ـ ١٩١٧م.

ولقد قام شيف بالسيطرة الكاملة على حركات النقل ووسائل المواصلات وخطوط الإمدادات فى الولايات المتحدة بأسرها.. وقد ثبت أن السيطرة على تلك المرافق من أشد الضرورات اللازمة لنجاح أى حركة ثورية فى أى بلد من البلدان.

■ ■ ■

فى ليلة ٢٢ تشرين الثانى عام ١٩١٠، كانت عربة سكة حديد خاصة تنتظر فى محطة هوبوكن فى نيوجيرسى.. ووصل إلى هناك السناتور ألدريك وبصحبته أ. بيات أندروز وهو خبير اقتصادى وأحد كبار موظفى وزارة المالية، وكان قد تربى وتلقى تعليمه فى أوروبا.. كما وصل أيضا سكرتير ألدريك الخاص (شيلتون)، ولحق بهم (فرانك فاندرليب) رئيس مصرف نيويورك الوطنى.. وكان هذا المصرف هو الممثل لمصالح آل روكفلر ومصالح شركة كوهن ـ لوب فى سكة الحديد.. وكان مدراء هذا المصرف قد

اتُّهموا علنا بمحاولة إثارة الحرب بين الولايات المتحدة وأسبانيا عام ١٨٩٨م.. وبصرف النظر عن صحة هذه التهامات أو بطلانها، فقد كان هذا المصرف إثر انتهاء الحرب مسيطرا على زراعة قصب السكر وصناعته فى كوبا.

وكان الآخرون الذين انضموا إلى الاجتماع (هـ. ب. دافيسون) وهو أحد المساهمين الكبار فى شركة مورغان، و(شارل د. نورتون) رئيس المصرف الوطنى فى نيويورك التابع لشركة مورغان.. وهؤلاء الثلاثة الآخرون متهمون بمحاولة السيطرة على العملة والحسابات فى الولايات المتحدة الأمريكية بأسرها.

وكان آخر الواصلين بول واربورغ وبنجامين سترونا.. وكان واربورغ من الغنى والنفوذ بحيث يقال إنه كان وراء المسرحية الفكاهية «آنى اليتيمة» التى تصور آل واربوك أغنى رجال العالم، وباستطاعتهم حماية أنفسهم ومصالحهم بوسائل خارقة.. أما بنجامين سترونا فقد اشتهر خلال المناورات المالية التى قادت إلى الأزمة الكبرى عام ١٩٠٧م.. وكان سترونا أحد كبار المتنفذين لدى شركة ج. ب. مورغان، وقد اشتهر فى ذلك المنصب بكفاءته فى العمل وتنفيذه الأوامر دون سؤال.

وعلم مراسلو الصحف باجتماع أولئك الرجال الذين يسيطرون على المرافق الاقتصادية الكبرى فى الولايات المتحدة، فتوجهوا كالجراد ناحية العربة الخاصة.. ولكنهم لم يستطيعوا الحصول على تصريح من أى من المجتمعين.. وتولّى أخيرا السيد فاندرليب إبعاد المراسلين بقوله: «إننا جميعا ذاهبون لقضاء عطلة نهاية أسبوع هادئة».

لم يعرف ماذا جرى فى عطلة نهاية الأسبوع الهادئة تلك إلا بعد سنين.. أما الذى جرى فكان ما يلى: عُقد اجتماع سرى فى جزيرة جيكيل بجورجيا.. وكان هذا المقر النائى من أملاك ج..ب. مورغان وعدد من شركائه.. وما جرى بحثه فى ذلك الاجتماع السرى كان «بحث الطرق والوسائل الممكنة لتخريب التشريعات المقدمة للكونغرس، والهادفة لتقليص

سلطة الاحتكارات والحد من المناورات، والاستعاضة عن هذه التشريعات بتشريعات أخرى لصالح أولئك الذين يحضرون الاجتماع».

وتلت ذلك الاجتماع اجتماعات أخرى فى نيويورك، عقدها الرجال أنفسهم وذلك لبحث وإقرار التفاصيل الصغيرة.. ودعا المتآمرون مجموعتهم باسم «نادى الاسم الأول»، لأنهم خلال اجتماعاتهم لم يكونوا يتنادون إلا بالاسم الأول لكل منهم.. وبالاختصار فقد أعد ألدريك وواربورغ وشركاؤهما تشريعات جديدة، هى التى قدمت إلى الكونغرس فيما بعد، تحت صيغة مقترحات تقدمت بها اللجنة التى شكلت ورأسها الدريك.. وأقرت تلك التشريعات عام ١٩١٣ تحت اسم «قانون الاحتياط الفدرالى عام ١٩١٣».. واقتنعت غالبية المواطنين العاديين فى أميركا بأن تلك التشريعات إنما جعلت للحفاظ على مصالحها، وأن تلك التشريعات وضعت اقتصاد الأمة بين يدى الحكومة.

وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة.. كان ذلك القانون يسمح لأصحاب المصارف فى أوروبا وأميركا بأن يسيطروا على المقدرات المالية فى القارتين، وهذا ما مكّنهم من إشعال الحرب العالمية الأولى، التى لم تكن إلا وسيلة للتسبب فى قيام الثورة الروسية سنة ١٩١٧م.

■ ■ ■

فى عام ١٩١٤، كان جهاز الاحتياط الفيدرالى يتألف من ١٢ مصرفا، اشترت بـ ١٣٤ مليون دولار من سندات الاحتياط الفيدرالى.. ويشير تقرير الكونغرس بتاريخ ١٩٣٦/٥/٣٩ أن أرباح هؤلاء بلغت حتى ذلك الوقت أكثر من ٢٣ مليار دولار.. وكانت تقديرات عام ١٩٤٠ تدل على أن الاحتياط الفيدرالى قد بلغ ٥ ملايين دولار.. ووصل عام ١٩٤٦ إلى ٤٥ مليون.. وهكذا نجد أن أصحاب المصارف حصلوا على مالا يقل عن أربعين مليار دولار من عملياتهم المالية خلال الحرب العالمية الثانية.

وتظن الغالبية من المواطنين فى الولايات المتحدة أن جهاز الاحتياط الفيدرالى يفيد الأمة ككل، وبعتقدون أنه يحمى مصالح المودعين فى المصارف لأنه يجعل إفلاس تلك المصارف مستحيلا.. كما يظنون أن أرباح الاحتياطى تعود إلى الخزينة.. ولكنّ الأمريكيين مخطئون فى كل ذلك، فالحقيقة هى أن جهاز الاحتياط الفيدرالى وضع بالأساس لحماية مصالح الأمريكيين، ولكن مشاريع القوانين التى رسمت فى جزيرة جيكيل فى جورجيا عام ١٩١٠، والتى أقرها الكونغرس الأمريكى عام ١٩١٣، لم تكن لصالح الشعب الأمريكى بأسره، بل كانت لصالح أصحاب المصارف الأمريكيين المرتبطين بزملائهم الأوروبيين الذين يسعون للسيطرة على العالم.

إن الإحصاءات تشير إلى أنه منذ إقرار هذا القانون عام ١٩١٣، أفلس فى أميركا ما يزيد عن ١٤,٠٠٠ مصرف، مما سبب فقدان الملايين والملايين من الدولارات للمودعين الصغار!

■ ■ ■

الثورة الروسية ١٩١٧

الحوادث التى سبقت الثورة الروسية:

هزت حملة نابليون عام ١٨١٢ روسيا هزة عنيفة، تاركة إياها مثخنة بالجراح.. فأخذ القيصر ألكسندر الأول على عاتقه إعادة تنظيم بلاده، وأصدر عددا من القوانين ألغت الأحكام الزجرية التى كانت مطبقة على اليهود منذ عام ١٧٧٢، والتى كانت تحدد إقامتهم فى أمكنة معينة.. وبذل القيصر جهدا لحمل اليهود على العمل فى الزراعة وغيرها، وتشجيعهم على الامتزاج الكامل بالمجتمع الروسى.

عام ١٨٥٢ مات ألكسندر الأوّل، فخلفه على العرش نيقولا الأول، فلم ينظر بعين الرضا إلى التغلغل السريع لليهود فى الاقتصاد الروسى، ولم ترتح حكومته إلى الإصرار الذى أبداه اليهود للحفاظ على تراثهم ولغتهم الخاصين وزيهم المميّز.

وهكذا، وفى محاولة منه لإذابة العنصر اليهودىّ فى المجتمع الروسىّ، أصدر نيقولا الأول عام ١٨٣٤، قوانين تجبرُ اليهود على إرسال أولادهم إلى المدارس الحكومية، وذلك لمحو معاناة الاضطهاد الدينى التى كانوا يشربون إياها فى الطفولة.

غير أن النتيجة جاءت عكس المتوقع، لآن التعليم أصبح إلزاميا لأطفال اليهود، ولم يكن كذلك بالنسبة لأطفال الروس من غير اليهود، مما أدّى إلى جعل اليهود الفئة الأكثر ثقافة فى روسيا!

وارتقى عرش روسيا القيصر ألكسندر الثانى عام ١٨٥٥، وكان هو الذى

وصفه بنجامين دزرائيلى بـ «أكثر أمراء روسيا تسامحا».. وقد كرس ألكسندر حياته لتحسين الأوضاع الحياتية للفلاحين والطبقات الكادحة واليهود.. وقد حرّر فى عام ١٨٦١ ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ عبد.. وقد كانوا عبيدا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، وكانت عمليات بيع الأراضى وشرائها تشملهم، فيباعون من سيد إلى سيد.

ودخل العديد من اليهود، الجامعات، ولكنهم بعد التخرج كانوا يواجهون مصاعب وعقبات قاسية.. ولإزالة هذا الإجحاف، أصدر القيصر أوامره بقبول هؤلاء اليهود فى المناصب الحكومية، والسماح لهم بالسكن أينما شاءوا فى الأراضى الروسية.. وما إن حل عام ١٨٧٩، حتى كان من اليهود أطباء وممرضون وأطباء أسنان ورجال أعمال ومهن، وكان يسمح لهم بالعمل والسكن فى أى مكان من روسيا.

ولكن القادة اليهود لحركة الثورة العالمية، كانوا مصممين على الاستمرار فى التحضير للثورة فى العالم.. وكانت جماعاتهم الإرهابية ترتكب المجزرة تلو الأخرى، وعملوا على كسب تأييد الرافضين من المثقفين فى روسيا، وعلى زرع فكرة التمرد والثورة فى عقول الجماهير العاملة.. وقاموا بأول محاولة لاغتيال القيصر الكسندر الثانى عام ١٨٦٦م.. ونجا القيصر من محاولتين لقتله بأعجوبة.. وتمكن المتآمرون أخيرا فى المحاولة الثالثة من اغتياله عام ١٨٨١، فى بيت يهودية تدعى هسيا هلفمان.

وبينما كانت القوات الثورية تحرج الحكومة الروسية فى الداخل بكل الوسائل الممكنة، بإثارة المشاغبات والقيام بالاغتيالات السياسية، كانت القوى الخفية من مراكزها فى إنكلترا وسويسرا والولايات المتحدة تحاول من جهتها توريط روسيا فى حرب مع بريطانيا، ففى مثل هذه الحرب لن تستطيع أى من الإمبراطوريتين إحراز أى مكاسب تذكر.. وتكون النتيجة لمثل هذه الحرب إضعاف كلا البلدين ماديا، وتركهما فريسة سهلة للأعمال

الثورية التالية.

فى عدد تشرين الأولى ١٨٨١ من مجلة القرن التاسع عشر، كتب البروفيسور غولدوين سميث أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة أوكسفورد يقول: «عندما كنت فى إنكلترا لآخر مرة، كنا على حافة الحرب مع روسيا.. وكان مقدرا لهذه الحرب أن تورط الإمبراطورية بأكملها.. وكانت المصالح اليهودية فى أوروبا، وأداتها الرئيسية صحافة فيينا، تسعى بكل جهدها لدفعنا إلى المعركة».

كانت حادثة اغتيال «البابا الصغير» للروس (قيصر روسيا) السبب فى موجة واسعة من الغضب، فجّرت أعمال العنف ضد السكان اليهود فى العديد من الأراضى الروسية.. ومررت الحكومة الروسية «قوانين أيار» القاسية إرضاء لوجهات نظر الرسميين الروس الكبار، الذين قالوا: «إذا كانت سياسة التسامح التى اتبعها ألكسندر الثانى لم تكن كافية لإرضاء اليهود ومصالحتهم، فلن يرضيهم شىء بعد الآن إلا أن يبسطوا سيطرتهم المطلقة على روسيا».. وهكذا وللمرة الثانية راح الشعب اليهودى بأسره ضحية الجرائم التى يرتكبها الذين نصبوا أنفسهم زعماء له.

فى الثالث والعشرين من أيار عام ١٨٨٢، طلب وفد يهودى برئاسة البارون جينزبيرغ مقابلة القيصر ألكسندر الثالث للاحتجاج على القوانين المذكورة.. ووعد القيصر بإجراء تحقيق شامل فى القضية بأجمعها، وخاصة فيما يتعلق بالأزمة بين اليهود وغير اليهود من سكان الإمبراطورية الروسية.. وفى الثالث من أيلول أصدر البيان الآتى: «منذ مدة والحكومة تولى بالغ العناية لليهود ومشاكلهم، مع الانتباه للأوضاع المحزنة للسكان المسيحيين الناشئة عن الطرق التى يستعملها اليهود فى قضايا العمل والمال.. خلال العشرين سنة الماضية لم يكتف اليهود بالسيطرة على كل التجارات والأعمال بفروعها، بل سيطروا أيضا على أجزاء كبيرة من

الأراضى، إما بشرائها أو بزراعتها.. وباستثناء القليل، كرس اليهود جهودهم كمجموع، ليس لإثراء الدولة ولفائدتها، بل لخداع الشعب الروسىّ بحيلهم الملتوية.. وقد قاسى الفقراء بنوع خاص من هذا، فتصاعدت الاحتجاجات من الرعايا، وتجلى ذلك فى أعمال العنف التى قام بها الشعب ضد اليهود.. وقد سعت الحكومة لتخليص اليهود من الاضطهاد والمذابح، لكن لا يسعها تحت ضغط ملح إلا أن تتبنى القوانين القاسية، لتخليص الشعب من اضطهاد اليهود وأعمالهم الشريرة».

إن إقرار قوانين أيار لم يكن فقط انتقاما لمقتل القيصر ألكسندر الثانى، وإنما كان نتيجة للتحذيرات المتوالية التى وجهها الاقتصاديون الروس للحكومة، بهدف الحد من النشاطات المالية غير المشروعة التى يمارسها اليهود، والتى تهدد الاقتصاد الروسى بالخراب، مع أنهم لا يشكلون سوى نسبة ٢,٤٪ من سكان الإمبراطورية.

■ ■ ■

كان اليهودىّ الألمانى تيودور هيرتزل يبث الشكوك عند اليهود، عندما يقوم بإعلامهم عن سياسة كارل ريتر اللاسامية، وكيف أنّها تنتشر بسرعة بين الشعب الألمانى.. واقترح هيرتتزل إقامة منظمة يهودية تدعى «حركة العودة إلى إسرائيل» Jewish Back to Israel Movement باسم المحافظين من اليهود.. وكانت تلك بداية الحركة الصهيونية.

■ ■ ■

بعدما أصدر القيصر ألكسندر الثالث حكمه بلوم اليهود، وإلقاء المسؤولية على عاتقهم فى حالة الفوضى والخراب الاقتصادى فى الإمبراطورية، قامت قيادات الحركة الثورية بإنشاء «الحزب الاشتراكى الثورى».. وعهد بتنظيم هذا الحزب إلى رجل قاس لا يعرف الرحمة أسمه

جيرشونى.. وكان تنظيم «القطاعات المقاتلة» من نصيب خياط يدعى يفنوا أرنف.. وشدد قواد الحركة الثورية على ضرورة استجلاب غير اليهود إليها.

وبالإضافة إلى التسبب بالاضطرابات العمالية وخلق الأوضاع السيئة بين طبقات المجتمع الروسى، كانت الأحزاب الثورية فيما بين ١٩٠٠ و١٩٠٦ تثير المتاعب الدينية، حتى أوصلتها إلى درجة الغليان.. وكانت القمة التى وصلت إليها تلك المتاعب حوادث القتل والاغتيال بالجملة.. وحدث الانفجار بشكل ثورة عام ١٩٠٥م.

كان من الشخصيات الرسمية الذين قام باغتيالهم قسم الإرهاب فى الحزب الثورى، بوغوليبوف وزير التربية عام ١٩٠١م.. وجاءت هذا الحادث تسجيلا لغضب اليهود على السياسة التربوية التى تضمنتها قوانين أيار، فقد حددت عدد اليهود الذى يسمح لهم بالانتساب إلى مدارس الدولة وجامعاتها، بنسبة لا تزيد على نسبة السكان اليهود إلى تعداد الشعب الروسىّ كله.

وفى العام التالى «١٩٠٢» اغتيل وزير الداخلية سيباغين، تأكيدا لغضب اليهود على سياسة قوانين أيار، والتى قضت بمنع اليهود من السكن خارج أحيائهم ومجمعاتهم الخاصة.

عام ١٩٠٣ اغتيل بوغدانوفيتش حاكم يوفا.. وفى عام ١٩٠٤ قتل رئيس الوزراء فيشيليف فون بيلف.. وعام ١٩٠٥ انفجرت أول ثورة عامة فى روسيا، واغتيل خال القيصر الدوق سرجيوس فى ١٧ شباط.. وفى كانون الأول ١٩٠٥ اضطهد الجنرال دوبراسو الثوريين، ولكنهم اغتالوه فى العام ١٩٠٦م.

بعدما ألقى القيصر اللوم على عاتق اليهود واتهمهم بالتسبب بالحالة المتردية فى روسيا، تلقى البارون جينزبيرغ تعليمات بالعمل على تفتيت الإمبراطورية الروسية.. وكان من ضمن الخطة خلق الفوضى والاضطراب

بين صفوف الجيش الروسى فى الشرق الأقصى، عن طريق تدمير خطوط المواصلات فى سيبيريا.. وقد أدى ذلك إلى إيقاف الإمدادات والمعونات عن الجيش البرى والبحرية الروسية.

ومن طرف أخر، أمر أحد ضباط البحرية الروس سفنه، بإطلاق النار على أسطول من سفن الصيد البريطانية التى كانت فى بحر الشمال.. وكان رد الفعل الشعبى فى بريطانيا عنيفا.. وقد تطوع بعد هذه الحادثة عدد كبير من ضباط البحرية البريطانية ومن ملاحى السفن التجارية البريطانية لتقديم خدماتهم لليابان.

بخلاف أنّ أصحاب المصارف العالميين فرضوا عقوبات اقتصادية على الإمبراطورية الروسية، وأوصلوها حتى الإفلاس تقريبا.. وضربوا حظرا على التجارة والمبادلات الروسية.. وعام ١٩٠٤ وبعد توريط روسيا فى الحرب مع اليابان، نكثت مؤسسة روتشيلد بوعودها، ورفضت إمداد روسيا بالمساعدات المالية، بينما قامت شركة كوهن ـ لوب وشركائهما فى نيويورك بإمداد اليابان بكل القروض التى طلبتها.

جاء فى الموسوعة البريطانية طبعة عام ١٩٤٧ فى المجلد الثانى الصفحة ٧٦ ما يلى: «وكان الوزير الروسى يسعى بكل جهده للحصول على المال.. ودخلت الحكومة الروسية فى مفاوضات مع دار روتشيلد للحصول على قرض كبير.. ووقع الطرفان اتفاقا مبدئيا، إلا أن دار روتشيلد أبلغت وزير المال الروسى أنه ما لم تتوقف أعمال الاضطهاد ضد اليهود، فإن الدار ستكون مضطرة للانسحاب من العقد.. وقد كانت الحاجة الملحة للخزينة الروسية واحدة من الأسباب التى دفعت للتحالف الفرنسى الروسى، تماما كما كان إنهاء معاهدة بسمارك للحياد المشترك».

وكانت مؤسسة يعقوب شيف فى نيويورك منذ العام ١٨٩٧ تموّل حركات الإرهابيين فى روسيا.. وعام ١٩٠٤ ساعد فى تمويل الثورة التى نشبت فى

العام التالى. وكما ساعد فى تنظيم حملة عالمية لتمويل ثورة سنة ١٩١٧ التى أعطته وشركاءه أول فرصة لوضع نظرياتهم الديكتاتورية موضع التنفيذ.

لينين:

اشترك ألكسندر أوليانوف فى المؤامرة التى هدفت إلى اغتيال القيصر ألكسندر الثالث.. وقد فشلت تلك المحاولة، وقبض على ألكسندر أوليانوف وحوكم وحكم عليه بالموت.. وكان هذا هو السبب فى أن أخاه فلاديميير نذر نفسه للقضية الثورية، ولمع نجمه وترقى فى القسوة والسلطان، حتى أصبح رئيسا للحزب البلشفى، واتخذ لنفسه اسم «لينين».. وقد أصبح فيما بعد الحاكم المطلق الأول لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية.

تلقى لينين ثقافة جامعية.. وقام الطلاب اليهود بإقناعه أنه قد آن الأوان لقلب الطبقة الحاكمة لكى تباشر الجماهير حكم نفسها بنفسها.

ولمع نجم لينين كواحد من المثقفين المفكرين، وارتبط بقادة الحزب الثورى حين كان فى أوائل العقد الثالث من عمره.. وفى العام ١٨٩٥ سافر لينين إلى سويسرا ـ وكان عمره ٢٥ سنة ـ لملاقاة بليخانوف، الذى فر من روسيا.

وفى سويسرا انضم لينين وبليخانوف، الذين كانا من غير اليهود، إلى فيرازاسوليتش و ب. أكسلرود ويوليوس تسديرباوم، وكانوا كلهم من اليهود، وألفوا جمعية ماركسية على نطاق عالمىّ، أسموها «جماعة تحرير العمال».

■ ■ ■

أقنعت المحاولة الثورية المجهضة عام ١٩٠٥ لينين، بأن الطريق الوحيد للقيام بثورة ناجحة، هو تنظيم لجنة دولية تتولى الإعداد لتنفيذ الخطة التى يتفق عليها.. وهكذا أوجد لينين الكومنترن، وهى اللجنة المركزية الدولية للتخطيط الثورى.

■ ■ ■

بعد ما قرّ رأى لينين حول سياسته الخاصة، عاد إلى روسيا مع مارتوف لتنظيم حملة التمويل، التى تألفت من عمليات الابتزاز وسرقات المصارف وغيرها من الأعمال غير المشروعة.. واحتج لينين لذلك بأنه من المنطقى أن يأخذ أموال الناس الذين يخطط لقلب حكومتهم... وأصر لينين على أن يكون من برامج التدريب للمبتدئين فى الحزب عمليات سرقات المصارف ونسف مخافر الشرطة وتصفية الخونة والجواسيس.

والحقيقة أن القادة القلائل الأول للشيوعية كانوا ينتمون إلى طبقة العمال.. وكان معظمهم من المثقفين ثقافة حسنة.. وفى عام ١٨٩٥ تسببوا بسلسلة من الاضطرابات، تحوّل بعضها إلى أعمال شغب.. وهكذا أوجدوا واحدا من الأصول الأساسية فى التخطيط الثورى «تطوير الحوادث الصغيرة حتى تصبح أعمال شغب، والتسبب فى إحداث مواجهة فعلية مباشرة بين الشعب والشرطة».

■ ■ ■

ألقى القبض على لينين ومارتوف وعدد آخر من الثوريين وأرسلوا إلى السجن، وأنهى لينين سجنه عام ١٨٩٧م.. وهكذا أخذ لينين معه زوجته اليهودية الشابة وأمها، وذهبوا جميعا إلى المنفى.. وخلال فترة المنفى، اتفق لينين ومارتوف وبوتريسوف على أن ينشئوا صحيفة بعد منفاهم، تكون جامعة لشتات المفكرين والطاقات العقلية فى القوى الثورية، التى كانت ما تزال منقسمة إلى أحزاب عديدة.

وبعد أن أنهى لينين فترة الحكم بالنفى فى شباط ١٩٠٠، وأنشأ «الابسكرا» Iskra ومعناها الشرارة.. وكانت زوجة لينين سكرتيرة مجلس تحريرها.. ولمدة من الزمن كانت تتم طباعة الجريدة فى ميونخ بألمانيا، وكانت نسخ الجريدة تهرب إلى روسيا وغيرها من البلدان بواسطة الشبكة السرية التابعة لماسونيى الشرق الأكبر.

ودعت الصحيفة إلى إنشاء مؤتمر لتوحيد الجماعات الماركسية المختلفة، يكون مركزه فى بروكسل عام ١٩٠٣م.. وتتمثل فى هذا المؤتمر الديموقراطيون الاشتراكيون من روسيا، والديموقراطيون الاشتراكيون البولنديون التابعون لروزا لوكسمبورغ وجماعة تحرير العمل وجماعة «الماكسيماليين».. ولكن الشرطة البلجيكية اتخذت إجراءات مضادة، مما دفع الأعضاء للتحرك إلى لندن.. ولهذا المؤتمر أهمية تاريخية، فخلاله حدث الانشقاق العقائدى بين الكتاب الذين يكتبون فى «الشرارة»، وأصبح لينين زعيما لمجموعة البولشفيك الذين كانوا يشكلون الأكثرية، وأصبح مارتوف زعيما لمجموعة المنشفيك وكانوا الأقلية.

وقد قام المنشفيك بثورتهم عام ١٩٠٥ فى روسيا، بعد أحداث الأحد الدامى، الذى ألقى اللوم فيها على القيصر.. ولكن الذين تحروا الحقائق وجدوا دلائل كافية على أن الحادث كان مخططا له، ومنفذا من قبل الجماعات الإرهابية، بهدف إثارة الغضب والحقد ضد القيصر بين جموع العمال غير اليهود.. وقد مكنت تلك الحادثة زعماء الحركة الثورية من الاعتماد على الألوف من الرجال والنساء من غير اليهود، الذين كانوا حتى ذلك اليوم الحزين يدينون بالولاء للقيصر ويدعونه «الأب الصغير».

■ ■ ■

فى الثانى من كانون الثانى قامت بعض الاضطرابات العمالية فى معامل بوتيلوف الضخمة فى بطرسبرج، ودعى للإضراب العام.. ولكن الأب جابون، قال إنه سيحل المشاكل المعلقة بالتحدث مباشرة مع القيصر.. وفى يوم الأحد ٢٢ كانون الثانى نظم الأب جابون مسيرة سلمية كبيرة، اشترك فيها الألوف من العمال مصحوبين بنسائهم وأطفالهم.. واتجهت المسيرة إلى أبواب القصر.. وبحسب التقارير الصحيحة كانت المسيرة منظمة ومنضبطة تماما.. وكان المشتركون فيها يحملون لافتات كتب عليها عبارات الولاء

للقيصر.. وعلى أبواب القصر، وبدون أدنى إنذار، انهالت زخات الرصاص من البنادق والرشاشات حاصدة العمال، وناشرة الفوضى فى المسيرة.. وذبح المئات من العمال مع عائلاتهم، وتحولت الساحة أمام القصر إلى فوضى موجعة.. ومنذ ذلك اليوم يعرف هذا التاريخ (٢٢ كانون الثانى) بيوم الأحد الدامى.. هل كان نيقولا الثانى مسؤولا.. الحقيقة الثابتة أنه لم يكن فى القصر، ولا حتى فى المدينة فى ذلك الوقت.. ومن المعلوم أن ضابطا من ضباط الحرس هو الذى أصدر أمر إطلاق النار إلى الجنود.. ومن المحتمل أن يكون هذا الضابط منفذا لأوامر رؤسائه الإرهابيين.. وكان هذا العمل بمثابة الشرارة التى تدير المحرك، وتلا ذلك وهج الثورة الشاملة.

بصرف النظر عمن كان المسئول، فقد كانت النتيجة أن انضم عشرات الألوف من العمال الذين كانوا يدينون بالولاء للقيصر، إلى الحزب الاشتراكى الثورى، وامتدت الحركة إلى المدن الأخرى.. وحاول القيصر أن يكبت المد الثورى، فأمر منذ مطلع شباط بإجراء تحقيق فى الحادثة على يد لجنة شيدلوفسكى.. وفى آب أعلن أن الاستعدادات جارية لتشكيل مجلس تمثيلى تشريعى ديموقراطى، وعرف هذا بعد تأسيسه بالدوما Duma.. وعرض أن يمنح عفوا شاملا لكل السجناء السياسيين.. وتحت مفعول هذا العفو، عاد لينين وزعماء البلاشقة إلى روسيا فى تشرين الأول.. ولكن لم يستطع القيصر برغم كل ما فعله أن يلجم المد الثورى.

فى العشرين من تشرين الأول ١٩٠٥ أعلن اتحاد عمال السكك الحديدية الذى يسيطر عليه المنشفيك الإضراب العام.. وفى الخامس والعشرين من ذلك الشهر امتد الإضراب وشمل موسكو وسمولنسك وكيرسك وغيرها من البلدان.. وفى السادس والعشرين من الشهر تأسست حكومة بطرسبرج الثورية.. وكانت تلك الحكومة تحت سيطرة المنشفيك فى حزب العمل الاشتراكى الديموقراطى الروسىّ، مع أن الحزب الاشتراكى كان

ممثلا.. وكان أول رئيس له هو منشفيك سبوردفيسك. وقد تم إبداله بسرعة بجورجى نوسار. وهذا بدوره خُلع على يد تروتسكى الذى أصبح رئيسا اعتبارا من التاسع من كانون الأول ١٩٠٥م.. وفى السادس عشر من كانون الأول ألقت قوة عسكرية القبض على تروتسكى وعلى ٣٠٠ من أعضاء الحكومة الثورية.. ولم يكن بين الموقوفين بلشفىّ بارز واحد.

ولم تنته الثورة.. فى العشرين من كانون الأول استولى يهودى اسمه بارفوس على السلطة فى إدارة ثورية جديدة، ودعا إلى إضراب عام فى بطرسبرج، فاستجاب لندائه ٩٠,٠٠٠ عامل.. وفى اليوم التالى أضرب ١٥٠,٠٠٠ عامل فى موسكو.. وفى الثلاثين من كانون الأول عادت بعض الوحدات وبعض الضباط الذين كانوا ما يزالون موالين للقيصر، واستعادوا السلطة بأعجوبة.. وهكذا وضعوا حدا للثورة.. وحافظ القيصر نيقولا على وعده وتم إنشاء الدوما وانتخاب المجلس التشريعى.

■ ■ ■

فى عام ١٩٠٧ عقد المؤتمر الخامس لحزب العمل الاشتراكى الديموقراطى الروسى فى لندن.. ودعا هذا المؤتمر لدراسة ثورة ١٩٠٥ المجهضة.. وألقى لينين تبعة الفشل على انعدام التعاون بين المنشفيك وبقية الزعماء الثوريين، ودعا إلى سياسة موحدة وإلى عمل موحد.

ورد مارتوف الضربة للينين، واتهمه بأنه قصر فى تقديم المعونة المفروضة عليه لثورتهم.. واتهمه خاصة بحجز المعونة المالية عنهم.. وكان ما يثير الإزعاج لدى ماروتوف وغيره من الزعماء اليهود مثل ابراهاموفيتش وزورا لوكسمبورغ، هو أن لينين قد استطاع تأمين المال اللازم لحضور هذا العدد الكبير من المندوبين فى المؤتمر.. واتهموه بأنه يقوم بتمويل حزبه البلشفى عن طريق النهب والخطف والتزوير والسرقة.. ووبّخوه لرفضه أن يكتتب بجزء معتبر من أمواله المنهوبة لصالح منظمة الوحدة المركزية.

واتفق المؤتمرون فى النهاية على وجوب إيجاد تعاون أوثق بين القادة الثوريين وقرروا اختيار من سيقوم بتحرير صحفهم، وألقوا أهمية كبرى على الدعاية، مع التشديد على أن كل ما ينشر فى الصحف يجب أن يكون ضمن سياسة الصحيفة التى تلتزم بخط الحزب.

وفى العام ١٩٠٨ بدا البولشفيكك إصدار صحيفتهم «البروليتاريا».. وأصدر المنشفيك «جو لوس سوسيتال ديموقراطيا».. بينما أصدر تروتسكى مطبوعة شبه مستقلة سماها «فيينا برافده» Vienna Pravda.

وفى العام ١٩٠٩، حصل لينين على التأييد غير المشروط من زعيمين يهوديين، هما زينوفييف وكامينيف.. وأصبحوا يعرفون «بالترويكا» أى الثلاثى.. واستمرت هذه الصداقة حتى وفاة لينين فى عام ١٩٢٤م.

■ ■ ■

قرر لينين أن يختبر شجاعة ومدى إمكانية الوثوق بتلميذه الجديد ستالين، وأراد أيضا أن يُرى القواد الآخرين فى الحركات الأخرى أنه مستقل ماليا.. وللقيام بهذا العمل المزدوج كلف لينين ستالين بسرقة مصرف تيفليس.. واختار ستالين شريكا له فى تلك المهمة أرمنيا يدعى بترويان، الذى أبدل اسمه فيما بعد فأصبح كامو.. وكمنا لعربة المصرف، وقذفها بترويان بقنبلة فجّرت كل ما فيها، ولم يبق صحيحا إلا الصندوق المتين الذى يحوى ٢٥٠,٠٠٠ روبل.. وقتل فى هذا الحادث ٣٠ شخصا.. وهكذا أثبت ستالين قدرة قيادية كافية فيه.

■ ■ ■

فى نهاية ثورة ١٩٠٥، شرع القيصر نيقولا الثانى بإجراء إصلاح جذرى، وصمم على تحويل الملكية الروسية المطلقة إلى حكم ملكى دستورى على الطريقة الانكليزية.. وبدأ مجلس الدوما بالعمل، وكان رئيس الوزراء بيتر أو

كاديفيتش ستولين أحد المصلحين الكبار، وقد أصدر «قوانين ستوليين»، التى منحت الحقوق المدنية للفلاحين، الذين كانوا يشكلون نسبة ٨٥٪ من مجموع الشعب الروسى.. وقد أدت إصلاحاته الزراعية إلى تأمين المعونات المالية الكافية للفلاحين، بحيث أصبح بمستطاع الفلاح شراء أرضه بنفسه.. وكان اعتقاده يتجه إلى أنّ الوسيلة الوحيدة لمحاربة دعاة الطريقة الشيوعية فى الحياة، هى تشجيع فكرة الاستهلاك الفردى.

وكان هم الزعماء الثوريين هو الاستيلاء على السلطة، ولم تكن تهمهم الإصلاحات فى شىء.. وفى العام ١٩٠٦ حاولت جماعة إرهابية اغتيال ستولين، فدمروا منزله بقنبلة.. وحيكت خطط عديدة للتخلص من رئيس الوزراء، الذى لم يكن الشعب الروسى ليحلم بأفضل منه.. وفى ليلة مظلمة من ليالى أيلول عام ١٩١١، اغتيل أكبر وزير مصلح عرفته روسيا، بينما كان يحضر عرضا مسرحيا فى مسرح كييف.. وكان القاتل محاميا يهوديا يدعى موردخاى بورغوف.

وقد حاولت الحكومة الروسية أن تطبّق إصلاحات ستولين بعد مقتله.. وفى عام ١٩١٢ أعطى قانوني تأمين العمال الصناعيين، تعويضا عن المرض وعن الحوادث، بنسبة ثلثى المرتب العادى عن المرض وثلاثة أرباع عن الحوادث.. وأعطيت صحف الحركات الثورية صفة شرعية لأول مرة بعد إنشائها.. واتسعت المدارس الحكومية وامتدت.. وأعيد النظر فى قوانين الانتخابات لتضمن انتخابا أكثر حرية وأكثر تمثيلا.. وفى العام ١٩١٣ منحت حكومة القيصر عفوا شاملا لكل السجناء.. وفور إطلاقهم من السجن شرع هؤلاء فى التآمر والتخطيط لقلب الحكومة الروسية. ودعا الإرهابيون إلى تصفية أفراد العائلة المالكة.. ولكن الإصلاحات كانت قد أقنعت الأكثرية الساحقة من الشعب الروسى.. وبدا فى ذلك الوقت أن قضية الثورة أصبحت مسألة ميتة، فركز الثوريون مجهوداتهم فى بلدان

أخرى، وعلى وجه الخصوص فى أسبانيا والبرتغال.

وأخذت أجهزة الدعاية الشيوعية تبث ضبابا أحمر.. ونظمت حملة مدروسة من التشهير فى روسيا، على غرار ما جرى فى فرنسا وإنكلترا قبيل ثورتيهما.. وهكذا أصبح الإنسان العادى لا يتصور القياصرة والنبلاء الروس إلا وحوشا ملتحين، يستعبدون الفلاحين ويغتصبون نساءهم الشابات، ويخترقون أجساد الأطفال برماحهم فى أثناء نزهاتهم على ظهور الجياد عبر القرى.. ولكى نبرهن إن آخر القياصرة كان من المصلحين، فسوف نستشهد بكلمات لبرترام وولف وقد كان ضد القيصرية ومع الثورة.. يقول وولف فى الصفحة ٣٦٠ من كتابة «ثلاثة صنعوا ثورة»: «بين ١٩٠٧ و١٩١٤، وتحت قوانين ستولين للإصلاح الزراعى، أصبح ٢,٠٠٠,٠٠٠ من الفلاحين مالكين لأراضيهم فى القرى.. وقد استمرت حركة الإصلاح تلك حتى فى سنى الحرب ١٩١٤ ـ ١٩١٧م.. وفى أول كانون الثانى ١٩١٦ بلغ عدد المنتفعين ٦,٢٠٠,٠٠٠ فلاح.. ورأى لينين أنّه لو تأخرت الثورة عقدين من الزمان، فستحول الإصلاحات الزراعية وجه الريف الروسى، بحيث لا يعود قوة ثورية يعتمد عليها.. وقد كان لينين على حق.. فعندما دعا فى العام ١٩١٧ الفلاحين «للاستيلاء على أراضيهم" كانوا هم قد ملكوا أكثر من ثلاثة أرباعها فى ذلك الوقت».

■ ■ ■

ومن سوء الحظ أن راسبوتين كان يمارس ضغوطا شريرة على رجال ونساء البلاط الإمبراطورى.. وكانت الإمبراطورة واقعة بشكل كبير تحت تأثير راسبوتين، فقد كان الوحيد الذى استطاع وقف النزيف الذى أصاب ابنها الصغير.

ويبدو واضحا أن راسبوتين كان يتمتع بقوى نفسية مغناطيسية، الأمر الذى كان شائعا لدى فئة من الشعب الروسى.. وبدا أنه استطاع أن يضع الإمبراطورة

تحت سيطرته، لجعلها تجبر القيصر على ما يريد راسبوتين أن يفعله، فكان هو الذى يحكم روسيا، الأمر الذى أدى إلى استياء الشعب الروسى.

ومن الثابت أيضا أن راسبوتين أدخل إلى دوائر البلاط رجالا ونساء كانوا يمارسون طقوسا وثنية، مثل التى كانت تنفذ سرا فى الباليه روٰيال قبيل اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م.. وكانت هذه الطقوس تستند إلى مبدإ تافه، يقول إن الأرواح لا تنجو إلا إذا انحدرت إلى الدرك الأسفل فى الخطيئة!.. وأدخل راسبوتين المخربين إلى البلاط الإمبراطورى، مما مكنهم من الاطلاع على أسرار الشخصيات الكبيرة، وبالتالى ابتزازهم وجرهم لفعل ما يأمرهم به رؤساء المخربين.

الحرب العالمية الأولى:

فى كانون الثانى من عام ١٩١٠، اجتمع تسعة عشر قائدا من قواد الحركة الثورية العالمية فى لندن.. ويعرف اجتماعهم هذا بـ «مجمع كانون الثانى للجنة المركزية».

وقرر المجمع القبول بصحيفة «سوسيتال ديموقراطيا» صحيفة الحزب العامة.. واختار البلاشقة لينين وزينوفييف محررين فى الجريدة، بينما اختار المنشفيك لتمثيلهم فيها مارتوف ودان.. وعين كامينيف مساعدا لتروتسكى فى تحرير صحيفة «فيينا برافده».. وكان على الأعضاء أن ينشطوا للدعوة إلى مبادئهم الثورية الإلحادية.

■ ■ ■

اغتيلت إمبراطورة النمسا عام ١٨٩٨م.. واغتيل الملك هومبرت عام ١٩٠٠، والرئيس ماكينلى عام ١٩٠١م.. واغتيل الغراندوق رجيوس الروسى عام ١٩٠٥م.. واغتيل ملك البرتغال وولى عهدها عام ١٩٠٨م.

قرر قادة الحركة الثورية العالمية المجتمعون فى جنيف بسويسرا أنه

أصبح من الضرورى إزالة الملك كارلوس ملك البرتغال لتأسيس جمهورية فى تلك البلاد، وهكذا أصدروا الأمر باغتياله عام ١٩٠٧م.. وفى كانون الأول ١٩٠٧ ذهب ميغالهايس ـ رئيس مجمع الشرق الأكبر الماسونى فى البرتغال ـ إلى باريس، ليحاضر أمام المحافل الماسونية.. وكان موضوع محاضرته «البرتغال، محاولة قلب الملكية، وضرورة إنشاء نظام جمهورى».. وبعد ذلك بأسابيع قليلة، اغتيل كل من الملك كارلوس وابنه ولى العهد.

وقال فيرغون ـ خطيب المجمع الماسونى للشرق الأكبر فى أسبانيا ـ فى ١٢ شباط ١٩١١: «ألا تدرون ذلك الشعور العميق بالفخار الذى أحسسنا به لدى إعلان الثورة البرتغالية؟.. فقد تم فى ساعات قلائل، الإطاحة بالعرش وانتصار الشعب وإعلان الجمهورية.. كان ذلك بالنسبة للمبتدئين بمثابة ومضة برق فى سماء صافية. ولكننا نحن، يا إخوتى، نحن الذين نفهم.. نحن نعرف التنظيمات المدهشة لإخواننا البرتغاليين، كما نعرف حماستهم التى لا تفتر وعملهم الذى لا يتوقف.. ونحن نعلم سر ذلك الحدث المجيد».

اجتمع قادة الحركة الثورية العالمية والمسؤولون الكبار فى الماسونية الأوروبية فى سويسرا عام ١٩١٢م.. وقرروا فى هذا المؤتمر اغتيال الأرشيدوق فرانسيس فرديناند، تمهيدا للحرب العالمية الأولى.. وفى ١٥ أيلول ١٩١٢، نشرت مجلة «ريفيو انترناسونال دى سوستيه سيكرت» التى يحررها (م. جوين) الكلمات التالية على الصفحات ٧٨٧ ـ ٧٨٨: «قد يلقى بعض الضوء يوما على هذا الكلام، الذى قاله مسئول ماسونىّ كبير فى سويسرا، لدى بحث موضوع وريث عرش النمسا.. قال ذلك المسؤول: «إن الأرشيدوق رجل نبيه، ومما يؤسف له أنه محكوم عليه.. سوف يموت على درجات العرش»».

وألقى الضوء على هذه الكلمات خلال محاكمة القتلة، الذين اغتالوا وريث العرش النمساوى وزوجته فى ٢٨ حزيران ١٩١٤م.. وكان هذا العمل

الذى ارتكب فى ساراييفو، الشرارة التى أدت إلى انفجار الحرب العالمية الأولى.. إن التقرير المختزل الذى كتبه فالروس حول المحاكمة هو وثيقة دامغة.. ويثبت هذا التقرير أن أصحاب المصارف العالميين استعملوا محافل الشرق الأكبر الماسونية لإشعال الحرب العالمية الأولى، تماما كما استعملوها بين ١٧٨٧ و ١٧٨٩ لتفجير الثورة الفرنسية.. وفى ١٢ تشرين الأول ١٩١٤ استجوب رئيس المحكمة العسكرية كابرينوفيك Cabrinovic، ملقى القنبلة الأولى على سيارة الأرشيدوق.

قال رئيس المحكمة: «أخبرنى المزيد عن البواعث.. هل كنت تعرف قبل القيام بالمحاولة، أن تانكوزيك وسيجانوفيك من الماسونيين؟.. وهل أثر على قراراتك كونك ماسونيا مثلهم؟».

كابرينوفيك: «نعم».

الرئيس: «هل تلقيت منهم الأمر بتنفيذ الاغتيال؟».

كابرينوفيك: «لم أستلم من أحد أمرا بالاغتيال.. وكل ما فعلته الماسونية هو أنها قوّت من عزيمتى.. والقتل مسموح به فى الماسونية.. وقد أخبرنى سيجانوفيك أن الماسونية كانت قد حكمت على الأرشيدوق فرانز فرديناند بالموت منذ أكثر من سنة».

أضف إلى ذلك الإثبات، البرهان الآخر الذى قدمه الكونت زيزين، وهو أحد الأصدقاء الحميمين للأرشيدوق.. قال: «كان الأرشيدوق يعلم أن محاولة لاغتياله وشيكة الوقوع، وقد أخبرنى قبل الحرب بنفسه أن الماسونيين الأحرار قرروا اغتياله».

■ ■ ■

وبعد النجاح فى إشعال نار الحرب العالمية الأولى، حاول القادة الثوريون إقناع العمال والجنود أن هذه الحرب هى حرب رأسمالية.. وألقوا باللوم على الحكومات فى كل القضايا الشائكة.

لما كانت روسيا خارجة من حرب منهكة مع اليابان منذ سنوات قليلة، كان من السهل نسبيا خلق جو عام من الشك والقلق فى نفوس العمال الروس، وحتى بين جنود القوات المسلحة فى فترة ١٩١٤ ـ ١٩١٦م.. وحتى كانون الثانى ١٩١٧، كانت الجيوش الإمبراطورية الروسية قد تكبدت ما يقارب ٣,٠٠٠,٠٠٠ إصابة، وفقدت زهرة شبابها.

كان لينين ومارتوف فى سويسرا، وهى البلد المحايد الذى توضع فيه كل المخططات والمؤامرات العالمية.. وكان تروتسكى يتولى تنظيم المئات من الثوريين الروس الذين لجأوا إلى الولايات المتحدة.. وكان قادة المنشفيك يمارسون نشاطهم التخريبى فى روسيا.. واتتهم الفرصة فى كانون الثانى ١٩١٧م.. وقد حدثت عمليات نفذت بمهارة، أدت إلى تخريب أجهزة الاتصالات، ومركز النقل ووزارة التموين.. ونتج عن ذلك نقص خطير فى المواد الغذائية فى بطرسبرج.. وحدث هذا فى الوقت الذى كانت فيه المدينة تشكو من تضخم عدد السكان، بسبب العمال الصناعيين الذين كانوا يفدون إليها، بسبب الاحتياج إليهم فى المجهود الحربى.

وكان شباط ١٩١٧ شهرا رديئا، وعمل بنظام تقنين الطعام.. وكان القلق عاما فى آذار.. وكانت صفوف المواطنين طالبة الخبز تتزايد باستمرار.. وفى آذار امتلأت الشوارع بالعاطلين عن العمل.. وكان القيصر ما يزال فى الجبهة يزور الجنود.

وفى ٧ آذار، نظم قادة المنشفيك اليهود تظاهرة نسائية فى الشوارع، احتجاجا على النقص فى الخبز.

وفى ٨ آذار قامت النساء بتظاهرتهنّ الكبرى.. وبعد ذلك تدخل الثوريون.. وكانت جماعات مختارة تقوم بمتظاهرات جانبية.. وظهرت زمر الأشرار هنا وهناك، تنشد الأناشيد الثورية وترفع الأعلام الحمراء.. وفى تقاطع نيفسكى بروسبكت وقنال سانت كاترين، قام رجال الشرطة والجنود بتفريق المتظاهرين بدون أى إصابة.. وبدا أن الأوامر المحددة كانت قد أعطيت للجنود لتجنب التورط مرة ثانية فى حادثة مماثلة لحادثة يوم الأحد الدامى عام ١٩٠٥م.

فى التاسع من آذار امتلأت المنطقة بين نيفسكى بروسبكت وسانت كاترين حتى محطة نيقولاى بالجماهير الحاشدة، التى أصبحت أكثر شجاعة تحت تحريضات مثيرى الفتن والمشاعر.. وتولّت خيالة القوزاق تنظيف الشارع.. ولم يستعمل الخيالة إلا باطن سيوفهم، ولم تستعمل الأسلحة النارية أبدا.. وأغاظ هذا التسامح الزعماء الثوريين، الذين أصدروا تعليماتهم للمحرضين بزيادة جهودهم، لإحداث مواجهة مباشرة بين الشعب وبين الشرطة والجنود.. وفى الليل ركب الثوريون مدافعهم الرشاشة فى مواضع خفية من المدينة.

وفى آذار، حدثت حادثة مؤسفة.. فقد احتشد جمهور غفير أمام محطة نيقولاى.. وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر، مرت فى تلك الساحة عربة فيها رجل مغطى بالفرو لحمايته من البرد القارس.. وكان الرجل عديم الصبر، فأمر سائقه بالمرور بين الناس.. وكان هذا خطأ منه فى الحكم على أعصاب المحتشدين.

سحب الرجل من عربته، وانهال الناس عليه ضربا.. وعندما استطاع الوقوف على قدميه، جر نفسه إلى عربة متوقفة فى الشارع، فلحقه قسم من الجمهور، حيث ضربه أحدهم بقضيب من الحديد على أم رأسه.. وأثار هذا العمل شهوة الدماء عند الجمهور، فاندفعوا عبر شارع نيفسكى

يحطمون النوافذ ويثيرون الشغب.. وبدأت المعارك، وعمت الفوضى.. وكان القادة الثوريون بحسب الخطط الموضوعة، يطلقون النار على الجماهير من أماكنهم السرية.. وهاج الرعاع، وهاجموا الشرطة، متهمين إياها بالبدء فى إطلاق النار عليهم، وذبحوا شرطيا مقابل كل رجل منهم.. ثم جرى إطلاق سراح المساجين، ليشتركوا فى حملة الدم.. وهكذا خلقوا الظروف الملائمة لحكم الإرهاب.

وفى ١١ آذار، أدى إطلاق سراح السجناء والمجرمين إلى خلق حالة فوضى وشغب عامة.. وكان مجلس الدوما ما يزال يتابع محاولاته لتطويق المد الثورى.. وأرسلوا إلى القيصر رسالة مستعجلة، يخبرونه فيها أن الحالة خطيرة، ويشرحون بإسهاب حالة الفوضى السائدة.. ولكن الخلايا الشيوعية العاملة فى حقل المواصلات أرسلت رسالة أخرى.. ولدى قراءة القيصر لهذه الرسالة المزورة، أمر بحل مجلس الدوما!!.. وهكذا حرم نفسه من تأييد أكثرية الأعضاء الموالية له.

وفى ١٢ آذار، ثارت بعض الوحدات وقتل الجنود ضباطهم.. وفجأة استسلمت حاميات حصون سانت بيتر وسانت بول، وانضم معظم الجنود إلى الثورة.

وفور استسلام الحاميات، تشكلت لجنة من الدوما مؤلفة من ١٢ عضوا.. وقد استمرت تلك الحكومة الإقليمية فى العمل، حتى قلبها بلاشفة لينين فى تشرين الثانى من ١٩١٧م.. وتولى القادة الثوريون تنظيم حكومة بطرسبرج الثورية، وسمحوا للحكومة الإقليمية بالعمل لأنها كانت تمثل السلطة الشرعية.

وتولى لينين أمر إضعاف نفوذ الزعماء اليهود الثوريين فى روسيا، ووعد بسحب الجيوش الروسية من الحرب مع ألمانيا، مقابل أن تساعده الحكومة الألمانية على قلب الحكومة الإقليمية، وعلى السيطرة التامة على

السياسة والاقتصاد فى روسيا.. وبعد الاتفاق على هذه القضية، عاد لينين ومارتوف ورادیك وفريق من ٣٠ شخصا من البلاشقة إلى روسيا سرا، بواسطة عربة سكة حديد مغلقة.. ووصلوا إلى بطرسبرج فى ٣ نيسان.

وقعت الحكومة الإقليمية وثيقة وفاتها بيدها، عندما أصدرت عفوا عاما غير مشروط عن جميع السجناء السياسيين.. وكان العفو يشمل أولئك المنفيين إلى سيبيريا، وأيضا الذين طلبوا اللجوء إلى البلدان الأخرى.. وأتاح هذا الأمر لحوالى ٩٠,٠٠٠ من الثوريين الروس المتطرفين الدخول إلى روسيا، وكان العديد منهم قادة مدربين.. وجند لينين وتروتسكى هذا العدد الضخم فى الحزب البلشفى.

فور عودة لينين إلى روسيا، شرع باستعمال وسائل الإعلام لمهاجمة الحكومة الإقليمية التى منحته وأتباعه العفو.. وفى أوائل نيسان كان المنشفيك يسيطرون على الحكومة الثورية أى مجلس العمال.. وكان يأتى بعدهم فى الأهمية «الإيسار» (الاشتراكيون الثوريون).. أما البلاشفة فقد كانوا فئة الأقلية.. وكانت سياسة الحكومة الإقليمية تتجه إلى استمرار الحرب مع ألمانيا، لأن أكثرية الروس كانت تعتبر مطامع النازية الألمانية السوداء خطرا مباشرا على سيادتها.. وكان تشيدز الذى تولى رئاسة الحكومة الثورية فى بطرسبورغ بعد مارتوف مؤيدا لهذا الرأى بكل قواه.. وكان نائب الرئيس سكوبوليف مؤيدا لمتابعة الحرب، لأنه اعتقد أن الثوريين فى حال متابعتهم الحرب وهزيمتهم للجيوش الألمانية، سيتمكنون من مساعدة الجماعات الثورية فى ألمانيا وبولندا ضد الحكومات المهزومة.

كان هدف لينين الوحيد فى ذلك الوقت، هو الحصول على الزعامة.. هاجم سياسة الحكومة الإقليمية، واتهم أعضاءها بالعمالة للبورجوازية، ودعا علنا إلى الإطاحة بها.. وفى ذات الوقت لم يشأ أن يعادى حكومة المنشفيك الثورية، فأصدر تعليماته إلى المحرضين البلاشقة بدعوة عمال

المصانع وجنود الحاميات إلى تدمير الحكومة الإقليمية.

وكان تروتسكى ضمن الألوف من الثوريين الذين عادوا إلى روسيا بعد العفو، وأخذ معه فى طريق العودة المئات من الثوريين الذين هربوا من روسيا إلى أميركا وكندا.. وكانت غالبيتهم العظمى من يهود الأطراف الشرقية من نيويورك.

وساعد هؤلاء الثوريون لينين فى الوصول إلى السلطة.. وكان معظمهم بعد إنهاء مهماتهم، يحكم عليهم بالموت أو بالنفى.. ولم ينقض وقت طويل حتى كان أعضاء المؤتمر العالمى الأول إما مقتولين وإما فى السجن وإما فى المنفى!

■ ■ ■

والإثباتات حول الدور الذى لعبه الصيارفة العالميون لمصلحة لينين فى الثورة الروسية، نجده فى «الكتاب الأبيض» الذى صدر فى بريطانيا بإذن الملك فى عام ١٩١٩ «روسيا رقم ١».. ولكن الصيارفة العالميين العاملين من خلال مدراء مصرف إنكلترا «أقنعوا» الحكومة البريطانية بسحب الوثيقة الأصلية، واستبدالها بأخرى حذفت منها كل إشارة لليهود العالميين.

يقول فرانسوا كوتى فى عدد الفيغارو فى ٢٠ شباط ١٩٣٢:

«إن هذه الهبات التى كان يمنحها يعقوب شيف إلى حركات الفوضويين والثوريين فى روسيا وسائر البلاد، ليست نفحات من الكرم الفردىّ.. وقد أسست فى الولايات المتحدة منظمة روسية إرهابية على نفقة شيف، مهمتها اغتيال الوزراء والحكام ورؤساء الشرطة وغيرهم».

والنورانيون الذين يستعملون الشيوعية والنازية لتحقيق مطامعهم السرية الديكتاتورية يضعون العمل الثورى فى ثلاث مراحل أو حركات:

١ ـ تغيير شكل النظام القائم إلى دولة اشتراكية، وبالوسائل الدستورية إذا استطاعوا.

٢ ـ تحويل الدولة الاشتراكية إلى ديكتاتورية عمالية، بواسطة العمل الثورى.

٣ ـ تحويل الديكتاتورية العمالية إلى حكم مطلق، بتطهير كل الأشخاص الذين يقفون فى طريقهم.

■ ■ ■

بعد عام ١٩١٨ انقسم اليهود الروس إلى قسمين: الثوريون المتشبثون بالنظريات الماركسية، العاملون على إقامة اتحاد عالمى من الجمهوريات الاشتراكية (التروتسكيون).. والقسم الآخر يحبذ العودة إلى فلسطين (الصهاينة).. وتقول الآنسة ب. باسكرفيل فى كتابها «اليهودى البولندى»، الصادر عام ١٩٠٦، فى الصفحات ١١٧ ـ ١١٨: «تهدف الصهيونية السياسية إلى تحويل الصهاينة إلى اشتراكيين قبل هجرتهم إلى فلسطين، وذلك لتسهيل إقامة الحكومة الاشتراكية.. وفى ذات الوقت يحاولون قلب الحكومات الأوروبية التى لا تعمل وفق مبادئهم.. ويحتوى برنامجهم الملىء بالأفكار الاشتراكية على تنظيم الإضرابات وأعمال الإرهاب».

وفى آذار ١٩١٨ غير البلاشقة اسمهم، وكانوا قد سموا أنفسهم «حزب العمل الديمقراطى الروسى»، فصاروا يعرفون باسم «الحزب الشيوعى» ونقلوا مقرّهم إلى موسكو.

لم يقبل الحزب الاحتياطى الثورى الذى يقوده اليهود أن يصبح لينين الرجل الأول فى روسيا، لذلك حاول اثنان من هذه الجماعة اغتياله فى ٣٠ آب ١٩١٨، فجرح لينين بينما قتل يورتزكى الذى عينه لينين قائدا لمنظمة شيكا.. وقد أخذ لينين هذا الحادث مبررا للقيام بأعمال إرهابية واسعة جدا وبدون أى توقف، فأصبحت الغارات الليلية تجرى بشكل متواصل، حتى إن الذى كان يذهب لينام فى فراشه لم يكن يدرى هل سيعيش ليلقى

الصباح أم لا!.. يقول دافيد شوب فى كتابه المؤيد للماركسية «لينين»: «وقد ضيع القليل من الوقت فى استقاء الشواهد وفى تصنيف الناس «المكدسة» نتيجة هذه الغارات الليلية.. ويقاد المساجين إلى مركز البوليس القديم بجانب القصر الشتوى، حيث يعدمون رميا بالرصاص».

ولقد كان القتل والتعذيب والبتر والاغتصاب والحرق، كل ذلك كان الصخرة العقيمة التى قام عليها ما يدعى «بجمهورية السوفيات الاشتراكية».

لقد مات الملايين من المواطنين الروس، كما أنّ هناك ما يقدر باثنى عشر مليونا آخرين، حكم عليهم بخدمة الدولة عن طريق الأعمال الإجبارية حتى يطلق سراحهم بالموت.

■ ■ ■

الحرب العالمية الأولى والصهيونية

بعد اندلاع الحرب العالمية فى آب ١٩١٤ بفترة وجيزة، طلبت مجموعة من كبار الأثرياء من أحد المهندسين، أن يحول أحد القصور القديمة إلى ناد خاص.. وقد أصر هؤلاء الأثرياء على حفظ أسمائهم طىّ الكتمان، لأنّهم يريدون التعبير عن عميق امتنانهم وشكرهم، للضباط الذين يعرّضون حياتهم للخطر فى سبيل الوطن.. وقد قام هذا النادى بتوفير كل وسائل الترفية والتسلية والمتعة.. كان استعمال النادى مقتصرا على ضباط الخدمة، عندما يعودون من الجبهة لتمضية إجازاتهم فى لندن.. أما الأعضاء الجدد، فكان يجرى تقديمهم إلى النادى عن طريق أحد الإخوة الضباط، وتجرى مقابلة بين الضيوف وأحد المسئولين.. فإذا اقتنع هذا بأنه يمكن الوثوق بهم، أخبرهم كيف يجرى العمل فى النادى.. لذلك كان على الضابط المتقدم للدخول أن يعد بشرفة أن لا يذكر اسم أى شخص قابله خلال مكوثه فى النادى أو بعد خروجه.. ثم يُشرح لهذا الضيف كيف أنه سيقابل مجموعة من أشهر سيدات المجتمع فى لندن وهن مقنّعات، فعليه أن لا يحاول معرفة شخصية أى منهن.. وإذا حدث بالمصادفة أن تعرّف على إحداهن، فوعده يشمل المحافظة على سرّهن.

وبعد انتهاء هذه الخطوات الأولية، يؤخذ الضابط إلى غرفته الخاصة التى فرشت على أفخم طراز.. وكان يطلب من الضيف أن يعتبر نفسه فى منزله، ويعلم بأنه ستزوره سيدة ترتدى قلادة عنق كتب عليها رقم غرفته.. فإذا أحب بعد أن يتم التعرف عليها أن يصحبها إلى غرفة الطعام، فهذا يعود إليه وله كامل الحرية.

وحدث فى شهر تشرين الثانى من عام ١٩١٦، أن وصلت رسالة إلى أحد الشخصيات السياسية الهامة، تطلب منه القدوم إلى النادى لتلقى معلومات على غاية من الأهمية، فقدم بسيارته الخاصة وطلب من سائقه الانتظار، ثم دلف إلى الداخل، حيث اصطحبه المسئولون إلى مخدع وثير ثم تركوه منفردا.. ولم يلبث أن دلفت إلى المخدع امرأة شابة، ما أن شاهدته حتى كاد أن يغمى عليها، فقد كانت زوجته، وهى تصغره بسنوات عديدة، وتقوم بعملها كمضيفة للضباط فى إجازاتهم منذ وقت ليس بالقصير!!.. ولقد كان الموقف حرجا بالفعل، فالزوجة لا تعلم شيئا من المخطط الذى جمعهما، وليس لديها أية معلومات سرية لتفشيها، وقد كانت مقتنعة أن المصادفة السيئة هى التى أدت للقائهما وجها لوجه.. وعرف الزوج عن دور المضيفة التى تقوم به فى النادى، ولكن شفته لم تتحرك وكأنها ميتة، فهو عضو فى الحكومة ولا يمكن أن يتحمل الفضيحة!

كان كل عضو فى النادى ـ رجلا أو امرأة ـ جاسوسا على الآخرين، ينقل أخبارهم إلى رؤسائه، فتتكون من الإخباريات معلومات، كانت تطبع وتسجّل فيما يسمى «الكتاب الأسود».. فيذكر فى هذا الكتاب عيوب ونواقص الأفراد، ورذائلهم الخاصة ونقاط ضعفهم.. كما تذكر أوضاعهم المالية وأحوالهم العائلية، ومدى تعلقهم بأقربائهم وأصدقائهم.. كما تدون صلاتهم وتأثيراتهم على كل من رجال السياسة المرموقين ورجال الصناعة ورجال الدين.

وفى تشرين الثانى من عام ١٩١٦، حاول أحد أعضاء البرلمان الإنكليزى أن يفضح أمر «النادى الزجاجى»، وأن يبين حقيقته، فقد شكا ثلاثة من الضباط بأن النادى يحاول ابتزاز المعلومات منهم بعد أن دخلوا فى العضوية، وأن النادى هو مركز للجاسوسية ينقل المعلومات الهامة إلى العدو.. وقد اشترك أيضا فى هذه المغامرة سيدة أسترالية وسائقها،

والعديد من زوجات وبنات الرسميين فى الحكومة.. ولكن هذه المحاولة لكشف حقيقة النادى آلت إلى الكتمان، فسياسة الحكومة كانت تميل إلى الاعتقاد بأن فضيحة بهذا الحجم قد تسبب كارثة وطنية، فى وقت يواجه فيه الجيش ضربات بحرية وبرية وجوية قاسية.. عندئذ بدأت الصحافة (التحررية) تهاجم رئيس الوزراء، فاتهمته باستخدام غير الأكفاء فى المناصب الحكومية، كما اتهم بأن له ارتباطات واسعة مع صناعيين وممولين ألمان فى الفترة التى سبقت الحرب، وبأنه يميل إلى القيصر.. واتهم أيضا بأنه غير قادر على اتخاذ التدابير الحازمة والقرارات المستعجلة.. واستعملت عبارة «انتظر وسترى اسكويت».

وقد أدّت فضائح تتعلق بارتباط بعض الرسميين ذوى المناصب العليا بالنادى الزجاجى، إلى استقالة الحكومة.. وبهذا تكون الإمبراطورية البريطانية قد اضطرت بالقوة إلى تغيير الفرسان السياسيين فى منتصف الحرب الكبرى.. ولما استقال السيد اسكويت فى كانون الأول ١٩١٦، تلته وزارة ائتلافية يرأسها دافيد لويد جورج.. أما وينستون تشرشل وبلفور فكانا من أبرز أعضائها.

وقد علمت من السجلات الرسمية أن الضباط الثلاثة الذين قدّموا الشكوى بخصوص النادى الزجاجىّ، قد «قتلوا أثناء العمليات فى الحرب»، وهذا شىء معقول فى أيام الحرب.. بعد ذلك علمت أنّ السيدة الأسترالية وسائقها قد ألقى القبض عليهما بحجة الدفاع عن المملكة.. ثم أعلن أن العضو المذكور فى فضيحة البرلمان قد اعتزل الحياة العامة.. وبعد أسابيع قليلة نقلت من منصبى فى المخابرات الملكية، وعيّنت كضابط بحرىّ فى سلاح الغواصات البريطانى.. ولقد خسرنا ٣٣٪ من ضباطنا ورجالنا، وكنت أنا من الذين قدّر لهم أن يبقوا على قيد الحياة.

■ ■ ■

هذا ولم تكتشف مدى الأهمية السياسة الصهيونية بالنسبة للذين يخططون السيطرة الكاملة على اقتصاديات العالم، إلا بعد مدة طويلة من الحرب، وبعد أن بدأت بنفسى دراسة التاريخ المعاصر والأديان المقارنة.. والأحداث التالية تتكلم عن نفسها:

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، كان اسكويت رئيسا للوزراء، وكان معاديا للصهيونية.. فقرر الممولون الدوليون إزاحة حكومة اسكويت، وإحلال حكومة ائتلافية مكانها، على أن يكون للويد جورج ووينستون تشرشل عمل كبير فيها.. وكان دافيد لويد جورج محاميا عن الحركة الصهيونية، التى خططت لها ومولتها عائلة روتشيلد.. أما وينستون تشرشل فكان مؤازرا للصهيونية السياسية منذ دخوله إلى المعترك السياسى.

■ ■ ■

فى عام ١٩١٧ كان الممولون الدوليون يمدون فى نفس الوقت الحركتين البلشفية والنازية.. وقد يبدو من غير المعقول أن يبقى المجلس النيابى البريطانى دون علم بما يجرى حوله، خصوصا بعد أن وجدت الحكومة نفسها مضطرة للتدخل لإخلاء سبيل تروتسكى ورفاقة الثوريين، بعد أن ألقى القبض عليهم فى هاليفكس، بينما كانوا فى طريقهم من نيويورك إلى روسيا.

أما بالنسبة لسياسة بريطانيا عام ١٩١٦ تجاه روسيا، فإن المبرر الوحيد لها، هو إن الحكومة البريطانية كانت تعلم أن المساعدة المالية والعسكرية لن تقدم من قبل أميركا، حتى تسقط الحكومة الروسية.. وقد يبدو هذا التحليل سخيفا ولكن الحقائق التالية تؤكده:

بدأت الثورة الروسية فى شباط ١٩١٧ وعزل القيصر فى الخامس من آذار نفس العام.. مباشرة بعد ذلك، رفع يعقوب شيف الشريك فى مؤسسة كوهن ـ لوب فى نيويورك، القيود المالية المفروضة على الحلفاء، وأمر ابنه

مورتيمر بإرسال برقية إلى السير أرنست كاسل تقول: «بسبب الأعمال الأخيرة التى تقوم فى ألمانيا، والتطورات فى روسيا، لن نستمر فى حظر الأموال عن حكومات الحلفاء».

وفى الخامس من نيسان من نفس العام، أعلنت الحكومة البريطانية عن إرسال أرثر جيمس بلفور وزير خارجيتها إلى الولايات المتحدة، للاتصال بممثلى المصارف الأميركية، وإبلاغهم رسميا بأن الحكومة البريطانية ستتبنى مشاريعهم المتعلقة بالصهيونية، مقابل تعهدهم بإدخال أميركا إلى جانب الحلفاء.. وهكذا دخلت أميركا الحرب، وهبطت الكتائب الأمريكية الأولى فى فرنسا فى السابع من حزيران ١٩١٧م.. وفى ١٨ تموز كتب اللورد روتشيلد إلى السيد بلفور ما يلى:

«عزيزى السيد بلفور.. أخيرا أصبح بإمكانى أن أرسل لك الصيغة التى طلبتها، فإذا تلقيت ردا إيجابيا من حكومة صاحب الجلالة ومنكم شخصيا، فسأقوم بإبلاغ ذلك إلى «الاتحاد الصهيونى» فى اجتماع خاص، سوف يدعى إليه لهذا الغرض خصيصا».

وجاء فى النسخة الأولية للنص ما يلى:

١ ـ تقبل حكومة صاحب الجلالة بمبدأ وجوب إعادة تأسيس فلسطين كوطن قومى لليهود.

٢ ـ سوف تبذل حكومة صاحب الجلالة كل طاقتها لتأمين الوصول إلى هذا الهدف، وسوف نتناقش فيما يتعلق بالطرق والوسائل التى يتطلبها تحقيق هذا الهدف مع المنظمة الصهيونية.

وهكذا خضعت الحكومة البريطانية ـ ممثلة بالمستر بلفور ـ دون قيد أو شرط، للشروط التى وضعها اللورد روتشيلد وزملاؤه زعماء المنظمة الصهيونية.. ويتبين لنا ارتباط هذه الحكومة بهؤلاء، من قبولها لطلباتهم

الأخـرى، ولاسـيمـا طلب تعـيـين اللورد ريدينغ Reading رئيـسـا للبـعـثـة الاقتصادية البـريطانية فى الولايات المتحدة، فى حين أن اللورد ريدينغ هذا ليس سوى السـيـر روفـوس إسحـاق، الذى اقتـرن اسـمـه بفضـيحـة فـاركونى الشـهـيـرة.. وقـد تبنى إقنـاع الحكومـة البـريطانيـة بتـعـيـينه لهـذا المنصب الحساس، اللورد روتشيلد ذاته، وزمـلاؤه من الزعمـاء الصـهـيونيين السير هربرت صـامـوئيل (الذى أصبح فيمـا بعد، أول مندوب سام لبـريطانيا فى فلسطين)، والسير ألفرد موند (الذى منح أيضا لقب لورد فيما بعد).

وقد أجرى اللورد ريدينغ محادثات مالية هامة مع الحكومة الأميركية، لم نتمكن من كشف سـرها.. ولكن كان من نتائجها إعادة تنظيم بنك إنجلترا على أسس جديدة بعد عام ١٩١٩، ونشوء بعض الارتبـاطات المالية الخفية.. وننقل فيما يلى فقرات من رسالة أرسلها (يعقوب شيف) إلى أحد الزعماء الصـهـيـونيين المدعـو (فـريدمـان) فى شـهـر أيلول ١٩١٧: «إننـى أعـتـقـد الآن جازما، أنه أصبح أمرا ممكن التحقيق، مساعدة بريطانيا وأميركا وفرنسا لنا فى كل الظروف، للبـدء بهـجـرة مـسـتـمـرة واسـعـة النطاق لشـعـبنا إلى فلسطين، ليستقر فيها.. وسيكون من الممكن فيما بعد الحصول على ضمان من الدول الكبـرى لاسـتـقـلال شعبنا.. وذلك حينـما يبـلغ عددنـا فى فلسطين مقدارا كافيا لتبرير مثل هذا الطلب».

■ ■ ■

وهنـاك رسـالة أخـرى تحـمل مـا هـو أخطر من ذلك.. فـفـى ٢٦ أيلول ١٩١٧، كتب لويس مارشال الممثل لمؤسسة كوهن ـ لوب، إلى صديق صهيونىّ له يدعـى مـاكس سـينيـور: «لقـد أخـبـرنى الماجـور ليـونيل دى روتشـيلد من التنظيم اليهودى البريطانى، أن وعد بلفور وقبول الدول الكبرى به، لهو عمل ديبلومـاسـى من أعلى الدرجـات.. والصـهـيـونية مـا هـى إلا عـمل مـؤقت من خطة بعـيدة المدى، ومـا هـى إلا مـشـجـب مـريح يعلق عليـه السـلاح الأقـوى..

وسنبرهن للقوى المعادية أن احتجاجاتها ستذهب هباء، وستعرض أصحابها إلى ضغوط كريهة وصعبة».

وما الخطة بعيدة المدى المذكورة فى هذه الرسالة، إلا إشارة إلى أن المولين الدوليين ينوون السيطرة التامة على اقتصاديات العالم، وعلى جميع المصادر الطبيعية والقوى البشرية فى الكون بأسره.

■ ■ ■

فى يوم ٢٨ كانون الثانى ١٩١٥ دوّن رئيس الوزراء الإنكليزى المستر اسكويت، الفقرات التالية فى سجله اليومى: «تلقيت للتو من هربرت صاموئيل، مذكرة بعنوان «مستقبل فلسطين».. وهو يظن أننا نستطيع إسكان ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود الأوروبيين فى ذلك البلد، وقد بدت لى فكرته هذه كنسخة جديدة من أقاصيص الحروب الصليبية.. وأعترف بنفورى من هذه المقترحات التى تضم مسؤوليات إضافية إلى مسؤولياتنا».

وتقدم لنا هذه العبارات، البرهان الكافى على أن المستر اسكويت لم يكن ميالا إلى الصهيونية.. طبعا مصير اسكويت ووزارته تقررا منذ ذلك الحين.

■ ■ ■

كان الصهيونيون يسيطرون منذ أمد بعيد على الصناعات الحربية فى إنكلترا.. وعندما قررت المؤامرة محاربة نظام اسكويت المعادى للصهيونية، وجدت إنكلترا نفسها فجأة فى وسط الحرب أمام أزمة شديدة فى الصناعات الكيميائية، التى هى الأساس لصنع الذخائر الحربية والمتفجرات.. وامتدت الأزمة أيضا إلى مصانع المدافع، التى اضطرت لتقنين إنتاجها.. وألقى الشعب التبعة بالطبع على عاتق الحكومة.

وكان المشرف على الإنتاج الكيماوى فى إنكلترا، السير فريدريك ناثان.. وقد عهد هذا إلى معامل برونر وموند بتلافى أزمة إنتاج المواد الكيماوية،

ومنحها أرصدة حكومية ضخمة لهذا الغرض.. أما مالكا هذه المعامل ـ السيدان برونر وموند اليهوديان ـ فقد بنيا معملا كيماويا ضخما فى سيلفر تاون.. وبالرغم من أنّه بنى بأرصدة حكومية، إلا إنه حين بدأ إنتاجه، أخذت أجهزة الدعاية والصحافة التى يسيطر عليها المرابون الصهيونيون، تكيل آيات المديح جزافا لبرونر وموند، وتنسج هالات التمجيد المزيفة حولهما وحول الماليين اليهود، ناسبة لهم أنّهم يدعمون الإنتاج الحربى البريطانى، فى وقت تحيط فيه الإخطار ببريطانيا.. وهكذا ظهر هؤلاء بمظهر المنقذين، وبقيت تبعة اللوم على عاتق الحكومة.. بيد أن معمل سيلفرتاون لم يلبث أن انفجر فجأة، وقتل أكثر من أربعين شخصا فى هذا الانفجار المدبر، وتهدم ثمانمائة منزل.. وكانت النتيجة أن الإنتاج الحربى الكيماوى ركد من جديد، وعادت الأزمة تهدد وزارة اسكويت.. وظل الأبطال المزيفون بمنجى من اللوم، يحيط بهم العطف والمديح.. ويجب أن نذكر أن السير الفرد موند المذكور، والذى كان يشرف على العمل الكيماوى كمبعوث من قبل الملك، أصبح هو بعينه فيما بعد، رئيس الوكالة اليهودية فى فلسطين!!

■ ■ ■

هذا، وقد كانت إنكلترا ملتزمة بمساعدة حليفتها روسيا، وتزويدها بالبنادق والذخائر.. فكان من نتائج هذا التقصير فى صناعة الأسلحة والمواد الكيماوية، أن لاقى الجيش الروسى ضربات قاسية فى الجبهة الشرقية، لأن الأسلحة والذخائر لم تصله.. وأعلنت الصحف أن الجنود الروس كانوا يحاربون بالعصى وبقبضات أيديهم، حتى يذبحوا أمام الجنود الألمان.. وفى رسالة كتبها البروفسير برتارد بارز Bernard pares ووجهها إلى لويد جورج، كلمات تظهر بوضوح أن الأسلحة والذخائر منعت عن روسيا القيصرية قصدا، وذلك لخلق أجواء مناسبة للثورة... تقول رسالة بارز التى كتبت عام ١٩١٥ «صار لزاما على أن أنقل رأيى الأكيد بأن فشل السادة

فيكر ـ ماكسم وشركائهما Vickers - Maxim فى تزويد روسيا بالسلاح، الذى كان يجب أن يصل البلاد قبل خمسة أشهر، يعرقل العلاقات بين البلدين، وخصوصا تعاونهما فى الحرب الحالية.. وقد بلغنى بالتأكيد أنه لم تصل إلى روسيا أى مساعدة من أى نوع من إنكلترا».

وكان لويد وزيرا للمالية ومسئولا عن تمويل الحرب.. أما السادة فيكر ـ ماكسيم وشركاؤهما، فكانوا تحت راية السير أرنست كاسيل وكيل أعمال مؤسسة كوهن ـ لوب فى نيويورك، والذى كان بدوره مرتبطا بعائلة روتشيلد والممولين الدوليين فى إنكلترا وفرنسا وألمانيا.

ولنبين أن السادة فيكر ـ ماكسيم وشركائهما كانوا تحت تأثير مؤسسة كوهن ـ لوب فى ذلك الوقت، ننقل قول بوريز برازيل: «فى ٤ شباط ١٩١٦، عقد الحزب الثورى الروسى فى أميركا، اجتماعا فى نيويورك، حضره ٦٢ موفدا.. وقد كشف النقاب عن أن تقارير سرية وصلت الحزب من روسيا، تفيد بأن الوقت أصبح مناسبا.. وتم التأكيد للمجتمعين بأن مساعدات مالية كافية ستقدم من قبل أشخاص يتعاطفون مع قضية تحرير الشعب الروسى.. وفى هذا الخصوص ذكر اسم يعقوب شيف مرارا عديدة.. ويعقوب شيف هذا كان فى ذلك الوقت عضوا كبيرا فى مؤسسة كوهن ـ لوب فى نيويورك.. وعلى وجه التقريب فإن خمسين عضوا من الاثنين والستين الذين حضروا اجتماع شباط ١٩١٦ كانوا قد اشتركوا فعلا فى الثورة الروسية عام ١٩٠٥. ومرة أخرى كان عليهم أن يحرّضوا على العمل الثورىّ، ولكن يعقوب شيف كان قد خطط أن يغتصب لينين ثمار النصر».

وعندما ناقش المجلس البرلمانى رسالة بارز المذكورة والموجهة إلى لويد جورج، تقول الأخبار إن لويد جورج دافع عن سياسة حكومته، بأن "الصدقة والإحسان يجب أن يبدأ فى البلد، لأن قواتنا البريطانية تقاتل فى فرنسا، ولا تملك سوى أربع رشاشات لكل كتيبة.. ويجب قبل أن تصدر الأسلحة

إلى روسيا، أن نسلح جنودنا نحن».. ويقال إن اللورد كتشنر أجاب لويد جورج بقوله: «أنا أعتبر أكثر من أربع رشاشات لكل فصيلة تبذيرا، عندما أرى فشلنا فى تزويد السلاح ـ الذى وعدنا به روسيا ـ قد نتج عنه وجود بندقية واحدة فقط مع كل ستة جنود روس».

وقد استغل المتآمرون العالميون هذه العبارة التى نطق بها كتشنر، وأمروا عملاءهم ليستعملوها فى تشويه سمعته.. فانتشر فى العالم كله، أن كتشنر يعتبر أن أكثر من أربع شاشات للكتيبة الواحدة، عمل تبذيرى لا يحتاج إليه الجنود البريطانيون فى حربهم فى فرنسا.. وقد استمر هذا التشويه حتى أيامنا هذه، وظهر فى «سيرة دافيد لويد جورج»، الذى صدر حديثا، كما ظهر فى نفس السيرة منقحة فى المجلة الأسبوعية «تورنتو ستار».. وقد أرسلت إلى محرر الجريدة المذكورة، الحقيقة المتعلقة بهذا الحدث التاريخى الهام، فأجاب معتبرا التصحيح الذى أطلبه منه عملا ديناميكيا صعبا لا يمكنه معالجته، وأخبرنى أنّه نقل رسالتى إلى «الدايلى ستار».. وليس ضروريا أن أقول إن «الحقيقة» لم تنشر أبدا.

■ ■ ■

تقول موسوعة المعرفة اليهودية عن الصهيونية: «لقد أجبرت الحرب العالمية على نقل مركز المنظمة الصهيونية من برلين إلى نيويورك.. ونقلت السلطة بأجمعها إلى لجنة الطوارئ الاحتياطية للصهيونية، برئاسة القاضى الأمريكى ل. د. برانديس Brandies».

ويقول يعقوب دى هاس فى كتابه «لويس ديمبتز برانديس»: «أما المكتب الصهيونى للهجرة، فإنه تشعب وامتد ليشمل جميع القطاعات الحربية التى احتلها الحلفاء، وشملت تركيا وسوريا وفلسطين والأردن وبغداد.. وبالواقع فان أى قرش واحد من الملايين التى استلمها المكتب لم تذهب سدى.. وابتدأت باستعمال مكاتب الشؤون الخارجية للولايات المتحدة للاتصال

وللإيداع، ثم نجحت مكاتب الهجرة نجاحا باهرا، وأصبح بالإمكان الاعتماد عليها.. حتى إن وزارة المالية الأميركية اعتمدت عليها واستخدمتها فى إيصال الأموال والرسائل، التى لم تتمكن الحكومة من إيصالها بنجاح.. وقد قدمت السفارات فى العواصم الأوروبية مبالغ نقدية، بناء على طلب أمين سر الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية فى نيويورك».

ويقول فراى فى كتابه «مياه تتدفق على الشرق» فى الصفحة ٥١:

«ومنذ ذلك الحين، أصبح تأثيرهم ملموسا أكثر وأثر فى الدوائر السياسية فى أميركا وأوروبا، وخصوصا مكتب الهجرة الصهيونى، الذى كان بإمكانه إرسال الأموال والمعلومات للعناصر التخريبية فى أرض العدو».

وبعد ذلك، نجد محافل الشرق الأكبر تعود مرة أخرى إلى الصورة، فنجد م. ارزبرغر يقول فى الصفحات ١٤٥ ـ ١٤٦ من كتاب «تجاربي فى الحرب العالمية»: «فى السادس عشر من آذار ١٩١٦، دفع التحالف الإسرائيلى إلى محفل الشرق الأكبر فى باريس ٧٠٠,٠٠٠ فرنك، كما يمكننا أن نبرهن من سجلات المحفل فى روما، أن مليونا من الليرات الإيطالية قد حولت إلى هذا المحفل فى ١٨ آذار ١٩١٦م.. ولست من السذاجة بحيث أتخيل أن التحالف الإسرائيلى استعمل محفلين فقط بهدف إرسال مليون ليرة لمساعدة اليهود الإيطاليين».

يقول أ. ن. فيلد فى كتابه «كل هذه الأشياء» ـ وهو يتحدث عن الحوادث التى تلت فصل الكويت عن العراق عام ١٩١٦ ـ فى الصفحة ١٠٤: «لقد أصبح التأثير اليهودى فى السياسة البريطانية واضحا، بعد ظهور السيد لويد جورج».

ويقول ل. فراى فى الصفحة ٥٥ من كتابه «مياه تتدفق على الشرق»: «عقد الاجتماع الرسميّ الأول للجنة السياسية الصهيونية، فى السابع من

شباط ١٩١٧، فى منزل الدكتور موسى غاستر.. وقد نوقش فى هذا الاجتماع بالتفصيل، البرنامج الصهيونى الذى سيستخدم كقاعدة فى المفاوضات الرسمية، التى تشمل مصير فلسطين وأرمينيا ومنطقة ما بين النهرين (العراق) ومملكة الحجاز».

أما ج. م. ن. جيفريس، فيضيف أيضا هذه المعلومات فى الصفحة ١٣٩ من الكتاب الذى كنا نستشهد به: «أبلغت تفاصيل هذا الاجتماع بالشفرة إلى التنظيم الصهيونى فى الولايات المتحدة.. ومن الآن فصاعدا بدأ التنظيم الصهيونى فى الولايات المتحدة يتدخل فى صياغة السياسة البريطانية، وفى توجيه القضايا البريطانية الداخلية».

ولكى نصوّر بشكل ملموس مدى سيطرة المولين الدوليين على قضايا الحكومة البريطانية، ننقل كلام صموئيل لاندمان الذى يقول: «بعد أن تم الاتفاق بين السير مارك سايكس ووايزمان وسوكولوف، تقرر إرسال رسالة سرية إلى القاضى برانديس ـ رئيس لجنة الطوارئ الاحتياطية للصهيونية فى نيويورك ـ تخبره فيها أن الحكومة البريطانية مستعدة لمساعدة اليهود فى الحصول على فلسطين، مقابل تعاطف يهودى فعال، ومقابل تأييد قضية الحلفاء فى الولايات المتحدة الأمريكية، بشكل يخلق تيارا قويا يدعم اشتراك الولايات المتحدة فى الحرب.. وقد أرسلت الرسالة بالشفرة عبر مكتب الخارجية البريطانية، كما أرسلت رسالات سرية أخرى إلى القادة الصهيونيين فى روسيا عن طريق الجنرال ماكدونو.. وقد استطاع الدكتور وايزمان (أحد مؤسسى الصهيونية السياسية) أن يؤمّن عن طريق الحكومة الإعفاء من الخدمة لستة من الشبان الصهيونيين، وذلك كى يعملوا بنشاط من أجل القضية الصهيونية.. وكانت الخدمة العسكرية فى ذلك الوقت إجبارية، ولم يعفِ منها إلا أولئك المشتغلين بإعمال وطنية هامة، تمنعهم من الخدمة الفعلية على الجبهة.. وأنا أتذكر الدكتور وايزمان وهو يكتب رسالة

إلى الجنرال ماكدونو (مدير العمليات العسكرية)، يطلب مساعدته فى الحصول على التسريح من الخدمة الفعلية لليون سيمون وهارى ساشر وسمون ماركس وهابا مسون وتولكوسكى وأنا شخصيا.. وكما طلب الدكتور وايزمان، فقد نقلت من المكتب الحربى إلى وزارة الإعلام - وفيما بعد إلى المكتب الصهيونى - حوالى شهر كانون الأول ١٩١٦م.. ومنذ ذلك الوقت، ولسنوات عدة، اعتبرت الصهيونية حليفة الحكومة البريطانية.. ولم يعد هناك صعوبات فى الحصول على جوازات سفر، أو فى الانتقال بالنسبة لأى شخص يدعمه مكتبنا.. وعلى سبيل المثال، فإن شهادة وقعتها بنفسى، وكان يحملها يهودى عثمانى، قبلها المكتب الوطنى البريطانى، وعامل صاحبها معاملة الأصدقاء، لا الأعداء كما كانت الحالة بالنسبة للرعايا الأتراك».

■ ■ ■

تبين دراسة حياة ديزرائيلى Disraeil أنه أمضى العديد من أمسيات أيام الآحاد عند آل روتشيلد فى لندن.. وتبين أيضا أنه بينما كانت مؤسسة كوهن - لوب فى نيويورك تمول الثورة اليهودية فى روسيا، كان آل روتشيلد اللندنيين مديرى أعمال القيصر فى لندن.. ونعلم أيضا أن آل روتشيلد فى لندن كانوا مع حزب الأحرار، وأنه بين عام ١٨٤٠ - ١٩١٧ كانت صحافة الأحرار التى كان يديرها آل روتشيلد، معادية للروس. ويخبرنا ديزرائيلى أن القادة السياسيين والماليين فى ألمانيا كانوا يعتبرون مناهضين، لأنهم لم يسمحوا للممولين الدوليين أن يفعلوا تماما كما يشاءون.. وكان يمثل آل روتشيلد فى ألمانيا البارون فون بليشريدر فى برلين، وعائلة واربرغ فى هامبورغ.. وفى روسيا ساعد آل ويتشتاين فى أوروبا آل غينزبرغ فى سانت بطرسبرج على رعاية مصالح روتشيلد فى ذلك البلد.

وهناك رجل آخر عمل بنشاط كبير لمصلحة الممولين الدوليين، وهو أوتو كاهن Otto Kahn.. ولقد استطاع هذا أن يخفى حقيقة هدفه كثورى عالمى،

خلف أعلام الوطنية فى العديد من الدول التى عاش فيها، وتظاهر بأنه مواطن محب لوطنه فى كل منها.. ولد السيد أوتو كاهن فى ألمانيا، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة كما فعل بول واربرغ.. وكهذا الأخير أيضا أصبح شريكا فى مؤسسة كوهن ـ لوب.. وعند وصوله إلى أميركا مباشرة حصل على وظيفة كاتب عند سبياير وشركائه، وذلك كى يجعل الأمور تبدو عادية وليست غريبة.. ثم تزوج فيما بعد حفيدة السيد وولف Wolf، أحد مؤسسى مؤسسة كوهن ـ لوب وشركاه.. ولما زارت السيدة كاهن موسكو عام ١٩٣١، استقبلت رسميا من قبل الحكومة السوفيتية، التى أقامت على شرفها مأدبة ضخمة واستقبالات باهرة عديدة.. وقد اصطف الجيش الأحمر الستالينى على الطرقات عندما مرت.

وفى الثانى من نيسان ١٩٣٤، ظهرت مقالة فى «الديلى هيرالد» كتبها السيد هانين سوافار وفيها يقول: «لقد عرفت أوتو كاهن المليونير لسنوات عديدة.. لقد عرفته عندما كان وطنيا ألمانيا، كما عرفته عندما كان وطنيا أمريكيا.. وكان من الطبيعى عليه عندما أراد أن يدخل مجلس العموم البريطانى، أن ينتمى إلى الحزب الوطنى».. وكان يمكن للسيد أوتو كاهن، أن يصبح رئيسا على اتحاد العالم المتكلم بالإنكليزية English Speaking Union، لولا أن نشاطه الثورى انكشف بطريق الصدفة، عندما تم البرهان على أن منزله كان مكان اجتماع العملاء السوفيات، مثل نينا سموورودين وكلير شاريدان ولويس بريانت ومارغريت هارسون.

وفى صيف عام ١٩١٧، اجتمع فى ستوكهولم فى السويد ممثلون عن المصالح المصرفية فى بريطانيا وألمانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية.. وقد حضر السيد بروتو بويوف وزير الداخلية الروسى، كما حضر السيد واربرغ من هامبورغ.. وكان هذا الأخير شقيق بول واربورغ الشريك فى مؤسسة كوهن ـ لوب وشركائهما فى نيويورك، والذى وضع

مسودة التشريع لنظام الاحتياط الفيدرالى عام ١٩١٠م.. وسيظهر لنا أنه حتى يتم القرار بتمويل لينين وتروتسكى للإطاحة بالحكومة السوفياتية، اجتمعت وفود من جميع الدول المحاربة، وأنه فى النهاية سيصدر قرار يجعل مؤسسة كوهن ـ لوب فى نيويورك تضع مبلغ ٥٠ مليون دولار تحت تصرف لينين وتروتسكى فى بنوك السويد.

وقد بعث ضباط المخابرات السرية فى كل من بريطانيا وأميركا، بتقارير إلى حكوماتهم بشأن هذه الحقائق.. ومات الضابط أ. ن. كرومى Cromie وهو يقاوم الجماهير الثورية التى هاجمت القنصلية البريطانية فى سانت بطرسبرغ، فقتل وهو يحاول إبعادهم، ريثما يتمكن المجتمعون به من إحراق الوثائق المتعلقة بهذا الأمر وبغيره من الأمور.

ثم نقلت الحكومة الأميركية إلى الحكومة البريطانية، التقارير التى وصلتها من ضباط المخابرات.. كما أن السيد اودندايك Oudendvke وزير الأراضى المنخفضة Netherlands فى بتروغراد ـ الذى كان رجل المصالح البريطانية فى روسيا بعد موت الكوماندر كرومى ـ حذر الحكومة البريطانية.. وقد نشر هذا التحذير فى نيسان ١٩١٩، كجزء من ورقة بيضاء عن الثورة البلشفية، نشرتها كينغز برنتر Kings Printer.

أما خطة يعقوب شيف بشأن السماح لتروتسكى وعصابته فى العودة من نيويورك إلى سانت بطرسبرغ، فقد فشلت عندما احتجزهم الرسميون فى الحكومة الكندية فى هالفاكس فى مقاطعة وفاسكوشيا، وهم فى طريقهم إلى روسيا.. وهنا تبدو سيطرة الممولين الدوليين، الذين احتجوا مباشرة إلى الحكومات المعينة، فأطلق سراح تروتسكى وجميع أفراد عصابته الثورية، وسمح لهم أن يمروا بأمان فى القطاعات البريطانية الحصينة.

وهناك برهان آخر عن ارتباط السياسيين البريطانيين بثورة ١٩١٧ الروسية، حصل عليه الدكتور بتروفسكى Petrovesky، الذى يشرح الدور

الذى لعبه السير بتشانان السفير البريطانى.. لقد برهن بتروفسكى أنه مع علم حكومة لويد جورج بما يجرى خلف الستار، إلا إنها ساعدت تروتسكى والقادة الثوريين معه، فى الوصول إلى روسيا.. بينما ساعدت القيادة العليا الألمانية المولين الدوليين فى إيصال لينين وعصابته الثورية من سويسرا إلى بتروغراد.. وقدْ خصّص للينين وأتباعه عربة قطار خاصة لنقلهم فى رحلتهم عبر الأراضى الألمانية.

ويكشف السيد بتروفسكى أن ميليوكوف Milioukoff ـ الذى عين كوزير للشؤون الخارجية فى الحكومة الروسية فى ربيع ١٩١٧ ـ كان هو الرجل الذى تفاوض بشأن هذه المؤامرة، التى اشترك فيها كل من الدولتين المتحاربتين (بريطانيا وألمانيا).

ومن المعروف أنه استحسانا للتعاون الذى أبداه الجنرال الألمانى ستان، وافقت الحكومة البريطانية على طلب ميليوكوف إطلاق سراح م. م. ليتفينوف Litvinov، وكان ضباط المخابرات البريطانية قد أسروه كجاسوس ألمانى.. أما التعرف على شخصية ليتفينوف فهى ذات أهمية بالغة، فهو ابن لوالدين يحملان اسم فينكلينستان.. ولما انضم إلى الحركة الثورية العالمية غير اسمه، فصار ماير والاش.. ولما صار له علاقة وثيقة بالحزب البلشفى وبلينين، ظهر اسمه مرة أخرى ليكون ماكسيم ليتفينوف.. إنه الشخص نفسه بليتنفينوف الجاسوس الألمانى، وهو الشخص نفسه الذى قبض عليه وهو يحاول أن يدفع أوراق الخمسمئة روبل التى حصل عليها ستالين عندما سرق بنك تيفليس Tiflis Bank.

بعد إطلاق سراحه مباشرة، عاد ليتفينوف إلى روسيا، وساعد بحكومة كيرنسكى المؤقتة، وبحركة المينشفيك السوفيتية.. ثم تولى ليتنفيوف منصب مساعد ستالين للشؤون الخارجية، بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٣٩م.. وقد عين عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى عام ١٩٣٥م.. ومقدرة ليتنفوف

على الاغتيال وعلى استلام النقود المسروقة وعلى العمل كجاسوس وكرجل عصابات دولى وكزعيم للنشاط الثورى فى العديد من الدول، كل هذا جعل دول العالم ترحب به عندما عين رئيسا لمجلس الأمن فى الأمم المتحدة!!.. وهذا يوضح حقيقة أن النورانيين يتحكمون بالذين يسيطرون على الأمم المتحدة ظاهريا!!

وهكذا يتبين لنا، أن الحكومة الائتلافية البريطانية التى استلمت زمام الأمر من رئيس الوزراء اسكويث فى كانون الأول ١٩١٦، لم تفعل أى شىء لتقف دون تنفيذ الممولين الدوليين خططهم للثورة الروسية، مع أنها تعلم أن نجاح هذه الثورة سيؤدى إلى سحب الجيوش الروسية من الحرب.. والبرهان على أن الصهيونيين فى كل من بريطانيا وأميركا اتفقوا على الإطاحة بالإمبراطورية الروسية، يمكن إن نجده فى حقيقة أن لينين أعلن عن تأسيس حكمة الديكتاتورى فى تشرين الثانى ١٩١٧، وفى نفس الوقت أعلن لويد جورج أيضا أن سياسة الحكومة البريطانية تقضى بدعم خطة روتشيلد فى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين.. وهذا يبرهن على أن لويد جورج لم يحقد على الممولين الدوليين لإخراجهم روسيا من الحرب، مع أنها حليفة لبريطانيا.

■ ■ ■

وجه المرابون اهتماماتهم إلى فلسطين، لتكون المركز الجغرافى المناسب لخطتهم العامة فى السيطرة على العالم.. وبالإضافة إلى ذلك، فإنهم كانوا يعلمون أن أشهر الجيولوجيين العالميين، قد كشف عن مناطق واسعة تحتوى على ثروات معدنية تقع فى المنطقة المحيطة بالبحر الميت.. وهكذا قرر هؤلاء أن يتبنوا الصهيونية السياسية، لإجبار دول العالم على الاعتراف بالوطن القومى لليهود فى فلسطين، بحيث يكون لهم دولة مستقلة يمكنهم السيطرة عليها بأموالهم وسلطتهم.. وإذا حققت مؤامرتهم هدفها البعيد فى

إقامة حرب عالمية ثالثة، عندئذ يستعلمون دولتهم المستقلة هذه فى توسيع نطاق نفوذهم وسيطرتهم لتشمل جميع أمم الأرض.. وعندما يتحقق ذلك، سيتمكنون من تنصب زعيمهم «ملكا على الكون» و«الإله على هذه الأرض».

وبعد استصدار وعد بلفور، الذى أيدته كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، صدرت الأوامر إلى اللورد اللنبى بطرد الأتراك من آسيا الصغرى، واحتلال الأرض المقدسة.. ولم يكشف عن حقيقة النوايا فى تسليم فلسطين إلى اليهود، إلا بعد أن انتهى العرب من مساعدة اللورد اللنبى فى تحقيق مهمته!!

وكان الشعور العام فى ذلك الوقت، أن فلسطين ستصبح محمية بريطانية.. أما المرابون العالميون فما إن تم احتلال فلسطين حتى طلبوا من الحكومة البريطانية والحلفاء تعيين لجنة صهيونية فى فلسطين، وتعيين مندوبيهم السياسيين أعضاء لها، على أن تكون مهمة هذه البعثة، تقديم النصح للجنرال كلايتون الحاكم العسكرى لفلسطين، وتعمل أيضا كوسيلة اتصال بين اليهود والقيادة العسكرية.. وقد باشرت هذه اللجنة عملها بالفعل فى آذار عام ١٩١٨ وكان أعضاؤها التالون:

ـ الكولونيل أورمسباى غور ـ اللورد هارليك فيما بعد ـ الذى كان مديرا لبنك ميدلاند. وبنك ستاندارد فى جنوب أفريقيا.

ـ الكولونيل جيمس دى روتشيلد، ابن أدموند دى روتشيلد، رئيس الفرع الفرنسى لأسرة روتشيلد، ومنشئ عدد كبير من المستعمرات اليهودية فى فلسطين.. وقد أصبح جيمس دى روتشيلد عضوا فى مجلس العموم البريطانى بين ١٩٢٩ و ١٩٤٥، ثم عيّنه تشرشل وزيرا للشؤون البرلمانية فى حكومته العمالية الائتلافية.

ـ الملازم أدوين صاموئيل. الذى عين مديرا للرقابة فى الحكومة

البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية.. وعندما تأسست إسرائيل عام ١٩٤٨ عين مديرا للإذاعة الإسرائيلية.

- المستر إسرائيل سيف، مدير شركات ماركس وسبنسر البريطانية الضخمة.. وله اتصالات وعلاقات وثيقة بالمرابين الدوليين.

- ليون سيمون، الذى نال فيما بعد درجة فارس، وأصبح المدير المسؤول عن مكاتب البريد العامة فى بريطانيا.. وقد سيطر على جميع أجهزة الهاتف، وجميع أنواع الاتصالات اللاسلكية.

- أما بقية أعضاء اللجنة فكانوا: الدكتور إلدر، جوزف كارين.. حاييم وايزمان، وكلهم أصدقاء مقربون إلى الصهاينة الأغنياء فى أميركا.

يقول السير ستورز بأن هذه اللجنة أرسلت إلى فلسطين قبل أن يعقد مؤتمر السلام، وحتى قبل نهاية الحرب، وذلك لإعداد الجو الملائم فيها لإنشاء الوطن العربىّ القومىّ لليهود، وتحريك أعوانهم للمساعدة المالية.

■ ■ ■

معاهدة فرساى

معاهدة فرساى كانت إحدى أكثر الوثائق التى وقعها ممثلو ما يسمى بالدول المتمدنة إجحافا وظلما.. وقد أدى هذا الظلم الذى وقع على الشعب الألمانى إلى قيام حرب عالمية أخرى، وجعل قيام هذه الحرب أمرا لا مفر منه.

يجب علينا أولا أن نعى حقيقة الظروف التى أحاطت بتوقيع الهدنة فى ١١ تشرين ثانى ١٩١٨م.. فالقيادة الألمانية العليا لم تطلب هذه الهدنة لأن قواتها كانت فى خطر من انهزامها، بل إن القوات الألمانية لم تكن قد لاقت أى هزيمة على أراضى المعارك.. ولكن القيادة العليا الألمانية طلبت الهدنة حتى تستطيع الوقوف فى وجه قيام ثورة شيوعية فى البلاد.. ذلك أن روزا لوكسمبورغ وتنظيمها الذى يسيطر عليه اليهود، كانوا يخططون للقيام بنسخة ثانية مما قام به لينين فى روسيا قبل عام.

أما الأحداث التى جعلت القيادة العليا الألمانية تتحقق من الخطر فى الجبهة الداخلية فهى كما يلى:

تمكنت خلايا روزا لوكسمبورغ الثورية من التغلغل فى الأسطول البحرى الألمانىّ، واشتد نشاطهم عام ١٩١٨، فنشروا شائعات بأن القيادة الألمانية قرّرت التضحية بالسفن الحربية وبملاحيها، فى معركة مشتركة ضد الأساطيل الأمريكية والبريطانية معا، وروجوا الإشاعات بأن هذه العملية تهدف إلى تعطيل وشل القوات الحليفة، بشكل يسمح لأسياد الحرب الألمان باحتلال الشواطئ البريطانية بدون مقاومة.. وعملت الخلايا الشيوعية هذه على تغذية الشائعات والتحريض على العصيان هامسة بأن هذا الهجوم سينتهى بالفشل حتما، لأن العلماء البريطانيين استطاعوا تحضير سلاح

كيمیائى سرى جديد، يمّكن الحلفاء من حرق السفن المعادية وإحاطتها باللهب، فتؤدى النيران والحرارة والنقص فى الأوكسجين إلى قتل كلّ كائن حىّ.. ثم بدأ المخربون يؤكدون بأن الوسيلة الوحيدة للخلاص من خطر داهم كهذا، هو بالثورة لإنهاء الحرب.. وفى ٣ تشرين الثانى ١٩١٨، أعلن جنود البحرية الألمانية العصيان.. وتلى ذلك يوم ٧ تشرين الثانى فرار وحدة كبيرة من الغواصات فى طريقها إلى الجبهة الغربية، فلقد أخبروا أنهم سيعملون كرأس حربة فى الهجوم المزعوم لاحتلال بريطانيا.

وفى هذا الوقت، كانت الاضطرابات قد سببت تعطيل عدد كبير من المراكز الصناعية الألمانية، كما أن المخربين كانوا ينشرون روح الانهزامية، فتدهورت الأحوال لدرجة تنازل القيصر عن العرش فى ٩ تشرين الثانى.

بعد تنازل القيصر شكل الحزب الديمقراطى الاجتماعى حكومة جمهورية، ووقعت الهدنة فى ١١ تشرين ثانى ١٩١٨م.. ولكن الاضطرابات لم تتوقف، بل ازدادت عنفا ضد الاشتراكيين هذه المرة، وذلك عن طريق الخلايا الشيوعية المنظمة Spartacus Bund.. ثم لعبت روزا لوكسمبورغ ورقتها الكبرى، حين اشترطت على الحكومة الجمهورية تسريح الجيش الألمانى، مقابل إنهاء الاضطرابات.. وقد منع هذه العمل القيادة الألمانية العليا من استعمال جيشها المنظّم لمنع قيام الثورة التى أعلنت فى كانون الثانى ١٩١٩م.

بعد انهيار الثورة اليهودية التى قامت بها روزا لوكسمبورغ، أخذ الشعب الآرى الألمانى على نفسه أن ينتقم من الشعب اليهودىّ، فقتل الآلاف من اليهود، وقبض على الرجال والنساء والأطفال ليلا وأعدموا.. أما روزا ومساعدها كارل ليبكنيشت، فقد ألقى القبض عليهما ثم أطلق ضابط ألمانى النار على رأسيهما، وكأنه يقتل كلابا مسعورة.

ولكى يزيدوا الحقد ويضرموا نار العداوة ضد اليهود، عمد هؤلاء إلى

تحميل اليهود المسؤولية عن الهزيمة العسكرية، كما أذاعوا أن اليهود هم المسئولون عن بنود معاهدة فرساى الظالمة.. ومن ناحية ثانية ضاعفت الدعاية الاتجاه الوطنى الاشتراكى فى ألمانيا، بتصوير بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة على أنها دول رأسمالية أنانية، واقعة تحت تأثير المولين العالميين.. وهكذا مهدوا الطريق لظهور هتلر.

بعد توقيع المعاهدة مباشرة، أعلن لينين أن واجبهم الأول يقضى بإنشاء العالم الشيوعى الذى يسيطر على دول العالم بأجمعها، والذى تقع حدوده بين خطى العرض ٣٥ و ٣٦ من النصف الشمالى للكرة الأرضية.. وأعلن أنه سيسعى للعمل الثورى ضمن هذه الحدود وأن أهم الدول هى أسبانيا وإيطاليا واليونان، وبعض المناطق فى آسيا الصغرى، وتشمل فلسطين كما تضم بعض مناطق الصين والمنطقة التى تضم حدود كل من كندا والولايات المتحدة.

تسمى خطة لينين هذه فى الأوساط العسكرية «خطة الثيران الشمالية»، لأن هذه الحيوانات الشمالية استطاعت أن تبقى على وجه الحياة. لأنها كانت تدافع عن نفسها بوقوفها بشكل دائرة، موجهة قرونها الحادة إلى الدببة والذئاب التى تهاجمها.. ويعلل بعد ذلك لينين تخليه عن روزا لوكسمبورغ، بأنه استطاع أن ينظم القوات السوفياتية ليقف فى وجه الهجوم العدوانى الذى قامت به الدول الرأسمالية بين عامى ١٩١٩ و١٩٢١م.. وأعلم لينين فى المؤتمر الأممى الثالث عام ١٩١٢، أن أسبانيا ستكون البلد الثانى لنشر الحكم العمالى، ولام روزا لوكسمبورغ على إضرامها نار العداوة ضد السامية فى ألمانيا.. عندئذ أرسل المؤتمر كارل راديكس ليقود حملة شيوعية فى ألمانيا، وصدرت إليه التعليمات بالبدء بتنظيم وتدريب الحزب المذكور، ولكنه حُذر من اتخاذ خطوات ثورية حتى تأتيه الأوامر من الكومنتيرن (الاتحاد العالمى للأحزاب الشيوعية).

■ ■ ■

وقد سيطر الممولون الدوليون على مؤتمر السلام، الذى انتهى بمعاهدة فرساى.. والبرهان على ذلك واضح، فى أن رئيس الوفد الأمريكى كان بول واربورغ ذاته، الذى أشرنا إليه بصورة كافية فى فصل سابق، فهو الممثل الرئيسى لمجموعة المرابين العالميين فى أمريكا.. ولم يكن رئيس الوفد الألمانى سوى شقيقه ماكس واربورغ.

ويقول الكونت دى سانت أولاير: «إن الذين يبحثون عن الحقيقة فى غير الوثائق، يعرفون أن الرئيس نيلسون، الذى تم انتخابه كرئيس للجمهورية بعد أن موّله البنك الأكبر فى نيويورك (كوهن ـ لوب) كان يسير تحت إرشادات وأوامر هذا البنك».

أما الدكتور ديلون فيوضح أنّ «اليهود هم الذين وجهوا مؤتمر السلام هذا التوجيه، واختاروا فرساى فى باريس ليحققوا برنامجهم بدقة، والذى نفذ حرفيا».

وبالنسبة لمسودة الانتداب البريطانى على فلسطين، فإن تخطيطها كان على يد البروفسور فيلكس فرانكفورتر، الصهيونى الأميركى البارز، الذى أصبح فيما بعد المستشار الأوّل فى البيت الأبيض، فى عهد الرئيس روزفلت.. وساعده فى ذلك كل من السير هربرت صاموئيل والدكتور فيويل والمستر ساشار والمستر لاندمان والمستر بن كوهن وأيضا لوسيان وولف ـ الذى كان تأثيره كبيرا جدا على المستر دافيد لويد جورج، ويقال إنه كان يملك جميع أسرار شؤون بريطانيا الخارجية.

وعندما بدأت المحادثات التمهيدية للمؤتمر، كان المستشار الخاص للسيد كليمانصو ـ رئيس وزراء فرنسا ـ هو المسيو مانديل.. ولم يكن هذا فى الحقيقة إلا اسما مستعارا لأحد أفراد آل روتشيلد.. وكان هناك أيضا المستر هنرى مورغنزاو ـ أحد أفراد الوفد الأمريكى ـ وهو نفسه والد الرجل الذى أصبح فيما بعد السكرتير المالى للرئيس روزفلت.. وحضر

أيضا تلك المحادثات المستر أوسكارلا ستراوس، الذى عرف بتبنيه الشديد لمخطط المولين، والذى كان له دور بارز فى تكوين عصبة الأمم.

وبشأن هذه المعاهدة أيضا، يقول السيد لوسيان وولف فى الصفحة ٤٠٨ من «دراسات عن تاريخ اليهود»: «وهناك مجموعة صغيرة أخرى من اليهود البارزين تظهر تواقيعهم على معاهدة السلام، فقد وقع معاهدة فرساى عن فرنسا لويز كلوتز ـ الذى تورط فيما بعد بقضية مالية واختفى عن الأنظار ـ وعن إيطاليا البارون سومينو، ومستر أدوين مونتاغ عن الهند».

وننقل فيما يلى أقوال بعض كبار المفكرين فى الغرب، التى تشكل بحد ذاتها بيانا لا يحتاج إلى تفسير:

يذكر المؤرخ والدبلوماسى الإنكليزى الشهير هارولد نيكلسون فى مؤلفه الضخم «صنع السلام ١٩١٩ ـ ١٩٤٤» صفحة ٢٤٤ أن لوسيان وولف طلب منه شخصيا أن يتبنى رأيه، وهو أن اليهود يجب أن يتمتعوا بحماية عالمية، وأن يتمتعوا فى الوقت نفسه بكل حقوق المواطن فى أية دولة.

ويقول الكاتب الفرنسى جورج باتو، فى كتابه «المشكلة اليهودية» ص٣٨: «إن المسؤولية تقع على عاتق اليهود الذين أحاطوا بلويد جورج وويلسون وكليمانصو».

■ ■ ■

وننتقل الآن إلى هنغاريا، ونحن نتحدث عن نهاية الحرب العالمية الأولى، فنجد أن بيلاكون اغتصب السلطة فى ربيع ١٩١٩، ثم حاول تطبيق آراء لوسيان وولف.. ولكن حكمه الديكتاتورى لم يدم أكثر من ثلاثة أشهر، قتل خلالها عشرات الآلاف من المسيحيين وأجلوا عن ممتلكاتهم.. وشملت الضحايا جميع الناس من عمال وجنود وتجار وملاك أراضى.. ولم يفرق بين الرجل والمرأة أو بين رجل الدين والرجل العادى.. وفى هذا الصدد تقول

مجلة نيو انترناشيونال فى كتابها السنوى عام ١٩١٩ «تألفت حكومة بيلاكون فى أكثريتها من اليهود، الذين استلموا أيضا مراكز إدارية.. وقد اتحد الشيوعيون مع الاشتراكيين، الذين كانوا أكثر شبها بأحزاب العمال ومجموعات اتحادات العمال.. ومع هذا فإن بيلاكون لم يختر مساعديه من هؤلاء، ولكنه اختارهم من بين اليهود، مؤلفا بذلك حكما بيروقراطيا يهوديا».

ويسجل التاريخ أنه بعد ثلاثة أشهر من التخريب والاغتصاب والقتل الجماعىّ، عُزل بيلاكون.. ولكنه بدلا من أن يعاقب، فإنه أدخل إلى مستشفى للأمراض العقلية.. وبعد ذلك تم إخلاء سبيله على يد تلك المجموعة القوية التى كان يعمل لمصلحتها.. ثم عاد بيلاكون إلى روسيا، ليستلم رئاسة منظمة تشيكيا الإرهابية، والتى عملت على إرهاب الأوكرانيين وإخضاعهم لستالين، عندما أمر ببدء البرنامج الزراعى الجماعى.. وكان من نتيجة هذا الإرهاب أن مات خمسة ملايين من العمال جوعا، لعدم تنفيذهم القانون الزراعىّ، كما دفع بأكثر من خمسة ملايين أيضا للعمل الإجبارى فى سيبيريا.. ولما أراد ستالين أن يحوّل أسبانيا إلى بلد تحكمه الديكتاتورية الشيوعية فى عام ١٩٣٦، وقع اختياره على بيلاكون لينظم (حكم الإرهاب) فى أسبانيا.

■ ■ ■

ونعود إلى مؤتمر فرساى، لنرى مشاهد أخرى من سيطرة الممولين، الدوليين وذلك بحادثة معروفة جرت خلال المحادثات التمهيدية للمؤتمر.. فالظاهر أن هذه المحادثات بدأت تميل إلى سياسة لا يرضى عنها الممولون، لأن برقية مكونة من ألفى كلمة أرسلها يعقوب شيف من نيويورك إلى الرئيس ويلسون، الذى كان يحضر المؤتمر فى باريس، وقد تضمنت هذه البرقية تعليمات للرئيس بشأن ما سيفعله بكل من قضية فلسطين ومصير الانتداب فيها، وبشأن التعويضات الألمانية وقضية سيليسيا العليا ومنطقة

السار وممر دانزينغ.. وأرخت البرقية بتاريخ ٢٨ أيار ١٩١٩، وقد أرسلها شيف باسم اتحاد الأمم المتحررة.

بعد استلام البرقية، غيّر الرئيس ويلسون موقفه فجأة، وأخذت المفاوضات تجرى مجرى آخر.. بهذا الصدد يقول الكونت دى سانت أولاير: «إن النصوص التى تضمنتها معاهدة فرساى فيما يتعلق بالقضايا الخمس الرئيسية، هى من وضع يعقوب شيف وأبناء جلدته».

بعد أن دُفعت الدول الحليفة لجعل فلسطين محمية بريطانيا، أعلم الممولون الدوليون عملاءهم أن بنود المعاهدة ستكون قاسية جدا، بشكل لا يمكن أن يتحمله الشعب الألمانى طويلا.. وكان هذا جزءا من المخطط الذى يرمى إلى زيادة حقد الشعب الألمانى ضد الإنكليز والفرنسين والأميركيين واليهود، ليكونوا على استعداد للحرب من جديد لاستعادة حقوقهم المشروعة.

وبعد توقيع معاهدة فرساى مباشرة، بدأت الحرب الرأسمالية المزيفة ضد البلاشقة.. وقد مكّنت هذه الحرب لينين من تخليه عن مساعدة الثورة الشيوعية فى ألمانيا، وفى الدعوة إلى الصمود والالتحام للحفاظ على المكاسب التى حققها فى روسيا.. ومن ناحية ثانية فإن هذه الحرب لم تكن أبدا ذات خطر على ديكتاتورية لينين.. ولما انتهت عام ١٩٢١، كان من نتائجها الواضحة، الشهرة الواسعة التى نالها البلاشفة، فى مقابل خسارة مماثلة للدول الرأسمالية.. وقد مهدت هذه النتيجة الطريق لعملاء الممولين الدوليين، كى يدخلوا الدول الشيوعية فى عضوية عصبة الأمم تحت ستار السلام العالمى الدائم.

وكانت بريطانيا هى أول الدول التى حققت رغبات الممولين الدوليين واعترفت بالدول الشيوعية.. ثم تلتها فرنسا فى ١٩٢٤، وبعدها جاء دور الولايات المتحدة، فاعترف روزفلت بالدول الشيوعية فى ١٩٣٣م.. وهكذا اعترفت عصبة الأمم بالدول السوفيتية الشيوعية.. ومنذ ذلك اليوم

أصبحت عصبة الأمم ألعوبة فى يد ستالين، وتمكن عملاؤه من صياغة سياستها والسيطرة على نشاطاتها.. وما أن دخلت الدول الشيوعية فى عصبة الأمم حتى أخذ أعضاء محفل الأكبر الماسونى دورهم فيها.

ونشير هنا إلى محرر جريدة التايمز الإنكليزية، وهو يكهام ستيد الذى كان من أكثر الناس اطلاعا على الشؤون العالمية، والذى أشار فى أكثر من مناسبة إلى تدخّل رجال المصارف والممولين الدوليين فى الشؤون الدولية.. وقد كتب هذه العبارة المحددة عقب توقيع معاهدة فرساى مباشرة: «إننى ألح وأصرّ على أنّ المحركين الأول، هم يعقوب شيف وواربوغ وغيرهما من أصحاب المصارف الدوليين، الذين كانوا يرغبون بشكل قوى فى الحصول على مساعدة البلاشقة اليهود، لتأمين ميادين عمل لليهود الألمان فى روسيا».

وننقل أيضا ما كتبه ليوماكس فى عدد آب ١٩١٩ من الناشيونال ريفيو، حيث يقول: «ومهما تكن نوعية السلطة التى تحكم داوننغ ستريت (تحكم بريطانيا)، محافظة كانت أم متطرفة، تؤيد الائتلاف أو تقف فى صف البلاشقة، إلا إنها فى جميع الأحوال تقع فى أيدى اليهود العالميين.. وهنا يمكن سر الأيادى الخفية التى لم يكن قد ظهر لها أى تفسير واع».

عندما زار ونستون تشرشل فلسطين فى آذار ١٩٢١، طلب مقابلة وفد القادة المسلمين.. ولما قابلهم عرضوا له خشيتهم من الهدف الذى تعمل له الصهيونية السياسية، وهو الاستيلاء على فلسطين واستغلال أراضيها لمصلحة اليهود، وبينوا له أن العرب يعيشون فى تلك الأرض منذ أكثر من ألف سنة (هذا أشبه بأن نقول إنّ المصريين يعيشون فى مصر منذ ألف سنة!!.. هذه أرض الفلسطينيين يعيشون فيها منذ القدم، وبقدوم العرب دخلوا الإسلام وتكلموا العربية، مثلهم مثل باقى دولنا)، وطلبوا منه استخدام نفوذه لرفع هذا الظلم.. وقد نقل عنه قوله: «أنتم تطلبون منى أن أتخلى عن وعد بلفور، وأن أوقف الهجرة اليهودية.. وهذا ليس فى طاقتى، كما

إننى لا أرغب فيه.. نحن نعتقد أنه لخير العالم واليهود والإمبراطورية البريطانية والعرب أنفسهم أيضا.. ونحن ننوى أن نحقق هذا الوعد».

لا بد أن يكون تشرشل وهو ينطق بهذا الجواب، كان يفكر بذلك التهديد الذى أطلقه حاييم وايزمان ونشره رسميا فى ١٩٢٠، ويقول فيه: «سوف نستقر هنا فى فلسطين شئتم ذلك أم أبيتم.. إن كل ما تستطيعون عمله هو تعجيل أو إبطاء هجرتنا، ولكنه مهما يكن فإنه من الأفضل لكم أن تساعدونا، لتتجنبوا تحويل قدراتنا البناءة إلى قدرات مدمرة، تدمر العالم».

يجب أن نتدبر أمر تهديد وايزمان هذا، ونفهم معه أيضا ذلك البيان الذى صدر عن أحد المولين الدوليين، فى اجتماع للصهاينة عقد فى بودابست عام ١٩١٩م.. فلقد نقل الكونت أولاير كلامه وهو يتحدث عن احتمالات قيام الحكومة العالمية، ويقول: «وفى سبيل الوصول إلى العالم الجديد (الذى ينتظره هؤلاء)، أعطت منظمتنا البرهان على فعاليتها فى عمليتى الثورة والبناء، وذلك بخلقها لعصبة الأمم، التى هى فى الحقيقة من عملنا.. وستشكل الحركة البلشفية الدافع الأول، بينما تشكل عصبة الأمم الفرامل فى الجهاز الذى سيحتوى معا على القوة الدافعة والقوة الموجهة.. وماذا ستكون النهاية؟.. إنها محددة سلفا فى مهمتنا».. قيام الحكومة العالمية الواحدة.

وهناك شىء مهم وقع تحت يدى بعد ثمانى سنوات من إنهائى لهذا الفصل، وذلك عن طريق المخابرات السرية الكندية، التى نقلت تقريرا عن المؤتمر الاستثنائى «للجنة الطوارئ لحاخامى أوروبا»، الذى عقد فى بودايست فى ١٢ كانون الثانى ١٩٥٢م..

وإننى أنقل ذلك التقرير، وهو عبارة عن الخطاب الحرفى للحاخام أيمانويل رابينوفيتش فى المؤتمر المذكور:

«تحية لكم يا أبنائى.. لقد استدعيتم إلى هذا الاجتماع الخاص لإطلاعكم على الخطوط الرئيسية لمنهاجنا الجديد، وهو المنهاج المتعلق

بالحرب المقبلة كما تعلمون، والتى كان مخططنا الأصلى يقضى بإرجائها عشرين عاما، حتى نتمكن خلال ذلك من تدعيم مكاسبنا التى حصلنا عليها نتيجة للحرب العالمية الثانية.. ولكن ازدياد أعددنا فى بعض المناطق الحيوية يسبب معارضة شديدة، لذلك صار لزاما علينا أن نستعمل جميع الوسائل التى فى حوزتنا، لإشعال حرب عالمية ثالثة فى مدة لا تتجاوز خمس سنوات.

يجب أن أبلغكم أن الهدف الذى لا زلنا نعمل من أجله منذ ثلاثة آلاف عام قد أصبح فى متناول يدنا الآن.. أستطيع أن أعدكم أنه لن تمر عشر سنوات، حتى يأخذ شعبنا مكانه الحقيقى فى العالم، ويصبح كل يهودى ملكا، وكل جوييم عبدا.. (تصفيق من الحضور).. إنكم لا تزالون تذكرون نجاح حملاتنا الدعائية التى طبقناها خلال الثلاثينيات، والتى أوجدت شعورا معاديا للأمريكيين فى ألمانيا، وشعورا بالكره الشديد للألمان عند الأمريكيين.. وتعلمون أن هذه الحملة أعطت ثمارها بقيام الحرب العالمية الثانية.. أما الآن فهناك حملة مماثلة نشنّها بقوة عبر العالم.. فنحن نثير الآن حمّى الحرب عند الشعب الروسى، بخلق ميل معاد لأميركا، التى يجتاحها فى الوقت نفسه شعور معاد للشيوعية.. هذه الحملة ستجبر الدول الصغيرة على الاختيار بين أن تصبح شريكة لروسيا أو متحالفة مع الولايات المتحدة.. أما أكثر المشاكل التى نواجهها فى الوقت الحالى، فهى إثارة الروح العسكرية عند الأمريكيين، الذين أخذوا يبدون كرها شديدا للحرب.. ومع أننا فشلنا فى تحقيق خطتنا فى تعميم التدريب العسكرى على كل الشعب الأمريكى، إلا إننا سنأخذ كل الاحتياطات للحصول على موافقة الكونغرس على مشروع بهذا الصدد بعد انتخابات ١٩٥٢ مباشرة.. إن الشعب الروسى والشعوب الآسيوية هم تحت سيطرتنا، ولا يقفون حائلا ضد قيام الحرب.. ولكننا يجب أن ننتظر حتى يصبح الشعب الأمريكى هو أيضا مستعدا لمثل هذه الحرب.. ونحن نأمل بتحقيق هدفنا هذا باستعمال قضية العداء

للسامية، بنفس الطريقة التى جعلت الأمريكيين يتحدون ضد الألمان أعداء السامية فى الحرب العالمية الثانية.. ونحن ننتظر قيام موجات عداء للسامية فى روسيا، بشكل يسبب تلاحم الشعب الأمريكى ضد القوة السوفياتية.. كما أننا سنقوم بنفس الوقت عن طريق الإغراء المالى، باستخدام عناصر مؤيدة للروس فى عدائهم للسامية، ونبث هذه العناصر فى المدن الأمريكية الكبرى.. وستخدم هذه العناصر غرضين نسعى لهما، وهما فضح المعادين لنا حتى نتمكن من إسكاتهم، وتوحيد الشعب الأمريكى فى بُوتقة واحدة ضد الشعب الروسى.. وفى خلال خمس سنوات سيحقق منهاجنا هذا أغراضه، وتقوم الحرب العالمية الثالثة التى ستفوق فى دمارها جميع الحروب السابقة.. وستكون إسرائيل، بالطبع، بلدا محايدا.. حتى إذا تم تدمير وإهلاك الطرفين المتحاربين، سنقوم نحن بعملية التحكيم والرقابة على بقايا أشلاء جميع الدول.. وستكون هذه الحرب معركتنا الأخيرة فى صراعنا التاريخىّ ضد الجوييم.. بعد ذلك سنكشف عن هويتنا لشعوب آسيا وأفريقيا.. وأستطيع أن أعلن لكم جازما، بأن الجيل الأبيض الذى ولد فى الأيام التى نعيشها الآن سيكون آخر الأجيال البيضاء.. ذلك لأن لجنة التحكيم والرقابة ستمنع التزاوج بين البيض، بحجة نشر السلام والقضاء على الخلافات بين الأجناس البشرية.. وبهذا يتم القضاء على العنصر الأبيض، عدونا اللدود، ويصبح مجرد خيال وذكرى.. وسنعيش بعد ذلك فى عهد السلام والرخاء الذى لن يقل عن عشرة آلاف من السنين.. وسنحكم العالم بأسره، لأنه سيكون من السهل على عقولنا المحركة، السيطرة الدائمة على العالم من الملونين ذوى البشرة السوداء».

سؤال من أحد الحاخامين الحاضرين: «أرجو من الحاخام رابينوفتش أن يحدثنا عن مصير الأديان المختلفة بعد الحرب العالمية الثالثة؟»

رابينوفتش: «لن تكون هناك أديان بعد الحرب العالمية الثالثة، كما لن

يكون هناك رجال دين.. فإن وجود الأديان ورجال الدين خطر دائم علينا، وهو كفيل بالقضاء على سيادتنا المقبلة للعالم، لأن القوة الروحية التى تبعثها الأديان فى نفوس المؤمنين بها ـ وخاصة الإيمان بحياة أخرى بعد الموت ـ يجعلهم يقفون فى وجهنا.. بيد أننا سنحتفظ من الأديان بالشعائر الخارجية فقط.. وسنحافظ على الدين اليهودىّ، وذلك لغاية واحدة، هى الحفاظ على الرباط الذى يجمع أفراد شعبنا، دون أن يتزوجوا من غير سلالتهم أو أن يزوجوا بناتنا لأجنبى.. وقد نحتاج فى سبيل هدفنا النهائى إلى تكرار نفس العملية المؤلمة التى قمنا بها أيام هتلر.. أى أننا قد ندبر وقوع بعض حوادث الاضطهاد ضد مجموعات أو أفراد من شعبنا.. أو بتعبير آخر سوف نضحى ببعض أبناء شعبنا، حتى نحصل بذلك على الحجج الكافية التى تبرر محاكمة وقتل القادة فى أميركا وروسيا كمجرمى حرب، وذلك بعد أن نكون قد فرضنا شروط السلام.. ونحن اليوم بحاجة إلى الإعداد لهذه المهمة وهذه التضحيات.. لقد تعود شعبنا على التضحية دائما.. ولن تكون خسارة بضعة آلاف من اليهود خسارة جسيمة، إذا قارناها بما سيحصل عليه شعبنا من السيطرة على العالم وقيادته.

وحتى تستيقنوا من قدرتنا على السيطرة على العالم، انظروا إلى اختراعات الرجل الأبيض، كيف حولناها إلى سلاح خطير ضده.. فالراديو والمطبعة أصبحتا اليوم المعبر والمتحدث عن رغباتنا، كما أن معامل الصناعات الثقيلة ترسل الأسلحة إلى آسيا وأفريقيا لتحارب شعوبها الرجل الأبيض نفسه صانع هذه الأسلحة.. واعلموا أننا طورنا برنامج النقطة الرابعة فى واشنطن، ليشمل التطوير الصناعى للمناطق المتخلفة من العالم، بحيث يصبح الرجل الأبيض تحت رحمة المجموعات الضخمة من الشعوب السوداء، التى ستفوقه تكنولوجيا بعد أن تدمر الحرب النووية زراعته الصناعية.

وبهذه الرؤية للنصر النهائى يتوهج أمام أعينكم، عودوا إلى مناطقكم وباشروا العمل بجد ودون هوادة، حتى يحل أخيرا اليوم الذى ستكشف فيه إسرائيل عن مهمتها الحقيقية، وهى أن تكون النور الذى يضىء العالم». (النورانى تعنى حامل النور).

هذا الخطاب يؤكد أيضا استنتاجاتى ومعلوماتى السابقة التى أوردتها، وهى أن القوى الخفية هى التى أثارت العداء للسامية، وبنفس الوقت العداء للشيوعية، بشكل يخدم أهدافها.. كما أن الخطاب يبرهن على أن النورانيين استعملوا الشيوعية والنازية والفاشية للوصول إلى طموحهم الخفىّ.. وهم، يستعملون الديمقراطية المسيحية ضد الشيوعية للوصول إلى المرحلة التالية من خطتهم البعيدة، وهى الحرب العالمية الثالثة.

■ ■ ■

ولقد استطاع الممولون الدوليون - باختفائهم وراء بنود معاهدة فرساى - التحكم بإعادة بناء الجيش الألمانى، وإعادة تحسين اقتصاديات البلاد.. بعد ذلك دخلوا مع القيادة الألمانية العليا فى اتفاقية Abmachungen، وبموجبهات تمّ الاتفاق على أن يزود الروس الجنرالات الألمان سرا بجميع الأسلحة والذخائر اللازمة لبناء جيش حديث مؤلف من عدة ملايين.. واتفقوا على أن يضع الديكتاتور السوفيتى تحت تصرفهم جميع التسهيلات، لتدريب جميع الضباط الألمان.

هذا وقد تم تحقيق بنود اتفاقية Abmachungen، بعد أن قام الممولون الدوليون بتمويل هذا المشروع الضخم.. هكذا استطاع هؤلاء أن يؤمّنوا بناء القوة العسكرية والاقتصادية فى الدول الشيوعية والفاشية على السواء.. واستطاعوا أن يهيئوا الظروف للقيادة الألمانية لكى تتخطى بنود معاهدة فرساى، وخصوصا القيود العسكرية المفروضة عليهم.

وعن طريق معامل السلاح والذخيرة الشيوعية وراء جبال الأورال، تم تزويد المؤسسات الألمانية بكل ما تحتاجه.. وهذه المؤامرة لا يمكن إن تعنى إلا النية المبيتة للممولين الدوليين بإضرام نار الحرب العالمية الثانية.. ولم تكن الدول المسماة بالحليفة بمعزل عما يجرى وراء الستار، ولكنها كانت تعلمه أولا بأول.. وهذا لمسته بنفسى عندما حضرت مؤتمر نزع السلاح البحرى فى لندن عام ١٩٣٠م.. وهو برهان آخر على صدق ديزرائيلى عندما قال: «الحكومات المنتخبة لا تحكم».

والحقيقة أن هذه الفترة من التاريخ معقدة جدا وليس من السهل على المواطن العادى أن يفهما.

فالشيوعية والنازية تجمع بينمها صفات مشتركة عديدة: فكلاهما مبدأ إلحادى ينكر وجود القوّة الإلهية.. وكلاهما ينادى ويشجع الحرب والكراهية والقوة.. ومبادئهما مناهضة للمبادئ المسيحية فى السلام والحب والتربية.. وهذا يجعل من قادة كلا المعتقدين العميقين فى الإلحاد والمادة عملاء للشيطان.. وهم جميعا ينفذون المؤامرة الشيطانية فى إبعاد البشر عن طاعة العلى القدير.. وكلا المعتقدين يستعمل أيضا شكلا من أشكال محافل الماسونية فى الشرق الأكبر، لرد الناس عن أديانهم.

وتبين لنا الدراسة التحليلية للتاريخ بين عام ١٩١٤ و ١٩٤٣، أن جماعة المرابين العالميين وجهوا جهودهم فى هذه المرحلة لتحقيق الأهداف التالية:

١ ـ إثارة الحرب العالمية الثانية، الأمر الذى يسمح بخلق جو مناسب للعمل الثورى، يسمح لهم بالسيطرة الكاملة على الإمبراطورية الروسية.

٢ ـ تغيير الرؤوس الحاكمة فى أوروبا، قبل أن تبدأ أى مجموعة من مجموعاتهم بالسيطرة، وإقامة الحكم المطلق.

٣ ـ إجبار حكومتى بريطانيا وفرنسا على الموافقة على إنشاء وطن

قومى لليهود فى فلسطين.

لقد أجبرت الحكومة البريطانية على مساعدة المولين الدوليين لتنفيذ مخططهم فى إنجاح الثورة البلشفية، وذلك كى تحصل بريطانيا على مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب.. ويمكننا أن نجزم بأن السفينة لويزيانا أغرقت لتبرر السياسة الأميركية تجاه الحرب، تماما كان حادث بيرل هاربر المبرر لدخولها فى الحرب العالمية الثانية.. (كشفت الوثائق التى أفرجت عنها بريطانيا فى التسعينيات، أنّ البريطانيين هم الذين دفعوا اليابانيين للهجوم على أمريكا، وذلك باستخدام سفينة بحرية بريطانية ترفع علم أمريكا، استخدمت شفرة أمريكية يعلم البريطانيون أنّ اليابانيين قد حلّوا شفرتها، فى تناقل رسائل كاذبة تؤكد عزم أمريكا على الهجوم على اليابان، ممّا دفع هؤلاء لأخذ زمام المبادرة.. ويقال إن الرئيس الأمريكىّ كان على علم مسبق بنية اليابان مهاجمة بيرل هاربور، ولكنّه تجاهل الأمر لرغبته فى إيجاد مبرر لدخول الحرب!).

وجاء فى النسخة الأصلية بشأن الانتداب البريطانى على فلسطين ما يلى: «لتحويل فلسطين إلى وطن قومى لليهود».. ولكن هذه العبارة تغيرت فى اللحظة الأخيرة، لتكون «لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين».. وقد تم هذا لإخفاء الطموح السرّىّ للصهيونية.

وكما أخفى الصهاينة طموحهم فى الاستيلاء على فلسطين كلها، أخفوا أيضا حقيقة الثروات المعدنية الطائلة الموجودة على شواطئ البحر الميت، ولم يكشفوا عن ذلك إلا بعد إعلان الانتداب من قبل فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة.

وهكذا استعمل المرابون الدوليون الصهيونية، لكى يتحكموا بسيادة الدولة ذات المركز الجغرافى المتوسط، ليمدوا سيطرتهم على بقية دول العالم، كما مدوا سيطرتهم على الاتحاد السوفياتى.

ستالين

لم يقدر لزواج ستالين الثانى التوفيق، لأنه التقى بامرأة يهودية حسناء اسمها روزا كاغنوفيتش.. ويقال إنه كان يعاشرها عندما أقدمت زوجته الثانية ناديا على الانتحار.. ومن المعتقد أن انتحار ناديا لا يعود إلى قصص ستالين الغرامية فقط، بل إلى الأسى الشديد الذى أصابها، بسبب قسوة زوجها فى القضاء على عدد كبير من خصومه، الذين كانت ترى فيهم إخوة لها فى الدين بينما يراهم هو منحرفين.

وكان شقيق روزا ـ ويدعى لازار كاغونوفيتش ـ صديقا مقربا لستالين، الذى جعله عضوا فى المكتب السياسى «البوليتبيرو»، وبقى كذلك حتى وفاة ستالين.. وقد برهن لازار عن مقدرته فى الإشراف على الصناعات الثقيلة، عندما قام بتطوير حقول دونيتز بازين البترولية وإنشاء اوتوستراد موسكو.. وقد تزوج ابنه ميخائيل ابنة ستالين (سفيتلانا) فى ١٥ تموز ١٩٥١م.. وكانت سفيتلانا متزوجة من شخص آخر عندما تقرر هذا الزواج.. ولم يعلم أى شىء عن مصير الزوج الأول، سوى أنه قد انزاح عن الطريق فجأة، تماما كما فعل ستالين عندما تزوج روزا بعد أن أزاح زوجته الثانية، أو بعد أن أزاحت هى نفسها!!

وبالإضافة إلى زواج ستالين من يهودية، فإن نائبه مولوتوف هو أيضا قد تزوج من يهودية، وهى شقيقة سام كارب ـ الرأسمالى الأمريكى الكبير، صاحب شركة الاستيراد الضخمة «كارب اكسبورتنغ» ـ ثم خطبت ابنة مولوتوف إلى ابن ستالين فاسيلى فى عام ١٩٥١م.. وهكذا نرى أن المكتب السياسى «البوليتبورو» كان إلى حد ما بيد أسرة ستالين والمقربين إليها.

وقد توصل ستالين إلى أن يصبح فى الطبقة العليا للحزب الثورى الروسى، لأن معظم القادة المرموقين فى المراحل الأولى من الثورة الشيوعية كانوا داخل السجون.. ولم يترقّ ستالين إلى أى مركز خلال ديكتاتورية لينين، إلا إنه فى الفترة الأخيرة من حكم لينين، بدأ يتقدم الصفوف الأولى.. وعندها بدأ الصراع بينه وبين تروتسكى وغيره من بعض اليهود الخصوم.. وانتهى هذا الصراع باستلامه الحكم، الذى لم يتخل عنه حتى وفاته.

فى عام ١٩٢٧ حاول تروتسكى القيام بانتفاضة ضد ستالين، متهما إياه بالانحراف عن الإيديولوجية الماركسية والنزوع إلى إقامة دكتاتورية استعمارية توتاليتارية كبديل للاتحاد الأصيل للجمهوريات السوفياتية الاشتراكية.. وهنا قام ستالين بحملة تطهير، قضى فيها على عدة ملايين، كما أرسل عددا مماثلا إلى المنفى والأشغال الإجبارية.. وهكذا كانت نهاية العديد من قادة الحركة الثورية منذ الأممية الأولى، أن يلاحَقوا حتى الموت أو السجن.. ومن بين القادة الذين تخلص منهم ستالين: تروتسكى، زينوفييف، كامينيف، ومارتينوف وزاسوليش، ودوش وبارفوس، واكسلرود، وراديك وبورتزكى وسفيردلوف، ودان، وليبر، ومارتوف.. ولم يبق من المقربين اليه عند وفاته، إلا لازار كاغانوفيتش صهره، وروزا زوجته الثالثة.

■ ■ ■

سار ستالين على سياسة لينين فى إنشاء عالم الشيوعية بين خطى عرض ٣٥ و ٤٥ من النصف الشمالى للكرة الأرضية.

كانت خطة ستالين تقضى بألا يورّط قواته المسلحة فى حرب مع الدول الأخرى، وأن يسير على سياسة إشعال الثورات جنوبى الاتحاد السوفياتى بين خطى عرض ٣٥ و ٤٥.. وقد أعطت هذه السياسة ثمارها بسرعة، لأنه عند وفاة ستالين كانت الشيوعية قد سيطرت على نصف المنطقة المذكورة، كما أن نصف سكان الأرض كانوا قد وقعوا تحت التأثير الشيوعى.

(تذكر القمع والاضهاد والتهجير الذى أصاب المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية التى احتلتها روسيا، للقضاء على دينهم ولغاتهم وتراثهم.. هذا بخلاف الثورات الاشتراكية التى دمرت مجتمعاتنا فى نصف القرن الماضى، وما زلنا ندفع ثمن كوارثها حتّى اليوم!!).

هذا وقد حافظ ستالين على خطة لينين بالبدء بأسبانيا فى عملية التحويل إلى الشيوعية، لأنه هذا سيجعل من السهل تعريض فرنسا وبريطانيا للسيطرة الشيوعية، وتصبح بعد ذلك ألمانيا بين فكى الكماشة.. وإذا حدث ما يمنع وقوع أسبانيا تحت السيطرة الشيوعية، فإن حادثا كهذا سيكون من الأسباب المساعدة على نشوب حرب عالمية ثانية.

وعندما كان ستالين يعد للثورة الأسبانية، شارك مشاركة فعالة فى الحرب الاقتصادية، التى كانت تدور رحاها بعد توقيع الهدنة عام ١٩١٨م. فقد ظهرت طبقات ذات غنى فاحش بعد الحرب العالمية لعدم مشاركتها فى الحرب، كما أن شعوب الدول الحليفة عاشت برخاء زائد فى السنتين اللتين تلتا الحرب.. ولكن قبل أن يتمكن المستثمرون من استثمار أموالهم بعد أن وصلوا إلى القمة، سحبت أموال طائلة من الأسواق، وحددت الاعتمادات فى البنوك، وبدأت عملية المطالبة بالديون تشتد.. وكانت هذه المأساة الصغرى التى كان يعيشها العالم بين ١٩٢٣ و ١٩٢٥، والتى كانت مقدمة للمأساة الكبرى التى خططت لها القوى لتكون عام ١٩٣٠م.

هذا وقد حدثت المأساة الكبرى هذه، بعد أن تغيرت السياسة المالية عام ١٩٢٥، وعاد الرخاء يتقدم بخطى واسعة حتى الغنى الفاحش فى كل من أميركا وبريطانيا وكندا واستراليا.. وعاد الاستثمار عن طريق الأسهم والشركات أقوى مما كان عليه قبل ١٩٢٥م.. عندئذ وقبل انتهاء عام ١٩٢٩، وقعت الضربة المفاجئة.. ونزلت أعظم مأساة اقتصادية عرفها العالم الحرّ فى تاريخه كله.. وكان من نتيجتها أن الملايين من الناس أصبحوا بحاجة

إلى لقمة العيش.. وانتحر الآلاف.. وقد وقع اللوم يومذاك على سوء الإدارة والحكم، الذى جعل من عشرات الملايين من البشر مدقعين فى الفقر، ورفع ٣٠٠ فقط من أصحاب الملايين ليصبحوا من أصحاب «التريليونات».

أما ستالين فقد بدأ خطته الصناعية الخماسية عام ١٩٢٥، وذلك للعمل على ما أسماه تحسين الأوضاع الداخلية للدول الشيوعية.. وشملت الخطة استغلال الموارد الطبيعية وتصنيعها وتحسين الوسائل الزراعية وتحديث الصناعة.. وقد موّل هذه الخطة الخماسية المرابون الدوليون، وذلك عن طريق قروض ساهمت مساهمة قوية فى تحسين الاقتصاد الروسى وبناء القوة العسكرية الروسية والألمانية معا.

ثم جاءت خطوة ستالين التالية، وهى إنشاء المزارع الجماعية.. وكان الشعب الروسى قد عاش لقرون عديدة أقل من العبيد فى الأرض التى كان يستغلها الإقطاعيون، ثم وعدهم لينين بأن يعيشوا عيشة أفضل، حيث انفصل أكثر من مليونين من عائلات الفلاحين عن إقطاعهم، ووزعت الأراضى، وأصبحوا جميعا ملاكا مستقلين.. وفى أول كانون الثانى ١٩١٦ ارتفع عدد هذه العائلات إلى ٦,٢٠٠,٠٠٠ عائلة.

ولكن الحظ السىء كان يلاحق هؤلاء، لأن الممولين الدوليين كانوا يريدون الحصول على القروض التى دفعوها للخطة الزراعية ولتموين الجيش الألمانى، فأصروا على التحكم بصادرات وواردات الدول الشيوعية، كما طلبوا بتنفيذ المزارع الجماعية على أنها الوسيلة الوحيدة لزيادة الإنتاج الزراعى.

وقد سجل التاريخ ما حدث عندما نفذ ستالين بالقوة مشروع المزارع الجماعية، فأكثر من خمسة ملايين من الفلاحين واجهوا الإعدام أو ماتوا من الجوع، لأنهم رفضوا تنفيذ المشروع أو حاولوا الوقوف فى وجهه.. كما أن أكثر من خمسة ملايين غيرهم تم نقلهم إلى سيبيرا لكى يقوموا بالأعمال الإجبارية.. بل أكثر من هذا، هو أن القمح الذى صادره ستالين

من الفلاحين تم بيعه للمرابين الدوليين، ليضاف إلى كميات القمح الأخرى التى اشتراها هؤلاء من بلدان أخرى.. وكان الغرض من هذه العملية هو تعويم السواق العالمية بهذه المادة الأساسية وبشكل رخيص، وذلك للمضاربة على القمح الأمريكى والكندى، كى يكسد ولا يجد الأسواق التى تشتريه.. كما أن المرابين قاموا بضربة أخرى للّحوم والمواشى الكندية والأميركية، وذلك عن طريق شراء كميات ضخمة من اللحوم المبردة والمعلبة من الأرجنتين وغيرها من البلدان المنتجة للحوم.

وبين عامى ١٩٢٠ و ١٩٢٩ خفض الممولون الدوليون أسعار الشحن فى سفن جميع الدول تقريبا، ما عدا بريطانيا وأميركا وكندا.. فكان من نتيجة هذه القرصنة التجارية، أن استحال على السفن من هذه البلدان الثلاثة أن تنافس أسعار الشحن فى السفن الأخرى، فرابطت آلاف السفن التجارية فى موانئها، وتوقفت عملية التصدير بشكل لم يُعرف من قبل.

فى نفس الوقت الذى كان ميزان الصادرات فى الدول الحليفة يهبط بشكل عجيب، كان هناك ارتفاع مقابل فى عملية الاستيراد من كل من ألمانيا واليابان ودول أوروبا الوسطى.. وهكذا ساءت الحالة فى البلدان الحليفة.. ففى كندا مثلا يعتمد خمسة من كل ثمانية من أصحاب الدخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على عملية التصدير.. وإذا انخفض ميزان التصدير، تبعه مباشرة انخفاض وانتكاس تجارى.. ذلك أن القدرة الشرائية لخمسة من كلّ ثمانية من أصحاب الدخل تنخفض.. يؤثر هذا أيضا على كل من يعتمد على الخدمات بأنواعها كوسيلة لكسب عيشه.. وإذا بقى هذا الانخفاض فى ميزان المدفوعات على حاله أو توقفت الصادرات، فإن الانتكاس التجارى يتحول إلى أزمة ويتدهور إلى مأساة.

وحتى يتأكد أصحاب المؤامرة العالمية من انزلاق الهيكل الاقتصادى للدول الحليفة إلى الهاوية، راحوا يعوّمون الأسواق العالمية بالقمح واللحم

بأسعار منخفضة جدا وأقل من كلفة الإنتاج فى كل من كندا وأميركا واستراليا.. فكان من نتيجة هذا التعويم أن فاضت مستودعات القمح فى الدول الحليفة ولم تتمكن من بيعه، بينما كانت شعوب بعض الدول تموت جوعا لحاجتها الماسة للخبز واللحم.. وكانت بريطانيا تعوض الفرق السنوى الشاسع بين ميزان الصادرات والواردات بخدماتها فيما وراء البحار، حيث تكسب ما يعادل ٨٥ مليون جنيه إسترلينى.. ولكنها أصيبت بضربة قاسية جدا عندما منعتها المنافسة غير العادلة من الحصول على هذا المبلغ.. هذا وقد استغل المرابون العالميون هذه الأزمة الاقتصادية المصطنعة لخلق جو من التنافر والخلاف بين مختلف دول الكومنولث، وذلك بهدف إضعاف الإمبراطورية البريطانية وتفكيكها.

ماذا كانت نتيجة هذه الحرب الاقتصادية؟.. ركود شديد فى تجارة وصناعة وزراعة الدول الحليفة والدول الرأسمالية، وفى نفس الوقت ازدياد شديد وتوسع هائل فى نشاط الدول الشيوعية ودول حلف المحور..

وهكذا أخذوا يهيئون الوضع الدولى لقيام حرب عالمية ثانية فى الوقت الذى يريدونه.

■ ■ ■

الثورة الأسبانية

فى القرن الثالث عشر الميلادى شكّل البابا أنيوسينس الثالث محاكم التفتيش، لاعتقال الزنادقة الذين يتظاهرون بالتدين والتحقيق معهم (الصحيح: للتنكيل بالمسلمين واليهود بمنتهى الوحشية والخسّة!!).. وكانت أسبانيا قبل ذلك قد أكرمت اليهود وعاملتهم معاملة ودية جدا (هذا عندما كان يحكمها المسلمون).. ومن هنا نجد أن جميع جرائم المرابين الملحدين وعملائهم فى أسبانيا وفى غيرها من الدول تلصق باليهود.. واستمر عمل محاكم التفتيش أيام إيزيبلا وفرديناند، أى بين عامى ١٤٧٥ و ١٥٠٤م.

ولما جاء حكم توركومادا، وجدت محاكم التفتيش أن خلايا المرتدين والمخربين تنتشر انتشارا واسعا فى البلاد وتتبع تنظيما دقيقا.. عندئذ حذت أسبانيا حذو غيرها من الدول الأوروبية وطردت اليهود من أراضيها، مما شجّع المتطرفين على تنظيم أعمال عنف جماهيرية ضد اليهود، فوقع عدد من المذابح المؤلمة، أدانتها سلطات الكنيسة فى روما وهاجمتها بشكل علنى.

وفى القرن السابع عشر، بعد إعادة تنظيم رجال المصارف العالميين، عاد عملاؤهم وتسربوا إلى إدارة الخزينة الأسبانية، وكان لهؤلاء نشاط واسع إبان الثورتين الفرنسية والإنكليزية.. وبذلك حاولوا جهدهم إضعاف الاقتصاد الإسبانى وتهيئة البلاد للحركات الثورية.

وقد يكون من المهم جدا أن نتعرف على خيوط المؤامرة السياسية التى حيكت بين عام ١٨٣٩ وعام ١٩٣٩، لنكوّن صورة واضحة عن أسلوب العمل الثورىّ، وهو يتألف من ثلاث مراحل لا بد منها:

١ ـ تغلغل أفراد الحزب الثورى فى المناصب الحكومية، وفى مراكز

الخدمات العامة والقوات المسلحة والتنظيمات العمالية، بغية الاستعداد لتحطيم الحكومة من الداخل عندما يسمح الوقت بذلك وتصدر الأوامر.

٢ ـ ربط الحزب الثورى بالحزب الاشتراكى أو الحزب اليسارى، بغية الإطاحة بالحكومة، سواء أكانت ملكية أو جمهورية.

٣ ـ القيام بنشاطات تخريبية بغية اختلاق الفوضى، لزعزعة الرأى العام فى حكومة الجبهة الشعبية المؤتلفة كما يسمونها عادة، فيكون الفشل حليفها، مما يمهد الطريق لقيام ديكتاتورية البروليتاريا، التى ما إن تظهر للوجود حتى تبدأ عمليات التطهير، وتظهر بعدها الديكتاتورية التوتاليتارية.. وهذا ما حدث بالفعل فى روسيا عام ١٩١٧م.

وسنرى الآن كيف نفذت هذه المراحل الثلاث فى أسبانيا، البلد الذى كان هدف لينين، ثم ستالين من بعده.

■ ■ ■

جرى أول إضراب عامّ نظمه عملاء كارل ماركس فى أسبانيا عام ١٨٦٥م.. وفى عام ١٨٦٨ أرسل زعماء الحركة الثورية العالمية السنيور فانيلى إلى أسبانيا، ليقوم بتوحيد نشاطات الفوضويين مع الثوريين الماركسيين.. وكان السنيور فانيلى صديقا حميما لباخونين، الذى كان بدوره على علاقة وثيقة بماركس وانجلز.. ولكن باخونين لم يبق على صلات وثيقة مع ماركس. لأنه عارض سياسته عام ١٨٧٠. فطرد من الأممية الأولى (المؤتمر الأول) لقادة الحركة الثورية العالمية.

تابع كل من باخونين وفانيلى نشاطهما كل على حدَة. فتمكن باخونين من التأثير على القادة الثوريين الأسبان وإنشاء التحالف الاشتراكى الديمقراطى عام ١٨٧٢م.. وقد أصدرت الحكومة قرارا بمنع هذا التنظيم. ولكنه بقى يعمل سرا.

وفى نفس الوقت كان «محفل الشرق الأكبر» قد أنشأ تنظيمات قوية فى داخل أسبانيا.

وفى المؤتمر العام الذى عقد فى زارغوزا، وافق الجناح الأسبانى للماركسية الدولية، على التحالف مع حركة الرفض الفوضوية.. وبعد هذا التحالف ركز الفريقان جهدهما على توحيد جميع الفئات العمالية، وإنشاء تحالف واسع سمى بالكامورا.. وفى عام ١٨٧٣، توّج هذا التحالف الواسع نشاطه بقيام الثورة وإنشاء الجمهورية الأسبانية الأولى.

وكالمعتاد، رافق هذا النشاط الثورى قيام عهد من الإرهاب وانتشار الفوضى بشكل مريع.. وقد حملت هذه الأعمال الفوضوية الجنرال بافيا على القيام بحركته الانقلابية.. وعندها عاد العمل الثورى إلى السرية مرة أخرى، ولكنها لم تدم طويلا، إذ سرعان ما ساند أعضاء الحركة الثورية قادة الحركة التحررية المعتدلة، وعادوا مرة أخرى إلى الظهور على مسرح السياسة.. عندها قاموا بتغذية النزاع القائم بين الموالين لأحفاد الملك دون كارولز، وبين الموالين لأحفاد ايزبيلا.. وقد انتهى هذا النزاع بانهزام الموالين لأحفاد كارولز عام ١٨٧٦م.

فى هذا الوقت كانت الحركات العمالية فى أوجها، وأغلبها يعمل بهدف نبيل غايته تحقيق العدالة للعمال.. وكان معظم العمال يرفضون السياسة المتطرفة لحركة الرفض اليسارية، ولذلك نظموا أنفسهم فى «اتحاد العمال».. ولكنّ القادة المعتدلين لهذا الاتحاد سرعان ما وجدوا أنفسهم خارجه، بعد أن تسرّب الثوريّون المتطرفون إلى داخل الاتحاد، وبدأ وعمليات التصفية من الداخل.. وبقيت أعمال التصفية مستمرة حتى عام ١٨٨٨، عندما أعلن بابلو اغليسياس إنشاء «الاتحاد العام للعمال»، ليضم أكبر عدد من المعتدلين.. وكان هذا الاتحاد العام يعرف فى أسبانيا بـ U. G. T.. وقد بقى دون دعم الحكومة حتى أعلنت الحكومة الاتحاد الأيبرى، الذى كان يضم جميع المتطرفين والمنضمين إلى حركات الرفض الفوضوية.

ثم فى سنة ١٩١٠ شكلت الاتحادات العمالية المتطرفة اتحادا نقابيا عاما، عرف فى أسبانيا بـ C. N. T وبقى هذا الاتحاد النقابى العام يعمل هو والعديد من النقابات الأخرى حتى عام ١٩١٣، عندما تمّ تعليق هذه النقابات بسبب الإضرابات المتكررة.. وكانت الحكومة توافق وتتعاون مع الحركات العمالية وتؤيد المطالب الجماعية، ولكن المتطرفين كانوا قد بدأوا يستغلون هذه النقابات لغاياتهم الخاصة وينفذون مآربهم.. فحلت الحكومة جميع النقابات، ووجد العمال أنفسهم من جديد بدون حماية.

وعاد الثوريون المتطرفون ليستغلوا هذا الوضع الجديد للعمال، ليوجهوا أعمالهم بشكل أعنف من السابق وأشد خطورة.. فبدأوا يزيدون نشاطاتهم ضد جميع الأحزاب السياسية وضد الدولة نفسها.. وفى عام ١٩١٦ أعيد تنظيم الاتحاد النقابىّ المتطرف المعروف باسم G. R. T، وظهر على المسرح اسم زعيمين هما: بيستاتا وسيغوى، اللذين تمكنا من توحيد العمل النقابى فى مدينة برشلونة.

ومما ساعد على إنجاح التنظيمات النقابية المتطرفة، هو الإجحاف الذى لحق بالعمال إبان الحرب العالمية الأولى وما بعدها.. فقد كانت أسبانيا قد كسبت أموالا طائلة أيام الحرب لأنها كانت دولة حيادية، ولكن العمال بشكل عام لم يشاركوا فى الازدهار الواسع الذى عم البلاد، فتدفقوا على التنظيمات المتطرفة يسعون إلى تحقيق مكاسبهم ورفع الظلم عنهم.. وفى نفس الوقت ثابر بعض القادة المعتدلون على نشاطهم، وتوصلوا إلى إنشاء الاتحاد النقابى الحر عام ١٩٢٠م.

وفى الفترة التى تلت ذلك العام واستمرت حتى عام ١٩٢٣، اشتد النزاع بين الحركات النقابية اليسارية من جهة أخرى.. وعمت البلاد إضرابات محلية وعامة وأعمال عنف واغتيالات واسعة للقادة العماليين، بهدف إضعاف الفرقاء لأعدائهم.. وقد ارتكبت كل هذه الجرائم باسم "الحرية"،

حتى وصلت الحالة إلى فوضى تامة.. عندئذ طلب الملك الأسبانى من الجنرال بريمودى ربفيرا ضبط الأمن فى البلاد، ومنحه مطلق الصلاحيات العسكرية ليمنع الشيوعيين من القيام بثورة أخرى.

كانت أول نتيجة للحكم الديكتاتورى الذى تزعمه دى ريفيرا أن أنهى الحرب مع المغرب نهاية ناجحة.. وكانت شخصية الجنرال فرانكو قد تبلورت من خلال هذه الحرب، وأخذت شعبيته تزداد وتنتشر.. وقد استطاع بعدله وحزمة أن يكسب ود الشعب المغربى وصداقته وإعجابه (١١١).. وبالرغم مما قيل عن دى ريفيرا، إلا إنه من المعدل أن نقول إنه تمكّن من إعادة النظام إلى البلاد، وقام بتحسين أحوال العمال بعد أن تعاون مع اباليرو، كما قام بإصلاحات اجتماعية عديدة.. ولكن هذا النشاط الواسع أضعف الجنرال دى ريفيرا وتدهورت صحته عام ١٩٢٩م.. وهذا على الأرجح ما يفسر الأخطاء فى تقدير الأشخاص التى ارتكبها عام ١٩٣٠م.. فقد اختار فى ذلك العام اثنين من زعماء الحركة الاشتراكية وهما بستيرو وسابورى. وكأنه قد شعر بثقل المسؤولية على كاهله فأراد أن يرفعها عنه، فطلب منهما أن يعيدا تنظيم الجهاز الانتخابى للأمة، لكى يستطيع الشعب تقرير مصيره والاختيار بين الملكية أو الجمهورية.. ولم يُعرف السبب الكامن وراء اختيار هذين الرجلين وسيبقى هذا الحدث بدون تفسير.. وقد قام بيسترو وسابوريت بما يجب على قائدين ثوريين أن يقوما به، فطوقا الجهاز الانتخابى وأعدّاه ليكون انتخاب حكومة اشتراكية أمرا حتميا.. وانتشر التزوير فى الانتخابات، ليقترع فى مدريد وحدها ٤٠,٠٠٠ من المتوفين ومن الناخبين المزورين.

وكانت محافل الشرق الأكبر فى أسبانيا قد نظمت اتحادا خاصا سمته «الاتحاد العسكرى الأخوى»، ويهدف إلى الإطاحة بالنظام الملكى.. وقد استطاع أن يحصل على وعد ٢١ من أصل ٢٣ جنرالا أسبانيا، بأن يساعدوه

على إقامة الحكم الجمهورى.. وقد ذكر هذه المعلومات الجنرال مولا، قائد قوى الأمن الداخلى فى أسبانيا، وذلك فى كتابه: "Tempestad Calma Intriga Y Crisis"، حيث يخبرنا فيه أن المحافل وضعت تحت تصرف الجنرالات عند انتمائهم لها، مبلغ مليون ونصف بيزفيتا، وذلك لمساعدتهم على الهرب فى حال فشل الحركة الجمهورية.. وكان فرانكو أحد الجنرالين الذين لم ينضما إلى «الاتحاد العسكرى الأخوى».. ويؤكد كلام الجنرال مولا، جنرال آخر كان من بين الذين انضموا إلى «الاتحاد العسكرى الأخوى» وهو الجنرال كانوا لوبيز، حيث قال فى حديث له فى البرلمان الإسبانى (الكورتس): «لقد جمعت الماسونية منذ عام ١٩٢٥ غالبية كبار ضباط الجيش، وذلك تحت شعار الاتحاد العسكرى الأخوى».

ومن بين الذين دخلوا كأعضاء فى هذا الاتحاد، كابانيلاس وسانجورجو وغويد ومولا ولوبيز وأوشاو كويبو دى لانا وغيرهم.

ويضيف لوبيز قائلا: «وقد صدرت الأوامر مرتين لهؤلاء الجنرالات، مرة عام ١٩٢٩ للإطاحة بالديكتاتورية التى تزعمها دى ريفيرا، ومرة للإطاحة بالملكية عام ١٩٣١م.. وقد نفذ الجنرالات هذه الأوامر كما جاءت».

ويخبرنا الجنرال مولا كيف حنث هو وغالبية الجنرالات بوعدهم للمحافل، وذلك عندما شعروا أنهم قد استغلوا بكل بساطة لتنفيذ المخططات السرية، التى أعدها ستالين ليحول أسبانيا إلى ديكتاتورية شيوعية أخرى.

وقد نشرت المجلة الفرنسية فى تقرير لها عام ١٩٣٢، أن ستالين وعد بمبلغ مئتى ألف دولار، كإسهام منه فى تمويل مراكز التدريب الثورى فى أسبانيا.. كما تبين الكشوفات المقدمة للمؤتمر الشيوعى الدولى عام ١٩٣١، أن القادة الثوريين تسلموا مبلغ مئتين وأربعين ألف جنيه ـ بالعملة الإنكليزية ـ كما كان تحت تصرفهم مبلغ مليونين ونصف بيزيتا لشراء الأسلحة

والذخائر.. ويقول الجنرال مولا إنه وصل أسبانيا عام ١٩٣٨ قادما من روسيا، مئتا قائد ثورى كانوا قد تدربوا فى مؤسسة لينين فى موسكو.

■ ■ ■

ومنذ عام ١٩٣٠ وحتى تاريخ بدء العمليات الانتخابية، كانت قد بدأت حملة التشهير ضد ملك أسبانيا وعائلته الملكية.. ومن بين الأكاذيب السخيفة، الزعم أنه كان يسفك دم جندى أسبانى كل يوم، وذلك لإبقاء أمير استوريا على قيد الحياة، وهو المعروف بأنه يعانى من النزيف الدموى.. واتُّهم الملك بالفجور - تماما كما اتهمت إمبراطورة روسيا زورا بأنها كانت عشيقة لراسبوتين.

وبعد أن انتهت عمليات التزوير وأفرغت من صناديق الاقتراع أصوات الريفيين المؤيدين للملكية.. وبعد أن أعلنت نتائج الانتخابات لصالح حكومة جمهورية، أصدر الملك ألفونسو الثالث عشر بيانه الأخير إلى الشعب، الذى قال فيه: «لقد برهنت الانتخابات التى جرت يوم الأحد أننى لم أعد أحظى بمحبة وتقدير شعبى.. ولكننى مازلت مقتنعا أن هذه الأحوال ستتغير، لأنى كنت دائما أجاهد فى سبيل أسبانيا وأضحى مخلصا من أجلها.. قد يرتكب الملك بعض الأخطاء، وبدون شك لقد ارتكبت بعضها، لكنّ شعبى كان دائما صفوحا عن أخطاء الآخرين بدون أى حقد أو ضغينة.. لقد كان بإمكانى، وأنا الأسبانى والملك على جميع الأسبان، أن أستعمل جميع صلاحياتى للحفاظ على حقوقى الملكية بوجه من يظهر أية مقاومة.. لكننى آثرت أن أتنحّى، خوفا من أن تنقسم البلاد فيقاتل الأسبانى أخاه فى حرب أهلية.. وأنا إذ أغادر البلاد، أصر على أننى ما أزال مؤمنا بالحق الذى جاءنى عبر التاريخ، والذى سأسال عنه يوميا من الأيام.. كما وأنى إذ أتخلى عن جميع صلاحياتى الحالية فى ممارسة الحكم - وفى قناعتى بأن هذا سيكون لصالح البلاد وليكون الشعب كله مسئولا عن نفسه - أضرع إلى الله أن

يقوم كل أسبانى بواجبه الذى يميله عليه حبه لأسبانيا، بنفس القدر الذى كنت أقوم به».

■ ■ ■

حتى ذلك الحين، كان المتآمرون قد نفذوا الخطوة الأولى، وبدءوا يعدون للخطوة التالية.. ولم يكن جميع أفراد الحكومة الجديدة من عملاء المرابين، بل كان بينهم أعداد كبيرة من المخلصين، ولكنهم كانوا جميعا بدون سلطة وبدون صلاحيات.. أما السلطة الحقيقية فقد كانت بأيدى العملاء الشيوعيين والفوضويين، الذين بدءوا يُعدون للمرحلة الثانية، وهى إنشاء ديكتاتورية البروليتاريا.. وابتغوا لتحقيق هذا الغرض طريقة اللعب على الحبلين، فأوحت بعض الخلايا الشيوعية إلى الحكومة بارتكاب بعض الأخطاء، بينما راحت خلايا أخرى خارج الحكومة تشنّ هجوما على الحكومة لارتكابها هذه الأخطاء، وتنعتها بالسذاجة والفساد.. وهنا بدأ عملاء موسكو بتنفيذ جميع أنواع الجرائم، لدفع الناس إلى القبول - بل حتى المطالبة - بديكتاتورية البروليتريا للحفاظ على البلاد وعلى أمنها الداخلى.

وكان الجنرال دى ريفيرا قد استخدم لارغو كابا ليرو ومجموعته، فى تخفيف حده النزاع القائم بين العمال وأرباب العمل.. ولكن ما إن ظهرت الحكومة العمالية إلى الوجود، حتى كشف كابا ليرو عن حقيقته، وأعلن بصراحة عام ١٩٣٥ أنه تمكن من إنشاء «عشرات الآلاف من الخلايا الشيوعية فى جميع أنحاء أسبانيا».. وهذا يفسر الاستقبال والتصفيق الحار الذى قوبل به الوفد الأسبانى فى المؤتمر العام الحادى عشر للجنة التنفيذية للأممية الشيوعية، وامتداح الوفد لأن «الإعدادات للثورة تجرى بشكل سريع ومناسب تماما للخطة الثورية فى أسبانيا».. وفى المؤتمر الثانى عشر للأممية الشيوعية وجهت كلمات الثناء التالية للوفد الأسبانى: «لقد لاحظنا فى أسبانيا بالذات، قيام أعمال ثورية وإضرابات متكررة على مدى

شهور عديدة، بشكل لم يشهده هذا البلد من قبل.. وليس هذا الصراع العمالى إلا الخطوة الأساسية لقيام الثورة الأسبانية».

■ ■ ■

ما حدث بعد ذلك فى أسبانيا يكشف الكثير من وجوه المؤامرة، وخصوصا ما حدث ضمن التنظيم الشيوعى نفسه.. وكما يقول المثل القديم «عندما يختلف اللصوص تظهر الحقيقة»، فإن هذا ما حدث بالفعل فى أسبانيا.. فقد كان الزعماء الثلاثة للحركة الشيوعية مورين وسيرجس ونين، قد أتموا دراستهم الثورية فى مؤسسة لينين فى موسكو، وعادوا لقيادة الحركة الثورية.

وبعد سنوات من الحياة الصاخبة والمليئة بالنشاط الثورى، جلس مورين ليكتب عام ١٩٢٦ كتابة Hacia la Segunda Revolution، الذى أظهر فيه معارضته لستالين لأنه قد انحرف عن العقائدية الماركسية.. واتهم مورين ستالين بأنه يستخدم القوى الشيوعية لتحقيق مآربه الخاصة فى الحكم الديكتاتورى الاستعمارى.

وهكذا بدأ الصراع بين ستالين وبين الشباب الثلاثة مورين وسيرجس ونين.. وأثبت هؤلاء عن مهارتهم فى تجميع العمال والسيطرة عليهم، فقرر ستالين التخلص منهم بعد أن قاموا بما عليهم حتى بداية الحرب الأهلية.. وكان أمر ستالين بتصفيتهم قد حدد بأن «يظهر موتهم للشعب وكأنه استشهاد بطولى فى سبيل الشيوعية»، فأرشد الشيوعيون فرانكو على مكان مورين، فأعدم بعد أن حوكم.. أما سيرجس فتقول التقارير إنه مات بأيدى الشيوعيين أنفسهم.. وقتل نين فى ظروف غامضة.. وبعدها أعلن للملأ أن موت هؤلاء لم يتم إلا على يد أعداء الشيوعية.

ولكن هذا الصراع لم يمرّ هكذا بدون نتائج أو فضائح.. فلقد أخذ

الشيوعيون يفضحون بعضهم البعض ويبينون الحقيقة الخفية لوجودهم.. ومن بين هذه الفضائح ما كتبه سيرجس، حيث يقول: «لقد تم تطور الشيوعية عام ١٩٣٦ من الثورية الأممية إلى القومية، بشكل قوة عسكرية ضخمة يقوم على خدمتها أحزاب عديدة فى دول مختلفة، وتقوم هذه الدولة القوية بتمويل هذه الأحزاب.. فبعد عام ١٩٣٦ شكل الستالينيون الحزب الإسبانى الاشتراكى الموحد، الذى رعاه المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية.. وكان الهدف من ذلك إنشاء قوة جديدة ذات طبيعة فاشية، تتمكن من تطويق فرنسا، الحليف المحتمل لروسيا فى الحرب التى يجرى إعدادها».

ويقول مورين أيضا «جرت السياسة الإنكليزية منذ القديم على تدمير أعدائها، حتى تفرض نفسها لحمايتهم، وحتى تجعل نهوضهم من جديد أمرا مستحيلا.. ونحن نعرف أن أسبانيا هى ضحية إنكلترا فى المقام الأول، وضحية فرنسا فى المقام الثانى.. وإذا مالت أسبانيا نحو إنكلترا زادت فرنسا فى اضطهادها.. وما دامت فرنسا وإنكلترا كلتاهما من الدول الرأسمالية، فلن يكونا الحليف الطبيعى لأسبانيا.. لذلك كان الخط المنطقى لأسبانيا هو أن تنحاز إلى البرتغال وألمانيا وإيطاليا وروسيا، لأن مثل هذا التكتل سيجعل من فرنسا وإنكلترا بلدين محايدين بالنسبة لها».

ويشرح لنا سيرجس، كيف أن التجمع اليسارى فى أسبانيا تمكن من نشر دعايته بشكل واسع فى الصحافة العالمية، فى حين أن فرانكو لم يكن ليحظى إلا بالنذر السير من اهتمام الصحف.. وقد كتب سيرجس يقول: «لم يعرف التاريخ من قبل، طرقا وأساليب دنيئة ومنحطة، كالتى استعملها ستالين من وراء المؤتمر الأممى الثالث للشيوعية.. فقد وجه ستالين وأعوانه الدعاية الكاذبة، بشكل متواصل وبدون أى مراعاة للحقيقة والصدق.. واستعملوا أسلوب التكرار والسخرية حتى أصبح هذا الأسلوب ميكانيكيا بالنسبة لهم.. ولم يستعمل هذا الأسلوب على النطاق المحلىّ، بل تمكنت

البيروقراطية السوفياتية من توسيعه إلى نطاق دولى.. فما إن تطلق «الازفستيا» أكذوبة فى فلنتيا، حتى تتناقلها مباشرة الصحف فى باريس وستوكهولهم ووارسو وبروكسل ولندن ونيويورك ومالبورن وبيونس آيريس.. وهكذا يتم توزيع الملايين من النسخ التى تحمل الأكاذيب المضللة.. ولا يبقى أمام المثقفين ثقافة واسعة، الذين يعادون الفاشية، إلا تصديق الصحافة لأنها الوسيلة الأولى لاستقاء المعلومات.. ومن هنا يشعر المرء بأن العالم اليوم يعانى من عملية ضخمة للتضليل الأخلاقى.. وهذا ما يجعلنى أقر ـ وأنا أشعر بالأسى ـ بصدق كلمات تروتسكى، عندما اعتبر دعاية الكومنترن الستالينى «زهرى» الحركة العمالية».

وهكذا يصبح الكلام الذى جاء على لسان سيرجس وموربن بعد أن انشقا عن موسكو، مطابقا تماما لما جاء فى المنشور البابوى الذى أمر بتوزيعه البابا بيوس الحادى عشر فى آذار عام ١٩٣٧، وجاء فى أحد أقسامه: «وهناك تفسير آخر لهذا الانتشار الواسع للأفكار الشيوعية.. إنها الدعاية الشيطانية بحق، التى لم يشهد لها العالم مثيلا.. فهى تدار من مركز رئيسى واحد، وتوزع على مختلف مناطق العالم، بشكل يناسب جميع الناس.. كما تسيطر على مصادر مالية ضخمة جدا تبقى دائما تحت تصرفها، وتُمكّنها من السيطرة على العديد من المنظمات والمؤتمرات الدولية، وعلى أعداد ضخمة من العمال.. وتستغل هذه الدعاية الصحف والمجلات والسينما والمسرح والإذاعة والمدارس وحتى الجامعات.. وشيئا فشيئا تتمكن من الدخول إلى عقول الناس من مختلف الطبقات أو الفئات.. وهناك عنصر آخر يسهل انتشار الشيوعية، هو الإسكات أو التضييق على قطاع كبير من الصحافة العالمية.. ونحن نقول تضييق، لأنه التفسير الوحيد لسكوت الصحافة أو بقائها بعيدة عن جو الإرهاب الذى عم روسيا والمكسيك وحتى جزءا كبيرا من أسبانيا.. وكيف تسكت الصحافة وهى التى

تبحث دائما بنهم عن الأخبار لتملأ بها صفحاتها، ولا تتغاضى عن أى خبر صغير أو كبير، فما بالك بتنظيم عالمى كالشيوعية الروسية. إن هذا السكوت يعود من جهة إلى قصر النظر للأبعاد السياسية، ومن جهة أخرى لوجود القوى الشريرة العديدة التى مازالت تعمل منذ وقت طويل على تحطيم المجتمع.. وها نحن نرى النتائج المؤسفة لهذه الدعاية أمام أعيننا.. انتشارا واسعا للشيوعية، وتفاخر أبطالها الصريح بتحطيم الثقافة المسيحية واقتلاع كل ذكرى لها من قلوب الناس، وخصوصا من قلوب الشباب.. وفى أسبانيا دمروا كل ما استطاعوا تدميره من الكنائس والأديرة، وأزالوا كل ما استطاعوا إزالته من مظاهر الدين المسيحىّ.. ولم تكتفِ نظريتهم نفسها بذبح المطارنة وآلاف الرهبان ورجال الدين من الجنسين، بل تعدتهم إلى أولئك الذين نذروا أنفسهم لخدمة العمال والفقراء، فكانت الأكثرية الساحقة من ضحاياهم من بين عامة الشعب ومن جميع الطبقات.. وقد ماتوا جميعا بحقد وحشى بربرى لا يمكن أن تصدق أنه يقع فى هذا العصر.. ولا يستطيع أى رجل عاقل أو سياسى مسئول، أن ينكر أن ما يحدث فى أسبانيا يمكن أن يحدث غدا فى أى بلد متمدن آخر.. هذا ما يحدث إذا حذفنا فكرة الله من قلوب البشر، لأنه عندها لا يمكن أن يمنعهم أى شىء عن ارتكاب أبشع الجرائم البربرية».

الحرب الأهلية فى أسبانيا:

يقول الجنرال مولا Mola: «بعد انتخاب الحكومة الاشتراكية فى إسبانيا ورحيل الملك عن البلاد، حدث انجراف واسع النطاق نحو الانضمام إلى محافل الشرق الأكبر الماسونية.. وقد فكر المسئولون والرسميون أنهم بطلبهم الدخول إلى هذه المحافل، سيكونون بمأمن من الظلم الذى كانت تمارسه الأكثرية الماسونية فى الحكومة، وأنهم بهذا يبرهنون عن إيمانهم بالحكم الجمهورى، وبذلك ينجون من خراب محتم».

كتب تشرشل: «لقد ساعد الشيوعيون فى إقامة الحكم الجمهورى، ليتمكنوا مرة أخرى من خلق الفوضى الاقتصادية والسياسية، حتى يتوصلوا إلى جعل القادة يعلنون بالمنطق إلى شعبهم الذى عمته الفوضى، أن الطريق الوحيد لاستعادة النظام والقانون ولإنقاذ الموقف، لا يكون إلا بديكتاتورية البروليتاريا».

وهكذا كانت الخطوة المنطقية بعد الإطاحة بالملكية، هى مهاجمة الدين الذى يؤمن به الشعب، فأدخلوا العلمانية إلى المدارس، وقاموا بحملة واسعة ضد السلطة الأبوية والسلطة الكنسية.. وبعد خلق الآلاف من اللادينيين ومن البلاشفة الشبان المعادين للقيم الاجتماعية، لم يعد عليهم إلا الانتظار حتى تسنح الفرصة المناسبة، لدفع هذه الجماهير كى تستعمل القوة ضد القانون والنظام.

وفى اجتماع عقد فى نادى اتينيو فى مدريد، لدراسة البرنامج السياسى المقبل، تم الاتفاق على النقاط الثمانى التالية:

١ ـ خلق ديكتاتورية جمهورية.

٢ ـ معاقبة كل مسئول عن عمل غير شرعى فى ظل هذه الديكتاتورية فورا.

٣ ـ تسريح الحرس الأهلىّ والجيش والبوليس، واستبداله الجيش الجمهورىّ به، والذى تم اختياره من الطبقات العمالية ومن أعضاء النوادى الجمهورية.

٤ ـ مصادرة ممتلكات الهيئات الدينية.

٥ ـ تأميم الأراضى. (لاحظ أنّ مصادرة الممتلكات والأراضى، تضمن تدمير كل السلطات والقوى القديمة فى المجتمع ـ خاصة مع تدمير سلطة الدين ـ لضمان سيطرة هؤلاء الطغاة على المجتمع.. وهذا هو نفس ما فعلته الثورات الشيوعية فى بعض الدول.

٦ ـ القضاء على وكالات الصحافة المعادية للنظام الجمهورى الديكتاتورى.

٧ ـ استغلال المدارس التكنيكية للخدمة العامة مع بعض الأبنية الأخرى.

٨ ـ تأجيل انعقاد المجلس التشريعىّ لإسبانيا والبرتغال، حتى يتم تنفيذ هذا البرنامج.

وكان من أبرز القادة السياسيين فى ذلك الوقت أزانا Azana ذو الفكر التحررى، وبريتو Prieto الاشتراكى، وكابا ليرو Caballero الشيوعى.. وقد تظاهر أزانا بأنه لا يؤيد هذه الاقتراحات المتطرفة وسخر منها، مع أنه بالفعل كان يؤيدها سرا، لأنه ما إن تم انتخابه حتى قام بتنفيذها فورا.

وبعد الاتفاق على هذه النقاط الثمانى، تم انتخاب المجلس التشريعى التأسيسى.. وتحت شعار «القانون هو الذى يعمل على الدفاع عن الشعب»، تم إنشاء ديكتاتورية عديمة الشفقة لم يكن فيها من مظاهر الديمقراطية إلا اسمها، وهو «الجمهورية العمالية».. ثم قام ثورى مدرب يدعى جيمينزا أسوا Jiminez Asua بوضع مسودة الدستور.. أما أزانا فقد وجه اهتمامه الأكبر نحو القضاء على الكنيسة والتخلص من رجال الدين.. وفى كانون الأول ١٩٣٢ أسس «الرابطة الإلحادية»، وقام بتمويل مجلتها «سن ديوس» (Sin Dios المنكرون للألوهية) من أموال الشعب.. وقد تم الوصول إلى هذه الأهداف جميعا تحت اسم الديمقراطية!!.. وأعلن للشعب عن طريق القادة أنهم الآن قد حُرروا من سيطرة الكنيسة ورجال الدين، الذين تحالفوا مع الإقطاعيين من الملوك المستبدين.. ثم جاء الدور التالى من المخطط، وهو خلق جو من الفوضى والشغب، فبدأ النشاط الثورى فى كتالونيا Catatonia. واستطاع الجنرال بريمو أن يحبطه أول الأمر، لكن النشاط الثورى عاد للظهور من جديد.. وفى كانون الثانى ١٩٣٣ كتب مراسل «المورننغ بوست» اللندنية أن «مخازن ضخمة للقنابل والبنادق والذخيرة قد تم العثور عليها فى جميع أنحاء أسبانيا.. كما أن البوليس تمكّن من التأكد من أن مبالغ ضخمة من المال قد صرفت لإشعال الثورة.. وقد تبين عند تفتيش الذين

قبض عليهم أنهم يحملون مبالغ ضخمة من المال».

وبعد ثورة كاتاونيا، قامت الثورة فى استروريا Astruria، عندما اتُّهم بعض الضباط ببيع السلاح عام ١٩٣٤م.

عندئذ حاول فرانكو جاهدا أن يعيد تنظيم الجيش الأسبانى، وأن يضع حدا للفوضى.. لكنه لم يَلقَ مساعدة كافية من السلطات الحكومية.. وهنا يمكننا أن نشير إلى التنظيم السرى المحكم للحزب الشيوعى، إذا علمنا أن أكثر من ثلاثمئة كنيسة قد تم إحراقها فى وقت واحد فى مئة قرية ومدينة متباعدة.. كما انتشر الاغتيال بشكل واسع، حتى ظهر احتراف القتل بشكل واضح ورخيص، بحيث صار فى الإمكان قتل أى عدو للثورة وتصفيته بدفع ٥٠ بيزيتا (أكثر بقليل من نصف دولار أميركى).. وهكذا استعمل عملاء موسكو الظروف الفوضوية التى تعيشها أسبانيا، لينفذوا خطة لينين بشأن هذا البلد.. فالتعذيب وبتر الأعضاء والاغتصاب والإحراق وإراقة الدماء والقتل، كلها وسائل استعملتها الشيوعية للوصول إلى السلطة.

وهكذا تدهورت الأحوال فى أسبانيا من سيئ إلى أسوأ، ولم تأتِ بداية عام ١٩٣٦ حتى عمّ الاضطراب والهيجان البلاد بأسرها.. عندئذ حل الرئيس المجلس التشريعى التأسيسى "Cortes"، وعيّن السادس عشر من شباط موعدا لانتخابات عامة.. وحتى يحين موعد الانتخابات، قام جيل روبلز وكالفو سوتيلو بحملة معادية للشيوعية، بينما كانت الدعاية للبلاشقة تتم عن طريق نشرة تدعى «أصدقاء روسيا»..

فى هذه الإثناء كان لارغو كاباليرو الشيوعى يقبع فى السجن، إثر فشله فى تنفيذ محاولة انقلابية.. وقد أجرى معه المستر إدوارد كنوبلر مقابلة نشرها بعنوان «مراسل فى أسبانيا»، يقول فيها: «وسنحصل على ٢٦٥ مقعدا، فنغير النظام تغييرا شاملا.. ولن تمضى سنوات خمس إلا ونكون قد قمنا

بالاستعدادات لتحقيق هدفنا النهائى، وهو اتحاد الجمهوريات الإيبرية.. وهكذا ستعود شبة الجزيرة الإيبرية لتكون بلدنا الأوحد.. ونحن نأمل أن تنضم البرتغال بالطرق السلمية، غير أننا قد نستعمل القوة إذا احتاج الأمر.. ويمكنك أن ترى من خلال هذه القضبان حاكم أسبانيا القادم.. لقد أعلن لينين أن أسبانيا ستكون الدولة السوفياتية الثانية فى أوروبا، وستتحقق نبوءته هذه، وسأكون أنا لينين الثانى الذى سيقوم بتحقيقها».

وبعد انتخابات متحيزة تماما، لم تشهد أسبانيا لها مثيلا فى تاريخها، كتب الرئيس زامورا يقول: «وصلت الجبهة الشعبية إلى السلطة فى ١٦ شباط، بفضل نظام انتخابى سيء جدا وغير عادل أبدا.. وبفضل هذا النظام توصلت الجبهة الشعبية لنيل أكثرية تقريبية، بينما هى فى الحقيقة لا تشكل إلا أقلية بعيدة عن الفوز».

على أن النتائج لم تكن فى صالح الجبهة فى التصويت الأول، لأنها نالت ٢٠٠ من أصل ٤٦٥ صوتا.. وهذه النسبة لا تؤهلها لتشكيل حكومة، فكان لا بد لهم من أن يتحالفوا مع أقليات برلمانية، فتحالفوا مع الباسك وغيرهم، وشكلوا مجلسا يتولى إعادة الانتخابات فى جميع المحافظات.. ولقد تأكدوا من نجاحهم هذه المرة، بعد أن تمكنوا من تشويه سمعة بعض المرشحين اليمينيين وتشكيك الناس بكفاءتهم.. وجاءت النتائج النهائية لينالوا ٢٦٥ صوتا ـ تماما كما تنبأ كاباليرو!.. ومع هذا فقد جاء تقسيم الأصوات على الشكل التالى:

أحزاب الوسط والأحزاب اليمينية ٤,٦١٠,٠٠٠ صوتا.

حزب الجبهة الشعبية ٤,٣٥٦,٠٠٠ صوتا.

وبهذا تكون زيادة الوسط واليمين على الجبهة ٥٥٤,٠٠٠ صوت.

ويستطيع القارئ أن يرى أن نجاح الجبهة الشعبية جاء بسبب توحيد

القوى اليسارية بشكل واضح وعجيب، حتى إنها جمعت لواءها من الاشتراكى المعتدل حتى الشيوعى البلشفى.

وهكذا نرى كيف أعد الشيوعيون الستالينيون الوضع العام فى أسبانيا حتى وصلوا إلى هذه النتائج.. لقد جاء فى السجلات الحكومية للفترة التى سبقت انتخابات شباط ١٩٣٦ ما يلى: «منذ نهاية ديكتاتورية الرئيس دى ريبرا عام ١٩٣١، قامت ثورة واحدة قتل فيها ٢,٥٠٠ شخص، و ٧ انتفاضات و ٩,٠٠٠ إضراب، و ٥ تأجيلات للميزانية، وزيادة بليونى بيزيتا على المصارف الداخلية، وحُلت ١٠٠٠ بلدية، وتوقفت ١١٤ جريدة، وعاشت البلاد سنتين ونصف من الحكم العسكرى».

أما فى الأسابيع الستة التى تلت إنشاء حكومة الجبهة الشعبية برئاسة ازانا وكابا ليرو وبريتو، فقد حدثت الأمور التالية:

أولا: اغتيالات وسرقات: فى مراكز القيادة السياسية ٥٨ حادثا، فى المؤسسات الخاصة ١٠٥ حوادث، فى الكنائس ٣٦ حادثا.

ثانيا: حرائق: فى مراكز القيادة السياسية ١٢ حريقا، المؤسسات الخاصة ٦٠، الكنائس ١٠٦.

ثالثا: أعمال شغب: إضرابات عامة ١١، انتفاضات ١٦٩، قتلى ٧٦، جرحى ٣٦٤.

وجاء فى حديث لكاباليرو فى منطقة زاراغوزا: «يجب أن ندمر أسبانيا حتى تصبح لنا.. وفى يوم الانتقام لن نترك حجرا على حجر».. وأعلن فى مكان آخر: «قبيل الانتخابات كنا نسأل عما نريده، ولكن الآن وبعد الانتخابات سنأخذ ما نريد بأى وسيلة كانت.. ويجب على اليمينيين أن لا يتوقعوا أى رحمة من العمال، لأننا لن نخلى سبيل أحد من أعدائنا».

وأعلن ازانا هو الآخر، وقد ظهرت السعادة عليه: «أن أسبانيا لم تعد

بلدا كاثوليكيا أبدا».

وقد جاء فى تقرير مراسل جريدة «التايمز» عن أوضاع برشلونة فى شباط ١٩٣٦ ما يلى: «أنذر أحد المجالس الحكومية عددا من الرسميين بضرورة التخلى عن مناصبهم فى شباط، وقد نفذ الإنذار فورا».. وبعد شهر كتب يقول: «أصبح الآن هَمٌّ جميع الشيوعيين أن يقيموا ديكتاتورية البروليتاريا».. ثم كتب بعد مدة أيضا: «بدأت الاشتراكية الأسبانية تسير بسرعة نحو الشيوعية.. ويلاقى ماركس ولينين تأييدا شديدا من قبل الشبان، الذين يعتبرون أنفسهم تلاميذ لهما.. ويعتقد هؤلاء الشباب أن الحصول على السلطة هو المطلب الثورى للاشتراكية الأسبانية، وأن العنف والقسوة هما الوسيلة الناجحة للحصول على هذه السلطات.. ويعتقدون أيضا أن الطريق الوحيد للمحافظة على السلطة هو ديكتاتورية البروليتاريا.. وهكذا تنتشر تعاليم هذه المبادئ الهدامة بصورة واسعة».. وفى آذار ١٩٣٦ كتب هذا المراسل أيضا يقول: «لقد أنشد النواب فى البرلمان الإسبانى نفسه، النشيد الوطنى السوفيتى وهم يرفعون قبضات أيديهم مؤدين التحية الشيوعية».

والآن نسأل أنفسنا: لماذا تحوّل الشباب الإسبانى بإعداد كبيرة إلى الشيوعية؟

تشير التحريات إلى أن أزانا ـ أحد قادة الثورة المذكورين سابقا ـ ظهر للشعب على أنه صاحب أفكار تحررية، يؤمن بالاشتراكية ولا يعادى الدين.. وكان يحتج على الإرهاب الذى يقوم به الهدامون والشيوعيون.. ولكن هذه الصورة تغيرت تماما عندما وصل إلى السلطة السياسية، حيث استعمل هذه السلطة للقضاء على المجالس الدينية وعلى مدارسها، ثم عهد إلى فرانسيسكو فرار بتأسيس المدارس العلمانية.. وهكذا أصبح التلاميذ ينشدون الأناشيد العلمانية عند بدء دروسهم، بدل أن ينشدوا لله خالقهم

وخالق الكون بأسره.. ومن هذه الأناشيد:

«نحن أبناء الثورة نحن أبناء الحرية.. بنا ظهر فجر جديد للإنسانية».

كما أنشدوا أيضا تراتيل أخرى فى مدارس برشلونة منها:

«اقذف المتفجرة، ركز اللغم جيدا، تمسك بقوة المسدس، وأنشد كلمات الثورة.. قف مستعدا بسلاحك حتى الموت، ودمر بمسدسك وديناميتك الحكومة»!!

وهناك أناشيد أخرى مماثلة، كانت تذاع بالإنكليزية من إذاعة موسكو، موجهة للشيوعيين الإنكليز بين عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨م.. هذا وقد رفض ناشرو الصحف البريطانية والأمريكية أن ينشروا الحقيقة لأنها ظهرت غريبة لا تصدق.. ومع هذا فإن الحقيقة المرة جاءت فى رسالة من فرانسيسكو فرار إلى أحد الرفاق، كتب فيها يقول: «وحتى لا نخيف الناس ونعطى مبررا لإغلاق مؤسساتنا، كنا نسميها المدارس الحديثة وليس مدارس لتعليم مبادئ الرفض والتغيير.. ومع أننى أرغب بإقامة الثورة، إلا أننى كنت أكتفى فى ذلك الوقت بزرع الأفكار الثورية فى عقول الشباب، بحيث يصبح عندهم الاعتقاد الجازم بضرورة استعمال العنف ضد البوليس ورجال الدين، وبحيث تصبح وسائلهم الوحيدة هى القنابل والسموم».

وقد استعملت هذه الرسالة كدليل ضد فرار، عندما ألقت عليه القبض قوات فرانكو خلال الحرب الأهلية.. ولما حكم على فرار بالإعدام بتهمة الخيانة، ثارت ثائرة محفل الشرق الأكبر فى باريس، واحتج لدى جميع المحافل فى العالم، مدعيا أن فرار هذا قتل لنشاطاته المعادية للكاثوليكية.

ويكفينا أن ننقل قول لينين: «إن أفضل الثوريين هو شاب متحرر من المبادئ الأخلاقية».. ونحن نعلم أن كلمات لينين هى بمثابة قانون بالنسبة للشيوعيين، لذلك عمل جميع أفرادهم على خلق جيل من الشباب من الجنسين، لا يؤمن بالقيم الاجتماعية والخلقية.

تشمل الخطوات الأولى لبرنامج تربية الشباب الثورى تفكيك روابط الأسرة، وإثارة الأولاد على سلطة آبائهم حتى قبل بلوغهم سن الرشد.. ولقد أدخل هؤلاء المخربين فى روع الأطفال أن آباءهم هم جيل رجعىّ متأخر، وأنهم يربون أولادهم على الكذب والأساطير، كما هى الحال فى قصة بابا نويل والمكان الذى يخرج منه المولود!

وعلّل المخربون هذا التأخر عند الآباء، بأنه نتيجة للاستغلال الرأسمالى، وأن الجيل القديم هو ضحية التعاليم الرجعية.. ومن هنا كان على الولد أن يعلّم والديه الأفكار التقدمية الحديثة، وألا يسمح لهما أبدا بالسيطرة عليه وتوجيهه كما يشاءان.. وكان الهدف من هذه الحملة الهدامة هو تقويض قدسية ووحدة الحياة العائلية.

وتأتى الخطوة التالية وهى: إزالة احترام رجال الدين من نفوس الأطفال.. وحتى يتوصلوا إلى ذلك صوروا رجال الدين وكأنهم الفئة الأقل ذكاء والأضعف بنية فى المجتمع، وأنهم فى الحقيقة خدام للطبقات الحاكمة.. وتعلّم الأولاد قول ماركس المعروف: «الدين أفيون الشعوب، لأنه يعلم الخنوع والقبول بالفقر والمرض والعمل المرهق، بهدف إصلاح الروح».. وهكذا صار الرهبان بالنسبة للأطفال «ذئابا فى ثياب حملان» و «غربانا» تأكل من جهل وسذاجة العامة من الشعب.. وإذا حدث أن تورط أحد الرهبان فى فضيحة، استعملت جميع وسائل الدعاية للنيل من الدين ككل.

حتى إذا اتضحت هذه الصورة البشعة لرجال الدين عند الشباب، بدأ الهجوم الفعلىّ على الدين، وانطلقت عمليات السخرية من الدين بشكل مقرف للغاية.. فصوروا المسيح على أنه ابن غير شرعى لمريم، تلك الشابة اليهودية التى خدعت يوسف وأوهمته أن ابنها هو هدية الروح القدس.. ووصفوا المسيح بأنّه مخادع يخفى الضعف فى شخصيته بالسحر والشعوذة التى يسميها معجزات.. وقالوا إن التلاميذ الاثنى عشر للمسيح هم أعوانه

الشـريرون!!.. ولم يقفـوا عند هذا الحـد، بل اتخذوا من أحب الحكايات عن المسيح ـ وهى أنه كان صانـع أحذية فى سن مبكرة جدا ـ ليستعملوها بمعنى آخر، وهو انه كان يستعمل السحر لبيع الخمور فى حفـلات الزفاف.. واتهموا المسـيح أيضـا وجـمـيع أتبـاعـه من الكاثوليك بأنهم من آكلى لحـوم البـشـر، واعتمدوا فى ذلك على النص التوراتى الذى عـاتب فيه المسيح أتباعه على أنهم إذا لم يأكلوا من لحمه ويشربوا من دمه فإنهم لن يحظوا بالخلود!!

وكان يجرى تدريب المراهقين عن طريق المرافقة والمصاحبة، فيصاحب أحد المدربين مراهقـا يعلمه التحـرر، الذى يتحـول فيمـا بعـد إلى تحلل من جـمـيع القـيم، وانفـلات كـامل من جـمـيع القـوانين.. ويتـعلم المراهقـون أن الخطيئة الوحيدة هى فى عدم طاعـة قادتهم، وأن هناك جـريمتـين فقط يمكن أن يرتكبهما الفرد: إهمال الواجب، وخيانة أسرار الحزب.

بعد كل هذه الخطوات يأتى دور الاحتكاك الفعلى مع البوليس.. وحتى يعتاد الشباب المدربون حديثا على هذه الأعمال، يدخلونهم فى مجموعات أو عصابات يقودها قادة شيوعيون.. ويدرب هؤلاء القادة الشباب على الأعمال المخلة بالنظام والقـانون، ويـرغـمـونهم على الاقـتـتـال حـتى يتـعـرفـوا على مقدارتهم الجسدية.. ثم يدفعونهم إلى ارتكاب جرائم صغيرة تكون الخطوة الأولى إلى جـرائم أخـرى، وبعدها يسـمـحـون لهم بالتـعـرف أكثـر فـأكثـر على التنظيم السرى للشيوعية.

ويستعمل الشيوعيون قصص الإجرام والتمثيليات الجنسية المريضة كجزء من حربهم النفسية.. وتقوم هذه التمثيليات المعدة بشكل خاص، بإثارة الدوافع الشريرة الكامنة عند الأطفـال، كالميول السـادية.. كمـا أنّهـا تضعف من الدرع الأخـلاقى الذى يصـون بعض الأولاد.. فحـتى اللعب صـارت تمثل مـسـدسـات وجنودا وبنادق، بالإضافة إلى الأفـلام السينمائية التى صـارت تكثر من تصوير الجـرائم وإطـلاق النار.. وكل هذا يعمـل على تحطيم الروح المسـيحـيـة العـادية

عند الناشئة، ويجعلهم يتأقلمون مع المناظر القاسية والموت المفاجئ واستعمال الأسلحة.. وهناك أيضا كتب ومجلات الدعارة التى وزعها ونشرها الشيوعيون بشكل واسع وبأسعار رخيصة.. وهذه المنشورات أعدت خصيصا لتحطيم ذلك الوجه الأخلاقى الذى أوجدته وطورته قيم الثقافة المسيحية.

أما تأثير السينما فقليلا ما يدركه الناس.. فلقد لعبت السينما الحديثة دورا كبيرا جدا فى انقلاب الشباب على بيوتهم وأوطانهم وأديانهم.. فدور السينما تعرض أفلاما تدور فيها لأكثر من ساعة جميع الأعمال الإجرامية التى يقوم بها الفاسقون من الرجال والنساء، والتى يعاقبها الضمير ويحرمها القانون.. وفى النهاية تخصص دقيقة واحدة فقط لعقاب هؤلاء، بأن يموتوا أو يقبض عليهم رجال القانون!!.. ولما عرض فيلم الثورة المكسيكية فى مدينة غالفستون فى تكساس، وهو يصور تصويرا حقيقيا تلك الثورة، حيث يقتل الرجال أو يجرون من منازلهم ويذبحون على يد الثوار، كانت نتيجة هذه المشاهد أن أغمى على المشاهدات.. أما المشاهدون فقد تقيأ أكثرهم من هذه الصور.. ولقد أدى هذا إلى منع الفيلم.. ولكننا اليوم نجد أن أفلاما كهذا الفيلم تعرض فى حفلات خاصة يطلبها الأطفال والناشئة!!.. وهذا مثال على مدى ما حققته السينما تدريجيا من سيطرة على شبابنا، بحيث أصبحوا قساة لا تهمهم المناظر الدموية المؤذية، وأصبحوا يشاهدون ـ بدون أى انزعاج ـ مناظر القتل والاغتصاب.. كل هذا التخطيط يؤكد المبدأ الثورى الذى يقول «لا يمكننا أن نحقق بسرعة إصلاحا ملحا جدا، إلا عن طريق عمل ثورى».

وفى البلاد التى لم تخضع بعد لقادة الحركة الثورية العالمية تقوم، وكالات أفلام خاصة بتوزيع آخر ما يتصوره خيال، من مشاهد الدعارة والرذيلة، لتعرض سرا على مجموعات من الناس.. وتصور هذه الأفلام جميع الانحرافات الجنسية التى عرفتها البشرية (الآن صارت هذه المواد

الإباحية تبث فى القنوات الفضائية بل والأرضية!!).. وتستعمل هذه الأفلام لإفساد الشباب، مما يشجعهم على الانخراط فى صفوف المنظمات الثورية.

وهكذا تتم عملية تربية الشباب الثورى.. حتى إذا برهن الشاب عن عدائه للدين وللقيم الاجتماعية، وبدت عليه ملامح القسوة والشدة، أرسل إلى موسكو، حيث يتم تعريفه «بالحرب الثورية وبحرب الشوارع».. وهذا بالطبع يختلف عن التدريبات التى تعطى لقادة المثقفين والعمال.

ولقد حققت الحرب النفسية الثورية دورها فى العالم الغربى كما حققته فى أسبانيا، فالانسان هناك أصبح يسمع آخر التطورات العالمية وأخبار الجرائم وحوادث الطائرات والسيارات والاغتيالات الوحشية، ثم يذهب لينام بهدوء دون أن يرفّ له جفن.. بينما كانت أخبار مثل هذه، لو حدثت قبل خمسين سنه تمحو النوم من الجفون.

لقد أصبحت هذه الأعمال الإرهابية أمورا عادية تحصل كل يوم، وأصبحت عندنا مناعة ضد الانفعال والاضطراب الذى كان يصيبنا عندما كنا نشاهد فى الماضى عملا غير عادى.. أصبحنا لا نكترث عندما نسمع خبر الإطاحة بحكومة ما عن طريق القوة، ولو كنا نكترث، لفعلنا شيئا ما لوقف ما يحدث.

وعندما كانت الشيوعية تتوغل فى أسبانيا، كان الناس يقولون «لن تستطيع الشيوعية أن تسبب أى ثورة هنا»، لأن معظم الناس يوجهون أسماعهم إلى من يحدثهم عن الأمن والاستقرار المزعومين.. إنهم كالنعامة يضعون رؤوسهم فى التراب عندما يشاهدون أعداءهم ويظنون أنهم بمأمن منهم.. ولكن عليهم أن يتذكروا أنهم بوضع رؤوسهم تحت التراب لا ينقذون إنسانا من قاتل أو مغتصب، ولا يبعدونه عن قنبلة متفجرة.

■ ■ ■

عندما اقترب موعد الانتفاضة الثورية فى أسبانيا، تشجع موزعو الأدب الخليع والصور العاهرة، حتى إنهم كانوا يقفون على أبواب الكنائس يعرضونها على المصلين عند دخولهم وخروجهم منها!!.. وتصور أغلفة هذه المناشير الرهبان والراهبات فى أوضاع مخلّة.. ويذكر المراسل المستر أضرار كنوبلو الذى يعتبر بحق مرجعا عن الحرب الأهلية فى أسبانيا، كتابه «مراسل فى أسبانيا»: «بين الفينة والفينة، كانت وفود رجال الدين البروتستانت تأتى لتحتج على بعض الكتابات المعادية لرجال الدين.. فيتم استقبالهم على أحسن وجه، ثم يأخذهم مرشد خاص إلى حيث تريد السلطات الشيوعية.. وبعد يوم أو يومين يعودون إلى بيوتهم وقد تم التأثير عليهم بالشكل المناسب.. ولكن حدث فى أحد الأيام أن دخل وفد من رجال الدين إلى إحدى المكتبات للبحث عن بعض المؤلفات.. وقبل أن يستطيع موظف المكتبة منعهم، شاهدوا بعض نسخ مجلتى "La Traca" و"Bicharracos".. وظهر على أغلفة هذه المجلات صور مخلة بين رهبان وراهبات شبه عاريات.. كما اشتملت المجلتين على العديد من الصور البذيئة.. وخرج الوفد وكأن بهم مسا».

ويمكننا أن نعقد مقارنة بين حالة أسبانيا خلال أعوام ١٩٢٣ ـ ١٩٣٦، وبين حالة كندا فى الوقت الحاضر.. حيث الخلاف قائم فيها بين السكان الذين ينطقون الإنكليزية والسكان الذين ينطقون الفرنسية.. فهناك فى أسبانيا يعيش شعب الباسك المتميز بلغته وثقافته وعاداته التى ترجع إلى عهود سحيقة جدا.. كما أن هذا الشعب يعرف بكبريائه وتدينه الشديد.. ويعتقد الباسك ـ كما يعتقد الكنديون الفرنسيون ـ أنهم يستحقون استقلالا قوميا.. وحتى يحققوا هذا الاستقلال نظموا حركة انفصالية لتحرير الباسك وفصله عن بقية أسبانيا.. وكان طبيعيا بالنسبة لمخططى الحركة العالمية فى أسبانيا، ألا يهملوا هذا الوضع، فالباسك شعب كاثوليكى شديد

الإيمان، وهو يؤمن أنه سيكون على حق عندما يحارب من أجل الاستقلال.. ولكن الأكثرية من هذا الشعب عملت مع الشيوعيين لتحقق أهدافها، دون أن تعلم إنها متحالفة معهم.. وحدث هذا عندما تسرب الشيوعيون إلى المجتمع الباسكى وأخفوا حقيقتهم، حتى صاروا قادة "الانفصال".. وعندئذ قادوا شعب الباسك نحو المذبحة، تحت شعارات الوطنية والحماس الدينى.. وكان هؤلاء القادة مثل الرئيس اغويير Aguirre، وغيرال Giral، ونيرجن Nergin، يعملون على الحبلين، رابطين بين شعار الصليب المسيحى وشعار المنجل والمطرقة الشيوعيين.. ولما اشتعلت الثورة تركت الجماهير لتلاقى مصيرها.. وبينما كان المئات يلاقون حتفهم، كان اغويير Aguirre رئيس دولة الباسك وقائد جيشها يجلس فى مكتبه فى بلباو Bilbao.

وقد جاء مقدمة كتاب «الظلم الأحمر فى بلاد الباسك» The Red Persecution in The Basque Country، التى كتبها F. J. Olondriz ما يلى:

«وعندما جاء اليوم المحدد، شعر الانفصاليون الباسك وقد أثارتهم العاطفة العمياء، أنهم متحدون بقوة مع الشيوعيين.. مع الملحدين الهدامين.. ودخل الباسك الحرب وتحملوا مسؤولية الذبح والقتل، معتقدين بشرعية جميع الأساليب الوحشية.. لقد تجاهل هؤلاء كلمات رئيسهم الدينى البابا بيوس الحادى عشر، التى جاءت فى الأمر العام الذى وزع على جميع أبرشيات الروم الكاثوليك، والتى تقول: الشيوعية هى ارتداد عن الدين لا جدال فيه.. ولا يسمح أبدا لمن يرغب فى خدمة الثقافة المسيحية أن يتعاون مع الشيوعية بأى شكل من الأشكال».

■ ■ ■

بدأت الحرب الأهلية فى أسبانيا ١٩٣٦م.. وقد أعلن كالفو سوتيلو فى المجلس التشريعى Cortes أنه فى الفترة بين شباط وحزيران من عام ١٩٣٦،

حدث ١١٣ إضرابا عاما، ٢١٨ إضرابا جزئيا، بينما أحرق ٢٨٤ بناية و ١٧١ كنيسة، و٦٩ ناديا و١٠ مكاتب صحفية، كما ارتكبت ٣٣٠٠ عملية اغتيال.

وبسبب هذا الإعلان، قفز رئيس الوزراء كساريس كويروغا على قدميه وأجابه بغضب: «ستكون أنت المسئول شخصيا عن الانفعالات التى سيسببها خطابك».. أما الشيوعية دولوريز إباروري فقد وقفت فى المجلس وأشارت إلى سوتيلو صارخة: «لقد لفظ هذا الرجل خطابه الأخير».

وبالفعل كان هذا خطاب سوتيلو الأخير، لأنه سحب من منزله على يد جنود يقودهم الكابتن دون أنجل مورينو، وجره هؤلاء إلى باحة إحدى الكنائس القريبة وقتلوه.. ولقد كان هذا الحادث السبب وراء ترك بعض الجنرالات لمحفل الشرق الأكبر، وطلبهم من فرانكو أن يتسلم قيادة البلاد.. ويجب أن نعلم أن دولوريز إباروري كانت عميلة لستالين، وكانت مهمتها إفساد ضباط الجيش، وتنظيم وتدبير غارات على القوات الحكومية.. وقد أدت مهمتها المتعددة الجوانب على الوجه الأكمل.

وبعد اغتيال سوتيلو أغار حرس الطوارئ على منازل العديد من الشخصيات البارزة المعادية للشيوعية، ولكن أكثرهم تمكن من الفرار بعد أن تم إخطارهم بالأمر مسبقا.

وفى يوم الانتخابات (شباط ١٩٣٦)، اتصل فرانكو تلفونيا بالجنرال بوزاس ـ قائد الحرس الشعبى ـ وأخطره بأن الشيوعيين المنتخبين للمجلس التشريعى يخططون لإثارة الشغب وأعمال العنف، بهدف الإطاحة بالحكومة الجمهورية.. ثم اتصل بالجنرال موليرو وزير الحربية، وأخبره بالأمر وبالخطر الداهم.. واقترح فرانكو أن يُسمح له بإعلان الأحكام العرفية فى البلاد.. وقد استطاع فرانكو أن يحصل على موافقة أكثر القيادات للعمل على إيقاف موجة العنف والشغب، ولم يبق عليه إلا توقيع مجلس الوزراء، ليستعيد النظام

وليمنع قيام الحركة الثورية ضد الحكومة الجمهورية.. ولم يتمكن فرانكو من الحصول على هذا التوقيع، لأن رئيس الوزراء طلب إعفاءه من مهمة تصديق مثل هذا القرار.. وكانت إجابة فرانكو له صريحة، إذ قال: «أنت السبب فيما آلت إليه الحالة فى أسبانيا.. وعليك الآن أن تحاول إنقاذها».

عندئذ صدرت الأوامر للجنرال فرانكو أن يذهب إلى جزر الكنارى.. وكان هذا بمثابة نفى له من أسبانيا.

وقبل أن يغادر فرانكو البلاد، اجتمع بالجنرالين مولا وفاريلا، اللذين أكدا له أن بقية الجنرالات سيتركون المحافل الماسونية العسكرية عندما يعرفون الحقيقة.

وقبل أن ينتهى الاجتماع، تم الاتفاق على طريقة اتصال سرية بين مولا وفرانكو.. وما أن غادر فرانكو أسبانيا إلى جزر الكنارى، حتى جدد عملاء ستالين نشاطهم فى البلاد.

وفى ٢٣ حزيران ١٩٣٦، بعث فرانكو وبرسالة مطولة إلى وزير الحربية، يعيد فيها تحذيره من أخطار محددة.. ولكن هذه التحذيرات لم تنل إلا الإهمال، لأن الوزراء الشيوعيين فى الحكومة الجمهورية كانوا يسيطرون على سياستها وتحركاتها.

حتى إذا جاء مقتل كالغو سوتيلو فى ١٢ تموز، قرر فرانكو أن يبدأ العمل، فأرسل رسائل بالشفرة إلى بعض الجنرالات، الذين أقسموا أن يحاربوا من أجل إنقاذ أسبانيا من براثن الشيوعية ومن الانخراط فى فلك الروس.. ومن بين الذين اتصل بهم فرانكو، مولا وغوديد وفانجول وسانجورجو وساليكويت، وبعض الضباط فى البحرية الأسبانية.. كما اتصل بكويبو دى.. وبعد إرسال الرسائل، طار فرانكو من جزر الكنارى إلى تطوان، حيث يمكنه الاعتماد على القوات المغربية.

وفى ٢١ تموز، أصدر فرانكو بيانه الذى حدّد القضية بأقل عدد من الكلمات: «من واجب الجميع أن يدخلوا هذا الصراع الواضح بين روسيا وأسبانيا».. وهكذا بدأت الحرب الأهلية، فانقسمت البلاد إلى فئتين: الموالون Loyalists وهم جميع الفئات اليسارية التى جمعتها الجبهة الشعبية تحت لوائها، والوطنيون Nationalists وهم جميع الفئات التى انضمت تحت قيادة فرانكو، وضمّت كل الأحزاب اليمينية.. وكانت الدعاية التى سرت فى ذلك الوقت قد أقنعت الرجل الإسبانى العادى، أنّ مجموعة صغيرة من الجنرالات قد دبرت انقلابا عسكريا لتحويل، حكومة الجبهة الشعبية الجمهورية إلى ديكتاتورية عسكرية.

وانقسم الشيوعيون إلى مجموعتين.. الأولى تريد تحويل ديكتاتورية البروليتاريا إلى حكم مطلق على الطريقة التى اتبعها ستالين، والثانية كانت ترغب فى جعل أسبانيا جزءا لا يتجزأ من الجمهوريات السوفياتية التى تدعو لها الماركسية.

وأما القوميون الأسبان فقد ضموا فيمن ضموا، الحركة الملكية التى كانت تنادى بإعادة الملك إلى أحفاد دون كارولز منذ ١٨٣٧م.. وقد ساعد هؤلاء فرانكو، فقط لأنهم لا يتحملون أن يروا الشيوعية تنتشر فى أسبانيا.. وإلى جانب الملكيين ضم جيش فرانكو حزب الكتائب الأسبانية، وهو حزب يمينى متطرف كان يضم مجموعة من النازيين الألمان، الذين يؤمنون بالحرب الشاملة لإبادة أعدائهم اليساريين.. وفى حالة من الانقسام كهذه، كان لابد من أن يتهم اليمينيون جميع اليساريين بالشيوعية، وأن يتهم اليساريون جميع اليمنيين بالفاشية.. ومن جراء هذا الانقسام أيضا، صارت البلاد عرضه لأعمال الإرهاب، وخصوصا التى ارتكبها الشيوعيون، الذين عذبوا واغتصبوا وأعدموا الآلاف، كجزء من خطة إرهابية للسيطرة على الوضع.. ولكن بعض الفئات المتطرفة التى عملت مع فرانكو لم تسكت،

وعاملت أعداءها بالمثل.. وهكذا نجد أن الحروب الأهلية تنخفض بالإنسان إلى درجة أحط من الوحوش.. وهنا يقع اللوم كله على أولئك الذين يثيرون مثل هذه الحروب.

والعجيب أن خطة فرانكو ومحاولته هزيمة الشيوعيين لم تفشل؛ مع العلم بأن التحريات التى تلت الحرب الأهلية أثبتت أن مجموعات كبيرة من الخونة كانت قد تسربت إلى الجيش وتسلمت مراكز حساسة، وذلك بمساعدة عملاء موسكو من أعضاء حكومة الجبهة الشعبية فى أسبانيا.

وقبل قيام الحرب الأهلية، كان جوليو الفيريز ديل فايو، وزيرا للخارجية فى حكومة الجمهوريين ورئيسا عاما لشؤون الجيش الأسبانى، وكانت الأغلبية العظمى من هؤلاء تنتمى إلى الحزب الشيوعى، فعملت على إجبار الجنود على الانضمام للحزب.. وقد نشر السفير السابق للجمهورية الأسبانية فى باريس هذه الحقيقة، فى مجلة «نيويورك تايمز» فى ١٩ أيار ١٩٣٩م.

وهناك دليل آخر نورده على لسان انداليكو بريتو، أحد النواب الاشتراكيين، الذى كان يشغل أيضا منصب وزير الدفاع أيام الحرب الأهلية، وهو نفسه الذى كان يوجه الحرب ضد فرانكو.. يقول فى تقرير نشره فى باريس عام ١٩٣٩ بعنوان: «كيف ولماذا تركت وزارة الدفاع الوطنى؟»: «لقد كان تحمل المسؤولية صعبا جدا، وذلك لأن الشيوعيين كانوا يشغلون مراكز حساسة، وقد أخفوا بسرية تامة حقيقة أمرهم وانتماءاتهم، وتمكنوا من دخول الأحزاب الأخرى.. وأذكر على سبيل المثال واحدا منهم، وهو الدكتور جوان، الذى كان له سلطة قوية خلال الحرب الأهلية.. ولأننى رفضت إطاعة الأوامر الصادرة من موسكو، طردنى جوان نرجن من الحكومة التى ترّأسها فى الخامس من نيسان ١٩٣٨م.. واستطاع طردى من مركز وزير الدفاع الوطنى، بعد أن وجه ضدى مؤامرتين فى وقت واحد.. الأولى قامت بها قوات البوليس السرى الروسى ورجاله العسكريون فى بلادنا، والثانية تم

تنفيذها على يد الشيوعية الأسبانية.. فالروس كانوا يأمرون والشيوعية الأسبانية كانت تنفذ».

ويدّعى الدكتور جوان هذا أنه ليس شيوعيا وإنه لم يكن يوما من الأيام كذلك، ولكنه هو الذى أمر بتسليم سبعة آلاف صندوق من الذهب الأسبانى إلى ستالين.. وقد حملت هذه الصناديق على السفن: كين، ونيف وفولجيلز التى رفعت العلم الروسى.. ورافق هذه السفن جوزية فيلاسكو وأرتورو كانديلا كأمناء ورجال ثقة، حتى وصلت السفن الثلاث إلى أوديسا فى روسيا.. وتم كل شىء فى الخفاء.. حتى أعضاء حكومة الجبهة الشعبية لم يكونوا على علم بذلك.. وفى عهد جوان أيضا تم تعيين ثلاثة من الشيوعيين فى مناصب مساعدى «سكرتيريا» الدفاع، وكانوا هم المسيطرون الفعليون على القوات الإسبانية، برا وبحرا وجوا.

ومع أن لارغو كاباليرو كان شيوعيا، إلا إنه لما رفض إطاعة الأوامر الصادرة إليه من الموفدين العسكريين، تجاهل الشيوعيون أوامره وهو فى مركز الرئاسة.. وكان كاباليرو يحاول أن يكفر عن أخطائه التى ارتكبها، ولكنه وجد أن الوقت أصبح متأخرا جدا.

وهناك إشارة لثيو روجرز فى كتابة «أسبانيا فى الرحلة المأساوية»، إلى وقوع وثائق فى يد فرانكو والجنرال مولا، عن قيام ثورة واسعة النطاق، أكيدة الوقوع.. يقول روجرز: «تم العثور على وثائق وخطط من بعض الشيوعيين والفوضويين.. وهى تظهر أن هناك خطة مدروسة بدقة قد وضعت للانقلاب على الحكومة المركزية فى مدريد، وإنشاء ديكتاتورية سوفياتية».

وقد تأجل تنفيذ الخطة الشيوعية ثلاث مرات، حتى تستكمل القوات العميلة ترتيباتها النهائية الأخيرة.

وكان على العالم بأسره أن يلم بالخطة التى أعدتها موسكو ضد

أسبانيا، لأن الوثائق التى كانت تحمل الأمر النهائى بالثورة من الكومنترن إلى الحركة الثورية الأسبانية، تم كشفها ونشرت فى «صدى باريس» فى نيسان ١٩٣٦م.

وجاء فى هذه الجريدة ما يلى:

«نص التعليمات الموجهة إلى الميليشيا الحمراء».

«هذه التعليمات الموجهة إلى الميليشيا الحمراء الأسبانية، ليست صادرة من تنظيم مركزى أسبانى، ولكنها صادرة من فرع الخدمات التكنيكية التابع للحزب الشيوعى الفرنسى، الذى يتعاون مع الكومنترن وموفدية فى فرنسا.. هذه الوثيقة التى ننشرها الآن قد وقعت فى أيدى الحكومة، ونحن مقتنعون بان المسيو دالادير وزير الحربية والدفاع قد أعطى الأوامر لأخذ الاحتياطات الدفاعية والوقائية اللازمة».

وجاء فى النص الذى اختصرناه ما يلى:

١ ـ تقوية فرق الصدام والحرس فى الثكنات وتزويدهم بالمسدسات الأوتوماتيكية.. هذه الفرق هى أفراد الحزب الشيوعى التى تخدم فى القوات العسكرية الدائمة وفى القوات الاحتياطية.

٢ ـ سيتم الاتصال بين هذه الفرق وبين من سيهاجمون الثكنات.. وسيلبس المهاجمون اللباس الموحد، ويكونون تحت إمرة ضباطنا الذين نثق بهم كل الثقة.

٣ ـ عندما يبدأ القتال، سيتم إدخال ضباطنا وجنودنا إلى الثكنات سرا.. وعندما تستقبلهم لجنة خاصة ويعملون سويا معنا داخل الثكنات حسب الخطة المتفق عليها.

٤ ـ ستقوم اللجنة المؤمّنة داخل الثكنات، بإعداد لوائح كل يومين، تشمل العناصر المعادية والحيادية والمؤازرة والخبراء.. وعندما تقع الثكنات فى

أيدينا، سنتخلص بسرعة وبدون تردد من المصنفين كأعداء لنا، وخصوصا الضباط والقادة.

٥ ـ سيزود كل عنصر من عناصر اللجان بلائحة تشمل أسماء الأفراد الذين يجب عليه قتلهم شخصيا.

٦ ـ بعد التخلص من الأعداء، يتعرض الحياديون لامتحانات قاسية للتخلص من التردد الذى يصيب هؤلاء عادة.

٧ ـ تعمل اللجنة المسئولة عن الحياديين، الترتيبات اللازمة للسماح لمجموعات الحراسة الموجودة خارج الثكنات بالدخول إليها، بحجة المساندة لوضع حد للثورة.

٨ ـ تتألف المجموعات المكلفة بتصفية الجنرالات المعادين المسجلين على اللوائح، من عشر رجال مسلحين بالمسدسات الحربية.. ولكل جنرال مساعدان وسكرتير يجب أولا قتلهم فى بيوتهم.. وعلى هذه المجموعة المكلفة بتنفيذ هذه العملية المهمة ألا تتراجع أمام أىّ صعوبة كانت وإن اضطرت للتخلص ممن يقف فى وجهها مهما كان عمره أو جنسه.

٩ ـ أما الجنرالات المسرحون من الخدمة والذين تشملهم اللوائح، فتجرى تصفيتهم بمجموعات تتألف من ثلاثة عناصر، تقوم بمهمتها على الشكل المذكور فى المقطع السابق.

١٠ ـ تفاصيل عن كيفية احتلال بعض البيوت والعقارات فى المراكز الستراتيجية وتحصينها بالأسلحة، بحيث تتمكن الميليشيا الشيوعية من نصب كمائن للقوات الهاربة من الثكنات.. وجاء فى التعليمات «بينما يقوم ضباط الميليشيا بحماية السيارات، تقوم مجموعات الميليشيا بالتقدم إلى المراكز الاستراتيجية كمفارق الطرق بسياراتهم ودباباتهم، وهم يحملون الأسلحة الرشاشة لمنع أى مساعدة من أن تصل إلى المدن.. ستحمل

الشاحنات كميات من القنابل اليدوية».

١١ ـ عندما تبدأ الثورة، تقوم مجموعات الميليشيا وهى ترتدى لباس الحرس الأهلى والحرس الهجومى، باعتقال رؤوس الأحزاب السياسية، بحجة الاحتياطات الضرورية لحمايتهم.. وبعد الاعتقال تتم عملية تصفية الجنرالات المسرحين.. وتقوم هذه المجموعات ذات اللباس الموحد باعتقال الرأسماليين البارزين الواردة أسماؤهم فى اللائحة «ب» من القرار المعمم رقم ٣٢.

١٢ ـ يجب ألا يستعمل العنف مع هؤلاء الرأسماليين، إلا عندما يبدون مقاومة.. ولكن يجب إجبارهم على تسليم أموالهم الموجودة فى البنوك وسنداتهم المالية.. بعدها يتم التخلص منهم ومن عائلاتهم ولا يترك منهم أحد.

١٣ ـ يستعمل نفس الأسلوب الذى استعمل فى روسيا، فى معاملة أفراد القوات المسلحة الذين يظهرون ولاءهم وتعاطفهم معنا.. فنستغل خدماتهم أولا، ثم يتم التخلص منهم كالأعداء تماما.. لأنه حتى تتكلل مساعينا بالنجاح ويكون لها صفة الدوام، يجب أن ننظر إلى الجندى المحايد على أنه أفضل من الذى يخون القوانين العسكرية عندما يواجه الخطر، فهذا لا يمكن أن نتوقع منه إلا الخيانة إذا تركنا له الفرصة المناسبة.

١٤ ـ تتم عمليات الاتصال ونقل الأوامر بواسطة سيارات صغيرة أو دراجات نارية تكون مسلحة بمسدسات حربية.

١٥ ـ يجب وضع تقارير دقيقة جدا عن حياة المحايدين والمؤازرين، تشمل كل شىء عنهم، حتى أمورهم العائلية، والأفراد الذين تربطهم بهم روابط الحب والتعلق.. هذه الأشياء تهمنا عند الضرورة.. وإذا حدث أن أظهر أحد عناصرنا أو أحد الموالين أو الحياديين ضعفا أو مقاومة للأوامر أو رفضا لها، عندئذ يجب أن تنقل فورا الشكاوى بحقه إلى اللجنة العليا.

١٦ ـ يجب تنظيم الميليشيا وتوزيع عناصرها، بشكل يبعد الفرد عن منطقة سكنه أو المحلة التى يوجد له فيها أقارب، لأن التجارب الماضية علمتنا أنه فى اللحظة الأخيرة كان الأفراد يرفضون الأوامر الصادرة إليهم بسبب العاطفة التى تربطهم بأقاربهم وأهليهم.. كما أن الصداقات كانت السبب فى كثير من التلكؤ فى تنفيذ الأوامر حسب الخطط التى كنا نعدها.

١٧ ـ يجب اعتبار أصحاب عنابر البضائع والمخازن التجارية من الفئة الرأسمالية المهمة.. ويتم تنظيم هذه العنابر والمخازن لخدمة الحكومة العمالية عن طريق لجان إدارية.

١٨ ـ يتطرق هذا المقطع لقضية استعمال المجاعة كوسيلة للقضاء السريع على المعارضة.. وفى النص ما يلى: «يمنع تزويد الطبقة البرجوازية بالطعام والشراب خلال الأسبوع الأول، وحتى تتشكل اللجنة التأسيسية بشكل طبيعى.. أما الأطعمة المخزنة فى الثكنات والتى لا يمكن الاستيلاء عليها فيجب إفسادها بالبرافين وغيره من المواد المفسدة للأطعمة».

ومنذ أن صدرت هذه التعليمات، بدأت القيادات الثورية فى جميع الدول بوضع الخطط اللازمة للتصرف مع رجال البوليس والطوارئ، لأن التجارب أظهرت أن أفراد هذين التنظيميين الرسميين «يبقون مخلصين لسادتهم البورجوازيين».. وشملت هذه الخطة الخطوات الثلاث التالية:

١ ـ التسرب داخل هاتين القوتين.

٢ ـ إفساد التنظيم الداخلى فى هذين التنظيميين.

٣ ـ يطلب من أفراد الحزب أن يشتروا أو يستأجروا الأماكن المشرفة على مراكز البوليس وسرايا الطوارئ، حتى يتم القضاء على الأفراد وهم يبدلون الدوريات.. وبهذا يأتى توقيت بدء الثورة، فى الوقت الذى يتم فيه تبديل الدوريات.

وهكذا حددت هذه المعلومات التفاصيل اللازمة حتى تتمكن قيادة الحزب الشيوعى من الاستيلاء على المرافق العامة والإدارات الرسمية فى أسبانيا.. وكان الغرض من هذا هو السيطرة التامة بأقصر وقت على جميع مخازن المواد الغذائية ووسائل المواصلات.

الحكم الثورى الإرهابى:

استعمل القادة الثوريون خلاياهم السرية، لكى يسيطروا على مراكز رئيسية فى السجون والمعتقلات ومستشفيات الأمراض العقلية، لإطلاق سراح العناصر المخربة فى المجتمع واستعمالها فى الصدامات التى تجرى عند قيام الثورات، لإثارة الرعب بين الجماهير وإراقة الدماء، تمهيدا لقيام «حكم إرهابى» يمكن القادة الثوريين من السيطرة على عامة الشعب فى أسرع وقت ممكن.

هذا وكانت سياسة سجن مدريد تتأثر بنصائح الجنرال كلبير - وهو الكندى الذى تم تدريبه تدريبا نظريا فى مؤسسة لينين فى موسكو - ثم أرسل إلى أسبانيا ليخدم ستالين وليحصل على التدريب العملى فى الحرب الثورية.

وما إن تسلمت حكومة الجبهة الشعبية أعمالها فى آذار ١٩٣٦، حتى أصر اليساريون المتطرفون على إصدار عفو عام يمنح الحرية لجميع الذين اعتقلوا إبان الثورة الاستورانية.. وهكذا أطلق سراح هذا الجيش الصغير - ثوار أستوريا - ومعه سراح أربعين ألفا من المجرمين العاديين، شرط أن يحملوا السلاح مع جيش الموالين.. وقد تخلص القادة الثوريون من معظم هؤلاء المجرمين بعد أن أدوا خدماتهم.. وبذلك استطاعوا إقناع الناس بأن الأعمال الإرهابية التى ارتبت إبان الثورة، كانت أعمالا إجرامية فردية، وليست حسب خطة إرهابية مدروسة مسبقا.

هذه هى الأحوال التى واجهها فرانكو عندما عزم على إنقاذ أسبانيا من

الظلم الشيوعى.. ولقد صنفت العديد من الكتب التى تروى كيف استطاع فرانكو مع حفنة قليلة من الجنرالات، من إحباط المخطط الشيوعى... فما إن أصدر فرانكو بيانه، حتى صدرت الأوامر من المسئولين الشيوعيين فى سكرتيرتا الجيش البرى والبحرى والجوى، إلى الخلايا الشيوعية، بتصفية جميع الضباط الموجودة أسماؤهم على اللائحة كأعداء.. وقد نفذت هذه الأوامر بدقة متناهية، لأن الخلايا الشيوعية السرية كانت قد ركزت نفسها وسيطرت على وسائل الاتصال بأنواعها الميكانيكية والسلكية واللاسلكية.

وهكذا اغتيل ثلثا ضباط أسبانيا على حين غرة، وببرودة متناهية، فى المراحل الأولى للهجوم.. وكان المتمردون يقنعون المسؤولين وبقية الرتب بأنهم ينفذون أوامر الحكومة، وأنهم يتخلصون ممن ثبتت أدانتهم كأعداء.

وقد حدثت أشياء لا يمكن تصديقها عندما نشبت الحرب الأهلية.. فقد أصبح مألوفا أن ترى سفينتين حربيتين تتبادلان إطلاق النيران وهما على بعد أمتار فقط.. وفى إحدى المرات كانت إحدى السفن تتلقى المدافع الشيوعية فى مقدمتها، وفى نفس الوقت تتلقى مدافع خصوم الشيوعيين من الخلف.. وامتدت المجازر من السفن إلى الموانى ثم إلى المدن القريبة منها.

وقد يبرر البعض هذه المجازر، على أنها كانت أعمالا ضرورية ضد من يمكن أن ينضموا إلى فرانكو، ولكن ليس بوسع أحد أن يبرر الإرهاب الشيوعى الذى فرضوه على الشعب الآمن الأعزل من السلاح.. ولكن الواقع برهن بمقتل مئات الآلاف من الأبرياء، أن سياسة لينين هى التى اتبعت.. فلينين يصر على أن الإرهاب يجب أن يتبع كل محاولة للإطاحة بالحكومات عن طريق القوة، لأن الإرهاب هو الوسيلة الاقتصادية للسيطرة على الجماهير بسرعة وبشكل كامل.. وأيضا قال ستالين: «الأفضل أن يموت مئة من الأبرياء من أن يهرب مناهض واحد».. ونفذ هذا الأمر بعناد شيطانى.

■ ■ ■

فى السابع عشر من تموز ١٩٣٦، وصلت فرقة من الشيوعيين الذين يلبسون الزى الحكومى إلى دير الراهبات الدومينيكان فى برشلونة.. وأخبر قائد الفرقة رئيسة الدير أنه نظرا لخوف السلطات من أن تصل أعمال العنف إلى الدير، فإنه يحمل الأوامر بمرافقة الراهبات إلى مكان أمين.. وجمعت الراهبات ممتلكاتهن الدنيوية القليلة، ورافقن الجنود بدون ارتياب إلى ضواحى المدينة، حيث لقين حتفهن جميعا.. وأعلن القادة بعد ذلك ببرود: «لقد كنا بحاجة إلى البناء، ولم نشأ أن ندمره قبل أن نقوم باحتلاله».

وهناك أيضا قصة السنيور سالفانز، الذى عرف بعدائه للشيوعية.. لقد زارت سرايا التطهير منزله فى برشلونة ثلاث مرات.. ولما يئست فى المرة الثالثة من استقاء معلومات عن مكانه، قام الشيوعيون بقتل جميع أفراد عائلته المؤلفة من ثمانية أشخاص!

ومن أكثر الأعمال وحشية وعنفا التى ارتكبت تحت شعار «الحرية والمساواة والأخوة» هو مقتل ستة عشر رجلا تطوعوا كممرضين فى إحدى مستشفيات برشلونة.. وكانت الجريمة الوحيدة التى ارتكبها هؤلاء، أنهم ينتمون إلى تنظيم دينى، جعلهم يعاملون جميع المرضى بالمساواة، دون مراعاة للطبقة أو اللون أو الطائفة!!

ويقول ى. م. غودن فى الصفحة ٧٢ من كتابه «الصراع فى أسبانيا»: «وتبع ذبح الأحياء تمثيل بالأموات.. ففى الأسبوع الأخير من تموز ١٩٣٦، أخرجت جثث الراهبات من القبور وأسندت إلى حيطان الأديرة، وعلقت على أجسادهن لوحات تحمل عبارات بذيئة ومهينة».

وكان لى ابن عم، هو توم كار، كان يعمل مهندس مناجم فى أسبانيا بين عامى ١٩١٩ و ١٩٣٨م.. وقد تزوج بابنة القنصل الأميركى فى هولفا، السيد الكوك.. وقد نقل لى توم أنه لما تم انتخاب أحد أفراد طابور كاباليرو الخامس محافظا على هولفا، وصدرت الأوامر من موسكو، سلم هذا جميع

السلطات الرسمية إلى الشيوعيين.. وأول عمل قام به هؤلاء هو تعذيب جميع الرهبان ثم قتلهم.. أما الراهبات فكن يعرين من ملابسهن ويدفع بهن إلى الشوارع، ليكن عنصر تسلية للثوريين!!

وينقل غودن أيضا مقابلة أجراها مع امرأتين إنكليزيتين، تمكنتا من التخلص من الاعتداءات والمشاكل لأنهما أجنبيتان.. وتقول هاتان المرأتان إنهما أجبرتا على مشاهدة جمهور غفير من النساء والرجال وهم يتصرفون كالدراويش المتعصبين.. فقد شاهدتا أول الأمر مجموعة من الشيوعيين وهم يعذبون أحد الرهبان، ثم علقوا جسمه وأطرافه بعد بترها على تمثال السيدة العذراء.. ثم شاهدنا الناس وهم يحفرون ثقبا في جسم أحد الرهبان وهو لا يزال على قيد الحياة، بعدما قاموا بتثبيته على صليب.

وفى شهر أيلول ١٩٣٦، نقل الكاتب الفرنسى المشهور بيرفان روى عن ديمتروف قوله: «ويلوموننا على أننا ندمر الكنائس والأديرة فى أسبانيا.. وماذا يهم إذا دمرنا بعض الكنائس والأديرة؟.. إننا نبنى عالما جديدا».

وفى عام ١٩٣٦، قامت لجنة رسمية لتقصى الجرائم الوحشية التى ارتكبها الشيوعيون فى أسبانيا، فوجدت أن أكثر المراقبين تحفظا، يقدر عدد المواطنين الذين تمت تصفيتهم فى برشلونة بين عامى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ بخمسين ألفا.. أما فى فالنسيا فقد وصل العدد إلى ثلاثين ألفا.. ووجدت اللجنة أن ما يقارب عشر سكان مدريد لاقوا حتفهم فى سبيل قيام دولة دكتاتورية أخرى.

ويقول الكاتب الفرنسى المعروف مارسيل دوتراى: «تسلم القيادة العسكرية الشيوعية فى كاستر أورديالز، رجل كان شرطيا سابقا طرد من عمله لأنه ارتكب جريمة السرقة.. أما القائد الأعلى للبوليس فكان يعيش قبل ذلك على تصوير وبيع صور الرذيلة.. كما تسلم منصب رعاية الشؤون

العامة ابن غير شرعى لامرأة عرفت ببغائها وتسكعها فى الشورع.. وكان هذا يكنى بابن أمه.. أما منصب رئيس القضاة فقد تسلمه عامل مناجم يساعده رجلان لا يعرفان عن هذا العمل شيئا.. وكان جميع هؤلاء من الساديين، الذين يسرهم أن ينفذوا الأحكام التى يصدرونها بأنفسهم.. لقد بقروا بطن فنسنت مورا، وأعدموا جولى يانكو فى الساحة العامة، وبتروا أطراف فاريز بطل سباق الدراجات النارية الأسبانى الشهير، لأنه رفض أن يخون رفاقه ويوقعهم فى أيديهم.

ويشير المستر أرثر بريانت، الذى كتب مقدمة البحث الموضوعى المدعم بالوثائق والشواهد «وحشية الشيوعيين فى أسانيا» إلى أن «العملاء السوفيات تمكنوا من السيطرة على وسائل الاتصال بشكل سمح لهم بتوجيه الإعلام لصالحهم، ولم يسمحوا بتسرب أى خبر ضدهم.. وكذلك كانوا يبثون الأكاذيب ويختلقونها عن فرانكو وقواته، دون أن يقف بوجههم أحد.. ولم يقف محاضر فى أى جامعة أو أى معلق إذاعى فى الإذاعة البريطانية B.B.C ليعلن أى شىء عن حقيقة ما لاقاه نساء سان مارتن فالديغلازير، اللواتى تعرضن لأبشع أنواع الإهانات، على يد خمسة وعشرين رجلا من المليشيا الحمراء.. وكانت الجريمة الوحيدة التى ارتكبها هؤلاء البنات، أنهن كن يحملن فى قلوبهن شعورا دينيا.. ولم يمنع أفراد المليشيا من هتك أعراضهن أن يكون آباؤهن فى السجون، وأن تكون أمهاتهن تشاهدن بأم أعينهن ما يجرى لهن من إهانات، بل نفذوا الحكم دون مبالاة.. وقد أثرت هذه الأعمال الإجرامية على عقول هؤلاء النسوة، حتى إن بعض اللواتى قدر لهن أن يبقين على قيد الحياة، قلن إنهن تمنوا على جلاديهن أن يقتلوهن بدل أن يفعلوا بهن ما يفعلون.. والأسوأ من هذا أن هذه الأعمال الإجرامية حدثت أمام أعين بعض الأطفال، لأن بعض النسوة كن يحملن أطفالهن بين أيديهن عندما كان جنود المليشيا يتبادلون النساء بينهم».

وهنا لا بد من ذكر هذه العبارة التى كررها مرارا لينين: «لا يوجد شىء فى السياسة اسمه أخلاق.. ولكن هناك مصالح.. وقد تكون المصلحة بالتعاون مع لئيم لا أخلاقى، فقط لأنه كذلك».. ويقول لينين أيضا فى مناسبات أخرى: «على الثورى الشاب أن يبدأ بالتدرب على القتال فورا، وذلك عن طريق عمليات فعلية، كتصفية خائن أو قتل جاسوس أو نسف مركز بوليس أو سرقة بنك واستعمال أمواله فى الثورة... الخ.. ولا تتوانوا عن مثل هذه الهجمات التجريبية.. قد تؤدى هذه الأعمال إلى التطرف وهذا شىء طبيعى، ولكن المشاكل التى تسببها ستكون مشاكل المستقبل وليس الوقت الحاضر».

ويخبرنا أحد «الأولاد» كيف سمحت له الظروف أن يسخر ويتلاعب بعواطف أحد الرهبان قبل قتله فيقول: «وليلة بعد ليلة، كنا نأخذه مع المجموعات التى قررنا التخلص منها، ثم نضعه فى آخر الصف، حتى يتمكن من مشاهدة رفاقه وهم يموتون.. ثم كنا نعيده إلى قصر البيل أرت.. وفى كل ليلة كان يتوقع أن يلاقى حتفه.. ولكن الموت السريع هو شىء كثير بالنسبة له.. لذلك مات هذا الراهب سبع مرات قبل أن نتخلص منه فى النهاية».

وينقل المستر كنوبلو فى الصفحة ٨٧ من كتابه «مراسل فى أسبانيا» قصة شابين شيوعيين كانا يتفاخران أمام أحد الأطباء بقتلهما لاثنين من الرهبان.. لقد أخبراه كيف جاءا متنكرين بلباس الرهبان إلى هذين المسكينين، وهما يعملان خوفا من القتل فى جمع الفحم فى أحد المناجم، ثم أخذاهما إلى أحد الأمكنة، حيث طلبا إليهما حفر قبورهما.. وبعد ذلك جلسا يتفرجان بسرور على الراهبين وهما يموتان ببطء.

ونعود لننقل بعض ما حدث فى مدينة الكالا، لنؤكد ما قلناه سابقا، عن إطلاق سراح المجرمين والمجانين والمهووسين.. لقد أطلق الشيوعيون جميع المساجين فى مدينة الكالا فى ٢٠ تموز ١٩٣٦، حتى بلغ عددهم ألف رجل

وألفى امرأة، تم تسليحهم جميعا فى ثكنة المدينة.. وبعد أن أدوا واجبهم على أحسن وجه فى هجومهم على مدريد، أرسلوا الى سيكونزا، حيث قتلوا مائتين من المواطنين ليقضوا على مقاومة الآخرين.. وبقى هؤلاء المجرمون فى سيكونزا ستة عشر أسبوعا حتى استردها منهم فرانكو.. ولما تم لفرانكو طردهم من سيكونزا، وجد أن جميع النساء من سن الحادية عشرة إلى سن الخمسين، قد اعتدى عليهن وهتكت أعراضهن.. وكان بينهن من حمل سفاحا أو أصيب بأمراض خبيثة، أو أصيب بالمصيبتين معا.

وننقل أخيرا ما نشره الكاتب مارسيل دوترى عن مدينة كيمبوزيولوس، حيث ربط مئة راهب ورجل دين إلى مجموعة من المجانين، وهم يحملون فى أيديهم السكاكين.. ويستطيع القارئ أن يتخيل الرعب الذى تلا هذا العمل.

(سؤال: بعد ما فعله الأمريكان بالشعب الأفغانى والشعب العراقى (وخاصة فى سجن أبى غريب)..

■ ■ ■

الحرب العالمية الثانية

الأحداث التى قادت إلى الحرب العالمية الثانية:

بينا فيما سبق، كيف مهد المرابون الدوليون لاعادة تسليح ألمانيا سريا بمساعدة ستالين، وذلك رغم القيود التى فرضت عليها فى معاهدة فرساى.. ولكى ندرك الأسباب التى ساعدت على ظهور هتلر، يجب أن نلم بالمؤامرات السياسية التى حيكت فى الفترة التى ما بين ١٩٢٤ ـ ١٩٣٤م.

إذا استثنينا الشيوعيين الألمان، نجد أن أكثرية الشعب الألمانى كانت تنفق على الأمور التالية: أن ألمانيا لم تكن لتنهزم فى الحرب العالمية الأولى، لولا الخيانة التى جعلتها ضحية الحرب.. وأن المولين الدوليين هم الذين استعملوا ما يسمى بالديمقراطية فى كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، لفرض الهزيمة على القوات المسلحة الألمانية.. وأن الحزب الشيوعى بقيادة اليهود وبمساعدة الممولين الدوليين، هو السبب فى خلق حالة الفوضى التى سبقت توقيع الهدنة، وفى قيام الثورة بعدها.

واتفق الجميع أن على كل وطنىّ ألمانى، ذكرا كان أم أنثى، أن يعمل أقصى جهده لبناء ألمانيا بعد الحرب، ولتحطيم الأغلال الاقتصادية والعسكرية التى فرضتها معاهدة فرساى على أمتهم.

وإذا استثنيا الشيوعيين مرة أخرى، نجد أن أكثرية الزعماء السياسيين الألمان كانوا يتفقون على وجوب تحرير أنفسهم من الاتفاقيات الاقتصادية، المفروضة على أمتهم من قبل الممولين والمرابين الدوليين.. لقد أدرك الزعماء الألمان خطر هذه الاتفاقيات على استقلال البلاد، لأن الفوائد المفروضة على القروض المالية بموجب هذه الاتفاقيات ستؤدى حتما إلى

وقوع البلاد فى براثن دائنيها، تماما كما وقعت بريطانيا عام ١٦٩٤، وفرنسا عام ١٧٩٠، والولايات المتحدة عام ١٧٩١ فرائس فى أيدى المرابين العالميين.. وعلم الجميع أن مثل هذه القروض ستكون دينا واستبعادا لكل أفراد الشعب، لأن تسديدها لن يكون إلا بفرض مزيد من الضرائب، يدفعها المواطنون جميعا.

عندئذ، صمم قادة الحزب الفاشى على خلق عملة ألمانية لا تستند إلى القروض، بل تعتمد على الدخل القومى والممتلكات الوطنية، وعلى موارد الصناعة والزراعة والثروات الطبيعية، وعلى الطاقة الإنتاجية للأمة.. ووجد الشعب الألمانى بصورة عامة، أنه يشارك شعوب إيطاليا وأسبانيا واليابان آمالهم وأمانيهم فى المستقبل السياسى والاقتصادى لهذه البلدان، فظهر حلف المحور إلى الوجود، وبدأت الحركة الفاشية التى تزعمها هتلر وموسولينى وفرانكو.

وينقل لنا التاريخ الجهود الضخمة التى بذلها هؤلاء الثلاثة لإعادة بناء بلادهم، والنهوض بها من الأزمات والثورات والحروب التى وقعت فيها.. فلقد طوروا الصناعة والزراعة بشكل يشبه المعجزات.. أما نجاح عملية إعادة البناء العسكرى، فيعود إلى المساعدة التى قدمها عملاء النورانيين الذين كانوا يخططون لإيقاع البلاد الفاشية والبلاد الرأسمالية فى حرب عالمية أخرى.

أيّد كل من هتلر وموسولينى السياسة الفاشية المعتدلة بادئ الأمر، وقررا إصلاح الفساد وتطهير البلاد من الشيوعية، وتخليصها من تحكم النورانيين على صناعتها واقتصادها بشكل عام.. ولكن ما إن تقدم الوقت، حتى وقعا معا تحت تأثير لوردات الحرب النازيين، الذين ادعوا أن سلاما دائما لا يمكن أن يستتب فى العالم، إلا عن طريق الاحتلال العسكرى.

وهكذا بيعت القيادة العسكرية العليا فى إيطاليا واليابان لمؤيدى

مخطط ونظريات كارل ريتر التى نشرها عام ١٨٤٩م.. أما فرانكو فلم يقبل أن يبقى ضمن المخطط، لأن معتقداته الدينية وإيمانه جعلاه يؤمن بأن كل أيديولوجية تنكر وجود الله هى فى صف الشيطان وتعمل معه.

وبالإضافة إلى احتلال فرنسا وبريطانيا، خطط النازيون لإبادة اليهود فى هذين البلدين كما أبادوهم فى البلدان الأوروبية.. وشمل المخطط تصفية المولين الدوليين وكبار الرأسماليين والاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم.

وفى الوقت الذى كان هتلر ما يزال يعانى عذاب السجن قبل عام ١٩٣٤، لأنه كان يعتبر العدو اللدود للوردات الحرب النازيين والممولين الدوليين، كتب كتابة «كفاحى Mein Kampf»، حيث يقول فى الصفحة الأخيرة: «وبهذا يقف الحزب الاشتراكى الوطنى موقفا إيجابيا من المسيحية، ولكنه لا يترك أمور العقيدة لجماعة من المحترفين.. ومن جهة أخرى يحارب الروح المادية اليهودية المتغلغلة فى نفوسنا وفى نفوس الآخرين».

وكان هتلر قد أعلن سياسته بالنسبة لبريطانيا قبل ذلك فى عام ١٩٣٣، مشيرا إلى أن ماركس وستالين ولينين قد أكدوا مرارا أنه قبل أن تتوصل الشيوعية العالمية إلى هدفها الأخير، يجب عليها أن تدمر بريطانيا وإمبراطوريتها.. وقال هتلر فى معرض حديثة فى ذلك الوقت: «إنى على استعداد للدفاع عن الإمبراطورية البريطانية بالقوة إذا دعت الحاجة».

أما عن معاهدة فرساى، فقد كتب هتلر يقول: «إنها لم تكن لمصلحة بريطانيا، ولكنها كانت أولا وأخيرا فى صالح اليهود لتدمير ألمانيا».. وكتب أيضا: «وحتى فى بريطانيا نفسها، هناك صراع دائم بين ممثلى المصالح البريطانية ومصالح الديكتاتورية اليهودية العالمية.. وفيما تعمل بريطانيا جاهدة لأخذ مكانتها فى العالم، نجد أن اليهود فى داخلتها يشكلون لها المتاعب والمشاكل، لذلك سيبدأ الكفاح ضد الخطر اليهودى العالمى فى بريطانيا، فى نفس الوقت الذى يبدأ فى غيرها من البلدان».

ولم يغير هتلر رأيه الشخصى بشأن التحالف مع بريطانيا أبدا.. لقد كان يعلم أن بقاء ألمانيا كقوة كبرى يعتمد على التحالف مع الإمبراطورية البريطانية.. لذلك بدأ الإعداد لحملة التحالف عام ١٩٣٦، فرتّب محادثات غير رسمية بين الدبلوماسيين البريطانيين والألمان.. ولما فشلت المحادثات فى تكوين التحالف الذى كان يسعى جهده لتحقيقه، قال: «تهون كل التضحيات فى سبيل التحالف مع بريطانيا.. هذا التحالف يجلب التأييد لمستعمراتنا، ويجعل إلى جانبنا قوة بحرية عظيمة، كما يوفر علينا الدخول فى منافسة مع الصناعة البريطانية».

وقد أدى هذا الفشل فى التحالف مع بريطانيا، إلى أضعاف معارضة «الإيديولوجية التوتاليتارية» التى كان ينادى بها المتطرفون من لوردات الحرب النازيين.. واقتنع هتلر، بعد فشل المحادثات، أنّه لا يمكن للسياسة المعتدلة أن توقف سيطرة المرابين الدوليين على سياسة بريطانيا الخارجية.. وهكذا اضطر هتلر للاعتراف بصدق كارل ريتر عندما قال: «لكى يعود السلام وتعود الحرية الاقتصادية إلى العالم، يجب أولا القضاء على المولين اليهود، وعلى جميع أعضاء الحركة الثورية العالمية، الذين يوجهون الشيوعية ويسيطرون عليها».

■ ■ ■

فى المحادثات التى جرت بين بريطانيا وألمانيا فى كانون الثانى من عام ١٩٣٦، مثل الأولى اللورد لندندرى، ومثل الثانية غورنغ وهتلر نفسه.. فى هذه المحادثات، شرح الهر غورنغ تفاصيل وتاريخ الحركة الثورية العالمية كما فصلها البروفيسور كارل ريتر وغيره.. ثم حاولا إقناعه بضرورة استعمال الحرب الشاملة فى وجه مثل هذه العقلية الديكتاتورية.. وفصلا له الخطة الألمانية التى تقضى باحتلال جميع الدول الشيوعية وتحرير شعوبها وإعدام جميع الخونة فيها.. وأوضحا له أن الطريق الوحيد لمحو الشيوعية هو بإفناء

الشعب اليهودى برمته.. وقدّما له الوثائق التى تبرهن عن ارتباط الشيوعية بكبار أغنياء اليهود، الذين يوجهون حركتها ويمولونها، كما يوجهون ويمولون فى نفس الوقت الصهيونية السياسية، للوصول إلى هدفهم السرى المنشود وهو التحضير للعهد الذى سيرجع مسيحهم المنقذ إلى الأرض.

ويقال إن هتلر وعد بالوقوف فى وجه الخطط المتطرفة للوردات الحرب النازيين، كما وعد بتحديد نشاطه ضد الشيوعية داخل القارة الأوروبية فقط، شرط أن تدخل بريطانيا فى حلف مع ألمانيا.. ولكن اللورد لندندرى أبدى شكّه فى أن تشارك الحكومة البريطانية فى خطة تقضى بإفناء الشيوعية، وأنها ستعتبرها عملية إفناء بشرية.. عندئذ عرض هتلر حلا وسطا.. قال إن ألمانيا ستقوم وحدها بهذه المهمة، شرط أن تدخل بريطانيا معها فى اتفاقية بألا تقوم حرب بين البلدين لمدة عشر سنوات مهما كانت الظروف.. وأوضح هتلر أن الطريق الوحيد لاستقلال بريطانيا وفرنسا وروسيا هو بالاستقلال الاقتصادى، وأن على هذه البلدان أن تنفض عن كاهلها تلك الديون الباهظة، وتتسلم زمام اقتصادها بذاتها، حتى يعود الاقتصاد العالمى إلى حالته الطبيعية.. ثم بين أن الهدف الذى يسعى إليه حزبه الاشتراكى الوطنى، هو أن يضع حلا جذريا مباشرا لنفوذ المرابين وسيطرتهم على الشؤون الوطنية الداخلية والعالمية.. ويقال إنه استشهد بقول بنجامين ديزرائيلى، على لسان أحد شخصياته فى كتابه المشهور Coningsby: «وهكذا ترى يا عزيزى كوننغسى، أن الذين يحكمون العالم هم أشخاص مختلفون جدا عمن يتخيلهم أولئك الذين يجهلون ما يدور وراء الستار».

وهنا دعم غورنغ رأى هتلر، مشيرا إلى أن التاريخ يبين كيف استطاع اليهود الأغنياء وذوو النفوذ أن يتحكموا باقتصاد وسياسة الدول التى تمكنوا من التسرب إليها.. وقد حققوا ذلك بوسائل غير مشروعة وطرق فاسدة

ومفسدة.. عندئذ استشهد الهر فون ربنتروب بما حدث فى كندا، عندما كان اللورد لندندرى نفسه فيها.. لقد بين له أن لجنة ستيفن الملكية التى حققت فى قضية الجمارك الكندية، وجدت أن البلاد تعانى من سرقة مبلغ مئة مليون دولار سنويا.. هذه السرقة تنظمها حركة عالمية تتغلغل فى البلاد وتنشر الفساد والرذيلة، «فتكبل» العديد من المسؤولين ورجال الحكومة، بإيقاعهم فى الرشوة والرذيلة.. وأضاف ربنتروب أن حالة الولايات المتحدة هى أسوأ عشرات المرات من كندا، وأنه للقضاء على هذا الخطر، يجب التخلص من الثلاثمئة رجل الذين يشكلون العقول المدبرة التى توجه العناصر السلبية والمجرمة لتحقيق وتنفيذ خطتهم بعيدة المدى، وهى السيطرة على العالم من خلال الحركة الثورية العالمية.

ويقال إن غورنغ ناقش بعد ذلك قضية تمويل المرابين العالميين للثورة الروسية عام ١٩١٧، مبينا النتيجة التى تمكّن هؤلاء من تحقيقها، وهى نشر العداوة والبغض الذى لم تره البشرية حتى ذلك الوقت.

ثم ذكّر هتلر مندوب بريطانيا اللورد لندندرى، بالملايين من المسيحيين الذين ذبحوا بدون رحمة فى البلدان الشيوعية منذ ثورة أكتوبر ١٩١٧، وأضاف أن المسئولين عن هذه المذابح لا يمكن اعتبارهم غير لصوص ومخربين عالميين.

وكانت آخر قضية ناقشها المجتمعون، قضية محاولة ستالين تحويل أسبانيا إلى ديكتاتورية شيوعية.. وهكذا تمت تعرية جميع بنود المؤامرة العالمية، من الطريقة السرية التى تمكنت بها ألمانيا من إعادة تسليح نفسها، إلى سيطرة محفل الشرق للماسونيين الأحرار على فرنسا، إلى الطريقة التى دفعت بها بريطانيا إلى ترك التسليح، فى نفس الوقت الذى كان أعداؤها الألداء يتسلحون على أكمل وجه.. وتبين أن الألمان يرون استحالة استتباب الأمن، ما لم يتم القضاء على الشيوعية والصهيونية، لأنهم كانوا

يؤمنون بأن هاتين الحركتين كانتا تعدان لقيام حرب ثانية.

وفى النهاية اختتم هتلر المحادثات بطريقته الخطابية، متمنيا على اللورد لندندرى أن يحاول إقناع حكومته بالدخول فى الحلف المقترح مع ألمانيا.. وقال بالحرف الواحد: «لأننى مقتنع بأن الإمبراطورية البريطانية والكنيسة الكاثوليكية، كلاهما مؤسستان عالميتان، بقاؤهما ضرورى لحفظ القانون والنظام العالمى فى المستقبل».

■ ■ ■

إن هذا الأقوال عن هتلر قد تبدو غريبة عن الرأى العام، لذلك سنسوق الحقائق التاريخية التالية لدعمها:

عاد اللورد لندندرى إلى لندن بعد المحادثات وقدم تقريرا إلى الحكومة البريطانية.. وفى ٢١ شباط ١٩٣٦ أرسل رسالة إلى ربنتروب، قال فى أحد مقاطعها: «لقد نسى هتلر وغورنغ، أننا قاسينا هنا فى انكلترا من اجتياح الثورة لعدة قرون.. وبالنسبة لليهود، فإننا لا نحب الإفناء.. وبالإضافة إلى ذلك فإن شعورا ماديا بأنكم تحاولون السيطرة على قوة عظيمة، بإمكانها الرد على هذه المحاولة من أماكن تشمل الأرض بكاملها.. ويمكننا أن نتبع خطوات اليهود ومساهمتهم فى إثارة الشغب فى العالم، ولكننا فى نفس الوقت سنجد أن بعضهم يقف موقف حازما فى الطرف المقابل، مستعملا نفوذه وأمواله للوقوف فى وجه النشاط الشرير والماكر الذى يقوم به إخوانهم».

ولما تأكد هتلر من فشل تحالف بريطانيا معه، أخذ يميل أكثر فأكثر نحو اليمين، لأنه اقتنع أنه يستحيل على أى فرد، أو أى مجموعة من الأفراد، أو أى أمة بمفردها، أن تحطم نفوذ المرابين العالميين فى الدول المسماة بالديمقراطية، وذلك لتحكمهم المالى بهذه الدول، ولإيقاعهم إياها تحت ديون طائلة.

وفى تموز ١٩٣٦، اندلعت الحرب الأهلية فى أسبانيا، وتبعها تقارب وتجاذب بين فرانكو وهتلر وموسولينى.. لقد أدى تصميم فرانكو على الكفاح من أجل إخراج الشيوعيين من بلاده، لجعل هتلر يقوم بتحصين حدوده عسكريا، لأنه كان يرغب جدا بمعرفة ما إذا كان ستالين يقوم بأى محاولة لتوسيع حدوده على حساب الدول الأوروبية الأخرى.. وكانت الصحافة المعادية لهتلر تصف كل خطوة يقوم بها «بالعدوان الفاشى».. أما هتلر فكان يبرر خطواته بأنها احترازية، وصرح بأن اهتمامه الأول ينصبّ على منع ستالين من تأسيس منطقة نفوذ حول خط العرض أربعين فى أوروبا.. ولو أنه سمح له بذلك لوقعت ألمانيا وبريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية فى الفخ، كما يقع الذباب فى بيت العنكبوت.

■ ■ ■

بدأ النازيون بنشر الإيديولوجية الجرمانية الوثنية بين الشعب الألمانى.. وتقضى هذه العقيدة بتفوق العرق الجرمانى الذى يجب أن يُخضع العالم بالقوة العسكرية وينشئ الدولة الجرمانية.. ومن مسلمات هذه العقيدة أن الطاعة لرئيس الدولة الجرمانية يجب أن تكون عمياء لا تُناقش أبدا.

وهكذا بدأ الصراع بين المسيحيين المتدينين بشقيهم الكاثوليكى والبروتستانتى والدولة.. وهاجم رجال الدين النازية، معلنين أنها تعمل على تحطيم الإنسانية.. فكان رد النازيين أن رجال الكنيسة يخالفون القانون ويتحدون السلطة.. عندئذ أعلن رجال الدين بأن النازية تعادى وتناقض الخطة الإلهية فى خلق البشرية.. فاتهم النازيون الكنيسة بأنها تتدخل فيما لا يعينها من شؤون الدولة.

وأصدر هتلر قانونا صارما، حظر فيه على رجال الدين انتقاد الأوضاع السائدة أو التعرض لقانون الدولة.. وهددهم بتنفيذ العقوبات بهم إذا أثبتت المحاكم مخالفتهم للقانون.

وننقل بعض ما جاء فى المنشور الذى أمر البابا بيوس الحادى عشر بتوزيعه على العالم المسيحى فى الرابع عشر من آذار ١٩٣٧، وعنوانه «حول ظروف الكنيسة فى ألمانيا».. فى هذا المنشور أخبر البابا جميع الكاثوليك أن ما سيأتى فى كلامه عن النازيين هو عين الصدق.. وحول فكرة التفوق الجرمانى، كتب يقول: «قد يكون هناك تفاوت وتباين بين الشعوب أو الحكومات أو ممثلى السلطات الأهلية وغيرها، وقد يتمتع البعض بمركز مرموق بسبب الاختلاف الفطرى والذكاء البشرى الطبيعى.. ولكن رفع هذه الفئات أو الشعوب أو المجموعات إلى مركز التفوق المثالى، فهذا تغيير للفطرة وتعدٍّ عليها، لأن الكمال لله، فهو الخالق والمدبر وليس لفرد أو جماعة أن يطالبوا بحق العبودية لأنفسهم.. ولا يقع فى خطأ الايمان «بالوطن الإله» أو «بالوطن الدين»، إلا غبى يحاول تضييق قدرة الله بهذه الحدود الضيقة، وهو سبحانه الملك المشرع، الذى لا تقاس قدرة الأمم والشعوب إلى قدرته، إلا كما تقاس نقطة الماء إلى البحر».

هذا بالنسبة للكاثوليك.. أما البروتستانت، فقد واجهوا النازية بشجاعة، ونشروا رسالة فى التاسع عشر من آب ١٩٣٨، أكدوا فيها أن موقف النازيين من الدين المسيحى فى ألمانيا هو «متناقض بصورة مكشوفة مع تأكيدات الفوهور».. وجاء فيها أيضا «إن ما يهدف إليه النازيون ليس كبت الكنيسة الكاثوليكية فقط أو الكنائس البروتستانتية، بل هو القضاء على الفكرة المسيحية الحقيقية القائمة على الاعتقاد بإله واحد واستبدالها بفكرة إله جرمانى.. وماذا تعنى هذه المحاولة لاستبدال الإله المسيحى بإله جرمانى؟.. وما الذى تعنيه فكرة الإله الجرمانى هذه؟.. أهو يختلف عن إله بقية الشعوب؟.. إذا كان الأمر كذلك، فهذا يعنى أن لكل أمة إلهها الخاص بها.. والمعنى الحقيقى لهذه الفكرة هو أنه ليس هناك إله على الإطلاق».

■ ■ ■

توحدت القوى النازية السوداء مع القوى الشيوعية الحمراء فى حربها ضد المسيحية، وضد الإمبراطورية الرومانية.. وهذا الوضع المعقد هو الذى حدا برجال الكنيسة أن يقفوا ذلك الموقف القومى ضد النازية السوداء، فى حين أنهم تركوا الخطر الأقل أهمية وهو الخطر الفاشى - الفكرة المعادية للشيوعية التى استعملها فرانكو.. وهذا الوضع هو الذى يشرح أسباب تحالف الكاردينال منزنتى مع القادة الفاشيين للتخلص من السيطرة الشيوعية على بلاده.

وفى ظل هذه الأوضاع، وجد الملايين من شعوب ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا واليابان، أنفسهم مضطرين إلى اختيار أحد طرفين.. إما موالاة الشيوعية، أو موالاة الفاشية.. ودلهم هوبسون على الطريق، وهو أن يختاروا الأقل ضررا والأبعد عن الشيطان.

وهكذا نجحت المؤامرة الشيطانية فى تهيئة الوضع لقيام الحرب العالمية الثانية، فالديكتاتورية الروسية كانت تعيد تسليح الألمان سرا.. والديكتاتورية الإيطالية بقيادة موسولينى كانت تبنى سرا أسطولا من الغواصات للمهندسين والعلماء الألمان.. وقد جربت هذه الغواصات عمليا فى الحرب الأهلية الأسبانية، حيث تم البرهان عام ١٩٣٦ عن قوة هذه الغواصات ومناعتها ضد جميع الأسلحة البريطانية التى تستخدمها ضد الغواصات، لأن الغواصات الحديثة، صارت تغوص إلى عمق خمسمائة قدم تحت سطح البحر، وهى مسافة لم يكن أى سلاح فى ذلك الوقت ليتمكن من الوصول إليها.. ولم يبق هذا الأمر سرا بالنسبة للحكومة البريطانية، بل تسربت إليها أخبار هذه الاستعدادات.. وبرهن الكابتن ماكس مارتون من البحرية الملكية البريطانية، بالتجربة العملية، إمكانية مهاجمة الأسطول البريطانى وهو رابض فى موانئه، وذلك بأن استطاع أن يتفادى بغواصته جميع الأسلحة المضادة للغواصات، ويغرق نظريا اثنتى عشرة سفينة راسية فى

الميناء.. وبدلا من أن يتلقى الكابتن مارتن الثناء والتقدير من قادة الأسطول، نال سخطهم واستياءهم وتوقفت ترقيته ثم كتم صوته تماما.. وبقى على هذه الحال، حتى عام ١٩٤٠، عندما هددت الغواصات الألمانية الحديثة بريطانيا بالاستسلام أو الموت جوعا.. عندئذ طلب منه قيادة المعركة المضادة للغواصات فى المحيط الأطلنطى.

ورغم التحذيرات المبكرة، لم يكن يرافق السفن البريطانية، عندما اندلعت الحرب، أى سلاح بحرى للحماية.. وكانت النتيجة أن خسرت بريطانيا ٧٥ بالمئة من أسطولها التجارى وأربعين ألف بحرى، قبل أن تتمكن من إعادة دفة الحرب إلى جانبها عام ١٩٤٣م.

■ ■ ■

ونعود إلى ألمانيا، فنجد أن هتلر قد اتخذ خطوة معادية للمرابين الدوليين، وذلك بإعلانه للسياسة الاقتصادية المستقلة، وللإصلاح المالى.. وطلب من كل من اليابان وإيطاليا وأسبانيا أن تدعمه فى تحديه لقوى الكارتل والاحتكارات التى كان يديرها الممولون الدوليون، وخصوا البنك الدولى الذى كان آخر نتاج لعقوبتهم المدبرة.. ونفذ الرايخ خطوته بالتخلص من الدكتور هانس مدير بنك الرايخ وعميل المرابين العالميين.. وقبل أن يقوم هتلر بهذه الخطوة الجريئة، لم يكن أحد ليتسطيع أن يحرك الدكتور هانس من منصبه، إلا إذا وافق هو على ذلك ووافق أعضاء البنك الدولى بالإجماع.

وكان الممولون الدوليون قد أنشأوا منذ الحرب العالمية الأولى ستة وعشرين بنكا مركزيا، على غرار البنوك الاحتياطية الفيدرالية التى أنشئت عام ١٩١٣ باشراف وتوجية المستر بول واربورغ، الذى جاء إلى أميركا عام ١٩٠٧ ثم أصبح شريكا فى مؤسسة كوهن ـ لوب وشركائهم فى نيويورك.

وكانت نظرية واربورغ تقضى بإنشاء «تنظيم مصرفى مركزى» ترجع

إليه جميع السلطات على هذه البسيطة.. ومن هنا، كان هتلر يدرك أنه إذا استطاع واربورغ وأصحابه إنشاء البنك الدولى، فإنهم سيتمكنون من إنشاء بيروقراطية تتمكن من التدخل فى جميع القضايا العالمية، تماما كما يتدخل بنك انكلترا فى شؤونها الداخلية وسياستها الخارجية.

وفى معرض حديثنا عن الحركة الاقتصادية فى تيك المرحلة من التاريخ، سننقل ما جاء على لسان الرئيس الأمريكى ثيودرو ولسن عام ١٩١٦، أى بعد ثلاث سنوات من بدء العمل بنظام بنوك الاحتياط الفيدرالية التى نظمها الصهيونى واربورغ.. يقول ولسن فى حديثه عن الوضع الاقتصادى الأميركى: «تسيطر على أمتنا الصناعية ـ كما هى الحال فى جميع الدول الصناعية الكبرى ـ أنظمة التسليف والقروض.. ويرجع مصدر هذه القروض إلى فئة قليلة من الناس، تسيطر بالتالى على نماء الأمة، وتكون هى الفئة الحاكمة فى البلاد.. ولهذا لم تعد الحكومات ـ حتى أشدها سيطرة وتنظيما وتحضرا ـ تعبر عن رأى الأكثرية التى تنتخبها، ولكنها فى الحقيقة تعبر عن رأى ومصالح الفئة القليلة المسيطرة».

وهذه هى حقيقة ما يسميه العالم المتحضر اليوم بالديمقراطية.. ويشارك الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت رأى الرئيس ولسن، وذلك بما جاء على لسانه عندما وقعت الأزمة ـ أو المأساة ـ الاقتصادية الكبرى فى الثلاثينيات.. قال روزفلت يومها: «إن ستين عائلة أمريكية فقط هم الذين يتحكمون باقتصاد الأمة.. ويعانى ثلث الشعب الأمريكى من سوء المسكن والمأكل والملبس».. وقال أيضا: «إن عشرين بالمئة من العاملين فى مشاريع W. P. A هم فى حالة يرثى لها من سوء التغذية، حتى إنهم لا يستطيعون العمل اليومى بكامله.. وإنى مصمم على إخراج رجال المصارف من برجهم العاجى».

ولكن روزفلت نفسه ما لبث أن تغير.. لقد وجد نفسه يقود بلاده لتحارب نفس الدول التى وافقت على السياسة التى نادى بها عقب انتخابه

مباشرة.. وبعد عمر طويل قضاه فى خدمة الرأسماليين، مات روزفلت فى بيت أغنى وأقوى رجل فى الولايات المتحدة، برنارد باروخ، الرجل الذى بقى أربعين عاما يسيطر على البلاد من خلف الستار.. وإذا كان أحد القراء يشك فى ما قلناه عن برنارد باروخ، فكيف يفسر زيارات رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل المتكررة لهذا الرجل؟.. وكيف يفسر صدور بيانات تشرشل التاريخية المؤيدة للصهيونية السياسية، مباشرة عقب زيارته لباروخ عام ١٩٥٤؟

وهكذا أصبحت الديمقراطية كلمة يستعملها الحكام لخداع شعوبهم.. فهى تستخدم فى البلاد الرأسمالية، حيث يسرح الممولون العالميون ويمرحون، متلاعبين بقيمة العملات فيها، بزيادة السيولة المالية أو إنقاصها حسب مشيئتهم ومصالحهم.. وتصبح الديمقراطية التى تسمى كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة نفسها بها، تعنى ارتباط هذه البلدان مع الممولين الدوليين عن طريق الديون والقروض.. ومن جهة ثانية، تسمى البلدان الشيوعية نفسها بلدانا ديمقراطية لأنها تقع تحت سيطرة نفس المجموعة من المرابين والممولين العالميين.

ونرى السير أنتونى إيدن يعبر عن رأى الممولين، عندما وجه رسالة إذاعية إلى الشعب الأمريكى فى الحادى عشر من أيلول ١٩٣٩، يقول فى أحد مقاطعها: «لقد آن لنا تخليص أوروبا من التعصب والأطماع وسيطرة الأهواء.. ويجب علينا أن نبنى حضارتنا الجديدة من خلال عالم متحارب».. إنه العفن الفكرى ليس إلا.. وهل الحروب للبناء أم للتدمير؟

ولقد حاول العديد من البريطانيين تجنيب بلادهم وحليفاتها الدخول فى حرب ثانية مع ألمانيا.. ولم يتركوا مناسبة منذ عام ١٩٣٠ إلا وعبروا فيها عن استيائهم من قيام حرب أخرى.. ولكنهم كانوا جميعا يُنعتون بأنهم نازيون سود يعملون لمصلحة لوردات الحرب النازيين.. ومن البريطانيين

الذين أعلنوا عن عدائهم للشيوعية وأيدوا الفاشية، السير اوزويلد موسلى.. وقد قام هو والعديد من رجال السياسة والجنرالات المتقاعدين بجهد صامت وجرىء لتحذير أعضاء الحكومة من الوقوع فريسة المؤامرة العالمية.

وكانت الحركة المعادية للسامية قد بدأت فى انكلترا منذ عام ١٩٢٠، عندما عاد مارسدن إلى إنكلترا، وفى حوزته نسخة من الكتاب الذى ألفه البوفيسور سرجى نيلوس عام ١٩٠٥ بعنوان «الخطر اليهودى».

وفيما كان مارسدن يترجم هذه الوثائق، تلقى تحذيرا بالموت إذا أصر على نشر الكتاب.. ولكن مارسدن لم يخف من التحذير، فنشر الكتاب وسماه «بروتوكولات حكماء صهيون».. وبعد سنوات قليلة من نشر الكتاب مات مارسدن بالفعل كما جاء فى التحذير وبظروف غامضة.

أدى نشر هذا الكتاب إلى ضجة كبرى فى إنكلترا، ومن ثم فى العالم أجمع.. وعمد المرابون العالميون لتفادى هذه الفضيحة الدامغة التى كشفت أمرهم، إلى شن حملة دعائية معاكسة ضد مارسدن، متهمة إياه بالكذب وبعدائه الصريح للسامية.. ومن الأبحاث والدراسات التى قمت بها بنفسى أستطيع القول، بأن الوثائق التى جاءت فى كتاب البروفيسور نيلوس «الخطر اليهودى» وفى كتاب مارسدن «بروتوكولات حكماء صهيون» هى نفسها الخطة النورانية طويلة الأمد، التى شرحها آمشيل روتشيلد لرفاقة فى اجتماع فرانكفورت عام ١٧٧٣م.

ومما لا شك فيه أن الوثائق التى وقعت فى أيدى البروفيسور نيلوس، كانت إشارات إضافية يمكن الاعتماد عليها فى شرح الطريقة التى تم بها تنفيذ المخطط، وكيف تم استخدام الداروينية والماركسية والنيتشية (نسبة إلى نيتشه) منذ عام ١٧٧٣م.

ولا يستطيع قارئ هذه الوثائق ـ مهما كان مصدرها ـ أن ينكر أن

تسلسل الأحداث العالمية جاء تعبيرا عن البرنامج الذى اقترحته الوثائق منذ عام ١٧٧٣م.. وسيدهش أكثر من هذا التنبؤ الدقيق الذى لم يخطئ أبدا.

يقول ماكس ناردو فى خطابه فى المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقد فى بازل فى سويسرا عام ١٩٠٣: «دعونى أخبركم الكلمات التالية، وكأنى أصعد بكم درجات السلم درجة درجة.. المؤتمر الصهيونى.. مشروع أوغندا البريطانية.. الحرب العالمية المتوقعة.. مؤتمر السلام حيث يتم بمساعدة بريطانيا قيام دولة يهودية حرة فى فلسطين».

وقد قرأ العديد من رجال السياسة والصحافة هذه الوثائق، فحملتهم على البحث والتدقيق فى القضايا العالمية.. ومن بين هؤلاء اللورد سيدنهام وهنرى فورد.. وقد قام هذا الأخير بعد قراءة الوثائق بتأليف كتاب قيم، جاءت نهاية دراسته مطابقة للأبحاث التى قمت بها بنفسى.. وفى ١٧ شباط عام ١٩٢١ أجرت النيويورك وورلد مقابلة مع السيد هنرى فورد، ونقلت عنه ما يلى: «إن أهم شىء أريد أن أقوله عن «البروتوكولات» هو أن ما جاء فيها يتطابق مع ما يجرى اليوم.. لقد مضى على ظهورها ستة عشر عاما، ومازالت تتوافق مع الوضع الدولى حتى الآن».. (بل وحتّى الآن، بعد قرن من ظهورها!!).

لقد مضى الآن على عبارة فورد هذه أربع وثلاثون سنة، وهى ما تزال حتى الآن مطابقة للواقع الذى نعيشه.. وهذا كاف ليجعل كل منصف يعترف بأن هذه الوثائق لم تكن إلا نسخة أصلية للخطة التى يتم تنفيذها يوما بعد يوم، وأنها قد حققت معظم أغراضها.

وفى نهاية حديثنا عن «بروتوكولات حكماء صهيون»، يجدر بنا أن نذكر علاقة مؤلفة المستر مارسدن بالملك الإنكليزى إدوارد الثامن، لما لهذه العلاقة من تأثير على الملك نفسه، وعلى كشف بعض جوانب التآمر الذى حدث فى انكلترا فى ذلك الوقت.. لقد بقى مارسدن يعمل فى جريدة المورننغ بوست

من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٢٧، فكسب العديد من الأصدقاء.. ولكنه فى نفس الوقت كسب عداوة قوية من قبل المتآمرين.. وفى عام ١٩٢٧ تم اختياره لمرافقة ولى العهد أمير ويلز فى رحلة حول الإمبراطورية.. وليس من المعقول أن يترك السيد مارسدن هذه المناسبة دون أن يطلع الأمير على الوثائق وعلى المؤامرات التى يحيكها الممولون الدوليون الذين يخططون للشيوعية والصهيونية معا.. وهكذا عاد ولى العهد إلى بريطانيا وقد تغير كثيرا، ولم يعد ذلك «الأمير المرح المسرف»، بل أصبح رجلا جديا عميق التفكير.. إلا إن مارسدن ما أن وصل إلى بريطانيا حتى تغيرت صحته، ثم مات بعد أيام قليلة.. وهذا يذكرنا بما حدث لميرابو الذى مات مسموما، بعد أن أطلع الملك لويس على الدوافع الحقيقية للثورة الفرنسية.

كان انقلاب ولى العهد بعد عودته من الرحلة عميقا شاملا، فقد أخذ يهتم بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وأخذ يزور مناجم الفحم ويتحدث مع العمال فى بيوتهم، خارجا بذلك عن التقاليد الملكية.. ثم أخذ يعارض كل سياسة يعتقد أنها غير صالحة، مبديا راية بجرأة فى جميع الأمور حتى السياسة الخارجية، متحديا بذلك «القوى الخفية»، وخصوصا عندما تم تتويجه فى ٢٠ كانون الثانى عام ١٩٣٦م.. وهكذا دخل ادوارد الثامن فى صراع عنيف مع المسيرين الحقيقيين للسياسة البريطانية.. إلا أنه لم يصمد طويلا، لأن المرابين لم يتركوه لحظة دون أن يشهروا به، وخصوصا بعد مرافقته للمستر مارسدن.. فقد صوروه للناس على أنه زير نساء وأنه يميل «لليمين»، وأن له علاقة بالسير أوزويلد موزللى المؤيد للحركة الفاشية.. ولكن هذا كله لم يؤثر على سيرة الملك الجدية التى كان يعيشها، إلى أن عزم على الزواج من سيدة أمريكية مطلقة تدعى «والى سيمبسون».. عندئذ تحركت أجهزة الدعاية اليسارية بكل قواها، مثيرة الرأى العام ضد هذه السيدة، وأصبحت هذه القضية الشغل الشاغل لانكلترا.. وهكذا حمل

المستر بالدوين أوامر المرابين بشأن تنحية الملك عن عرشه.. وكان على الملك اختيار أحد أمرين: إما التخلى عن العرش، أو التخلى عن زواجه من مس سيمبسون، فاختار الحل الذى يحفظ له كرامته ولا يجعله ألعوبة فى أيدى خصومه، وتنحى عن العرش.

اندلاع الحرب العالمية الثانية:

بعد تنحى الملك أدوار الثامن عن العرش، قام عدد كبير من المثقفين والمفكرين البريطانيين ـ بما فيهم أعضاء البرلمان وقادة الجيش المتقاعدين ـ بحملة دعائية واسعة، محاولين إقناع الحكومة البريطانية بحقيقة المؤامرة التى يحيكها «المرابون العالميون».. ومن بين هؤلاء الكابتن رامزى والأدميرال السير بارى دومفيل، الذين توصلا فى عام ١٩٣٨، إلى أن قادة اليهودية العالمية الذين يتزعمهم رجال المصارف والممولون اليهود العالميون، يستعملون الأموال الكثيرة التى فى حوزتهم لشراء المراكز الحساسة، بهدف خلق النزاعات بين الأمم، فى خطة بعيدة المدى تهدف إلى الإعداد لمجىء مسيح اليهود لتخليصهم، وعندها ستتمكن الحكومة المركزية الموجودة فى فلسطين من فرض الحكم الديكتاتورى على جميع شعوب وأمم العالم.

وقد حاول الكابتن رامزى والأدميرال دومفيل جهدهما لمنع توريط بريطانيا فى حرب مع ألمانيا، وبذل الكابتن رامزى جهدا كبيرا فى سبيل إقناع المستر تشامبرلين ـ رئيس الوزراء البريطانى ـ بالخطر على المصالح البريطانية، إذا حقق المتآمرون الدوليون خطتهم وورطوا بريطانيا فى حرب مع ألمانيا.. ومع أنه لم يقنع رئيس الوزراء، إلا إنّه على الأقل أثر فيه تأثيرا كافيا، جعله يصلح الأمور مع هتلر ويعود من ميونج وهو يلوح بمظلته المشهورة، وبورقة قال عنها إنها اتفاقية «تضمن السلام فى وقتنا هذا».

بعد هذا الإعلان مباشرة، قامت الصحافة التى يسيطر عليها المرابون الدوليون بحملة حاقدة على الفاشية، لاعنة تشامبرلين ومتهمة إياه بأنه

«امرأة عجوز تحاول شراء السلام بأى ثمن»، وبأنه متضامن مع الفاشية.. وفى موسكو أحرق العملاء هناك تمثالا وهميا لتشامبرلين، فى تظاهرة كبيرة فى الساحة العامة.. لقد صورت هذه الصحافة، الفاشية الألمانية والإيطالية على أنها عقائد إلحادية سوداء ذات أهداف توتاليتارية مطلقة.. وكان القليل من الناس من يفهم الفرق بين النازية والفاشية والشيوعية والاشتراكية.

ومما نعرفه عن بعض التفاصيل التى جرت خلف الستار، أن الكابتن رامزى وعد رئيس الوزراء البريطانى بتسليمه وثيقة تشهد بالمؤامرة على المصالح البريطانية.. وكانت هذه الوثيقة عبارة عن رسائل سرية بالشفرة تبودلت بين ونستون تشرشل والرئيس الأميركى روزفلت.. ووعد رامزى بإحضار هذه الرسائل ليبرهن له عن عزم المولين العالميين على إشعال الحرب العالمية الثانية.

وكان الكابتن رامزى قد علم بهذه الرسائل السرية عن طريق «تايلر كنت» الضابط الأميركى المكلف ببثّ واستلام الرسائل فى السفارة الأمريكية فى لندن.. ولقد اتصل تايلر كنت بالكابتن رامزى، لأنه كان يعرف أنه يشك فى «مؤامرة يهودية عالمية»، ويعلم أنه يحاول جهده لإيقاف الحرب.. ولما عرض رامزى أن ينقل هذه الوثائق إلى رئيس الوزراء، وافق كنت على إحضار الوثائق إلى منزله فى غلوستر بلندن.

فى هذا الوقت كان المتآمرون العالميون يعملون بنشاط واسع.. فى آذار ١٩٣٩ تمكن هؤلاء من دافع تشامبرلين للتوقيع على معاهدة لحماية البولنديين من العدوان الألمانى، وذلك بإبراز إنذار مزور من ألمانيا للبولنديين.. والحقيقة أن ألمانيا لم ترسل هذا الإنذار، بل عرضت مشروعا مقبولا لحل سلمىّ لمشكلة الممر البولندى ودانزنغ، التى سببتها معاهدة فرساى الجائرة.

ولكن بقيت المذكرة مهملة أشهرا عديدة، فى حين كانت الصحافة

المعادية لهتلر تشن عليه الحملات العنيفة المضادة.. وقد صورته هذه الصحافة رجلا لا يوثق به، فانطلت الكذبة على الجميع، واستخدموا قول هتلر بعد احتلاله لسدتنلاند، وهو أنه لا يطلب أى شىء بعد ذلك، كمثال على تعدّى هتلر على جميع الاتفاقيات، كما تعدى على معاهدة فرساى من قبل.. كما حولوا مذكرة هتلر السلمية التى وجهها إلى بولندا إلى مذكرة عدوانية، واعتمدوهما مثالا آخر على نواياه التوسعية.

والحقيقة أن هتلر أعلن أنه لن يطلب أى شىء آخر بعد أن توصل إلى رفع الظلم الذى فرضته عليه معاهدة فرساى التى صاغها أعداء الإنسانية.. وكان هتلر صادقا فى ذلك الوعد ولم يتقدم إلا إلى منطقة السدتنلاند وجزء من تشيكوسلوفوكيا والممر البولندى ودانزنغ، فلقد كانت معاهدة فرساى قد فصلت بروسيا عن بقية ألمانيا بإيجاد الممر البولندى.. أما دازنغ فهى مدينة ألمانية فصلتها المعاهدة وعزلتها عن بقية المناطق الألمانية.. وأما القسم المعروف اليوم بتشيكوسلوفاكيا، فقد كان يضم إليه قسما من الرعايا الألمان الذين عوملوا معاملة سيئة ونال منهم التشيكيون.. ولم يدخل هتلر النمسا إلا بعد أن طلب شعبها حمايته من العدوان الشيوعى، وهذا ما ينكره الجميع اليوم.

وبشكل عام، كانت الصحافة الغربية قد هيأت الشعوب هناك لنقف موقفا معاديا للألمان ولجميع الدول التى تؤيد سياستها كفرنسا وغيرها.

ولما حمل الشعب الألمانى هتلر إلى مركز القيادة وقف تشرشل ليعلن أن هتلر ليس إلا «وحشا وليد الكذب والخداع».. ولكن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن هتلر كان يحاول مرة بعد مرة، الوصول إلى حل عادل لمشكلة الممر البولندى ودانزنغ، ولكن المرابين العالميين لم يسمحوا له بذلك، وذلك بإيهام رئيس الوزراء البريطانى المستر تشامبرلين بأن هتلر قد أرسل مذكرة الإنذار.. وكان هذا الخداع والكذب هما اللذان جعلا المستر تشامبرلين

ينصح مترددا الحكومة الملكية بإعلان الحرب على ألمانيا.

■ ■ ■

قد يعتبر القارئ هذه الاتهامات التى أوجهها للمرابين العالميين غير صحيحة وبعيدة عن الحقيقة.. ولكن إذا حاول أن يجرى مقارنة بين ما حدث قبيل وبعد الحرب العالمية الأولى، وبين ما حدث قبيل وبعد الحرب العالمية الثانية لوجد تقاربا كبيرا فى المخططات والنتائج.

لقد انتهت الحرب الكبرى الأولى بمعاهدة فرساى، التى لا يستطيع أحد أن يقول بأن قادة وزعماء مسيحيين حقيقيين يمكنهم أن يوقعوا معاهدة شبيهة بهذه المعاهدة الجائرة.. ولكنّ الحكاية أعيدت مرة ثانية بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك بتبنى الحلفاء سياسة «الاستسلام غير المشروط»، وبتبنى خطة «ستالين ـ وابت ـ مورغانتو» الاقتصادية، وبتقسيم ألمانيا إلى قسمين، وباختلاف الأزمة الفرنسية بعد الحرب، بالإضافة إلى تلك اللعبة الخطيرة التى لعبها الممولون الدوليون والقادة الديكتاتوريون فى كل من روسيا والصين بعد نهاية الحرب مع اليابان.

■ ■ ■

ولما تعب هتلر من انتظار الرد البولندى، ومن الحرب المشينة التى وجهتها ضده صحافة الحلفاء، أمر جيوشه بالتحرك نحو بولندا.. عندئذ أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا بموجب اتفاقيتها السباقة مع بولندا.. وهنا نستطيع تبين الجريمة الشنعاء التى ارتكبها المرابون العالميون وخططوا لها.. لقد وعدوا البولنديين بمساعدة بريطانيا وحمايتها مع أنهم يدركون تماما بأن بريطانيا عاجزة فعلا عن أى مساعدة جوية كانت أو برية أو بحرية.

وليس أدل من قول اللورد لوثيان ـ الذى كان سفير بريطانيا فى الولايات المتحدة ـ حين صرح فى آخر حديث له فى مجلس العموم «لو أن

مبدأ السيادة الذاتية تم تطبيقه لصالح ألمانيا وليس ضدها، لكان هذا يعنى إعادة السدتنلاند وتشيكوسلوفاكيا وأجزاء من بولندا والممر البولندى ودانزنغ جميعا إلى الرايخ».

وقد امتنع الطيران الألمانى عن قصف بريطانيا بالقنابل طيلة الشهور الأولى للحرب، وبصورة أدق طيلة فترة وجود تشامبرلين على رأس الحكومة البريطانية.. وامتنعت بريطانيا عن الإغارة على الأراضى الألمانية بدورها، وذلك تنفيذا لما قاله تشامبرلين يوم إعلان الحرب فى ٢ أيلول ١٩٣٩، من أنه سيصدر أوامره إلى قواته بعدم ضرب أية أهداف سوى الأهداف العسكرية فقط.. وهذا يعنى تفادى الغارات على المدنيين والمدن الآمنة.

■ ■ ■

استمرت الحرب فترة من الزمن بعد انسحاب الإنكليز من دنكرك على هذه الصورة الهادئة شبة السلمية، فالألمان يمتنعون عن الإغارة على إنكلترا، والإنكليز لا يقومون بأعمال عدوانية.. وسميت هذه الفترة «بالحرب السخيفة».. عندئذ اشتدت حملة الدعاية والتشهير بتشامبرلين، فى الوقت الذى كان ونستون تشرشل قد تسلم القيادة العليا للقوات البريطانية، فقام بمغامرة فاشلة فى النرويج، أودت بحياة العديد من الجنود والضباط الإنكليز، وأعادت إلى الذاكرة فشل تشرشل فى الانتورب عام ١٩١٤، وفشله فى احتلال غاليبولى عام ١٩١٥م.. ولا يعود هذا الفشل إلى عدم مقدرته العسكرية فقد كان شديد الذكاء والحنكة، ولكنه كان جزءا من مخطط يرمى إلى الإطاحة بحكومة تشامبرلين، كما أطيح بحكومة اسكويث إبان الحرب العالمية الأولى.. وهكذا لم يقع اللوم على تشرشل فى فشله هذا، بل كانت الحملة الدعائية كلها ضد تشامبرلين، حتى اضطر إلى الاستقالة ليخلفه ونستون تشرشل، أحد الوجوه التى خلفت اسكويث من قبل.

وفى أيار ١٩٤٠ تحالف تشرشل مرة أخرى مع الاشتراكيين، ليؤلف حكومة جديدة سيتم على يدها تحويل الحرب من «حرب سخيفة» إلى حرب فعلية.. وفى مساء اليوم الذى صعد فيه ونستون تشرشل إلى الحكم فى ١١ أيار ١٩٤٠، صدرت الأوامر إلى الطائرات البريطانية بالإغارة على المدن الألمانية، فاتحة بذلك الباب للألمان كى يردوا بالمثل، فتتحول الحرب بعد ذلك إلى حرب تدميرية فعلية.. ومع أن هناك العديد من الذين دافعوا عن سياسة تشرشل فى ضرب الأهداف المدنية، إلا إنهم لم يتمكنوا من تعليل هذه السياسة أبدا.

■ ■ ■

اتجه القادة النازيون إذ ذاك إلى هتلر شخصيا، وأبلغوه رأيهم بضرورة مهاجمة الاتحاد السوفياتى، تفاديا لترك ألمانيا مكشوفة الظهر حين تشرع فى عملياتها الحربية واسعة النطاق.. فلم يرَ الفوهور بدا من الموافقة على رأيهم.. وفى ٢٢ حزيران ١٩٤١ اقتحمت الجيوش الألمانية الاتحاد السوفياتى.. عندئذ وبشكل مباشر، ومدت بريطانيا والولايات المتحدة جهودها المادية لمساعدة ستالين للوقوف بوجه القوات الألمانية ودحرها.. وبدأت حملة منظمة لإرسال السفن المحملة بالذخيرة الحربية إلى روسيا.. وقد تم إرسالها عن طريق الخليج العربى ومورمانسك.

وفى هذه الأثناء كان تشرشل يقوم بحملة اعتقالات واسعة لجميع الذين كانوا يعارضون قيام الحرب مع ألمانيا.. وقد اعتمد فى هذه الاعتقالات على مذكرة كانت قد صدرت إبان الحرب الأهلية فى أيرلندا، وكانت تقضى باعتقال جميع من يشتبه بأنهم ينتمون إلى الجيش الجمهورى الأيرلندى.. وهكذا تم اعتقال أعداد كبيرة من الشخصيات دون محاكمة أو استجواب، ودون أن يتمتعوا بحق الدفاع عن أنفسهم.. وقد صدرت أوامر الاعتقال هذه جميعا عن طريق هربرت موريسون وزير الداخلية فى ذلك الوقت ـ وهو

الذى يعود بعد ذلك ليظهر فى كندا إبان حملة التبرعات لصالح الصهيونية عام ١٩٥٤م.. وقد علل هذه الحملة الواسعة من الاعتقالات، بأنها جاءت حفاظا على السلامة العامة، وللتحكم بالأشخاص الذين يخشى شرهم.. ولقد أثبتت التحريات التى جرت بعد الحرب، أن هذه الاعتقالات لم يكن لها أى مبرر إطلاقا، وإنها اعتمدت على حجج سخيفة جدا.

وكان من بين المعتقلين، الكابتن رامزى والأدميرال السير بارى دومفيل وزوجتاهما وأصدقاؤها.. وقد سجنوا جميعا مع العديد من المواطنين، فى سجن بريكستون.. فبقى بعضهم حتى أيلول ١٩٤٤م.

وكانت قد سبقت عملية الاعتقالات هذه، حملة واسعة قامت بها الصحافة التابعة للمرابين العالميين، لتهيئة الجو لتشرشل ليقوم بخطوته.. وقد أوهمت هذه الصحافة الجماهير بأن لألمانيا طابورا خامسا قويا ومنظما بين صفوف الإنكليز، وأن هذا الطابور يقوم بالإعدادات اللازمة لهبوط القوات الألمانية.

وهناك العديد من الشواهد التى تبرهن على ارتباط حكومة تشرشل باليهودية العالمية، وهى التى اعتقلت بشكل جائر العديد من الشخصيات البارزة وذات المكانة عند الشعب الإنكليزى، لا لذنب، ولكن لأنهم نادوا بأعلى صوتهم معلنين أن «اليهودية العالمية» هى التى دفعت بريطانيا إلى التورط فى الحرب مع ألمانيا.

ويرد على مزاعم رجال حكومة تشرشل ما برهن عليه القضاء البريطانى وتحقيقات المخابرات البريطانية، إذ لم تثبت على أى من المعتقلين على الإطلاق تهمة التعاون مع الألمان التى لفقها عملاء المرابين العالميين.. وقد حاول هؤلاء تلفيق مثل هذه التهمة لزوجة الاميرال نيكولسون، أحد كبار قادة البحر البريطانيين السابقين، ولكن القضاء برأها، فعمدت حكومة تشرشل إلى اعتقالها دون أية تهمة، للانتقام منها على

مناداتها قبل الحرب بمنع نشوب مثل هذه الحرب.

ولم يُخمد السجن صوت الأميرال دومفيل ولا الكابتن رامزى، فكتب الأول كتابة الشهير «من أميرال البحار الناشئ»، كشف فيه عن سر الأحداث والجهات التى قادت إلى الحرب العالمية الثانية، وحذر منها الشعب الإنكليزى.. كما ألف رامزى كتابه «حرب دون اسم».. وتمكن هذان الكتابان - بالرغم من اختفائهما من الأسواق - من فضح أسرار المؤامرة للرأى العام الإنكليزى والأوروبى.

■ ■ ■

وتوفى رئيس الوزراء الأسبق نيفل تشامبرلين والألم يمزق فؤاده، وهو يرى بلاده تساق إلى مجزرة شاملة للدفاع عن مصالح ومآرب حفنة من المرابين العالميين.. وتابعته حملة التشهير التى شنها هؤلاء إلى يوم وفاته، بل هى لا تزال تتابعه حتى الآن فى كتب التاريخ، التى تصفه بالضعف والخوف من هتلر.. بينما لا يزال السير ونستون تشرشل يعيش حتى الآن (وقت تأليف هذا الكتاب أحجار على رقعة الشطرنج) مغمورا بالأمجاد وفى بحبوحة الثراء، تلاحقه أكاليل المديح أينما ذهب!

■ ■ ■

فور هجوم هتلر على روسيا، أعلن تشرشل وروزفلت أنهما وحكومتيهما سيسعيان لمساندة ستالين بكل الإمكانيات المتوافرة لديهما.. وقال تشرشل، فى كلمة مؤثرة، إنه لا يتوانى عن وضع يده فى يد الشيطان، إذا ما وعده هذا الأخير بالمساعدة للقضاء على الفاشية الألمانية.

بعد ذلك شرع تشرشل ورزفلت بتقديم المساعدات غير المحدودة لستالين، واقترضا من أصحاب البنوك العالميين مبالغ خيالية، ثم قاما بتحويلها وفوائدها إلى حساب القرض القومى لكل من البلدين، بحيث تولى

دفعها بعد ذلك المواطنون العاديون، بينما كان أصحاب المصارف يستريحون ويجنون مئات الملايين من الدولارات من تلك الصفقة.

واتفق ستالين وروزفلت وتشرشل على معاداة الألمان.. وأكد روزفلت لستالين أنهم بعد الانتهاء من الحرب لن يكون هناك من الألمان ما يكفى لإثارة القلق.. وقد نقل فيما بعد أنه أمر بإطلاق النار على ٥٠٠٠٠ ضابط ألمانى بدون محاكمة.. ولم تكفّ الصحافة الموجهة عن الضرب على أوتار سياسة النازيين الرامية إلى القضاء على الشعب اليهودى.. ولكنها لم تأت على ذكر سياسة روزفلت التى هدفت إلى استئصال الشعب الألمانى.

وحلّ ستالين الكومينترن، وفى المقابل قدم روزفلت إليه تنازلات جديدة، فقد أطلقت يد ستالين فى ٦٠٠ مليون بشرى يقطنون أوروبا الشرقية.

ولا يستطيع إلا تشرشل، أن يشرح لماذا كان يجلس ويصغى لاقتراحات روزفلت بإعطاء هونج كونج للصين الشيوعية لإرضاء ماوتسى تونج.. وكيف كان بإمكان تشرشل التظاهر بالصداقة الحميمة للرئيس الأمريكى، بينما كان الأخير يكرر دائما أنه يعتقد أن حل الكومنولث البريطانى ضرورى لتقدم الإنسان ورخائه، وكان هتلر على النقيض من ذلك فى أفكاره.

■ ■ ■

ولم يظهر ستالين على حقيقته إلا بعد ما احتل برلين وألمانيا الشرقية.

كان الرأسماليون الغربيون ينظرون بعين الاهتمام والجدية لتحديات ستالين الظاهرة.. ولكنهم لم يكونوا يستطيعون فعل شىء.. وكان لديهم ورقة رابحة.. وقبل أن يلعبوا تلك الورقة أصدروا تعليماتهم لروزفلت ليحاول مرة أخيرة إعادة ستالين إلى الصف.. وعرض روزفلت إطلاق يد ستالين فى الشرق الأقصى وإعطائه كل ما يطلب، مقابل أن يماشى أصحاب رؤوس الأموال فى الغرب.. وركزت الصحافة الموجهة على أن روزفلت أطلق يد

ستالين فى الشرق الأقصى لأن مستشاريه العسكريين أخبروه أنه لا يمكن إخضاع اليابان بعد استسلام ألمانيا قبل سنتين من القتال الضارى.. وكانت هذه الكذبة من الوضوح، بحيث لم يضطر الجنرال مساك آرثر للكذب مباشرة.. وكان الجنرالات الأمريكيون على علم بأن اليابان كانت تطلب عقد مفاوضات للصلح قبل ذلك الوقت بكثير.

ومرة أخرى استولى ستالين على ما يريد فى منشوريا.. ثم عاد وكسر وعوده ورجع إلى تحدياته.. وكان ذلك كافيا لإثارة غضب القوى الخفية التى تدير البيت الأبيض.. ولا بد أنهم قدموا اقتراحا جهنميا مما جعل روزفلت يمرض ويموت.. وقيل إنه مات فى منزل برنارد باروخ.. بعد ذلك قرر مستشارو حكومة الولايات المتحدة لعب الورقة الرابحة.. القنبلة الذرية.. وألقيت القنبلتان الذريتان على هيروشيما وناجازاكى، ليعلم ستالين ما هو مخبأ له إن لم يسر على الطريق.. وكانت حقيقة توفر القنابل الذرية لدى الولايات المتحدة قد أبقيت سرية حتى ذلك التاريخ.. وفى الوقت الذى ألقيت فيه القنابل، كانت اليابان قد هزمت، وكان الاستسلام وشيك الوقوع.. وهكذا تم قتل ما يفوق مئة ألف إنسان وجرح وتشويه أكثر من ضعفى هذه العدد، لمجرد الإثبات لستالين أن الولايات المتحدة تمتلك فعلا قنابل ذرية.. وهكذا نرى أن تشرشل أمر بقصف ألمانيا لإيهام ستالين بحسن نية الأمميين الغربيين، وبأنهم يسعون لصداقته، وأن الولايات المتحدة قصفت اليابان بالقنابل الذرية لتحذير ستالين بأنه يجب أن يسير على الطريق وإلا..

■ ■ ■

الفهـــرس

أحجار على رقعة الشطرنج

الكاتب الأمريكى وليم غاى كار (١٨٩٥-١٩٥٩) هو صاحب كتاب أحجار على رقعة الشطرنج، وباحث أمريكى وأستاذ جامعى اختص بالدراسات التوراتية وبالآثار القديمة. وقد قضى فترة بالأرض المحتلة ودرس بالجامعة العبرية فى القدس. وزار مختلف مناطق الشرق الأوسط، ويجيد المؤلف اللغة العربية واللغة العبرية، وقام إثر عودته إلى أمريكا بتأليف كتابه (سرقة أمة) فى عام ١٩٥٢.

تتسم مؤلفاته بالموضوعية، والاعتماد على المصادر العلمية الموثقة، وهنا ظهرت قدرات المؤلف العلمية فى مجال اختصاصه الأساسى.

وتأتى أهمية تقديم هذا الكتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) لوليم كار الذى صدر باللغة الإنجليزية عام ١٩٦٦ فى أنه يكشف ويفضح دور المنظمات اليهودية السرية العالمية فى صنع الحروب والثورات التى أحدثت الخراب والدمار للبشرية، ويزيل الغموض عن مخططات اليهود الشيطانية للسيطرة على العالم أو القضاء عليه. ويرى المؤلف أن جميع الثورات العالمية كالثورة الفرنسية والروسية.. هى حلقات فى مسلسل واحد متناسق ومخطط له من قبل تلك المنظمات الشريرة.

ولقد أثار هذا الكتاب جدلاً عالمياً عند صدوره لفضحه المخططات الصهيونية العالمية.

W.Salama 010 15 17 873





٤٥ سوق الكتاب الجديد - العتبة - القاهرة
ت: ٠٢/٢٥٩١٦٠٢١

